تاريخ إرتيريا المعاصر

أرضاً وشعباً

تأليف

محمد عثمان أبوبكر

الطبعة الأولى
القاهرة ١٩٩٤

إهـــداء

==

إلى أرواح كل الشهداء الذين سقطوا من أجل أن تبقى إريتريا ، ورووا بدمائهم الذكية شجرة الحرية حتى نمت وأينعت وقطفها شعبنا فى الرابع والعشرين من مايو ١٩٩١م ٠ حرية واستقلالا وسيادة وأمنا وسلاما واستقرارا وازدهارا ٠ وعبرهم إلى كل المناضلين الذين صمدوا وناضلوا وحققوا الإنجاز تلو الإنجاز فى ملحمة بطولية تدفقت فيها الدماء الغالية دون توقف حتى النصر النهائى وطرد آخر جندى إثيوبى من أرض إريتريا ٠

اليوم وإلى كل من أسهم فى نضال شعبنا الأسطورى أهدى هذا الجهد اعتزازا وفخرا بهم ٠

كلمة شكر وعرفان

أقدم شكرى وامتنانى وتقديرى العميق لكل الأخوة والأصدقاء الذين شجعونى ووقفوا بجانبى حتى خرج هذا الكتاب فى صورته هذه .

ولولا معرفتى بنفوسهم الكبيرة وبفضلهم ، لذكرتهم فردا فردا ، إلا أننى أرى لزاما على أن أشيد بدور الأخوة الذين تعاونوا معى فى سنوات عملى ممثلا لقوات التحرير الشعبية بجبهة التحرير الإريترية والتنظيم الموحد فى دول الخليج ، وكان لمواقفهم المؤيدة والمبدئية من القضية الإريترية وحبهم لشعبنا ونضالاته الدور الكبير لأؤدى دورى الوطنى بصورة ذاهية جعلت من القضية الإريترية هما يوميا حاضرا فى دول الخليج .

إلى أولئك الأصدقاء أسجل هذه كلمة شكر وعرفان .

وأخص بالذكر أصدقائى من أبناء الخليج الذين وقفوا بجانبى وساهموا فى طبع هذا الكتاب ليكون صورة صادقة عن إريتريا وتاريخها ، وواجهة دالة على عمق الصلات التى تربطهم بى وبإريتريا ، وكلى أمل فى أن ينعطفوا إزاء إريتريا التى أحبوها ويسهموا بإمكاناتهم المادية فى إقامة المشاريع الإستثمارية التى تعود على بلادنا وعليهم بالخير والإزدهار ، وتسهم ولاشك فى إنجاز مستلزمات مرحلة البناء التى دخلناها بعد مرحلة التحرير .

ريع هذا الكتاب مخصص لمساعدة أبناء الشهداء والجرحى والمعوقين من أبناء شعبنا

تقديـــــم

بقلم الدكتور يونان لبيب زرق

أستاذ التاريخ الحديث – جامعة عين شمس

هذا العمل الذى أقدم على إنجازه المؤرخ الإريترى الأستاذ محمد عثمان أبو بكر يكتنف الإقدام عليه الكثير من المحاذير ٠

فهو أولا من ذلك النوع من الأعمال ذات الصبغة الموسوعية التى تتطلب التسلح بألوان متعددة من المعارف التى تتراوح بين المعلومة التاريخية ، والخريطة البشرية ، ومجمل العادات الاجتماعية ، فضلا عن حس وطنى ٠

وهو ثانيا يتطلب قدرا من الحيدة الموضوعية ، وتاريخ الرجل الوطنى قد يدفع إلى الشك بصعوبة الالتزام بمثل تلك الحيدة ، فهو منذ أواخر الستينات وهو أحد أبرز العاملين فى مجال القضية الوطنية الإريترية الأمر الذى استمر حتى مطلع التسعينات ، أى أنه قضى أكثر من نصف عمره فى ساحة النضال ٠

ومثل هذه النوعية من الرجال تتناول الدراسات التى تضعها فى تاريخ أوطانها بمنطق المحامين لا بحيثيات القضاة ، وتتحول مثل هذه الدراسات عندئذ إلى مرافعات مهما وصلت فى بلاغتها فإنها تقوم على الانتقاء أكثر من التعامل مع الحقيقة برمتها ووضعها موضع التحليل ٠

وهو ثالثا رغم إجازته فى التاريخ التى حصل عليها من جامعة القاهرة فى مطلع السبعينات فالرجل قد هاجر من الكتابة فى التاريخ إلى المشاركة فى صناعته ، ومن يشارك فى صناعة التاريخ له أن يقدم شهادته ، ولكن ليس له بالضرورة أن يحتل مقعـدالمؤرخ ، وهو ما آثر الأستاذ محمد عثمان أبو بكر التربع عليه من خلال هذا العمل ٠

كل هذه المحاذير وأكثر منها كان مفروضا أن تواجه الرجل عندما أقدم على

وضع هذا العمل الموسوعى الذى بين أيدينا ، بيد أن قراءته تشير إلى أنه قد نجح فى تجاوزها ، وقدم مثل هذا العمل الذى نعتقد أنه سيبقى لفترة طويلة مرجعا أساسيا للباحثين فى التاريخ الإريترى ، ولأكثر من سبب ..

فالطبيعة الموسوعية للكتاب أملت على صاحبه الالتزام بين الحين والآخر بتقديم تعريفات تبدو للقارىء المتخصص وكأنها من قبيل البديهيات ، وهى يقينا تقع داخل هذه الدائرة بالنسبة للأستاذ محمد عثمان أبو بكر ، بيد أن إدراكه لتلك الطبيعة إلى الإلتزام بهذا النهج ، وهو التزام محمود ، فمهمة الكاتب الأساسية أن يتعرف على طبيعة القارىء الذى يقدم له عمله ، ويتم هذا التقديم فى إطار ما لا يعرفه القارىء لا ما يعرفه هو !

بيد أن هذا التعامل مع البديهيات ، وهو ضرورة ، كان يمكن أن يؤدى إلى مسحة من السطحية تؤثر على العمل ، وهو ما نجح المؤلف باقتدار فى تجنبه ..

نجح باقتدار فى تجنبه من خلال تحذير كثير من القضايا التى تناولها ، وردها إلى أصولها التاريخية ، مما يمكن أن يلمسه القارىء ، حتى المتخصص ، فى أغلب فصول الكتاب .

ونجح باقتدار فى تجنبه من خلال الإبحار فى نهر العلاقات الإثيوبية – الإريترية، والأنهار التى تنزل من الجبل إلى الساحل غالبا ما يحوط الابحار فيها كثير من المخاطر ، وهو ما انتطبق على تاريخ تلك العلاقات ، غير أن المؤلف لم يكن أمامه إلا قبول التحدى والإبحار فى المياه المندفعة بأكبر قدر من التركيز ، وهو ما صنعه .

الدور النضالى حاول الأستاذ محمد عثمان أبوبكر أن يزيل مخاوف القارىء

من الالتقاء بمحام على صفحات كتابه إلى الالتقاء بسياسى انضجته التجربة ٠

فهو قد تعامل مع تاريخ بلاده برؤية السياسى بعد أن نحى جانبا القيود الاكاديمية التى قد تعوق من حرية حركة المؤرخ ، وإن كان قد حرص فى ذلك الصدد على أن يكون السياسى الحذر الذى ينحى انحازاهه العاطفية جانبا ٠

وإن كان لنا أن نعتب عليه فهو أنه قد ذهب فى حذره بعيدا عندما تناول موضوع العلاقات الإريترية بالقوى المجاورة ، فقد كان فى هذا التناول دبلوماسيا أكثر مما يجب ومؤرخا أقل مما يجب !

يبقى أخيرا المحذور المتعلق بالدخول المتأخر فى مجال الكتابة التاريخية ، ومع ما يحوط هذا المحذور من نقص التجربة العلمية فإن صاحب الكتاب قد حول هذا التأخر إلى رصيد محسوب له بدلا من رصيد مسحوب منه ٠

فالرجل ببساطة استغل السنوات التى قضاها بعيدا ن مجال الكتابة إلى استثمار بدا فى نضج ظاهر فى تحديد الهدف وتخطيط العمل بشكل منطقى ومدروس وصياغات أدبية تعوز المبتدئين مهما كانوا من العاملين فى حقل الكتابة الأكاديمية ٠

ويبقى بعد كل ذلك للأستاذ محمد عثمان أبو بكر فضل فتح الباب للكتابة فى تاريخ إريتريا على هذا النحو الذى يتراوح بين الاحتراف والهواية ، وهو نحو مقبول ومطلوب فى تلك المرحلة المبكرة من تأسيس ما يمكن توصيفه بالمدرسة التاريخية الإريترية ، ويبقى له فضل التأكيد على الهوية العربية لبلاده بينما تسعى قوى عديدة إلى طمس هذه الهوية فى بلاد القلب ، ناهيك عن بلاد الأطراف ٠

وعلى الله قصد السبيل ٠،،

يونان لبيب رزق

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

فى الرابع والعشرين من مايو ١٩٩١م استطاعت الإرادة الإريترية من أن تطرد الوجود الاستعمارى الإثيوبى من على أرض إريتريا وأن تصل بنضال شعبنا الذى تواصل لسنوات طوال لخاتمته الطبيعية ٠ ولا أريد من خلال هذا المؤلف الخوض فى تاريخ الثورة الإريترية وتجربة الشعب الإريترى التباكى على الماضى أو حتى الجمود على الحاضر إنما أردت من خلال هذا الكتاب أن أتوج نضالى الذى ظل متواصلا منذ بدايات الثورة وإلى أن تحقق الحلم واكتمل الشروق وعدت دولة إريتريا الحرة المستقلة ذات السيادة شيئا حقيقيا معروفا فى عالمنا هذا المليىء بالاضطرابات والانكسارات والمظالم ٠ وقد واجهت من أجل إخراج هذا الكتاب العديد من المصاعب والصعاب ؛ تمثلت الصعوبة الأولى فى عدم وجود مراجع كافية عن إريتريا باللغة العربية بالرغم من معرفتى بكل ما كتب عن إريتريا بل ولقائى بمعظم من كتبوا عن إريتريا سواء من الإريتريين أو الأجانب٠ كما أننى قد درست التاريخ فى المرحلة الجامعية فضلا عن إدراكى وهضمى لتاريخ بلادى فى مختلف العصور . إلا أن المراجع وبخاصة العصرية الحديثة تعتبر ولاشك آليات لابد من توافرها لإشباع القضية قيد البحث البعد الذى تستحقه ، وليكون المؤلف فى عين الوقت مرجعا وثائقيا للإريتريين لمعرفة تاريخ بلادهم ، وللراغبين من طلاب العلم ليسيروا فى عين الطريق ، ويدونوا ما خفى عن تاريخ بلادهم الغنية بتاريخها الثقافى والحضارى، كما أن الصعوبة الكبرى تمثلت فى أن جزءا من تاريخ إريتريا يرتبط ويتقاطع مع تاريخ البلدان المجاورة كالسودان والحبشة وجنوب الجزيرة العربية الشىء الذى يستلزم وبالضرورة دراسة كاملة ومتكاملة لتاريخ المنطقة وبحكم

المشغوليات النضالية والعمل الوطنى الذى ظل يبذل الأيام والليالى والشهور والسنوات ٠ إلا أن كل هذا لم يحول بالطبع دون قراءاتى المتنوعة لكتب التاريخ التى تتناول المنطقة مارة الذكر ٠ كما أن عملى فى إطار الثورة الإريترية وتجوالى بصورة شبه مستمرة فى العديد من بلدان العالم وبخاصة المنطقة العربية بل ولقائى مع قادة ومثقفى المنطقة والمهتمين منهم بالتاريخ على وجه الخصوص ٠ كل هذا مكنى من الإلمام بمعظم الحوادث التاريخية ذات الصلة بإريتريا وبالتالى بموضوع الكتاب ، شىء آخر بالمقابل ساهم فى إثراء هذا العمل وخروجه بصورته هذى ، هو أنى قد زرت إريتريا بعد تحريرها وبعد غياب استمر لسنوات طويلة وهو ما لم يتاح لغيرى من الذين وضعوا كتب عن إريتريا واستطعت بعد عودتى المظفرة إلى أرض الوطن وذكريات الصبا ومرابع الخلان والأهل أن التقى مع الكبار ٠٠ كبار السن والتجربة ، وأن أقارن ما كنت أقرؤه فى بطون الكتب مع الواقع الحقيقى فى دوائره الأصلية بعيدا عن دهاليز الكتب وسفسطة الكتاب ، وبخاصة من غير الإريتريين الذين يظل إدراكهم بحقيقة التاريخ الإريترى ونفسية الإنسان الإريترى وطموحاته وآماله ونظرته إلى نفسه وأرضه والكون ٠ وهذا جانب هام جدا أسجله من خلال هذا الكتاب إذ ليس هناك مؤلف صدر عن تاريخ إريتريا أرضا وشعبا حتى الآن بعد تحقيق الاستقلال وبعد معايشة الواقع التاريخى عن قرب ٠ وصعوبة أخرى واجهتنى وكادت أن تثنينى عن العمل برمته أو إرجائه ، تعود إلى تعدد التاريخ الإريترى وتنوعه فلم يعش الشعب الإريترى فى ظل دولة واحدة أو سلطة مركزية واحدة رغم ارتباط الشعب ببعضه البعض عن طريق التزاوج والمصاهرة والحراك الإجتماعى ورحلات الشتاء وغيرها من مظاهر الألفة ، فعند دراستى لتاريخ إريتريا على سبيل المثال وجدت أن إريتريا بحكم موقعها الجغرافى الحساس وتعدد الهجرات إليها خضعت بعض أجزائها لسلطات بلدان مجاورة فى حين ظلت أجزاء أخرى تخضع لسلطات بلدان أخرى ، كما هو الحال بالنسبة للهضبة الإريترية التى ارتبط جزء منها فى فترة من الفترات بمملكة " أكسوم " أو منطقة " بركة " فى

غرب إريتريا بممالك البيجة ومملكة سنار بالسودان · أو منطقة سمهر أو البحر الأحمر التى خضعت فى فترة ما لسلطات الحجاز · وقد تعاملت مع هذا التعدد للتاريخ الإريترى بشىء من الواقعية ، ورويت كل الحقائق التاريخية التى توثقت منها ووقفت عندها وأخضعتها لمجهر التاريخ والمقارنة وهو ما سيراه القارىء فى فصول وثنايا هذا الكتاب الذى أرجو له أن يقترب من الكمال · كما بحثت فى هذا الكتاب عن تاريخ إريتريا منذ أقدم العصور وحتى الآن · وتناولت بالبحث مدلول التسميات القديمة / كوش ، أكسوم ، الحبشة ، إثيوبيا ، بيجة ، حدارب ، بلو ·· الخ · وبينت مؤدى تلك التسميات التاريخية التى اطلقت على المنطقة الممتدة من جنوب مصر وإلى تخوم كينيا مرورا بالطبع بإريتريا وإثيوبيا والسودان والصومال، ووضعت علاقة الحبشة قديما فى حجمها الطبيعى التاريخى دن إفراط أو تفريط فى أية معلومات تاريخية ثبتت بالوثائق أو تواترت بالحقائق · وتناولت بالدراسة مملكة " أكسوم " تلك المملكة المسيحية التى أقامها النازحون العرب من جنوب الجزيرة العربية فى منطقة " تجراى " على الحدود الإريترية الإثيوبية ، وهى حضارة متداخلة مع جزء من تاريخ إريتريا كنتيجة طبيعية لقربها الجغرافى من إريتريا · واهتمامى بمملكة أكسوم يعود لكونها : أولا ، أول حضارة معروفة " حتى الآن على الأقل " قامت فى تلك المنطقة · كما أن إريتريا تمتلك مع أكسوم ، المجاورة تراثا مشتركا يتمثل فى التكوين البشرى والثقافى واللغوى لأجزاء من إريتريا وبخاصة هضبتها التى تناولت بشىء من التوثيق علاقتها بتلك المملكة وبالجزيرة العربية فى محاولة جادة ومسئولة وموثقة لإزالة الركام عن قضايانا التاريخية الهامة · وتناولت أسباب نمو تلك المملكة وارتقاءها ، ومن ثم تدهورها وفناءها ، ونظام الحكم فيها ، وصلتها بالهضبة الإريترية وبالجزيرة العربية تاريخيا وثقافيا وربما جغرافيا بعد استكمال عمليات الحفريات الأثرية التى توليها الحكومة الإريترية أهمية قصوى · وخلصت فى البحث عن مملكة أكسوم والهضبة الإريترية إلى حقيقة جوهرية تمثلت فى عروبة إريتريا تاريخيا وحضاريا بل وعراقتها فى

هذه العروبة وهى حقيقة تاريخية لا تحتاج إلى كبير عناء ، وليست بقصد الاستجداء أو لتحقيق مكاسب سياسية أو لاستمالة البلدان العربية بل هى من قبيل إقرار الواقع التاريخى لإريتريا أرضا وشعبا . ولكن لا أرى بأسا هنا من التأكد بعد أن عانيت فى إخراج هذا الكتاب من أهمية الجغرافيات الأثرية للتنقيب عن تاريخ إريتريا بل وعموم منطقة القرن الإفريقى وحوض البحر الأحمر وشبه الجزيرة العربية .

أيضا وبنفس القدر لا أرى بأسا من التأكيد هنا على أن مسألة عروبة إريتريا لا تعنى فئة دون أخرى وبشىء من الصراحة لا تعنى المسلمين دون الآخرين بل هى تاريخ مشترك وبنفس القدر لكل فئات الشعب الإريترى . فالمسيحية على سبيل المثال دخلت إريتريا فى منتصف القرن الرابع الميلادى عن طريق رهبان من سوريا العربية وكانت اللغة العربية هى أداتهم التعبيرية لإيصال هذا الدين ومخاطبة من اعتنقوه من الإريتريين ، وارتبطت الكنيسة الإريترية بالكنيسة القبطية المصرية فى الاسكندرية . ووضعت كتب الوعظ والإرشاد الدينى أصلا من مؤلفات عربية وبأقلام أناس ينتمون إلى الثقافة العربية باعتبارهم عربا . وبنفس القدر لإريتريا عراقتها فى الدين الإسلامى باعتبارها – أى " إريتريا " – أول دار للهجرة حيث شهدت الفوج الأول من الصحابة رضوان الله عليهم ، وذلك قبل أن يأذن الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة المنورة بسنوات ست .

وأوضحنا أن السكان الأصليين لإريتريا أو بمعنى أدق أول من اتخذ من إريتريا دائرة لتواجده هم زنوج وادى النيل من سكان الغابات الاستوائية الكثيفة فى جنوب السودان ومن بقايا هؤلاء السكان القدماء " الكونامة " و " النارا " فى غرب إريتريا ، أما الحاميين فقد احتلوا بدورهم تدريجيا المرتفعات الإريترية واستقروا بها . وقد اختلطت المجموعات الإريترية الحامية والسامية والكوشيه وغيرهم بدم بعضهم البعض وشكلوا الأمة الإريترية الواحدة ذات التطلعات الواحدة والهم الوطنى المشترك ، رغم التباين القبلى والاختلاف العرقى ، وتعد كما تقول الوثائق

التاريخية قبيلة " الأجاعز " و " حبشات " من أوائل القبائل العربية هجرة إلى إريتريا حيث هاجرت إلى إريتريا بعد إنهيار سد مأرب وإثر حروب قبلية شهدتها منطقة الجزيرة العربية . وقد حمل السبئيون معهم حضارتهم وأدخلوا لأول مرة فى المنطقة المحراث والفنون المعمارية والثقافية واللغة الجعزية ، بل واستطاعوا أن يفرضوا معتقداتهم على الشعوب الأخرى ، التى سبقتهم إلى إريتريا . وباختلاط الوافدين السبئيين مع الشعوب الأخرى ظهرت بوادر حضارة جديدة بعد نشوء مجتمع زراعى مستقر ومتطور ، وبالأخص فى الهضبة الإريترية ، توجت فيما بعد ظهور مملكة أكسوم مارة الذكر . وأرجو أن أكون قد وفقت فى إعطاء كل هذه النقاط ما تستحقه من بحث وتمحيص . ولا أرى بأسا هنا من القول أن هناك العديد من المؤلفات عن إريتريا التى أفادتنى كثيرا وتأتى فى مقدمة تلك الكتب مؤلفات الشهيد المناضل عثمان صلاح سبى وبخاصة مؤلفيه القيمين " تاريخ إريتريا " و " جغرافية إريتريا " . والحق فإن الفقيد الكبير هو أول من التفت إلى أهمية كتابة تاريخ إريتريا وكان بصدد إصدار العديد من المؤلفات التى تغطى مختلف مناحى الحياة فى إريتريا . فقد كان الشهيد عثمان سبى رائدا من رواد التعليم ومعلما من معالم الثورة الإريترية ، ونموذجا للمثقف الثورى الذى يؤمن بالعلم وبدوره فى الحياة . رحم الله الفقيد الشهيد عثمان صالح سبى .

كما استفدت بصورة كبيرة جدا من كتاب " إريتريا والتحديات المصيرية " للأستاذ حامد صالح تركى وهو مؤلف قيم وذاخر بالمادة التاريخية بصورة لا يجدها المرء فى كتاب غيره . أيضا قرأت واستفدت من مؤلف نايدل : " التركيب السكانى فى إريتريا " وبصورة كبيرة استفدت من كتاب " الكافاليرى دانتى أودروسى " " المستعمرة الإريترية " و " مفوضية مصوع الإقليمية " ، وكذلك كتاب المناضل محمد سعيد ناود مؤسس حركة تحرير إريتريا فى ١٩٥٨م والمناضل فى صفوف الثورة الإريترية منذ انطلاقتها وإلى أن انتصرت . ومؤلفه التاريخى الوثائقى هو " العروبة والإسلام فى القرن الإفريقى " .

أيضا للأستاذ المؤرخ المرحوم محمد صالح ضرار فقد قرأت مؤلفيه واستفدت منهما وإن كان مؤلفه تاريخ قبائل الحباب والحماسين فى السودان وإريتريا فيه الكثير من المبالغات ، إلا أن هذا لا ينقص من قيمة العمل ولا الجهود الى بذلت فيه وأريد هنا أن أذكر القارىء الكريم أن هذا الكتاب ليس كتابا " أكاديميا " يلتزم الأسلوب العلمى الدقيق فى بحثه عن التاريخ ، وهو أيضا ليس دراسة جغرافية أو إقتصادية أو حتى اجتماعية بل هو شىء متعدد أسوة بتضاريس البلاد المتنوعة وهى شىء من كل ذلك وإن كان يميل كثيرا إلى الجانب التاريخى بحكم اختصاصى فى التاريخ ودراستى إياه . كان لابد من هذه الملاحظة حتى لا نحمل الملف أكثر مما يحتمل أو فوق ما وضع له أصلا ، وإنى لأرجو أن يكون هذا العمل بداية لانتهاك عذرية التاريخ الإريترى وسبر أغوار التاريخ منذ أقدم العصور وحتى الآن .

أخيرا أقدم شكرى وامتنانى لكل من أبدى رغبة جادة فى التعاون معى من أجل أن يخرج هذا الكتاب ويكون صورة صادقة عن إريتريا وشعبها وأرجو من كل من يجد فيه نقصا أن يعذرنى لأن الفترة التى وضع فيها العمل كانت قصيرة والذين يخطئون هم الذين يعملون ، أما الذين لا يخطئون فهم الذين لا يعملون .

وبعد لا أريد أن استرسل فى المقدمة فلا زلت أذكر ما كنت أجده من ملل حينما أقرأ المقدمات الطويلة ، فإلى أول فصول الكتاب الذى آمل أن يقول شيئا مفيدا وأن يكون فاتحة خير لأن نفكر جميعا بصوت مقروء مبدؤه المنطق والعقل ومنتهاه إريتريا ومصلحة شعبها وكرامته .

الباب الأول

الخلفية التاريخية لسكان إريتريا

الفصل الأول
تأثير العنصر الحامي والسامي في إريتريا

كان المؤرخون الغربيون يقسمون الجنس البشرى إلى ثلاثة عروق : العرق السامي، والعرق الحامي ، والعرق اليافي (الآرى) ، نسبة إلى أولاد نوح الثلاثة ، سام وحام ويافث ، وعلى ما في التوراة . ثم فقدت هذه التسمية قيمتها ، لأن العروق البشرية أكثر من ثلاثة ولأن ثلاثة نفر أبناء رجل واحد لا يمكن أن يخرج منهم ثلاث عروق متباينة .

ولقد عرض ابن خلدون لهذه الرواية القديمة فقال (المقدمة ، بيروت ، ١٩٦١ ص ١٣٤ : ١٤٤) .

" وقد توهم بعض النسابين ، ممن لا علم لهم بطابع الكائنات ، أن السودان هم ولد حام ابن نوح اختص بلون السواد ، لدعوة كانت عليه من أبيه ظهر أثرها في لونه . وفي القول نسبة السواد إلى حام غفلة عن طبيعة الحر والبرد ، وأثرهما في الهواء وفيما يعيش فيه من الحيوانات ، وذلك لأن هذا اللون شمل أهم الإقليم الأول والثاني ، من مزاج هوائهم للحرارة المتضاعفة في الجنوب (حيث يكثر الضوء ويلفح القيظ الشديد ، عليهم فتسود جلودهم لإفراط الحر) .

ومع أن السامية والحامية مدرك لغوى قسم البشر ساميين وآريين ومع أن هذه التسمية لا تزال مألوفة فليس المراد منها اليوم أن يدل على عروق بشرية ، بل على خصائص لغوية .

ومن هنا نستطيع أن نقول : أن السومريين والأشوريين والعبرانيين ، قد تكلموا لغات سامية في خصائصها ، ولكنهم هم لم يكونوا كلهم ساميين خالصين . وليس بالضرورة أن يكونوا ذو نسب واحد . لأن شبه المجتمع عليه المؤرخون أن

الشعوب التى سكنت بلاد العراق والشام ، وتفرقت جماعات منها فى شمال إفريقيا، كلها خرجت من شبه جزيرة العرب فى أزمنة متعاقبة ! .

إن الأكديين والبابليين والأرمنيين والفينيقيين ، قد انتقلوا إلى مواطنهم المعروفة من شبه جزيرة العرب ، غير أن البلاد التى انتقلوا إليها لم تكن خالية من الشعوب . فاختلط الساميون الوافدون بتلك الشعوب ، وخاصة فى اليمن ، وعلى السواحل الجنوبية والشرقية شىء من الاختلاط بشعوب أخرى .

إن العنصر الإفريقى بارز جدا فى جميع سواحل شبه الجزيرة .

فإذا قلنا نحن اليوم : ساميون فإننا لا نعنى أقواما خالصى النسب ، بقدر ما ندلل بذلك القول على جماعات تتكلم لغة ذات خصائص يقال فيها أنها سامية .

وأن إريتريا بحكم موقعها الجغرافى ، كانت مسرحا دائما لموجات متتالية من الهجرات البشرية سامية ، حامية ، زنجية ، حتى يمكن أن يقال : أن الشعب الإريترى ، هم مزيج من هذه التزاوجات التاريخية ، تطغى على ثقافتهم وملامحهم السمات السامية العربية ، إلا أن الإنصهار على مدى التاريخ ، والترابط فى إطار المصالح الإقتصادية المتشابكة ، جزء لا يتجزأ ، وهذه السمة – سمة التعدد – لا تنفرد بها إريتريا وحدها ، فنادرا ما يوجد فى العالم قطر ، يتكون سكانه من سلالات عنصرية واحدة ، أو من تجمع ثقافى ولغوى واحد ، فالتجانس فى إطار التعدد سمة مألوفة فى كل أقطار الدنيا .

ويقول دنيس بولم فى مؤلفه (الحضارات الإفريقية) :

" إنه مهما كان العصر الذى ظهر فيه السود فى إفريقيا ثم تكاثروا فيها ، فإنه لاشك قد حدثت بينهم إتصالات مع رجال اللون الأبيض ، إصلهم من إفريقيا الشرقية أو من الشرق الأدنى الذين هم أجداد البربر فى شمال إفريقيا فى الوقت نفسه .

ويمكننا أن نطلق على أولئك القوم إسم (الحاميين والساميين) - نسبة إلى حام وسام أبناء نوح لدلالة أصلهم القريب من الساميين ٠

والفرق بينهم يظهر من الناحية اللغوية ، أما من الناحية العرقية ، فهم فى الأصل من سكان البحر الأبيض المتوسط فى أيامنا هذه ، فإن المجموعة الغربية أو الشمالية للحامى أو السامى تضم ، عدا العرب ، الذين جاءوا مع الغزوات التاريخيـة، مع العلم بأن أكثر عرب إفريقيا الشمالية هم فى الواقع بربر أخذوا لغة النازحين ٠٠ تضم عدا هؤلاء سكان ليبيا ، وتونس ، والجزائر ، ومراكش ، وموريتانيا ،والسودان الغربى (الطوارق) سكان الصحراء الوسطى ٠

ونرى الحاميين الشرقيين اليوم الذين امتزجوا بالساميين وبدأ السود يألفون الشعب المصرى ، وشعب البيجة ، والنوبيين ، والإريتريين ، والأحباش ، والقالا ، والصوماليين ، والدناكل ٠

كما أن علماء اللغات يميزون فى مجموعات اللغات الحامية والسامية ثلاثة فروع :

١ - السامية

٢ - البربرية

٣ - الكوشيـه

والمنطقة التى تقع إلى أقصى الشرق من إفريقيا هى هضبة الحبشة ، وإريتريـا ، والصومال ، والسودان ٠ وهذه المنطقة مأهولة بالسلالات الإثيوبية (والمقصود هنا من كلمة إثيوبيا ، والإثيوبيين ، هو المعنى العام للكلمة التى أطلقها اليونانيون على الشعوب التى تسكن جنوب أسوان ، وهم السود أو ذوو الوجوه المحروقة) ٠

وفى الجهة الجنوبية ، فقد حصلت اختلاطات بين الإثيوبيين والنيليين ، كونت فيما بعد ما نطلق عليه أحيانا (النصف حاميين) وهم قبائل الماساى ، والناندى ،

والسوك فى كينيا ، وجنوب السودان .

ويقول بعض المؤرخين : أن العنصر المعروف باسم كوشى نسبة إلى كوش بن حام بن نوح هم أول من سكن السواحل الإريترية ، ويرجحون أن يكون هؤلاء هم الأصول الأولى لقدماء المصريين ، وأنهم اتخذوا سواحل البحر الأحمر التى انتقلوا إليها من جنوب الجزيرة العربية قبل أكثر من عشرة آلاف سنة ، معبرا لهم، حتى وصل تجوالهم إلى وادى النيل واستقروا هناك وبنوا حضارة مصر الفرعونية الشهيرة . على أن أجزاء من هؤلاء القوم قد استقر بهم المقام فى المنطقة الساحلية ، وعرفت بسواد البشرة مع ملامح غير زنجية . كما يذكر بعض المؤرخين . إنتقال بعض المجموعات البشرية من أعالى النيل وهى المجموعات التى عرفت بالشعوب النيلية إلى وادى بركة ، والقاش ، وأقامت فى المنطقة الغربية من إريتريا حضارة زراعية ، واستقرت هناك حتى أجلتها نزوحات البيجة الحاميين منذ نحو ألفى سنة من موطنها فى السهول والأودية ، لتتوغل فى هضبة " بارنتو " وهى عاصمة " إقليم القاش " فى الوقت الحاضر .

وتنسب قبيلة " الباريا " والبازا إلى هذه الأصول القديمة للشعوب النيلية وقد ظلت معظم المجموعات الكوشية فى سواحل إريتريا ، ومرتفعاتها تمارس الرعى والصيد ، حتى تمازجت بالنازحين الجدد من جنوب الجزيرة العربية ، الذين وفدوا منذ القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، ونقلوا حضارتهم ، وأقاموا ممالك مستقلة فى " أكلى قوزاى " و " سراى " وإندمجت فيما بعد لتشكل مملكة أكسوم المعروفة ، ونقل النازحون من جنوب الجزيرة العربية حضارتهم ودماءهم إلى المنطقة ، عبر هجرات متواصلة بدأت منذ ثلاثة آلاف سنة حتى مشارف القرن العشرين ، وكونت تزاوجات تاريخية بين السكان. كما تلتهم فى العصور الوسطى نزوحات قبائل بيجة الحامية من جنوب مصر وشرق السودان .

ومن هنا يتبين لنا من هذه الدراسة أن الإنسان الإريترى ناتج تفاعلات وتزاوجات حضارية وتاريخية من هذه العناصر المذكورة ، ومن هنا يتضح أن سكان إريتريا هم ورثة الدماء المختلطة للشعوب الحامية والسامية ، ويظهر ذلك جليا فى عادات السكان ولهجاتهم المختلفة .

" فالتجرينية " و " التجرى " تنتميان إلى أصول سامية ، كما تنتمى لهجات " الدناكل " و " الساهو " و " البلين " و " الحدارب " إلى اللغات الكوشية الحامية بينما تعد لهجتنا " البارية " و " البازا " تعدان من مجموعات اللغات الإفريقية النيلية .

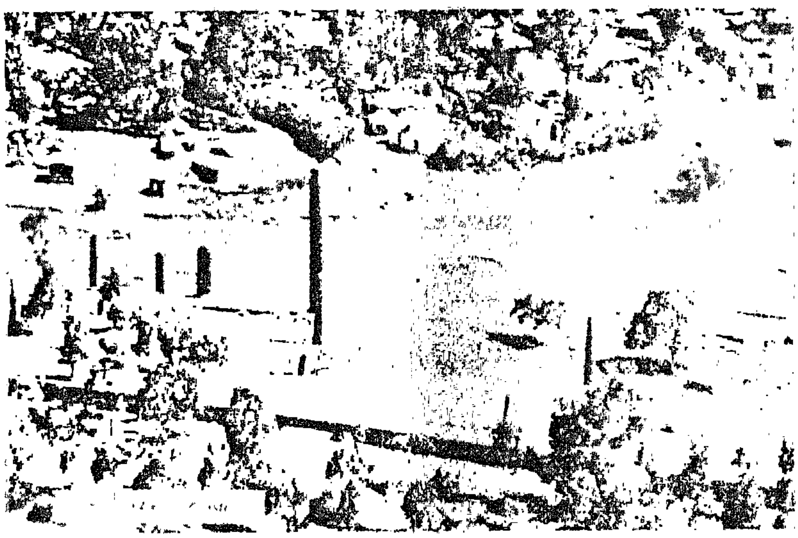
وتعتبر لغة " البلين " من أقدم اللغات الكوشيه فى المنطقة ، حتى يرجع بعض المؤرخين أن التسمية اشتقت من المصطلح الذى ورد فى رسوم الفراعنة واقتبسته اليونان والرومان بلفظه بالميز (BLEMMYS)

الفصل الثاني
مملكة أكسوم وتأثيرها على إريتريا

كما ذكرنا فى الفصل الأول ، أن القبائل السامية التى هاجرت من الجزيرة العربية (اليمن) على شكل موجات متعاقبة ، واستقرت فوق هضبة الحبشة ، ثم انصهرت حضارتها ومدنيتها المنقولة معها بتقاليد وعادات الأقوام الحامية الذين سبقوهم إلى هذه المرتفعات . فالمستوطنون الجدد كانوا أرقى مستوى من أسلافهم على الهضبة ، التي كانوا يستغلون خيراتها بطرق بدائية ، وهم أحفاد أولئك السبئيين والحميريين ، الذين اشتهرت بلادهم بالزراعة المتقدمة ، وبناء السدود ، للتحكم فى مياه الرى ، والذين برعوا فى فنون النحت والنقش على الحجر، والسبئيون أجداد هؤلاء الرواد الجدد فى الهضبة ، قد أخضعوا بإرادتهم ، حتى سفوح الجبال الوعرة ، للزراعة الثابتة المستقرة ، عن طريق إقامة المدرجات لحبس مياه الأمطار لريها وهم بناة سد مأرب المعروف بـ " العرم " وهو من أشهر معالم الحضارات القديمة وإحدى عجائب الدنيا فى ذلك العصر - هذه هى المؤهلات الحضارية للوافدين الساميين خلافا للحالة الاجتماعية البدوية المتخلفة التى كان عليها الحاميون .

ويذكر بعض المؤرخين فى فقرات مختلفة ، الرأى فى أسباب هجرة الساميين من جنوب الجزيرة العربية ، فتقول بعض الآراء فى الأسباب : بأن الحروب الطاحنة المستمرة ، هى التى أجبرتهم على ترك ديارهم بينما يعزو آخرون ذلك إلى إنهيار سد مأرب وتدهور الأحوال المعيشية ، نتج عن ذلك ضيق الرقعة الزراعية بالنسبة لعدد السكان المتزايد ، هو من أحد الأسباب التى أدت إلى الهجرة فتفرق القوم إلى أنحاء شتى ، منها الحبشة التى سمعوا عن خيراتها ونعيم جناتها منذ القدم . ومن هنا جلب الساميون معهم إلى أرض الحبشة أهم عوامل النهوض بالزراعة وتطويرها ، ذلك هو مهارتهم فى العناية بالتربة وإصلاحها ، وأدخلوا إليها

المحراث الذى أحدث انقلابا فى عالم الزراعة ولم يكن عند إذن معروف فى إفريقيا التى كانت تستعمل الفأس لنبش الأرض الزراعية ٠ وباستخدام المحراث ، اتسعت الرقعة الزراعية أضعاف مضاعفة عما كانت عليه بالأمس ، فكثرت الخيرات وازدهر الإنتاج ، بالإضافة إلى المهارات الزراعية والصناعية وفن النحت، وغيرها من مستلزمات الحياة المتطورة ، فلن يتخلى السبئيون المهاجرون عن تراثهم الاجتماعى ، وأصول عباداتهم ، التى اقتبس الحاميون الشىء الكثير منها ، حتى أنهم صاروا يعبدون نفس الآلهة التى قدسها وعبدها السبئيون وهى الفترة التى سبقت اعتناق الحبشة للديانة المسيحية فى القرن الرابع الميلادى ٠

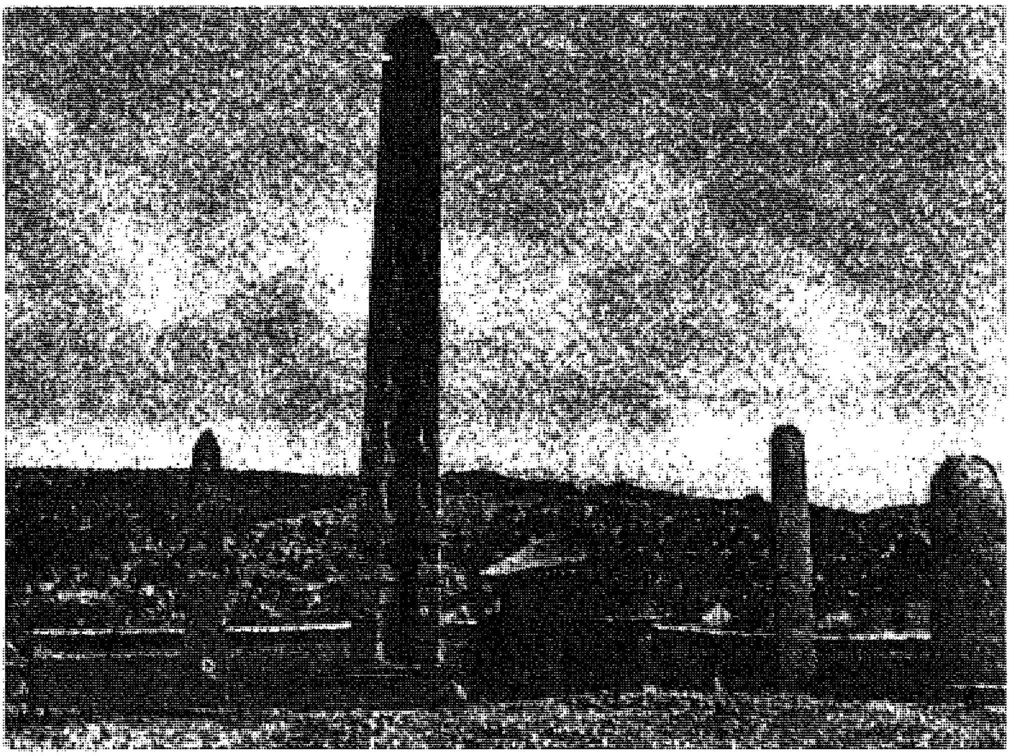


جانب من بلدة أكسوم التاريخية

ومن المؤثرات الثقافية التى أدخلوها فى البلاد والتى ازدهرت فى الجنوب العربى وقتئذ لغة " الجعيز " GEEZ المكتوبة بحروفها الأبجدية السبئية والحميرية، وكان هذا الإنجاز بمثابة أول حجر فى صرح الحضارة التى ازدهرت فى مملكة أكسوم ويعد من التراث الذى يفتخر به الإثيوبيون حتى اليوم ، وسرعان ما أصبحت هذه اللغة اللسان الرسمى لمملكة أكسوم المندثرة ، وشاع استعمالها بين السكان جميعا ، إذ مكنتهم من تدوين معاملاتهم وحساباتهم التجارية وإجراءات الدولة ، ويستدل على أهمية لغة الجعيز السامية المنشأ فى دعم حضارة مملكة أكسوم وبلدة أكسوم هى العاصمة القديمة . وأن هذه اللهجة السامية ، دخلت الحبشة منذ ذلك العصر ، واندثرت تدريجيا بسبب تقلب اللهجات الكوشيه المحلية عليها ، وما صاحب مملكة أكسوم من حروب مع المسلمين واليهود السود فيما بعد ، فانحصر فى الوقت الحاضر نطاق استعمالها بفضل حروفها الأبجدية فى كتابة الأدب ، والوثائق ، والطقوس الدينية فقط .

وحتى وقتنا هذا تجرى الطقوس الدينية فى الكنيسة الإثيوبية والإريترية الأرثوذكسية بلغة " الجعيز " - فالكنيسة فى الحبشة يعود الفضل إليها فى بقاء هذه اللغة على قيد الحياة حتى الآن فى كل من إريتريا وإثيوبيا وإن كانت بنطاقها المحدود .

أما عن أصل هذه اللغة ، فينسبها بعضهم إلى قبائل فى اليمن تدعى " الأجاعز " وتنتمى اللغة التجرينية والتجرى إلى هذه اللغة كما أسلفنا فى الفصل السابق .



مسلات أكسوم الشهيرة التى بناها النازحون الحميريون فى القرن ١٤ ق٠م

وقد ازدهرت مملكة أكسوم ، التي تأسست فى الهضبة الإثيوبية قبل الهجرة بثمانية قرون ، ثم بدأت هذه المملكة تتوسع ، ويزداد نفوذها وأهميتها التجارية عن طريق مرفأ " أدوليس " فى البحر الأحمر بإريتريا واستمرت هذه المملكة تتسع حتى القرن الثالث قبل الهجرة ، حيث قامت باحتلال اليمن ، وفى القرن الثانى قبل الهجرة طمع الفرس فى بلاد اليمن ، حيث المركز التجارى الممتاز فى ذلك العصر ، وبدا عداء الفرس لمملكة أكسوم يظهر جليا واضحا ، مما حدا بمملكة أكسوم أن

تقترب إلى أعداء الفرس ، وهم الروم ، حيث كان العداء مستحكما والخصومة قائمة بينهم ، وأحبت أن تستفيد من هذا النزاع حتى تنفتح إلى العالم الخارجي ، ثم اعتنقت الديانة المسيحية البيزنطية " أرثوذكس " .

وبدخول ملك أكسوم إلى المسيحية ، أصبح النجاشى حاكم مملكة أكسوم حامى المسيحيين فى شبه جزيرة العرب نيابة عن الامبراطورية البيزنطية . وقد يجرنا هذا الحديث إلى غزوة ملك أكسوم أو نجاشى الحبشة على اليمن .

وقبل أن نتحدث فى هذا الموضوع ، نعطى بعض الأضواء حول مملكة سبأ وحمير، والصراعات التى كانت بينهم فى هذا العصر ، وانهيار مملكة سبأ وحمير ، ودخول نجاشى الحبشة حلبة الصراع فى هذه الممالك فى اليمن .

مملكة سبأ : من عام ١٨٥٠ قبل الميلاد إلى ١١١٥ قبل الميلاد :

نشأت هذه المملكة بعد إنقراض مملكة معين التى قامت على أنقاضها مملكة سبأ ، وقد سميت سبأ نسبة إلى مؤسسها الأول عبدالشمس سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وهو الذى غزا بابل وخرسان وأرمينيا ، ثم عاد إلى اليمن محملا بالكثير من الأموال ، وبنى السد المشهور سد مأرب " العرم " وسمى سبأ لكثرة سبيه . ومما يذكر أن يعرب بن قحطان هو جد العرب . وقال عنه الهمدانى أنه أكبر أولاد " قحطان " ابن النبى " هود " عليه السلام ، وهو ينتسب أيضا إلى سام بن نوح . وهنا نود ذكر ملاحظة ، أننا لسنا فى بحث عن مملكة سبأ ونشأتها، ولكن من الشواهد ما يرجح أن دولة سبأ قد أدركت القرن العاشر قبل الميلاد ، وربما أدركت ما قبله وقد جاء ذكر سبأ فى غير موضع من القرآن الكريم، ومنها قصة النبى سليمان مع ملكة سبأ ، فهذه الملكة هى بلقيس المعاصرة للنبى " سليمان " الذى عاش ما بين ٩٦١ و ٩٢٢ قبل الميلاد . ومن الملاحظ أن بلقيس ،

جاءت إلى " سليمان " فى قافلة من الإبل خلال الطريق البرى - الممتد من اليمن إلى سوريا عبر الصحراء على طول البحر الأحمر - وأن زيارتها كانت ذات قيمة وتركت أثر كبير فى الملك سليمان إذ أهدته ١٢٠ وزنه (٣٦٠٠ كجم) من الذهب ، والأحجار الكريمة ، واللآلىء التى لم نشاهد مثلها من قبل ، مع مقدار من التوابل التى لم يسبق أن شهدت مثله القدس ٠ وقد كان لسبأ دور عظيم فى تجارة التوابل والبقول وكان لها عاصمتان الأولى " سرواح " و الثانية " مأرب " ٠

مملكة سبأ وريدان الحميرية : من ١١٥ قبل الميلاد : ٥٣٣ ميلادية :

وهذه هى آخر الممالك اليمنية القديمة التى حكمت جنوب الجزيرة العربية ، وأوضحها تاريخا بالنسبة لما قبلها من الممالك ، والذى لم يتطرق بحثنا إليها ، وتعتبر تلك الممالك فرعا من مملكة سبأ القديمة ٠ وقد بدأت مملكة سبأ من ريدان وهى مدينة ظفار وهى غير إقليم ظفار المعروف حيث تمركز الريدانيون وأخذوا يجمعون قواهم لمحاربة ملوك سبأ وجرت بين الجانبين حروب كثيرة وكان الإنتصار للريدانيين ، الذين أضافوا لقب (ريدان) إلى لقب ملوك سبأ ، وأصبح ملكهم ملك سبأ وريدان ٠

على أنه ما كاد حكم الريدانيين يستتب حتى قامت همدان شمال غرب صنعاء بثورتها المشهورة ضد الريدانيين " يرم أيمن " الهمدانى الحميرى وولده أمير همدان "علبان تهفان " ودارت الحروب بينهم فترة من الزمن ، وكانت النتيجة انتصار أمير همدان على الريدانيين فى عام ٢٧٥ ميلادية وأصبح الملك الحميرى يسمى ملك سبأ وريدان وحضرموت ويمانات ٠ وقد عرف ملك هذه الطبقة - وهم ملوك حمير - فى كتب التاريخ العربية باسم التبابعة وأحدهم تبع " بضم التاء " ويبدو أن لفظ تُبع حبشى الأصل بمعنى " القادر " وقيل أن ملك اليمن لا يسمى

تبعا ، إلا إذا كانت له حمير وحضرموت وسبأ أيضا . ومن الملوك الحميرية ذو القرنين تُبع الأقرن " عام ٣٠٠ ميلادى " الذى يعتقد بعض المؤرخين أنه ذو القرنين المذكور فى سورة الكهف " والله أعلم " . وقد سمى ذو القرنين لشيب كان فى قرنيه وقد اكتسح فى غزواته عددا من البلدان حتى وصل إلى التبت والصين وكذلك ابنه عمرو " تُبع الأكبر " الذى أقام فى التبت حامية من الجيش العربى ، لا تزال سلالاتهم معروفة حتى اليوم .

ومن الملوك الحميريين أيضا " بلقيس بنت الهدهاد " عام ٣٣٠ ميلادية وهى غير بلقيس ملكة سبأ المشهورة وفى أيامها غزا الأحباش بلاد اليمن بمساعدة قيصر الروم ، رغبة فى نشر المسيحية فى اليمن . أما آخر الملوك الحمريين فهو " ذو نواس " الذى اعتنق اليهودية وساعد على نشرها فى اليمن ، وهو صاحب قصة الأخدود المشهورة فى القرآن الكريم ، ثم الملك ذو يزن عام ٥٢٥ ميلادية هو الذى حرر اليمن من الأحباش كما سيأتى بعد ..

أسباب سقوط الدولة الحميريـة :

كانت الحركة التجارية فى اليمن حتى القرن الأول قبل الميلاد ، هى المصدر الرئيسى الذى كان يقوم عليه كيان البلاد الإقتصادى والسياسى .

ولكن منذ ذلك الوقت ، أخذت حالة اليمن التجارية تتدهور وتسوء ، ونتج عن كل ذلك إنهيار الأحوال العامة فى البلاد ، وأخذ اليمنيون يهاجرون إلى الأقطار الأخرى المجاورة وراء مصادر جديدة للرزق ، كما أن تدهور بلاد اليمن فى ذلك الوقت ، بجانب الحالة الاقتصادية والسياسية والصراعات والخلافات المحتدمة ، والنزاع الدائم بين الهمدانييـن " الحميريين " ومن تبقى من سلالة الريدانيين ، وإنصراف ملوك حمير إلى الاهتمام بالغزو والحرب وإخضاع الأطراف ، أكثر من إهتمامهم

بالزراعة والعمران ، وكان هذا الإتجاه الحربى الذى سلكه الملوك الحميريين – وبخاصة ملوك الطبقة الثانية – واهتمامهم بتشييد الحصون واستبدالهم مدينة " مأرب " المحفوفة بالجنان والزهور بمدينة " ظفار " الاستراتيجية ، كل ذلك أدى إلى تدهور حالة اليمن الاقتصادية ، وأثرت بالتالى فى عمرانها وازدهارها ٠ ويضاف إلى كل ذلك ، استمرار الهجرة إلى خارج اليمن ، ولاسيما بعد إهمال السدود وتهدمها ، والنتيجة من هذه الأسباب والعوامل أدت أخيرا إلى سقوط الدولة الحميرية ، وتدهور بلاد اليمن ، وجعلت من هذه البلاد معتركا سياسيا بين اليهودية والمسيحية ٠

وقد أدى تعصب ذو نواس – الذى سمى نفسه يوسف – للدين اليهودى ، إلى إيقاعه بنصارى " نجران " فى قصة الأخدود المعروفة فى القرآن الكريم " سورة البروج " وذلك بعد أن شكا إليه يهود نجران ، غلبة النصارى عليهم إثر نشوب فتنة بين الجانبين ، فقام يوسف ذو نواس إلى نجران فى سنة ٥٢٣ ميلادية ، وحفر الأخدود ، وأضرم فيه النار ثم خير النصارى بين الرجوع عن دينهم أو إلقائهم فى الأخدود ، فأبى الكثيرون منهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأحرقهم فى الأخدود ٠

ولقد كان ما أقدم عليه ذو نواس ، مثارا لاستنكار معتنقى المسيحية فى أوروبا والحبشة المجاورة لليمن ٠ وأصبحت اليمن من بعد هذا الفعل المشين مسرحا للنزاع، والحروب بين اليهودية فى اليمن – وعلى رأسها ذو نواس – وبين المسيحية ، ومن ورائها قيصر الروم ، ونجاشى الحبشة ٠

احتلال نجاشى الحبشة لليمن :

سبق أن ذكرنا أن اليهود عبر تاريخهم الطويل نزحوا إلى بلاد شتى ، ومن

ضمنها اليمن – حوالى سنة ٧٠ ميلادية – على إثر احتلال الرومانيين فلسطين ، فى عهد الامبراطور " تيتوس " " TITUS " وهدمهم القدس ومعبد سليمان ٠ وبعد استيطان اليهود فى اليمن عقب هذه الهجرة ، تمكنوا على مر الأيام والعصور ، من غرس بذور الديانة اليهودية بين السكان حتى اعتنقها عدد من ملوك حمير ، وكان آخر من تهود ، الملك ذو نواس صاحب قصة الأخدود فى القرآن الكريم – كما ذكرنا من قبل – فقد خشى اليهود من إنتشار المسيحية فى عدد من مدن اليمن ، ومن ضمنها " نجران " التى تقع فى المملكة العربية السعودية الآن فحملوا الملك على إيذائهم لعلهم يرجعون عن دينهم ٠

فجمعهم الملك ، وخيرهم بين التهود والحرق بالنار ، إذ حفر لهم أخدودا فى الأرض، وأضرم فيه النيران ، وألقى فيه جميع من أصروا على البقاء على دين عيسى بن مريم ، واختلفت الروايات فى عدد من أحرق فقيل أنهم بلغوا ٢٠٠٠٠ ، إلا أن واحدا منهم نجى من الموت ، وأفلت من قبضة اليهود ، وتمكن من الفرار ، حتى وصل قيصر الروم (يوستينوس) بالقسطنطينية وكان ذلك سنة ٥٢٣ ميلادية ٠

وأدى هذا إلى غيظ الروم من عمل " ذى نواس " فأوعز الامبراطور البيزنطى الأول إلى نجاشى الحبشة بغزو اليمن ، وكان الغرض من ذلك نصرة المسيحيين وتأديب ذى نواس ٠

وفى القرن الرابع الميلادى – فى أيام النجاشى " عيزان " دخلت النصرانية إلى الحبشة وغزا الأحباش اليمن مرتين ، مرة فى القرن الرابع ، وأخرى فى السادس ، ويبدو لنا أن المرة الأولى كانت فى أيام " عيزان " ، ولم يكن ملوك الحبشة فى تلك الفترة قد اعتنقوا النصرانية بعد ، ولكن الطمع فى خيرات اليمن ، جمع بين الروم والحبشة ، ولقيت النصرانية تشجيعا كبيرا فى أثناء الحكم الحبشى فى اليمن وزاد انتشارها ؛ وبعد هزيمة الأحباش فى اليمن فى المرة الأولى عام

٣٨٧ ميلادية ، وخروجهم من اليمن ، أدى إلى انتشار الوثنية ، وفقدت النصرانية كثيرا من مكانتها ، ولكن المبشرين النصارى عادوا إلى نشاطهم ، فلما جاء تُبـع ذو نواس – من سنة ٥١٥ : ٥٢٥ ميلادية – وأدى إلى اضطهاد النصارى ، الذين لم يرضوا أن يعودوا إلى الوثنية أو اليهودية ، ثم حفر حفرة تشبه الخندق وأشعل فيها نارا وألقاهم فيها ٠ ويروى أن تُبعا ذو نواس واسمه ذر بن يزيد كان قد اعتنق اليهودية ولذلك اضطهد النصارى ٠

الغزو الحبشي الثانـي :

وفى هذه الفترة كانت المسيحية قد انتشرت فى مملكة أكسوم حيث أن الأسرة الحاكمة دخلت فى النصرانية ، فطلب امبراطور الروم من نجاشى الحبشة ، إعداد العدة لنصرة المسيحيين فى اليمن وانقاذهم من اضطهاد ذى نواس للنصارى ، وكان نجاشى الحبشة آنذاك الملك " كالب " KALEB ، الذى جر حملة عسكرية كبيرة إلى اليمن سنة ٥٢٤ م ، وتذكر الرواية هنا أنه قد استعان فى هذه الحملة بالسفن اليونانية المتواجدة فى البحر الأحمر – ويقصـد هنـا ميـناء أدوليـس – لنقل الجيش الذى عقد لواءه إلى قائده " أرياط " ٠ وبعد وصول الجيش إلى الساحل اليمنى تصدى له ذو نواس بقواته ٠ وقد دارت معارك حامية بين الطرفين ، كان الفوز فيها للقائد الحبشى أرياط فتشتت قوات " ذى نواس " فاندفع بحصانه نحو البحر ، وقفز حتى غاص فيه ٠

وبمـوت هذا المـلك ، واستتباب الأمر للأحباش طويت صفحة ملوك بنى حمير فى اليمن، لتفتح صفحة جديدة تؤرخ احتلال الأحباش الثانى لها ٠

ودام احتلال الحبشة لليمن قرابة خمسين عاما ويقول " المسعودى " ٧٢ عاما عملوا خلالها على نصرة المسيحية وتثبيت أقدامها فى اليمن شمالا وجنوبا ، إلا أنه سرعان ما حدث إنشقاق فى صفوف الجيش المحتل فثار أبرهة الأشرم

على قائده " أرياط " فقتله واستتب الأمر له بعد ذلك ، وحكم البلاد ثم حكمها من بعده أولاده ، حتى دخلها الفرس فاتحين . وقد كانت أيام حكم أبرهة الأشرم لليمن مليئة بالأحداث والمنجزات وخلد إسمه على جدران سد مأرب . كما إراد أن يصرف العرب عن الحج ، فشيد فى صنعاء كنيسة وكانت تسمى فى ذلك الوقت " القليس"، وهى كتدرائية ضخمة صرف فى سبيلها المال والجهد حتى كمل بنيانها . وتقول الرواية أن أبرهة بنى هذه الكنيسة ، لإرغام العرب على الحج إليها بدلا من الكعبة فى مكة ، والقليس ما زالت قائمة حتى يومنا هذا ويعرف حاليا " بغرفة القليس " فى صنعاء – ولما لم ينجح فى صرف العرب عن الحج فى الكعبة ، قرر غزوها وهدمها ، فجرد حملة كبيرة سنة ٥٧١ ميلادية ، عرفت بعدئذ بعام الفيل ، نظرا لوجود الفيلة مع الجيش . وعام الفيل لا يحتاج إلى الدليل والشرح فى التاريخ الإسلامى ، لأنه العام الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم يكد أبرهة يصل أبواب مكة ، حتى واجهته طير أبابيل ترميه بحجارة من سجيل كما ورد فى سورة الفيل بالقرآن الكريم ، فقضى نحبه ، وتفشى المرض بين جنده ، فتشتتوا وولوا الأدبار . ولقد عانى إحتلال الحبشة لليمن مصاعبا جمة نظرا لعدم رضوخ القبائل اليمنية للإحتلال الأجنبى ، الذى لم يألفوه ، فكانت القبائل تشن حروبا مستمرة على معسكرات أبرهة . ويذكر التاريخ ، أنه على الرغم من نجاح أبرهة فى إخماد الثورات القبلية التى قامت فى وجهه ، إلا أن " سيف بن ذى يزن " – وهو من سلالة ملوك حمير – استعان بالفرس ، وقاد القبائل الثائرة ، فدحر الأحباش وأجلاهم عن اليمن سنة ٥٧٥م ومن هنا انتهى حكم الحبش لليمن .

الفصل الثالث

تأثيرات الغزوات الحبشية على شبه الجزيرة العربية

يذكر التاريخ فى القرن الأول قبل الميلاد هنا أن الأحباش قد أعانوا بنى همدان على ملك سبأ وأقاموا فى اليمن جالية كبيرة لها . وكان من أهم المدن التى أقاموا فيها هناك مدينة سحرت ، التى باشروا فيها حياتهم ، وقد بلغوا من النمو والإزدهار قسطا كبيرا ، وكان لهم تأثيرهم على السكان فى المجتمع اليمنى .

أثر الحبشة فى اللغة العربية نتيجة لهذه الإتصالات والتواصل بين أهل الحبشة والعرب :

دخلت كلمات حبشية فى اللغة العربية ذكر منها الأسيوطى " الإتقان " ستة وعشرون لفظا وترجع فى أغلبها إلى أمور دينية على سبيل المثال " الحواريين " – المنافق – فطر – منبر – محراب – ومصحف – برهان .

وقد نطق الرسول (صلى الله عليه وسلم) بكلمات حبشية فقال يصف أشراط الساعة " إن بين يديها فتنة وهرجا " فسأله الصحابى : ما هو الهرج ؟ فقال : " هو القتل بلسان الحبش " كما قال عليه السلام لأم خالد بن سعيد ، حين قدمت من الحبشة وعليها كساء : " سناه سناه " وسنى بمعنى جميل .

وقد استعار العرب منهم " المعابل " وهى آلة حربية تشبه السهام وهى فى الحبشة معبلت والدروع والوادن وهى الرمى بالقلاع ومن الأسماء أيضا الطنبور .

ونجد أيضا أن للفنون تأثيرات على العرب ، ويروى هنا لما قدم " جعفر بن أبى طالب "من الهجرة فى الحبشة إختلى به النبى فصار يحجل " بمعنى يرقص " حول النبى متأثرا بطباع أهل أكسوم وقد أقره النبى ولم ينكره عليه وكان من أهل

أكسوم فى مكة من يقوم بصناعة الرقص ، واللعب بالحراب فى الحفلات والأعياد. ويروى أن بعضهم لعبوا بحرابهم فى المسجد فى يوم عيد فكان النبى يستعرضهم مع عائشة – زوجته – ، وقد (زفنوا) أى رقصوا ، يقولون محمد عبدٌ صالح ، فأقرهم عليه ، وقال بلغتهم " سناه سناه " أى حسن حسن ، والكلمة لا تزال تستعمل في الجيز والتجرى وأخذ العرب من هضبة إريتريا وأكسوم بعض أنواع الرقص .

ومن التأثيرات التى انعكست على إريتريا نتيجة لارتباطهم باليمن ، نذكر منها بعض الأسماء والأنهار مثلا عنسبة " نهر فى إريتريا فى الجزء الغربى منها منسوب إلى عين سبأ نهر " مرب " فى إريتريا وهو النهر الذى يفصل بين إريتريا وإثيوبيا مأخوذ من مأرب وهو سد فى اليمن . ضمن التأثيرات أيضا ما يدل على أن نشأة مملكة أكسوم والتى أنشأها المهاجرون الأوائل من العرب الساميين ، من قبائل الحبيشات وأجعزيان فى هضبة التجراى ، وكان لها تأثيرها من حيث التكوين البشرى والثقافى واللغوى والحضارى لأجزاء كبيرة من إريتريا – وخاصة الهضبة – وبالتأكيد كانت تشكل بداية لامتداد الممالك اليمنية سبأ وحمير وتمتلك إريتريا مع أكسوم التاريخية تراثا مشتركا .

ومن هنا يجدر بنا أن نؤكد حقيقة واحدة من خلال تتبعنا فى دراستنا هذه التاريخ الإثيوبى القديم ، إن مملكة أكسوم كانت مملكة قائمة بذاتها وكان لها إيجابياتها وسلبياتها فى عموم إريتريا منذ فجر التاريخ فى العصور القديمة ، ومن هنا جاء اهتمامنا بذكر تاريخها ونشأتها وعلاقتها بالعرب – وخاصة اليمن والحجاز ، لأن تاريخ شعوب المنطقة وحضارتها – وخاصة القديم – لا ينفصل بعضه عن البعض ، لأن إريتريا مثلها مثل الشعوب الأخرى ، ليس لها تاريخ منفصل عن هذه المنطقة لذلك كان تركيزنا على مملكة أكسوم وحضارتها ، التى

وجدت منا كل الاهتمام والعناية وقفنا عليها وقفة تاريخية جادة حيث يعيد التاريخ نفسه خاصة بعد أن أصبحت إريتريا الآن دولة مستقلة ذات سيادة باعتراف العالم، ودول الجوار ، وعلى رأسها إثيوبيا نفسها ، والتى تعتبر اليوم الجارة والصديقة . وسوف نتناول هذا الحديث فى موضع آخر فى بحثنا هذا وسوف يجد منا الإهتمام من أجل بناء المستقبل لشعبنا .

الفصل الرابع

تسميــــة الحبشــة

يدل إسم الحبشة فى كتب التاريخ ، هو على إسم الشعوب المختلطة . وقد أطلقها المصريون على سكان منطقة جنوب مصر ، أى التى يسكنها السود وأسسوا مملكة كوشه بين السودان ومصر فى القرن العاشر قبل الميلاد . ويقول ممتاز عارف فى كتابه "الأحباش بين مأرب وأكسوم " بأن الحبشة متحف الشعوب إشارة إلى أن لفظ الحبشة لا يخص الأمهرة دون غيرهم من الشعوب ، إنما هو إسم اشتهر به سكان القرن الإفريقى جميعا .

كما أطلقت على كلمة الحبشة ، تسمية لقبيلة عربية فى اليمن تسمى بقبيلة "الحبيشات " كانت تسكن على الساحل - أيضا وقيل " إنها اتخذت فى هجرتها طريق البحر الذى يصل ميناء " مصوع " وهضبة الحبشة . ولما سكنت هذه القبيلة فى شمال الحبشة نسب الجزء الشمالى إليهم وسمى باسمهم . كما أطلق العرب على جميع هذه البلاد اسم الحبشة .

وهناك قول آخر بأن مادة " حبش " فى العربية تدل على الجمع والتحالف . ومن هذه المادة ألفاظ شائعة عند العرب ، فنجد ، حباشة ، سوق من أسواق العرب فى الجاهلية ، ومن أسماء الأعلام العربية حبش وحبيش والأحابيش ، قوم من قريش تحالفوا فسموا كذلك فى مكة .

ويذكر المؤخرون أن قبيلة " حبيشات " أوجدت لنفسها موطنا قديما فى الهضبة الإريترية فى القرن الخامس قبل الميلاد .

وفى اليمن جبل يسمى " الحبش " ويقال أن قبيلة حبشات تنتمى إلى تلك المنطقة . ومن هنا نستطيع أن نقول من خلال تتبعنا لدراسة التاريخ " إن اسم

الحبشة هو عربى الأصل وهى تعنى مجموعات من الشعوب والقوميات غير المتجانسة · أما اسم إثيوبيا فهو اسم قديم أطلقه الإغريق على سكان المنطقة دون تحديد آخر اللاهم إلا التحديد الذى تعطيه التسمية نفسها وهو الوجه المحروق أطلقها القدماء الإغريق فى العهد القديم على شعوب مختلفة ومنها الممالك النوبية القديمة ·

وقد اختلفت الآراء لدى الكتاب والمؤرخين القدامى ، حيث اعتقد بعضهم أن إسم إثيوبيا يشمل مصر ، والسودان ، وبلاد العرب وفلسطين ، وعلى الأخص تلك الشعوب التى تسكن وادى النيل شمالا وجنوبا · ونظرا لأن الاسم اليونانى يعنى الوجه المحروق فإن المؤرخين رجحوا إطلاقه على جميع الشعوب ، التى يتراوح لونها من السمرة إلى السواد بما فيهم العنصر الزنجى · واعتبروا أن كل المناطق التى تسكنها هذه الشعوب، تعرف بإثيوبيا · وكانت النتيجة أن المؤرخين القدماء لم يتفقوا على حدود معينة ، أو موقع مميز لإثيوبيا ، وظل الاسم مشاعا يمكن إطلاقه على أى شعب أسود ، دون أن يكون لإطلاقه دلالة على شعب دون آخر · وعندما غزا ملك النوبة مصر ثم حكمت أسرة نوبية ما بين عام ٧١٢ : ٦٦٣ ق ·م " الأسرة الخامسة والعشرين " أطلق المؤرخون على هذه الأسرة اسم الأسرة النوبية · ويتضح من هذا أن المؤرخين القدامى عندما كانوا يطلقون إسم الإثيوبية ، على تلك الأسرة فإنهم كانوا يطلقون نفس الإسم على مملكة النوبة مروى وكانوا أيضا يحددون عاصمتها الأولى " نباتا NAPATA " وعاصمتها الثانية ميـرو MEROW وكلتاهما تقعان فى شمال السودان ·

وفى العصور الوسطى اتخذت عديد من الدول فى تلك المنطقة ، التى كانت تسمى بإثيوبيا – أسماء محدثة لها فى كل من السودان ومصر وإريتريا والتى اختصت فى كتب التاريخ ، أن كل الشعوب السوداء باسم إثيوبيا ومن بينها الحبشة ·

ومن هنا نشأت رغبة ملوك الحبشة ، بالإنفراد بتسمية إثيوبيا فى العصور الوسطى، لرغبتهم فى التخلى عن الإسم القديم المتعارف عليه ، وهو إسم الحبشة ٠ ومن هنا أدرك حكام الحبشة وأباطرتها ، فى الاسم ما يعيب وأنه يوحى بتعدد الأجناس واختلاطها وافتقارها إلى أهم مقومات التكوين للدولة الحديثة ، المتمثلة فى التجانس والوحدة العنصرية ٠ ويطلق بعض الكتاب المعاصرين ، اسم " الحبشة " على الهضبة المرتفعة التى كانت تتكون منها الدولة القديمة كما يطلقون عليها اسم " إثيوبيا " على الدولة الحالية التى أنشئت نتيجة لتوسع منليك الاستعمارى ٠

إن هذا الغموض فى رأينا - الذى اكتنف تسمية الحبشة وإثيوبيا ، هو نفس الغموض ، الذى أدى بحكام الأحباش سابقا إلى التوهم ، بأن بلادهم كانت فى الماضى تمتد فى كل منطقة القرن الإفريقى ٠ وإذا صح ما ورد فى التاريخ كما تتبعنا ، أن دولة أكسوم القديمة قد مدت نفوذها على شواطىء كل من البحر الأحمر والمحيط الهندى ، فهذا لا يعدو جزء من التوسع الأكسومى حيث كانت دولة أكسوم إمبراطورية توسعية ، مكنتها الظروف من بسط سلطانها على الشعوب المجاورة لها من الشمال والشرق ، وهذا التوسع ، هو الذى أدى إلى إنهيارها وانكماشها ٠ والتوسع الأكسومى القديم ، لا يمكنه أن يكون مبررا لإدعاء الإثيوبيين المعاصرين بأحقية الحبشة بتلك الأراضى ، التى كانت ترتبط بمملكة أكسوم بالتبعية والنفوذ تابعة لدولة أكسوم القديمة ٠

نستنتج من ذلك ، أن الحبشة الحالية أو إثيوبيا كما يسميها ملوكها ، لتشمل وفق توسعاتها بلاد الجالا والصومال ، هى ليست استمرار لمملكة أكسوم التى اندثرت وأصبحت فى حكم التاريخ فى القرن الثامن الميلادى ، وتمتلك إريتريا معها تراثا مشتركا، يتمثل فى التكوين البشرى والثقافى واللغوى والحضارى لأجزاء كبيرة من إريتريا وخاصة هضبتها كما أسلفنا فى السابق ٠ ولا تزال مدينة أكسوم نفسها قائمة فى هضبة تجراى المجاورة للحدود الإريترية ٠

الفصل الخامس

العلاقات الإثيوبية الإريترية من قديم العصور

لقد تحدثنا عن الخلفية التاريخية عن مملكة أكسوم وكيفية تأسيسها وتأثيرها سلبا وإيجابا على إريتريا بصفة خاصة ، والشعوب المجاورة بصفة عامة ، حيث عرفت هذه المملكة فى أوج سلطانها بين القرنين الرابع والسادس ، وكان من الطبيعى أن يكون لها تأثيرها فى إريتريا • وبعد القرن السادس بدأت سلطة هذه المملكة ونفوذها يضمحل كنتيجة طبيعية لعملية الفتح العربى لمصر وسائر الدول المجاورة ، وانتشار الإسلام فى هذه المناطق ، وكان تأثير هذا المد قد تسبب فى دفع القبائل الحامية وبصورة خاصة قبائل البيجة ، والتي توغلت إلى مملكة أكسوم ودمرتها وأصبحت حاجزا منيعا ، حيث فرضت عليها عزلة تامة فى الهضبة ، مما تسبب من إنهيارها وانحسارها فى الهضبة • وكانت النتيجة إضطرار سكان أكسوم الأوائل إلى الإمتداد جنوبا ، وهم فى عزلتهم لم يخرجوا منها إلا بعد حوالى سبعة قرون • وفى هذه الفترة صاحب هدوء نسبى فى إريتريا ، وخاصة فى الأقاليم المجاورة لها منشغلين بصراعاتهم بين بعضهم البعض لتغليب عنصر على الآخر ، من ممالك الحبشة ، ليشكلوا العنصر الأساسى لامبراطورية الحبشة الأولى ورثة أكسوم • ومنذ ذلك الوقت تكونت دولة الحبشة والتى سميت فيما بعد بإثيوبيا تميزا لها عن دولة أكسوم التى إضمحلت وإنفردت بطابعها الخاص وأصبحت فى ذمة التاريخ فيما بعد حيث تكون عنصر الأمهرة تحت مزاعم الأسرة السليمانية ، ومن الثابت تاريخيا أن هذا العنصر لم يقم من الفراغ فإن الأمهرة هم قوم نتجوا عن التزاوجات التاريخية بين سكان أكسوم ذوى أصول سامية كوشيه ثقافة وعنصرا ، فهم إذن القوم الهجين الذين لعبت عليهم الثقافة السامية دورها وأثرها • وخلال ثلاثة قرون طورت هذه العناصر لغة خاصة بها سميت باللغة الأمهرية مشتقة

من السامية والجئز ، واحتلت هذه الأسرة إقليم " تجراى " و"لاستا" وشوا وقوجام وأسمتها بأقاليم الأمهرة • ومنذ ذلك الوقت تكونت مملكة الأمهرة والتى بدأت منذ نشأتها بالتوسع على حساب جيرانها ، وإتخذت لغتها الأمهرية وديانتها المسيحية الأرثوذكسية • ومن هذا السرد الموجز التاريخى عن الصرعات من أجل السيطرة والحكم فى إثيوبيا ، فدارت الدائرة من هذه الأسرة حيث انتقلت السلطة من الأسرة السليمانية إلى أسرة أخرى كانت تعيش فى الحبشة وكان لها تأثيرها ودورها فى عموم الحبشة وهى أسرة زاغوى – ومن هنا بدأت مرحلة تحول جذرى من القوى السياسية التقليدية فى حكم الحبشة حيث انتقلت السلطة والهيمنة على شئون البلاد ، ومن الأحباش المسيحيين المنصهرين بالحضارة السامية الوريثين الأصليين لتراث مملكة أكسوم المقدسة ، إلى هذه الأسرة الجديدة التى نشأت وتوغلت وحكمت فترة من الزمن إثيوبيا ، وهى أسرة زاغواى أو أجو التى عرفت بمناوعتها لهذا التراث كما كانت معروفة بحداثة عهدها بالمسيحية •

قبائل أجو تغتصب الحكم من الأسرة السليمانية الأمهرية :

فى القرن العاشر الميلادى قامت إمرأة يهودية ، حيث وجد اليهود فرصة سانحة فى خضم الصراع التى شهدته الحبشة فى القرن العاشر الميلادى ، لامتلاك ناصية الحكم فى الحبشة وهذه المرأة كانت ملكة على قبيلة " الفلاشا " اليهودية فى منطقة "سمين " الواقعة شمال الحبشة من جهة الشرق ، وكانت منطقة نفوذ يهودية منذ عصور قديمة ويطلق على هذه الملكة " بوديت " أو استير وكانت من العنصر الأجوى ، ولكن تعتنق اليهودية ، فقامت بهجوم كاسح على رأس جموع من اليهود الفلاشا ، وتساعدهم قبائل أجو الزغاويين ، وهم فرع من الأجاو AGAW الأجاو كانوا معظمهم وثنيين والبعض الآخر منهم إعتنق الديانة المسيحية • فاستولت هذه الملكة على مملكة أكسوم وتوابعها ، بعد أن دمرت المدينة بمن فيها

ونصبت نفسها ملكة على الحبشة ، وعرفت أسرتها بأسرة زقوى حكمت البلاد نحو ثلاثة قرون ، والجدير بالذكر أن أجاو ليس لهم أى علاقة بالديانة اليهودية أو عنصر الفلاشا حيث أنهم قوم من الكوشيين إلا أن الملكة التى تنتمى إلى أسرتهم إعتنقت الديانة اليهودية فى تلك الفترة وهم يعدون من أقوى القبائل العريقة فى الهضبة التى عرفت باعتزازها بوثنيتها ، ولكن خلفاءها الذين حكموا من بعدها قدموا من إقليم لاستا وكانوا ينتمون إليها بصلة القرابة ويعتنقون الديانة المسيحية ، وعلى هذا الأساس بنت أسرة الزقوى مملكة لهم واختاروا لها " روها " عاصمة ملكهم ٠ تم ذلك منذ مطلع القرن العاشر الميلادى وبعد ثلاثة قرون على سقوط مملكة أكسوم ومن الملاحظ أن مملكة " أجاو " لم تكن إمتداد تاريخى لملكة أكسوم كما أنها لم تدعى ملكيتها لتراثها ، بل ظلت كيانا مستقلا نشأت فى مكان مغاير للذى نشأت فيه أكسوم وضمن ظروف تاريخية مغايرة ، حيث خاضت حروبا شرسة مع الأسرة السليمانية لتعزيز مكانتها بين القبائل فى الحبشة وهذه هى المرة الأولى التى تمكنت فيها قبيلة من خارج الأسرة السليمانية ، من إزاحة العائلة المالكة الشرعية عن عرش البلاد ، والتربع مكانها فى الحكم خاصة بعد أن اعتنق ملوكها المسيحية ٠ واحتفظت هذه الأسرة الجديدة بالعرش وهيمنت على البلاد قرابة ١٥٠ سنة ، وخلال هذه الفترة ظهر منهم ملوك إحتلوا الصدارة فى التاريخ الحبشى ، لما قاموا به من جلائل الأعمال ، وما خلفوه وراءهم من آثار عمرانية وكنائس مازالت قائمة حتى الآن ٠ وأشهر ملوكهم " لا ليبلا " الذى أسس الكنيسة المشهورة المنحوتة فى جبال " لاستا " كما ذكرنا فى السابق ٠ ثم إنتقل الحكم مرة ثانية إلى الأسرة السليمانية ٠ وأصبح " يكونو أملاك " مؤسس الدولة السليمانية بعد أن استعاد الحكم من الأسرة الأجاوية واتخذ عاصمته " مر عدى " بإقليم أمهرة ، وبهذا انتقلت حاضرة البلاد من أكسوم ولاستا إلى أمهرة ولقب الملك منهم بالحطى وهكذا بسقوط الزقوية توغل الصراع إلى الجنوب أكثر وإلى هضبة إثيوبيا الوسطى ومنذ تلك

الفترة دخلت إثيوبيا فى حمامات من الدم والصراعات التى لم تنتهى لا فى عهد منليك مؤسس الدولة السليمانية الثانية ، بعد أن أخضع لسلطانه ، - من خلال حروب طويلة ومضنية - كل الشعوب والقبائل التى كانت فى المنطقة ، وأهمهم (القالا) و (الصومال) و (التجراى) إلى مملكته ونقلت العاصمة إلى أديس أبابا " الزهرة الجديدة " ٠

علاقة إريتريا بملوك الحبشة في ذلك العصر :

اتسمت بلاد الحبشة من خلال النزاعات التى كانت تعيشها سمة سيطرة القوى على الضعيف فى حكم البلاد ، ومن خلال الموقع الجغرافى لم تسلم إريتريا من غزوات واعتداءات حكام إثيوبيا فى ذلك الزمان باستثناء عهد أسرة زاقوى والذى إتسم عهدهم بالسلام مع جيرانهم سواء كان فى إمارات الساحل ، أو الهضبة فى إريتريا ٠ فكانت العلاقات ضعيفة والترابط محدود ، حيث لم يتمكنوا من بسط نفوذهم الفعلى فى الهضبة الإريترية ، لأن السكان غير معتادين على الحكم الخارجى ، فكانوا متمسكين بشدة وطنيتهم ، وفى مقاومة شديدة ضد غزوات الإثيوبيين وحكمهم على مدى العصور ٠ وكان الهدف من الغزوات ، الوصول إلى سواحل البحر الأحمر ، لتأمين تجارتهم الخارجية من ناحية وفرض الجباية للشعوب التى يمرون بها فى طريقهم إلى هذا الساحل ، وإخضاعهم تحت سلطانهم٠ وهذا التوسع والغزوات لا تنطبق على إريتريا وحدها بحدودها الحالية ولكنه شمل جزء من السودان وبلاد النوبة والصومال ، حتى تعدى البحر إلى اليمن حيث حكم الإثيوبيين فى عهد أبرهة الأشرم اليمن ٠ فالتوسع وبسط النفوذ كان من سمات أباطرة إثيوبيا على مر العصور ، مما أدى فى النهاية - نتيجة لهذه العقلية التوسعية - انحسار مماليكهم فى جبال الهضبة المعزولة ، ومن ناحية أخرى أدى إلى تعاون الحكام مع القوى الخارجية من الدول الكبرى ، للخروج من عزلتهم ، على

مراحل مختلفة ، وفى أزمنة متعددة ، وكان الهدف من ذلك ، لمساعدتهم ومؤازرتهم لهم فى حروبهم ضد الشعوب المجاورة من شعوب منطقة القرن الإفريقى بما فيها إريتريا ٠ وهنا نذكر بعض الأمثلة التى تبين مدى العلاقة بين إريتريا فى مختلف الأقاليم والمقاطعات ، التى كانت تحكم نفسها فى إطار حكم محلى ذاتى لها ، وتربطها علاقات ومصالح مشتركة مع بقية أبناء جلدتها من مختلف السكان فى إريتريا ٠

فعلاقة الهضبة الإريترية بملوك الحبشة فى غندر ، تميزت بعدم الولاء فى فترات متعددة بين أمراء الحكم فى الهضبة وملوك غندر - بحيث رفضت هذه الأسرة الولاء فى " هذقا " ودفع الضريبة أى الجزية لرؤساء تجراى ، وفضلت الصراع المسلح معهم ٠ وقد إشتهر أحد زعماء هذه الأسرة وهو " رأس ولد ميكائيل " بصراعه ضد الإمبراطور " يوهنس " حتى تمكن الامبراطور من أسره بالخداع والمكيدة عن طريق رأس ألولا الذى كافأه يوهنس بإسناد تبعية الهضبة الإريترية وجزء من إقليم سمهر إلى سلطانه قهرا كما كانت زعامات عديدة فى الهضبة فى " كرنشيم " و " حلاى " و " سقنيتى " و " دباروا " وكانت هذه الزعامات فى الأقاليم الثلاثة لا تدين بعضها لبعض بالولاء إنما كانت تحتفظ باستقلالها المحلى ، وكانت تتحد أحيانا خوفا من هجمات إثيوبيا والتى كانت تشكل عليها خطرا من خلال الغزوات والهجمات ، فكانت العلاقة بينهم تتسم بالنفور والترقب والحذر كما كانت منطقة بركة والجاش لم تسلم من أذى الأحباش فتعرضت مناطقهم وأقاليمهم للإجتياح والغزوات فى عهد " فاسيلداس " الذى شملها بحروبه مع مملكة سنار ، فيما عدا ذلك كانت العلاقة عادية نظرا لبعد المسافة كما أن منطقة دنكاليا الإريترية كانت قبلة لمطامع وطموحات الإثيوبيين منذ القرن التاسع للحصول على منفذ بحرى دون نجاح ٠ كذلك إقليم سمهر ، فكانت العلاقة بين هذا الإقليم وأباطرة إثيوبيا قد مرت بمراحل كثيرة من التوجس

والاعتداء ، حيث كان هذا الإقليم يحكم بأبنائه من البلويين الذين أسسوا إمارتهم في هذا الجزء الهام من إريتريا بعد إنهيار حكمهم في المديرية الغربية من إريتريا ٠ وفي عام ١٤٢٠م أغارت جحافل الملك " إسحق بن داود " ملك الأمهرة على السواحل الإريترية ، ودمرت مدينة (حرقيقو) وإمارة مصوع ونهبت المتاجر مما اضطر السكان إلى الإنتقال إلى الجذر المجاورة للشاطىء ، فرارا من غزوات الأحباش كجزيرة " شيخ سعيد " و " نورا " وانتقل البعض الآخر إلى جزر دهلك التي كانت مقرا للأمير الحاكم ٠ وقد تراجع الجيش الإثيوبي الغازي تحت شدة الحرارة الشديد – التي أفنت الكثير من جنودهم تحت مؤازرة وضربات قبائل البيجة التي جمعت جموعها لمواجهة الغزاة وطردهم من كل أقاليم إريتريا يواصل زرا يعقوب سعي والده إسحق ، بالتحالف مع ملوك أوروبا لجرهم للسيطرة على سواحل إريتريا ، ومد نفوذهم هناك ، وفي عهد إياسو من ١٦٨٢ : ١٧٠٦ م شهدت تلك الفترة الهدوء والتوقف عن الحملات المتكررة التي كان الإثيوبيون يقومون بها في إريتريا في الساحل والهضبة فكان هذا الملك يتمتع بالحنكة السياسية والحيلة في معالجة الأمور بالطرق الدبلوماسية ، مما مكن النائب موسى حاكم سمهر في حرقيقو وهو من بيت " حمد قنع " البلو عقدت إتفاقيات بينهم وسافر على رأس وفد من أتباعه للتوقيع على معاهدة الإتفاق – وقد نشأت أيضا صلات بين النائب وبين " رأس ميكائيل سهول " حاكم تجراي وعلي الرغم مما كان بينهم من أسباب الجفاء والتوجس ، إلا أن النائب فضل أن تكون العلاقة والصلة مستمرة ، من أجل أن يأمن شرهم ٠ ويذكر بروس عند وصوله إلى مصوع عام ١٧٦٨م وظل فيها ذهاء ستة أشهر ، وهو يحاول إقناع النائب عمر أغا حاكم سمهر في حرقيقو ، بالسماح له في السفر إلى إثيوبيا ، وكان النائب يماطله حيث كان يخشى منه أن يكون خبيرا في صناعة الأسلحة ، فيعلم الإثيوبيين صناعتها ، فيمكنهم غزو بلاده وكان النائب يتعلل بالحجج الواهية ويختلق أعذارا حتى لا يمكنه من السفر ٠

ولكن هذه العلاقة لم تدم طويلا بين حاكم الحبشة وحكام الساحل الإريترى فتكررت الهجمات والغزوات عبر أزمنة مختلفة ، وهكذا كانت العلاقة عموما بين إريتريا وأباطرة إثيوبيا علاقة القوى لابتلاع الضعيف ، ولو بمساعدة الأخرين من القوى الخارجية لتحقيق أحلامهم وطموحاتهم . ومن المعروف كما ذكرنا أن إثيوبيا - بشكلها الحالى - قد برزت إلى الوجود كامبراطورية منذ القرن التاسع عشر ، على أنقاض الإمارات والبلدان التى فقدت استقلالها على يد الغزاة الإثيوبيين المستعينين بالاستعمار الأوروبى - (ومن الملاحظ هنا لم تقم فى إريتريا منذ العصور الوسطى " سلطة مركزية " بالمعنى المفهوم للكلمة ، إلا فى نهاية القرن التاسع عشر . فمن الثابت تاريخيا منذ العصور القديمة ، قيام عدة ممالك وإمارات فى إريتريا حافظت على استقلالها الداخلى ونفوذها ، ومن ورائها شعوبها ، ضد الغزوات الإثيوبية فى مختلف العصور . ومهما يكن من أمر أن الشعب الإريترى الذى عاش قرونا طويلة محتفظا باستقلاله ، قد تأثر ظرفيا فقط بسلطة تلك الدولة التوسعية . ويمكن تمثيل تاريخ القرون الوسطى لتلك الأخيرة فى سلسلة دائرية من أعمال التوسع والإنسحاب فى سلسلة من البؤر فى شمال شرق إفريقيا .

إن الإحساس القومى الحقيقى لشعب إريتريا عامة لم يأت من الفرا غ ، ولكن يستمد قوته من تجربته النضالية الطويلة عبر التاريخ .

لأن التاريخ ليس العرض أو التفسير الدقيق للماضى فقط ، وإنما لأن إدراكه هو عملية مستمرة ومتواصلة .

إن سياسة التوسع والإحتواء ، التى انتهجتها امبراطورية إثيوبيا منذ نهاية القرن التاسع عشر - تحت قيادة الامبراطور منليك الثانى بالتواطىء مع الدول الاستعمارية الأوربية - هى التى أوجدت حالة الحروب والقلاقل فى هذه المنطقة من

القارة الإفريقية ، والتى بلا شك شاركت الإمبريالية الأوربية فى تقاسم إفريقية فى مؤتمر " برلين " سنة ١٨٨٦ الذى كان السبب فى نكبة شعوب تلك المنطقة ، وأهمها إريتريا التى كانت دوما تطمح - كغيرها من الأمم - فى أن تنعم بالأمن والسلام وتطور قدرتها الإنتاجية ، لخير ورفاهية شعبها وشعوب الدنيا كلها . والحقيقة التى لم يعيها حكام إثيوبيا القدامى هى أن إريتريا وإثيوبيا بلدان متجاوران منذ الأزل بينهم صلات وروابط تاريخية ، ومصالح إقتصادية والجوار - يفرض دوام الإتصال والاحتكاك لمختلف المقاصد سواء كانت تجارية أو إقتصادية أو سياسية أو حربية - وفق ما تقتضيه مصالح كل منهما سلبا أو إيجابا . وكما أوضحنا ، لأسباب جغرافية أو سياسية أو تاريخية أو دينية وثقافية ، فإن العلاقات بين إريتريا وإثيوبيا ، طوال العصور القديمة والحديثة ، إتسمت فى معظم فترات التاريخ بالنزاع والغزوات والتوسع . وليس هذا النوع من العلاقات سمة خاصة بالبلدين ، فكثير من الشعوب والبلدان المجاورة فى مختلف أنحاء العالم ، وعلى مر العصور - إتسمت علاقتهم بالحروب والغزوات . ومن هنا وللأهمية أشرنا للعلاقات بين إريتريا وإثيوبيا ، مستهدفين من ذلك إستنتاج الدروس والعبر بالنسبة لكل الأطراف المعنية فى هذه المنطقة ، بما فيها إثيوبيا . وكان للسياسة التى انتهجها حكام إثيوبيا فى العهد الجديد بعد زوال حكم منجستو آخر أباطرة إثيوبيا تداوى الجرح العميق الذى أحدثته تلك السياسة الهمجية الهوجاء فى عموم منطقة القرن الإفريقى وإريتريا ، فمبدأ سياسة التعايش وحسن الجار ، والإرتباط بمصلحة عليا مشتركة بين الشعبين الإريترى والإثيوبى فى مختلف ميادين الحياة ، كان عين الصواب والتعقل والنظرة الثاقبة ، والبعد الإستراتيجى الذى تتمتع به هذه القيادة التى استوعبت التاريخ ، وأخذت عبر ودروس من الماضى .

البـــاب الثانـــى

استقـلال إريتريا خلال القـرون القديمة والعصور الوسطـى

مقدمـــة

أقصد من كتابتى لهذا الفصل بالذات ، بالإسهاب بعد الخلفية التاريخية التى تحدثت عنها فى مقدمة الكتاب ، لاستعراض جملة من التفاصيل المتعلقة بالتطورات السياسية التى مر بها شعبنا خلال العصور القديمة والوسطى ، للدلالة على أن الشعب الإريترى له تاريخ حافل بالبطولات والتضحيات ، التى تمثلت فى المحافظة على كياناته المستقلة كلاً على حده ، والتى كانت ترتبط مع بعضها البعض بعلاقات المصالح المشتركة. وسوف أبين من خلال سردى لهذه الأحداث ، والتى كونت فيما بعد التاريخ المشترك للشعب الإريترى فى عصور مبكره سبقت عصرها فى ذلك الزمان ، وهذا مادفعنى لذكر بعض التفاصيل باسهاب عن بعض الأقاليم لإبراز دورها الحضارى والثقافى - وليس دافعى من هذا التقليل من شأن الأقاليم الأخرى ، بل لأؤكد على أن الشعب الاريترى له تاريخه المجيد وشخصيته المميزة - لدحض المزاعم يدعونها الآخرون الذين يجهلون تاريخ هذا الشعب ، وفق ما توفرت لدى من المعلومات التاريخيه المكتوبة والمروية لهذا الشعب الذى عانى الكثير ، ودفع الثمن غاليا ، ومر بمعاناة كثيرة عبر مراحل نضاله الطويل لإثبات كيانه المستقل . وسوف أتناول فيما بعد الأبحاث أو الدراسات المتعلقة بالمجموعات الإريتريه إقليميا فى أثناء تناولى للتركيبة السكانية التى يتكون منها الشعب الإريترى فى مراحلها الأولى. وقبائل البيجة تشكل أحدى العناصر التى تكون التركيبة السكانية لإريتريا وممالكها وحكامها والإمارات التى انبثقت عنها، فلاشك أنها تشكل عنصراً هاماً وعاملاً مؤثراً فى التكوين السكانى لإريتريا الحديثة . ومن خلال هذا التاريخ أؤكد حقيقة واحدة وهى أن المجموعات الإريترية سواء كان فى الهضبة ، أو الغرب والساحل ، جميعها لها دورها وإسهاماتها فى التاريخ المشترك

للشعب الإريترى .

إن التاريخ الإريترى وملامحه المشرقة هو ملك لكل التجمعات الإريترية ، بغض النظر عن بعض أوجه الاستقلال الذاتى لتلك الأقاليم فى العصور الماضية ، التى سبقت التوسع الإستعمارى فى البلاد . كما أن التزاوجات والمصاهرة الواسعة التى تمت بين السكان الإريتريين فى مختلف أقاليم ، يبطل أى محاولة لفهم المجتمع الإريترى باعتباره جماعات وعناصر متباينة ومن هنا جاء اهتمامى بهذا الفصل .

الفصل السادس

ممالك البيجة فى إريتريا فى العصور الوسطى

أصل البيجة : البيجة فرع من فروع الشعوب الحامية الشرقية التى استوطنت منذ آلاف السنين قبل الميلاد ، ولم تكن مساكن البيجة تقع فى إريتريا وحدها ، بل كانت تمتد بين النيل والبحر الأحمر متجاوزة حدود إريتريا إلى بلاد النوبة والسودان حتى عطبرة بمحازاة النيل ومصر .

اسم البيجة : ورد اسم البيجة فى نقوش "عيزانا" نجاشى الحبشة فى أكسوم فى القرن الرابع الميلادى . كما أطلق جغرافيون العرب لفظ بيجة على ما يعرف الآن بالقبائل البداوية أو البيجاوية ، ومنه سميت لغتهم باسم البداوية (الحضارب) ولعلهم الشعب الوحيد فى التاريخ الذى سكن على شواطئ البحر ولم يشتغل بالملاحة أو يهتم بالتجارة بين بلدان العالم القديم ، بل كانت تستقبل رواد فى شواطئها دون أن يكون لهؤلاء التجار نفوذ على داخلية البلاد . فلم يبنى تاريخ البيجة مراكب تجارية تجوب عرض البحر الأحمر، كما كانت الأمم التى عاصرتهم كالمصريين ، بل عاشوا أمة برية طيلة حياتهم ، تحب العزله والبعد عن الجماعه، ففى العزله استقلال فردى كامل وفى الجماعه قيود يفرضها المجتمع، وهكذا عاش البجاوى فى المنطقة . وقد تضاربت أقوال المؤرخين فى أصل البيجة الذى تحدث عنه بعض المؤرخين ، وأخذ كل منهم يبحث عن أصل البيجة وموطنهم الأول كما أنهم وجدوا أن اسم البيجة لم يكن هو الاسم السائد الذى أطلق على سكان البيجة فى كل العصور، بل إن هذا الاسم كان عرضه للتغيير ، بحسب تغير الأمم التى كان لها اتصال بالبيجة ، ولكن تلك الأسماء لم تغير من حقيقة وضعهم كسلطات لتلك المنطقة كما ذكرنا .

ويشير جورجى زيدان «إن أمة الشاسون من عرب الشام هاجرت إلى إقليم البيجة، واستوطنت بين النيل والبحر الأحمر ، كما ينتقل فيها بدو هذه الأيام ، وكان قدماء المصريين يسمون هذه البادية « كوشى » وتعريبها «الأرض الحمراء تميزا لها عن وادى النيل واسمه «كيمى » . وقد قامت عدة محاولات من جانب الجولوجيين لمعرفة أصول البيجة ، ومن خلال البحث والتنقيب عثروا فى مقابر « البلامس « حول جبال مامان فى شرق السودان ، ووصلوا إلى نتيجة لا تقبل الجدل وهى أن جماجم أصحابها سامية أى أنها عنصر راق . وهذه المقابر تحتفظ تحتها أجساد البيجة الأوائل التى عثر عليها منتشره فى عديد من جبال البحر الأحمر . غير أن بعض المؤرخيين كان يرى فى أصل البيجة آراء مختلفة عما ذكرنا ، منهم الهمدانى كان يرى أنهم من ذرية سام بن نوح .

وقال الطبرى أنهم جنس من الإثيوبيين حيث كان يطلق هذا الاسم على النوبيين .

ويرى سليمان عبد الرحمن المصرى أن البيجة عنصر من عناصر المصريين، وأن الإثيوبيين اتخذوا مساكنهم فى الصحراء الشرقية .

يقول الدكتور جواد بأنهم بقايا ثمود كانت على سواحل البحر الأحمر ، وهو بذلك يؤكد ساميتهم .

هذا موجز عن أقوال بعض المؤرخين فى أصل البيجة . وجاء فى دائرة المعارف البريطانيه « إن لفظة البيجة تطلق على مجموعة من القبائل واسعة الانتشار ، وهم من قدماء المهاجرين الساميين . وقد عرف قدماء المصريين سكان السودان الشرقى واتصلوا بهم وظهر فى نقوشهم لفظ « البيقا » وهو لفظ قريب من البيجة .

واختلاف آراء المؤرخين فى أصل البيجة ناتج من اختلاف لهجات البيجة

أنفسهم حسب مناطقهم التى قطنوا فيها .

إختلاط قبائل البيجة بالقبائل العربية المحيطة بها والوافدة فى المنطقة :

عندما قويت شوكة هذه القبائل أغاروا على مصر أكثر من مره حتى إضطر عبد الله بن الحبحب أن يعقد معها اتفاق فى أيام المأمون فى القرن الثانى الهجرى، بفضل ما كانت تحويه أرض هذه القبائل من الذهب والعلاقى وسائر الأحجار الكريمة التى كانت تشتهر به ، وربما كان قد حدا ذلك بالعرب إلى الإتصال بهذه القبائل والنزوح اليها .

منذ القرن الثانى الهجرى « التاسع الميلادى » بدأت قبائل من ربيعه تفيض عليهم، وتعيش بينهم ثم اختلوطو تدريجيا بالسكان الأصليين . وكذلك نزحت إليهم قبائل من جهينه واندمجت معهم ، كما انصهرت فيها قبائل البلو العربية . وبذلك كثرت بطون البيجة وعشائرها وتناثرت مساكنها ، فريقاً فى إريتريا مثل (بنى عامر)،والفريق الآخر الهدندوة فى شرق السودان ، وفريق منهم يسكن الأرض التى تجاور القصير على البحر الأحمر، وآخرون يقيمون غرب أسوان ، وكثير منهم ينتشرون جنوب عطبره ، وهؤلاء يقال لهم البشارية .

وتؤلف قبائل بنى عامر والهدندوة والبشاريه والعبابدة،وحدة متجانسة من الناحيتين الفسيولجية واللغوية ، يشملهم جميعا اسم البيجة الذى أطلقها العرب عليهم . إلا أن هناك اختلاف فيما بينهم إلى حد ما من الناحيةالاجتماعية .

والبشاريه قبائل عربية ، نزحت إلى السودان بعد انتشار الإسلام ، وليس لها أى علاقة بالبيجة من حيث اللغة والعادات أو التاريخ ، وكل ما فى الأمر أنهم جاوروا البيجة فى المنطقة بعد هجرتهم من الجزيرة العربية. ويرجعون نسبهم –كما

قلنا– إلى رجل يقال له بشير بن مروان بن اسحق بن ربيعه ، الذى جاء فى القرن الرابع الهجرى إلى هذا الموقع ومعه ثلاثون آلف رجل من الحضارب ، وهم فرع آخر من البيجة ، يتالف منهم زعماء البيجة وحكامها وكانوا وثنيين ثم اعتنقوا الإسلام فى عهد مبكر ومن الآثار القديمه يستدل أن قبائل البيجة كانو يغيرون على وادى النيل ، وينهبون ويسلبون ، ويعودون بمغانمهم إلى منازلهم الصحراوية ، وكان المصريون يبعثون السرايا إلى تلك الصحارى لمطاردتهم ، حتى خضعت قبائل البيجة لسلطة ملك مصر يسمى سنفرو Sinfiro فى عام ٢٧٢ م ، وخلال آلاف السنين كان الفراعنة يستغلون البيجة بقوة فى الاشتغال بمناجم الذهب التى كانت تشتهر بها بلادهم ، وتمكنوا من اخضاعهم . وتحالف البيجة فى عام ٢٧٢م مع مملكة تدمر فى سوريا ضد الرومان وغزو مصر ، ولكن القائد الرومانى بروس قهرهم وأسر عدداً كبيراً منهم ، حيث استمرت الحروب بين الرومان والبيجة مدة طويله حتى فتح العرب مصر فى القرن السابع الميلادى كما يأتى ذكره لاحقاً .

البيجة والعهد الرومانى :

، لم يتصل الرومان بالبيجة طوال القرن الميلادى الأول ، إلا بعد احتلال الرومان لمصر . وكان الرومان بعد احتلالهم مصر قد أخذو يتوسعون نحو الجنوب ، وكان الرومان كسابقهم من فراعنة مصر يريدون فتح التجارة مع السودان ، وعبر الأراضى البيجاوية، لاستغلال الذهب والأحجار الكريمة التى كانت تُستخرج من جبالها، وكان لهذا التوسع أول هجوم بيجاوى على الرومان فى سنه ٢٥٠م فى عهد الامبراطور ديبياسى واستمرت المناوشات بين الجانبين حتى توصلا إلى هدنة ، والدخول فى المفاوضات المشتركة بينهم ولكن هذه الهدنة لم تدم طويلا حتى توغلوا فى حدود مصر وتصدى لهم « بولبوس قبر مليانوس » ، ثم عاود البيجة الكرة حتى وصلوا إلى مقربة من سوهاج فى مصر ، غير أن القائد الرومانى «بروسيس»

انتصر عليهم ، حتى طردهم من مصر سنة ٢٩٤م ، ولكن البيجة لم يستسلموا لهذه الهزيمة ، حيث استمرت غاراتهم بين الحين والآخر ، بطابع من الكر والفر وفق الظروف المقتضية لذلك .

البيجة ومملكة أكسوم :

كانت العلاقة بين مملكة اكسوم والبيجة متنافرة ومتعادية ، بحكم الجوار ورغبة كلاً منهما فى السيطرة على الآخر . فلم تسلم مملكة أكسوم من هجمات ونزاعات مع ممالك البيجة . كما أن البيجة لم تسلم من هجمات الأحباش ، فكانت العلاقة تتسم بالصراعات والحروب المستمرة بين الجانبين ، ففى عام ٣٥٩م هجم الملك عيزانا ملك أكسوم على قبائل ممالك البيجة ، وتقدمت جيوشة من الجنوب فى محاولة ناجحه ، لتحطيم مملكتى البيجة والنوبة وعاصمتها مروى القديمة التى كانت تدين بالوثنـية فى تلك الفترة .

وتمكن عيزانا ملك أكسوم من هزيمة النوبة ، والانتصار عليهم نصراً حاسماً مكنه من تحطيم بلادهم ولم يبق غير البيجة ، ليواجهوا خطر الغزو من الجنوب ، وخطر الرومان من الشمال واستمر هذا التهديد للبيجة حتى بلغ أقصاه فى عام ٣٩٠م . وهكذا عاشت هذه الممالك فى صراع دموى مع جيرانها من الجنوب والشمال فى عصور دامت قرون . حتى جاء الفتح الإسلامى حيث اعتنق البيجاويون الإسلام ، وكانت إماراتهم تتبع الخلافة الإسلامية فى مصر ، حتى استولى السلطان سليم العثمانى سنة ٩٢٠هـ ، فسلخ مملكة البيجة عن مصر ، والحقها بإمارة الحجاز ، كما كانت إمارة مصوع تابعة للحجاز ، وبقيت مملكة النوبة تابعة لمصر .

ممالك البيجة فى إريتريا :

ويتحدث المؤرخون فى القرن الثامن من الميلاد عن غزوات البيجة فى وادى بركة ، وسفوح هضبة إريتريا حيث خضعت أجزاء من أقاليم حماسين والسهول الساحلية لسيطرة البيجة ، فى الوقت الذى وصلت فيه مملكة أكسوم إلى أقصى درجة من الانحطاط والتدهور والإنكماش . وقد وجدت قبور للبيجة فى قلب الهضبة الإريترية ، مما يدل على التوغل العميق فى هذه المناطق ، وتم الاستيطان فيها من هذه القبائل . وتمكن البيجة من احتلال شواطئ البحر الأحمر ، واستقروا فى مصوع حوالى سنة ٧٥٠م . كما تؤكد المصادر التاريخية ، أنهم كانوا يستخرجون الذهب من مواقع مجاورة لمصوع ، ويذكر هنا المؤرخ العربى «المسعودى « قوله : « لم تضعف سيطرة البيجة على المرتفعات الإريترية ، إلا بعد نزوح قبائل أجوية من « لاستا » قلب الهضبة الإثيوبية وانتقال المملكة من أسرة « زاغواى » الأجوية فى الحبشة إلى أسرة السليمانية فى عام ١٢٧٠م ، حيث تمكنت قبائل البلين من فرض هيمنتها على الأجزاء التى كانت تخضع لقبائل البيجة فى المرتفعات الأريترية » انتهى .

ويشير المؤرخون أن أرض بيجة كانت تقسم إلى خمسة ممالك قبل نحو ١٠٠٠سنة، ولكل منها حدودها وسلطانها . ثلاثه من هذه الممالك كانت تدخل ضمن الحدود الإريتريه الحالية ، والأثنان داخل الحدود السودانية.والثلاثة الممالك التى كانت تقع فى حدود إريتريا:

١- مملكة بقلين ، وتقع بين خوربركه وساحل البحر الأحمر .

٢- مملكة حارين ، وتقع على الساحل الجنوبى حتى جبل رورا « بقلة » قرب نقفه عاصمة إقليم الساحل الحالى .

٣- مملكة قطاع ، وتبدأ من نقفة حتى مصوع فى إقليم سمهر .

وأما الملكتان الباقيتان هما مملكة ناقص وبازين فكانتا خلف أسوان جنوباً حتى مشارف الحدود الإريترية .

ويشير اليعقوبى إلى أن أكبر مدن البيجة كانت تسمى « هجر » ، وقال المقريزى إن « هجر » كان يسكنها رئيس البيجة وهى تقع فى أقصى جزيرة بيجة . ونستنتج مما رجحه الباحثون ، أن هجر كانت تقوم على موقع مدينة أم حجر الإريترية على نهر ستيت فى وادى الجاش ، وقد أثار المؤرخ العربى فضل الله العربي ، فى كتابه «مالك الأبصار فى ممالك الأمصار » .

والبعض الآخر يشير انها فى اقليم الساحل حيث توجد هناك هجرفى القرن الرابع عشر سنة ١٣٤٩م عن بعض الأقاليم الإريترية مثل بادع « مصوع » ودهلك ووادى بركه وبعض المرتفعات الإريترية فى الهضبة ، ذاكراً وعورة جبالها وغاباتها الكثيفة، وشجاعة الفرسان فيها ومروءتهم ، والحياة المعيشية للمواطنين كما أن البيجة خاضت حروباً طويله -كما أوضحت فى دراستى هذه- وكانت الأرض الإريترية ذات التضاريس المتنوعة وجبال البحر الأحمر فى شرق السودان ، تشكل جميعها العمق الاستراتيجى للبيجة منذ العصور القديمه ونشأتها، مما مكنها من مواصلة حروب هجومية ودفاعية أذهلت الجيوش الغازية فى العصور القديمة والحديثة، عند فرض سيطرتها على البحر الأحمر للتحكم فى اقتصادياته وتوجيه حركة التجارة فيه . ومن خلال سردنا لتاريخ البيجة الموجز ، أصبحت للبيجة علاقة واسعة مع جيرانها، سواء فى إطار الحرب أو السلم من الدول المعاصره لها فى تلك الفترة ، ومن أهم هذه الدول الفراعنه والرومان والحبشة .

الفتح الإسلامى والبيجة :

وبالرغم من دخول الإسلام إلى الأراضى الإريترية وازدياد اتباعه -خاصة فى الجزء الذى تسيطر عليه البيجة ، ويقع تحت سيطرتها فى الشمال الشرقى والشاطئ الغربى للبحر الأحمر- إلا أن البيجة لم تنتهى مقاومتها لسلطة الخلافة الإسلامية ، فى عهود مختلفة ، الأمويين والعباسيين والفاطميين حتى الأتراك بل ظلت قائمة خلال القرون الثلاثة الأولى . حتى مملكة أكسوم لم تسلم من حروبهم وكانت السبب فى تدميرها . لقد تحدثنا فى العلاقات الغير ودية التى كانت بين مملكة أكسوم والبيجة فى تلك الفترة المعاصره، بسبب العداء المستمر الذى كان بينهما ، والغارات المتكررة بين الطرفين ، فكانت العلاقة دوماً فى حالة حرب مستمرة ، ولذلك لم تسلم أكسوم من هجماتها؛ لأنها كانت تشكل تهديداً لمؤخرتها من جهة الشرق ، عندما كانت تقوم بالهجمات لصد العدوان من الشمال والبحر الأحمر والجنوب ، ففى حوالى القرن الثامن الميلادى قامت البيجة بزحفها الكاسح على مملكة أكسوم ، وأزالتها من الوجود بعد أن دمرت مدنها، وأجبرت شعبها فى عمق الهضبة الاثيوبية على النزوح نحو الجنوب حيث نشأت مملكة الحبشة أى إثيوبيا الجديدة لتعيش فى وسط سياج من العزلة الطويلة ، حتى ظهرت عوامل جديدة على المسرح الدولى من العصور الوسطى والحديثة ، ساعدت على جعل الحبشة قوة استعمارية توسعيه ، على حساب هذه الشعوب المغلوبة على أمرها بالحرب والقتل والتدمير ، حيث نشأت مكانها إثيوبيا الجديدة ، والتى عانى منها شعبنا، من خلال هذه العقلية التوسعية التى كانت تسيطر على أباطرة إثيوبيا منذ تلك الفترة ثلاثون عاماً من النضال خاضها شعبنا من أجل إثبات كينونته وشخصيته المميزة منذ فجر التاريخ حتى تم له الإنتصار وإعلان دولته المستقله .

الفصل السابع

إمارة بلو :

قبل أن نتطرق إلى هذه الإمارة، والتى كان لها أثر كبير فى حياة المجتمع الإريترى وتكوينه ، أحب أن أشير هنا -ومن خلال بحثنا لهذه الجماعات ونحن نتناول أصولها ونشأتها- إلى أننا لم نجد فى كتب التاريخ إلا القليل من المؤرخين الذين ذكروا تاريخ قدومها إلى هذه المنطقة ، وجذورها التاريخية من أين جاءت وكيف استقرت فى إريتريا شرقها وغربها وهضبتها ، وتدعم هذه الآراء روايات الأبناء والأحفاد لهذه القبيلة ومن عاصر حكمهم من الشعب الإريترى . ومن خلال بحثى لم أستطع التوصل إلى تاريخ منفصل لها عن تاريخ البيجة ، وقد تركت بصماتها واضحة من خلال أمرائها الذين حكموا هذه المنطقة التى كانت تقع فى حدود ممالك البيجة ، حتى استقربها المقام -فى حقبة متأخرة من الزمن- فى مصوع وإقليم سمهر عبر عصور مختلفة ، خاضتها البيجة فى حروب مع جيرانها كما أسلفنا ، حيث تجمعت هذه القبيلة بعد أن انصهرت مع السكان المحليين فى تلك المنطقة ، وأنشأت إمارة لها فى إقليم سمهر، وحكمت قرون طويلة حتى الاحتلال العثمانى لمصوع وإقليم سمهر وبقيت باستقلاليتها الذاتية مع التبعية الإسمية للأتراك .

من هم البلو ومن أين جاءوا :

لقد تناولنا فى حديثنا السابق عن البيجة ، من أنهم قوم نزلوا بين بحر القلزم – البحر الأحمر – ونيل مصر ، وأصبحت لهم بطون وأفخاذ فى هذه المنطقة الشاسعة، وأوضحنا أيضاً مناطق البيجة ، حيث ظلت مجالاً حيوياً لإستمرار الهجرات العربية فى مختلف العصور . وتعتبر « بلى » أو قبيلة « بلو » من أقدم

القبائل العربية التى هاجرت بعد شاسو وثمود من بلاد الرافدين ، حيث استقرت فى الشام وصعيد مصر وكانت هجرتها الأولى قبل ظهور الإسلام بقليل وهم بطن من بطون قضاعه وبالرغم من أن الروايات المحلية تنسبهم إلى العباسيين ، إلا أن ما ثبت فى كتب التاريخ أنهم ينتمون إلى القبيلة العربية المذكورة ؛ لأن الرأى الثانى لم نجد له أى دلالة فى التاريخ . وتشير كتب التاريخ بتقسيم العرب إلى قسمين كبيرين .

القسم الأول : العرب البائدة وهم الذين إنقطعت أخبارهم ، ولا تعرف عنهم شيئًا إلا القليل ، وما ورد ذكرهم فى الكتب السماوية والشعر العربى القديم ، ومن أشهر قبائلهم عاد وثمود وجرهم .

أما **القسم الثانى** : فهم العرب الباقية وينتمون إلى القحطانين وهم عرب الجنوب والعدنانيين وهم عرب الشمال، وهؤلاء جميعا انتشروا فى البلدان العربية ما بين المحيط والخليج والبحر الأحمر .

أصل البلو أو « البلى » :

هم أولاد عمرو بن الحاف بن قضاعة من بنى حميد وكان للقضاعه ملك فى بلاد شحر فى اليمن ، وينتسب اليهم البلو وهم أول من نزحوا من معد إلى اليمن قبل هجرتهم الأولى من بلاد الرافدين إثر حروب حدثت بينهم وبين ربيعه ، فنزلوا مأرب ، ثم رحلوا إلى الشاطئ العربى للبحر الأحمر ، وانتشروا هم وقبيلة جرهم ما بين صعيد مصر ، وبدءوا يتزاوجون مع البيجة فكثر عددهم . وتشير كتب التاريخ عن هذه القبيلة –« بلى » ويقال لها بالبيجة « بلويب » وبالتجرى « بلو » – كانت لها السياده على البيجة لفترة طويلة ، وتقول بعض المصادر أن قبيلة « بلو » هى التى تولت قيادة الزحف البيجاوى نحو هضبة إثيوبيا وإريتريا فى القرن الثامن

الميلادى، وبقى بعض من أحفادها إلى الآن فى هذه المنطقـــة .

ويقول جورجى زيدان: «إن قبيلة بلى « أى بلو » وجهينة هم القسم الغربى من بطون قضاعة وقد إجتازوا البحر الأحمر ، وسكن كثير منهم ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ولما زال ملكهم بين القبائل كالبشاريين والهدندوه وبنى عامر ، أنشاءوا مملكة خاصة بهم فى مصوع سنة ٩٦٥هـ ١٥٧٥م ولا تزال سلطة قبائلهم بأيديهم .

ويقول الشكيب أرسلان ولاتزال بقايا هذا العنصر « بلى أو حضارب » المتمين بعظمته وتقاليده وعاداته ، محل احترام كل القبائل البيجاوية ، ويكفيهم فخراً أن كل شىء عربى ينسب إليهم » .

ويقول الإستاذ محمد صالح ضرار فى كتابه « تاريخ السودان والبحر الأحمر إقليم البيجة» : «ان قبائل البلو أول من نقل اللغة العربية إلى إفريقيا ، حتى إذا ضاعت عروبتهم اللغوية بمرور الزمن ، اتخذوا البيجاوية لساناً لهم » .

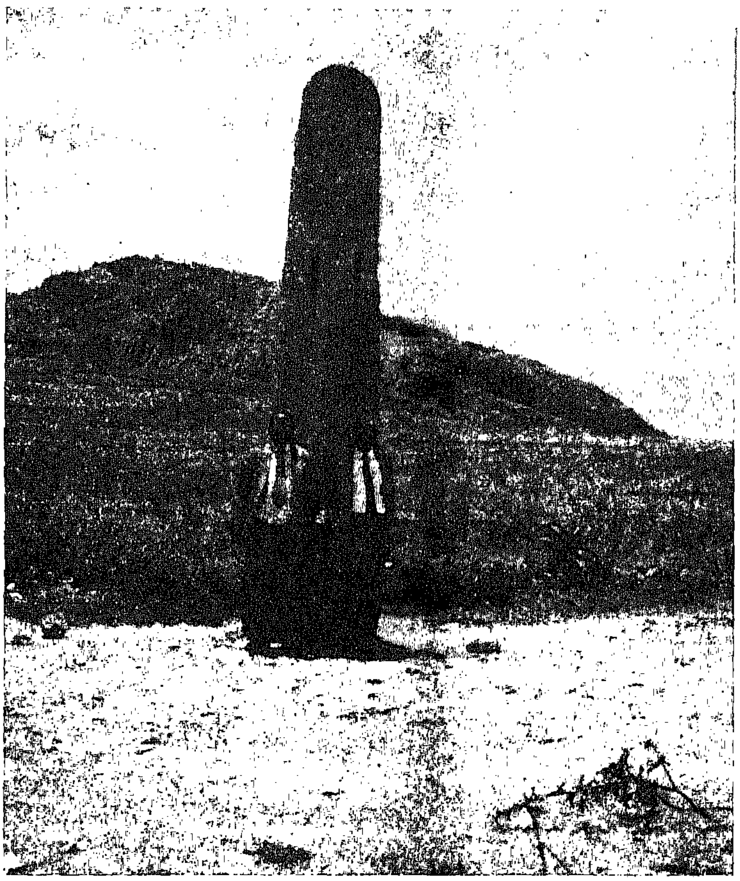
ويقول شقير بك فى تاريخه : إذا أردت أن تسأل البيجاوى عن معرفته بالعربية، فيجب أن تنسبها إلى « بلى » أى «بلو» فتقول له « بلويت » تكتينا « بمعنى هل تعرف لغة «البلى « ؟ أى اللغة العربية . ومن هنا يتضح لنا أن قبائل «بلو» جاوروا قبائل البيجة ، وفى البداية لم يختلطوا بها حيث كانوا يحتفظون باللغة الأم اللغة العربية ، فأطلقت البيجة كلمة « بلوى » على اللسان الذى تتكلم به بلو ، أى اللغة العربية ، وهى مالم تكن مفهوهة عندهم من قبل ، فنسبوها لأول قوم ممن تكلمها فى ديارهم .

وتشير بعض المراجع عن قبيلة بلو ، أنه اشتهر فى العصور الوسطى عدد من أمرائهم وملوكهم ؛ منهم بشير بن مروان بن إسحق وهو من قبيلة «بلو » وأمه من

ربيعة، كما بسط أمراء هذا البيت نفوذهم على ممالك البيجة فى إريتريا وجنوب مصر . وحتى فى عهد الخديوية المصرية وقبلها الحكم التركى ، كانوا يقلدونهم المناصب ، وأطلقوا عليهم اسم النواب فى إقليم سمهر ، وعرفوا بهذا الاسم ، وكانو من أمراء « بلو » . كما أن البلو كانوا عنصراً عربياً يترفع سواه من الأمم الإفريقية ، واعتبروه سيداً عليهم؛ اذ وجدوا معه اخلاقاً عالية ، وادعى السيادة على أمة البيجة بما جلبه معه من الفضائل الحميدة، كما أطلق كلمة سيد من بلى « بلوين » وتعريبها رئيسنا أو سيدنا أو بلويب وبالبنى عامر « بلغة تجرى » بلوايـي »، وكلها تؤدى معنى السيادة والزعامة . وكان البلويون يأنفون فى بداية عهدهم مصاهرة البيجاويين أو مخالطتهم ، حتى اضطرتهم الظروف الاجتماعية والسياسية إلى أن يتزوجوا بنات رؤساء البيجة ، ونشأ أبناءهم واحفادهم يتلون لغة أمهاتهم ، حتى ضاعت عروبتهم اللغوية ، واتخذوا البيجاوية لساناً لهـم .

ويقول ابن خلدون : « إنهم اجتازوا إلى الحدود الغربية من البحر الأحمر ، وانتشروا ما بين صعيد مصر وبلاد الحبشة ، وحكموا هناك سائر الأمم ، وقلبوا على بلاد النوبة وفرقوا كلمتهم ، وأزالوا ملكهم ، وحاربوا الحبشة ، وضايقوا المصريين .

لقد فرضت قبائل بلو زعامتها على سائر فروع البيجة ومنها الزنافج حيث كانت من أشجع وأشرس بطون البيجة وكانت القوة الضاربه فى الحروب التى خاضتها تحت زعامة البلو .



مسلة آثار بلو بمدينة صنعفى

وذكر سليم الأسوانى ، أن الزنافج كانوا ينتشرون حتى بادع « مصوع » وجزر دهلك وتتنسب بعض الأسر والبيوتات إلى « البلو » فى معظم الأقاليم الإريترية ، وفى بعض أقسام الهضبة ، وفى الحبشة وخاصة فى تجراى . وتلك المجموعات البلوية كانت تعرف باسم بلو وكلو وتلو ومازالت آثار مدينة بلو فى الهضبة على بعد كيلو من مدينة صنعفى خير شاهد على ذلك . يرجع ذلك للصلات القديمة للبلويين فى الهضبة ، بعد تصاهرهم مع البيجة . التى سبق أن زحفت إلى الهضبة واستوطنتها حتى الآن ، وبعد انتشار الإسلام فى عموم إريتريا . اعتنقت

معظم قبائل البيجة الإسلام فى الفترة التى صاحبت انتشارهم فى أجزاء إريتريا، إلا أن بعض السكان من قبائل بلو الذين سبق أن اعتنقوا المسيحية قبل الإسلام مازلوا على دينهم المسيحى الأرثوذكسى ، وخاصة فى أجزاء من حماسين واكلى غوزاى وما زالت هذه الأسر تتفاخر بانتمائها لقبيلة بلو .

وهكذا نستطيع القول من خلال تتبعنا لهذه الدراسة أن قبائل بلو فى إريتريا تركوا أثراً بالغ الأهمية فى مختلف العصور ، وخاصة فى الشعوب البيجاوية التى انصهروا فيها . وتركوا عظيم الأثر فى الحياة الإجتماعية والسياسية فى عموم إريتريا ، واشتهر البلويين بالشجاعه والعزم ، حتى هابهم كل من حولهم من الأمم وخاصة الحضارب ، فهم شوكة القوم ووجهائهم فى المنطقة .

الفصـــل الثامـــن

مملكـــة الدجـــن

وهى من أهم الممالك التى كان لها تأثير فى أيام حكم ممالك البيجة فى المنطقة، وبالطبع لها انعكاساتها وتأثيرها على إريتريا وخاصة الجزء الغربى منها، ومن هنا جاء اهتمامنا بها حيث تعد امتداداً طبيعياً لسلطات البلو ، حيث كانوا يتولون إدارتها حتى إنهيار هذه المملكة على يد " الفنج " . ولكن بقيت قبائل بلو فى كل أنحاء إريتريا بعد انهيار هذه المملكة ، واستوطنت غالبيتهم فى سمهر ، محتفظين بسلطانهم وكينونتهم فى هذا البلد ، ولذلك سنتناولها باختصار شديد .

التسمية والموقع الجغرافى لهذه المملكة :

ورد هذا الإسم فى التسمية فى صورة " الدخن" أى الدكن وذلك فى نقوش عيزانا ملك أكسوم " ، فى منتصف القرن الرابع الميلادى -قبل اعتناقه المسيحية ، وتقول هذه النقوش " إن الملك عيزانا قد أرسل فى محاربة "سارة " ملكة " آفانا " حيث أرسل ثلاثة جيوش منها جيش " الدكن " ، وذلك لتأديب ملك آفانا ، لاعتدائه على قافلة تجارية وقتل رجالها وسلب بضائعهم " واستنتاجا من هذه النقوش الأكسومى أن تكون دكن مملكة مجاورة لأكسوم فى إحدى مقاطعات إريتريا ، تحالفت مع ملك أكسوم ضد عدو مشترك.

عرف المكان الذى يشمل الإقليم الغربى وبعض الأقسام الشمالية من إريتريا إلى جانب بعض الأجزاء الشرقية من السودان ، باسم حوض الدجن أو الدكن " الدخن ". وكان وادى الجاش "وبركة" مركزاً للحياة المزدهرة فى حوض الدجن فى ذلك الزمان ، وكانوا يزرعون الدخن ، ومن غير المستبعد أن يكون الدجن أخذت اسمها من إسم الدخن وهو نبات يزرع فى المنخفضات الإريترية .

وقد أقامت فى منطقة حوض الجاش مدنا وعمرانا ، وقد عرف فى قديم الزمان نهر الجاش عند منبعه فى الهضبة أكسوم باسم مرب " مأرب " ، ولا يزال يطلق عليه نفس الاسم للدلالة على تخليد الهجرات العربية الأولى التى وفدت إليه من وادى مأرب الشهير ، وبقيت فى مناطق جنوب شبه الجزيرة العربية منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة ، فالقسم المشتق منه قد عرف باسم الدجن أو الدكن ، ثم عرف فيما بعد باسم الجاش ولا يزال يطلق عليه هذا الاسم حتى يومنا هذا ٠

وتؤكد المصادر التاريخية أن حوض الدجن شهد هجرات كثيرة فى مختلف العصور ولذلك تعرض أحيانا لهجرات معاكسة إلى خارج نحو الغرب على أثر النزاعات المحلية ٠ وكان حوض الدجن بالنظر لخصوبة أرضه منّ الزراعة والمراعى، وتوفر المعادن النفيسة فيه ، وتحكم موقعه فى حركة التجارة ، قد أصبح يجتذب جماعات عديدة . وبالرغم من الخلافات والصراعات المحلية المحدودة بين تلك الجماعات ، إلا أن الطابع العام المميز لها كانت تعيش جنباً إلى جنب طوال تاريخها القديم والحديث . وأهم المجموعات الأساسية التى تعيش فى حوض الدجن الجاش بركة مجموعة البيجة – البازا والباريا " ومجموعات كثيرة من أهالى "القدين" و"سبدرات" وهم تجمعات زراعية مستقرة . وبعض هذه التجمعات تعود أصولها إلى شعوب نيلية ، والبعض الآخر يعتبر نتاج التزاوجات التى حدثت بين النوبيين والبيجة والقبائل العربية التى وفدت فى العصور الوسطى والحديثة ٠

وسكانها عموماً عرفوا بالفروسية ، ويقومون بتربية الخيول العربية الأصيلة ، وتعتبر منطقتهم مركزاً للتعليم ونشر العلوم العربية والإسلامية وخاصة أهالى السبدرات .

وكانت المنطقة التى يسيطرون عليها تبدأ من جنوب مدخل نهر ستيت ، مشتملة على جانباً كبيراً من إريتريا الغربية والشرقية . وفى القرون الوسطى كانت مملكة الدجن قد توسعت حتى امتد نفوذها إلى إقليم " ولقايت " فى شمال الحبشة وكانت قبيلة البلو أبرز الجماعات التى كانت تتزعم الحكم فى تلك المنطقة حيث كان

نفوذها يشمل الإقليم الشرقى للسودان حتى ميناء عيذاب شمال سواكن . واتفقت الروايات المتداولة فى نهاية القرون الوسطى أن مملكة " مزجة " كانت إمتداداً لممالك البيجة القديمة على حوض الدجن ، وكان نفوذها قد إمتد فى وادى الجاش وأروما فى شرق السودان . وكان لمملكة مزجه صلات مع مملكة "علوة" النوبية على النيل الأزرق . ومن أشهر ملوك "مزجه" السلطان مكثر" والملكة معبوة سنة ١٦٠٩م، " والأميرة فاطمة" المشهورة باسم نجاشية الروم . وقد خاضت حروباً مضنية ضد الأحباش ، حتى تعرضت للأسر سنة ١٦١٩ ميلادية من قبل ملوك الحبشة فى إحدى معاركها .

ومن المعروف فى ذلك الزمان أن ملوك الحبشة قد أشعلوا نار الحرب على جيرانهم، وقاموا بغزوات واسعة النطاق عليهم ، وذلك عند استيلاء الأسرة السلمانية على عرش الحبشة عقب انتزاع العرش من أسرة زغواى الأجوية وتشريدها . وكانت الأسر الأجوية ذات صلات طيبة مع جيرانها .

وتعرض حوض الدجن الذى كانت تسيطر عليه قبائل عربية بيجاوية مختلطة بزعامة البلو لهجوم من الأسرة السلمانية بزعامة الملك يكونو أملاك . وكان من نتيجة ذلك دخول جماعات كبيرة العدد من حوض الدجن فى غرب إريتريا إلى حوض النيل الأزرق ثم انتشرت هذه الجماعات فى أماكن أخرى .

الفصل التاسع

مملكة الفونج " أو" السلطنة الزرقاء "

من هم الفونج ؟ هم جماعة سود الجلد يتحدثون اللغة العربية ويرجع نسبهم إلى الأمويين الذين نزحوا إلى السودان ؛ ونتيجة للمصاهرة والاختلاط مع السكان الأصليين اسودت بشرتهم ، ثم اتحدوا مع عرب القواسمة المهاجرين من الجزيرة العربية ، وتم على يدهم تأسيس مملكة الفونج ٠

كما تمكنت القبائل العربية النازحة إلى السودان من إقامة حلف مع ملك الفونج "عمارة دنقس " للإطاحة بحكم مملكة سوبا الوثنية ، وإقامة سلطنتهم ، وامتدت سلطة "السلطنة الزرقاء" إلى "سواكن" أيام "عمارة دنقس" وهو المؤسس لهذه المملكة ، والتى كان يطلق عليها سلطنة سنـار ٠

الموطن الأصلى للسلطنة :

يقال أن الموطن الأصلى لأسرة الفونج يقع فى وادى شمايل فى عمان جنوب شرق الجزيرة العربية ، وقد هاجروا منها إلى ساحل إفريقيا الشرقية فى القرن الثامن الميلادى على إثر سقوط الخلافة الأموية وقيام الصراعات السياسية التى حدثت فى تلك المنطقة ٠ ومنذ حوالى القرن الثالث عشر الميلادى استقرت فى الساحل الشرقى الإريترى ، وظلت فترة زمنية فيه، ولا تزال آثارها موجودة كالمقابر العنقودية التى وجدت فى الساحل الجنوبى من شمال دنكاليا ثم انتقلت إلى وادى عنسبه وصاهرت الأسرة الحاكمة فى إمارة وادى عنسبه ، وكان نفوذ هذه الإمارة يمتد إلى بعض أجزاء حوض الدجن فى تلك الفترة وبمرور الزمن أخذت تتوسع داخل إريتريا من خلال المصاهرة مع العشائر الإريترية، مما مكنها من توسيع قاعدتها البشرية خاصة الحاكمة منها وأول مملكة لها ظهرت فى الجنوب

الغربى على ضفاف نهر ستيت ، وأقامت عاصمتها عند موقع مدينة " أم حجر " الإريترية باسم " لامول " والتى عرفت محليا باسم "مللم" ونجد آثار قبورهم منتشرة فى شرق إريتريا وظل مركز الفونج السياسى لفترة طويلة داخل الحدود الإريترية فى لامول . وكانت تخضع مشيخات بنى عامر والحباب لسلطنة الفونج ، ولكن من الناحية الاسمية . وكان سلطان "سنار" يكرس شيوخ القبائل وزعماء الأقاليم فى سلطانهم ، بأن يلبس الشيخ طاقيةً ذات قرنـــين مصنوعــة من الجلد ومحشوة بالقطن وتسمى " أم القرينة " ونحاسا يسمى " النقاره " رمزا لسلطة " دقلل " سلطان بنى عامر فى إريتريا حتى عهد الاحتلال البريطاني ، وكانت شعارا لسلطنة سنار . وخضعت بداوى إقليم البيجة للسلطنة الزرقاء ، وامتد نفوذها حتى مصوع ، إلا أن قبيلة الهدندوه رفضت الانصياع إلى نفوذ السلطنة .

وقد زار دقلل DIGLAL همد بن موسى ، ومعه شيخ سواحل بنى عامر الشيخ جمع بن عجيل بن على محمد ضرار ، وشيخ مشايخ جبال بنى عامر الشيخ محمد بن إدريس هاسرى ، إلى سنار لتقديم الطاعة والتعهد بتحصيل الزكاة من القبائل التى تقع تحت سلطتهم . وكانت هذه الزكاة تسلم سنويا لمندوب ملك سنار ، كما كان النائب فى مصوع والكنتيباى فى الساحل الشمالى صلات وطيدة مع السلطنة الزرقاء فى سنار، وكان نظام حكمهم اللامركزية المطلقة . وكان طابع حكمهم فى الديار المختلفة . حيث كانوا لا يتدخلون فى شئون الأقاليم التى دخلت لنفوذهم وكانوا يكتفون بإقامة علاقات وتنشيط التجارة وتأمين طرق نقل تجارتهم عبر تلك الأقاليم .

وقد ظل دقلل بنى عامر فى الإقليم الغربى من إريتريا محتفظا بالنقارة أم القرنين، حتى بعد زوال دولة الفونج أبَّان تدمير الفونج إمارة بلو البيجاوية. ويبدو أن الفونج لم يتمكنوا من إخضاع مملكة الدجن التى كانت بزعامة البلو – كما ذكرنا سابقا– إلا بعد حروب طويلة شهدتها المنطقة من حوض الدجن . ويرجع المؤرخون أن خضوع مشايخ بنى عامر والحباب للسلطنة لم يكن إلا فى وقت متأخر

من الزمان، والروايات المحلية المتداولة في زوال حكم قبيلة بلو ونهاية البيجة في يد الفنج ٠

والقصة فحواها، أن فارساً من بيت الفونج قُتل بأيدى إحد سلاطين البلو فى بلاد الدجن فى حوض بركة ، لكن هذا الرجل خلَّف طفلا من أم بلوية ، وكان الأطفال يعيرونه بسببه "ود رأس مد" إشارة إلى أن البلو بعد أن قتلوا والده جعلوا من جمجمة رأسه "مدا" أى " كيلا " للطعام وما أن بلغ الولد سن الرشد ، بعد إلحاح وإصرار لمعرفة الحقيقة من أمه حتى أخبرته أمه بقصة مقتل والده وأعطته سيف والده مع قائمة بنسب القبيلة التى ينتمى إليها والموجودة فى سنار ٠

فاستعان الولد بقومه من بنى الفونج بعد أن استنجد بهم فسيَّروا معه جيشا قضى على سلطنة البلو، وأزال ملكهم وشتت شملهم ، وعُيِّن هذا الفتى حاكما من قبَلِ الفونج لمناطق خور بركة ، وظلت ذريته تعرف بعشيرة " النابتاب " أى " النتاب " – وأحد زعمائها الدقلل – التى كانت تحكم قبائل بنى عامر ومن جاورها من المدن على مدى القرون الثلاثة الأخيرة ، ويعرف بالناظر" ٠ وهذه الرواية المتداولة . بغض النظر عن صحتها أو عدم صحتها – تشير إلى أن البلو وإمارتهم فى حوض الدجن لم تفقد سلطانها إلا بعد صراع مسلح مع سلطنة الفونج مهما كان السبب والمسببات ٠

الفصل العاشر

إمارات الهضبة الجنوبية فى إريتريا

هذه الإمارات تقع فى ثلاثة أقاليم فى الهضبة الإريترية ، وهى إقليم حماسين وسراى وأكلى غوزاى ، وهى غنية بالآثار والنقوش التى مرت فى هذه الأقاليم وتبين الأطوار المتعددة من الحياة السياسية والثقافية والحضارية التى برزت فيها منذ هجرة السبأيين والحميريين من جنوب الجزيرة العربية منذ البدايات الأولى من تاريخ هذه المنطقة قبل الميلاد وبعده فكان لهؤلاء المهاجرين تأثيرهم المباشر فى هضبة إريتريا ، فأنشأ أولئك المهاجرين من اليمنيين فى هذه المرتفعات، إمارات مزدهرة انفصلت بمرور الزمن عن تبعيتها لممالك جنوب الجزيرة العربية .

وقد حافظت هذه الإمارات الإريترية فى الهضبة على استقلالها، وكان لها نفوذ ثقافى وسياسى فى بادئ عهدها على سكان هضبة تجراى فى مملكة أكسوم المجاورة، حيث بدأ تأسيسها منذ أن قدم النازحون الجدد ، بعد أن أخضعوا السكان الحاميين المحليين لسلطانهم ونفوذهم ، بعد انصهارهم عن طريق التزاوجات ، وبفضل نفوذهم الحضارى التى ساعدت على الامتزاج بين المستوطنين الساميين والسكان الحاميين، وتمكنت هذه السلالة أو "المزجة" خلال القرن الأول الميلادى من تأسيس مملكة أكسوم والتى بلغت زروة قوتها وعظمتها فيما بين القرنين الرابع والسادس ، وخاصة بعد اعتناقها الديانة المسيحية الأرثوذكسية فى القرن الرابع الميلادى ، فانتشر هذا الدين فى المناطق المجاورة ومنها الهضبة الإريترية وذلك فى عهد الملك الأكسومى عيزانا EZANA -كما أوضحنا سابقا فى تناولنا مملكة أكسوم- وبالطبع كان لهذا انعكاساته فى عموم ارتريا والهضبة بصفة خاصة حين كان لها صلاتها الثقافية معها، وكان لوفود هذه

الهجرات من الساميين والسبأيين ثم الحميريين الذين عبروا البحر الأحمر، لاستيطان فى الهضبة الإريترية ثم فى إقليم تجراى ، لتشابه مناخهما مع مرتفعات جنوب شبه الجزيرة العربية التى جاءوا منها • وكما بينا فى الفصل السابق فقد جلبوا معهم معارفهم عن التنظيم السياسى وأساليب الزراعة المتقدمة • كما كانت لهم خبرة بالتجارة ، وصلات بالعالم المتحضر مما ساعدهم فى إقامة إمارات وحضارة ذات مستوى عالى نسبيا من الناحيتين المادية والثقافية ، كما نشروا ثقافتهم وكتاباتهم ولغتهم " الجعزية "، التى اكتسب منها سكان الهضبة لغتهم الحالية التجرينية •

وكانت هذه الأقاليم الإريترية فى الهضبة مسرحا للتنافس السياسى بشأن زعامة الأقاليم الثلاثة ، حيث كان يطلق منذ القرون الوسطى على من يفرض سلطته على هذه الأقاليم اسم " بحرى نجاشى " أى ملك البحر • وقد أطلق حكام الهضبة الإريترية على أنفسهم هذا اللقب للدلالة على أنهم أحق بالسيادة من حكام إثيوبيا التوسعية ، الذين سعوا باستمرار للتسلط على الشواطئ الإريترية • وسوف يأتى ذكر هذا الموضوع بتوسع فى فصل آخر من هذا الباب ، نظراً لأهميته وانعكاساته السلبية فى نضال الشعب الإريترى أرضاً وشعباً . ومن بين الزعامات التى برزت فى تلك الحقبة من الزمان لهذه الأقاليم "كرنشيم" و "حلاى" و "سقنيتى" و "دباروا" ، حيث تأسست فيها إمارات لاتدين لبعضها بالولاء ، لكنها حافظت على استقلالها المحلى ، كما أنها كثيراً ما كانت توحد جهودها للمشاركة فى مقاومة الغزو الخارجى، الذى كان يأتى إليها من الجنوب والشمال •

ومن أبرز الزعامات التى برزت فى أقاليم حماسين وسراى واكلى غوزاى زعامة "سعد زقا" و "هذقا" ، وقد اشتهر من زعمائها فى العصر الحديث "رأس ولدى ميكائيل" الذى كان أحد أبطال المقاومة الوطنية الإريترية ضد اعتداءات امبراطور الحبشة "يوحنا الرابع" ، وخاصة الغزو الحبشى الذى ظل يسعى للوصول إلى البحر الأحمر والسيطرة عليه والتوسع لاخضاع هذه الإمارات تحت

نفوذه . وقد ظهرت فى هذه الأقاليم منذ فترة طويلة أشكالاً متطورة فى أسلوب الحكم ، المتمثل فى نظام المجالس " بايتو " لتنظيم الإدارة ، والفصل فى كافة النزاعات الناجمة داخل الإقليم الواحد أو بين الأقاليم الأخرى، وإقامة تنظيم سياسى ولغة مكتوبة وهى التجرينية والتى اشتقت من اللغة الجئزية.

وكذلك عرفت هذه المنطقة تنظيما اقتصاديا متطورا، إلى حد ما عن بقية أجزاء الوطن فى تلك الفترة ، مثل أعراف تملك الأرض الزراعية ، وهى عادة اكتسبتها الهضبة من أجدادهم الأوائل المهاجرين ، بالإضافة إلى عادات أخرى ، حيث لا توجد اختلافات كبيرة فى حقيقة الأمر بين أعراف سائر الإريتريين فى أقاليم مختلفة من البلاد .

وفى القرن الثالث عشر عند ظهور التوسع الحبشى من قبل الملك " يكونوا أملاك " فى سنة ١٢٧٠ م اضطرت الأقاليم الثلاثة إلى توحيد صفوفها، والإنضواء تحت سلطة واحدة تسمى "بحر نجاشى" كما أطلق على الأقاليم الثلاثة كما بينا سابقا اسم "مدرى بحرى" أى "أرض البحر"، وكانت عاصمة "مدرى بحرى" فى ذلك الوقت هى مدينة "دباروا" وهى الآن مدينة صغيرة تقع على الطريق الجبلى بين أسمرة ومندفرة فى أقليم سراى .

الفصل الحادى عشر

حكام النواب فى إقليم سمهر

وقد ذكر الرحالة "جيمس بروس" الاسكتلندى مكتشف منابع النيل الأزرق حين زار بعض أقاليم إريتريا فى القرن الثامن الميلادى ، أنه وصل إلى "مصوع" فى عام ١٧٦٨م وظل فيها ستة أشهر فى محاولة منه لإقناع النائب "عمر أغا" بالسماح له فى السفر إلى الحبشة ، وفى هذا الصدد أشار إلى أن النائب كان يحكم منطقة "سمهر" و"طروعه" وبعض الأجزاء من "حماسين"، وقد مد النائب نفوذه فى تلك الفترة حتى "سواكن" حيث موطنهم القديم من أيام حكم إمارة "بلو" ، وأصبح النائب أقوى حاكم فى البحر الأحمر وكان حكمه يستند إلى طبقة من العساكر ، يحكمهم " سردار " والى مليشيا يرأسها "كيخيا " أو " كيكيا " ومجلس أعيان يسمى "بايتو" يتألف من ٣٨ شخصا ٠ وذكر بأن النائب لا يأتمر بأمر أحد ، وليس لتركيا وجود فعلى غير حامية صغيرة عدد أفرادها ٣٦ جنديا ، تابعة لمشير مكة ، ولذلك تدفع تركيا للنائب ١٠٥٠ ريالاً فضيا فى الشهر ، لقاء تقديم تسهيلات إلى الحامية والقوافل التجارية ٠

كما أشار "بروس" إلى الصلة التى كانت قائمة بين رأس " ميكائيل سهول " حاكم تجراى وبين النائب ، رغم ما كان بينهم من أسباب الجفاء والتوجس ٠ وذكر أيضًا أن أقاليم اكلى غوزاى وسراى وحماسين كانت تحت حكم بحر نجاش فى " دباروا " . وقال أن نهر بليزا هو الحد الفاصل بين مملكة بحر النجاش ومملكة رأس ميكائيل سهول ٠ هذا والجدير بالذكر أن نهر بليزا لا زال إلي الآن هو الخط الفاصل بين إريتريا وإثيوبيا٠ ومن المعروف أن إثيوبيا بشكلها الحالى ، قد برزت إلى الوجود منذ القرن التاسع عشر على حساب الإمارات والبلدان التى فقدت استقلالها على يد الاقطاعيين الإثيوبيين ٠

وكان أمراء الحرب فى إثيوبيا يرسلون بعثات الاستكشاف إلى داخل إريتريا "مأرب ملاشى" ، من أجل القيام بنهب وسلب الماشية وممتلكات الإريتريين فى الهضبة والسواحل، وبهدف التغلب على الصراعات والنزاعات التى لا تنتهى بين ممالكهم الصغيرة ومشايخهم ، فكانت مهمتهم تأجيج الصراع وخلق الفتن .

الفصل الثانى عشر

دور إمارات الساحل الجنوبى فى إريتريا :

ومن الثابت تاريخياً ، أنه قد نشأت فى هذا السهل الساحلى فى الجنوب الشرقى لإريتريا جنوب مصوع ، عدة إمارات وسلطنات تعاقبت على حكم هذه الأجزاء من إريتريا خلال العصور القديمة والوسطى ، وكان نفوذها التجارى واسع الانتشار مع جاراتها فى المنطقة ، وقد تزعمت شئون الحكم ومهمة الدفاع عن استقلال هذه الأجزاء من إريتريا، ومن بينهم الدناكل والساهو على امتداد ساحل دنكاليا وسهل هذمو ومنحدرات أكلى غوزاى وكان لهذه القبائل دوراً كبيراً فى عزلة حكام إثيوبيا ومنعهم من الوصول إلى البحر الأحمر خلال العصور القديمة والوسطى . وبصفة عامة ظل الساحل الإريترى جنوب مصوع تحت سلطة الدناكل منذ العصور الوسطى . والدناكل أو (العفر) ، هم أحد العناصر الأساسية فى التكوين السكانى للشعب الإريترى ، وقد برزت سلطة الدناكل على هذا الساحل ، وعلى بقية المناطق التى يستوطنون فيها ، منذ العصور القديمة ، ومدوا سلطانهم حتى أطراف الهضبة الإثيوبية ، وأقاموا فى تلك الأزمنة عدة سلطنات ، ومن أشهرها " عد " التى اشتهرت فى العصور الوسطى .

والجدير بالذكر أن العفريين يستوطنون حاليا بالإضافة إلى إقليم دنكاليا الإريترى إقليم سَلْطنة أوسا ، والتي تتمتع الآن بحكم محلى تحت إدارة برئاسة سلطان على مرح فى إطار إثيوبيا بعد أن اضم إلى سلطنته السابقة الدناكل المتواجدين فى اقليم تجراى وأما الآخرون يتواجدون فى جمهورية جيبوتى وهى الدولة الجارة لإريتريا والتى ترتبط معها بحدود مشتركة فى المناطق التى تسكنها قبائل عفر، ونظراً لأهمية الموقع الجغرافى التى يسكنها الدناكل والمطلة على باب المندب ، فقد كانت لهم سيطرة كبيرة على حركة التجارة بالنسبة لأقاليم إثيوبيا

الوسطى والشمالية الشرقية ، فعرف عنهم أنهم كانوا ينقلون إليها كل ما تحتاج إليه من واردات الهند ومصر وفارس من السيوف والنحاس والأقمشة ، بالإضافة إلى الملح الذى يستخرج محليا من بحيرة عسا على المرة وملاحة بردولى وطلطال جنوب مصوع ، يقايضون ذلك بمنتجات إثيوبيا من حبوب وعسل وسمن. وقد واجهت منطقة دنكاليا الإريترية كبقية الأقاليم الإريترية فى القرن التاسع عشر ، سلسلة من المؤامرات الإثيوبية بهدف الحصول على المنفذ البحرى الذى كان يحلم به حكام إثيوبيا من قديم الزمان غير أن هذه المخططات لم تحقق أهدافها أمام بسالة ومقاومة الأهالى فى المنطقة ، هذا الموقف تأكيدا لارتباطهم الوطنى ضمن الأقاليم الأخرى فى إريتريا ، والتى كانت تتعرض من حين لآخر للغزوات الإثيوبية . هذا ولم تتغير علاقة الشعب الإريترى بجيرانه الجنوبيين ، من الصراع التقليدى الذى كان بينهم ، إلى أن وضع الاستعمار الأوربى نهاية للتدخلات الإثيوبية ، ومن جهة أخرى لم يكن الشعب الإريترى يأمن شر الغزاة القادمين من وراء البحار ، بدءً بالأتراك العثمانيين فى القرن السادس عشر ، وانتهاء بالبريطانيين عام ١٩٥٢ ، حيث قاوم تلك القوى الاستعمارية المختلفة بما فيها العصور القديمة والوسطى بضراوة.

إن نضال شعبنا ضد الاستعمار الإثيوبى ، إنما كان يمثل حقبة واحدة فى تاريخ طويل من فرض الاضطهاد ومقاومته ومن قبل ظلت السيطرة الأجنبية محصورة فى الروابط الخارجية ، أما الشئون الداخلية ، فقد حافظ الشعب الإريترى على عدم المساس بها ، وظل أمر تدبيرها متروكا لحكامها المحليين ، ومن هنا نستطيع القول إذا لم تقم فى إريتريا منذ العصور الوسطى (سلطة مركزية) بالمعنى المحدود للكلمة فى نهاية القرن التاسع عشر ، -فإن الثابت تاريخياً ومنذ العصور القديمة- كانت ممالك وإمارات فى إريتريا حافظت على استقلالها الداخلى، وكانت تربطها ببعضها البعض علاقات ومصالح مشتركة وعدو واحد ، ومن تلك الإمارات الهضبة الجنوبية والوسطى ، والإمارات والسَلْطَنات التى نشأت فى

إقليم سمهر وجزيرة دهلك وهزمو ودنكاليا وممالك البيجة فى شمال غرب وشمال شرق إريتريا وكل هذه الممالك والإمارات كانت تتمتع باستقلالها الداخلى، ولم تكن خاضعة للسيطرة الحبشية ، خلافاً للمزاعم والإدعاءات التى كان يرددها أباطرة إثيوبيا ، وهى ادعاءات باطلة ومزيفة لا يسندها أى مصدر تاريخى ، ولذلك نعتبر الموضوعات التاريخية التى سبق أن بحثناها فى كثير من المواضع والتى سنوضحها فى دراستنا هذه فى الفصول القادمة رداً كافيا على الأكاذيب الإثيوبية وتبدد كافة أوهامهاعلى الرغم من نمو إثيوبيا وتطورها السياسى ، ومجاورة إريتريا لها ، فقد ظلت إريتريا مستقلة عنها طوال تاريخها السابق كما هو واضح فى دراستنا للتاريخ القديم والأوسط والحديث لإريتريا ، ولم تتمكن إثيوبيا من فرض سيطرتها على إقليم إريتريا مجملاً رغم محاولاتها المتكررة التى كانت تبوء دائماً بالفشل ، عقب كل هزيمة تلحقها بها المقاومة الوطنية للشعب الإريترى بمختلف طوائفه المسلمين والمسيحيين ۰ ولكن هذا لا ينفى حدوث فترات عابرة تعرضت فيها بعض أقاليم إريتريا المجاورة لإثيوبيا لغزوات لاخضاعها تحت نفوذها وذلك فى حالة الضعف التي تعرضت لها الأقاليم الإريترية مستغلة الصراعات الداخلية ، والتى كانت تهدأ بسبب هذه الغزوات الإثيوبية لمواجهة الخطر الخارجى جميعا متضامنين أما الأخطار الخارجية التى كانت تتعرض لها الأقاليم فى تلك الحقبة من الزمن للشعب الإريترى ، التى تثبت للمتطلع من خلال هذه الدراسة إلى أن إريتريا لم ترتبط بإثيوبيا إلا في النصف الأخير من القرن العشرين ، فى فترة حق تقرير المصير، ونتيجة لتكالب الاستعمار ومد نفوذه بشكل أو بآخر حيث الحقت إريتريا بإثيوبيا فى اطار الاتحاد الفدرالى ، والذى قوبل من جانب الشعب الإريترى بالرفض والتحفظ ، لأنه صدر دون رغبته وإرادته فى تلك الفترة ۰ ومن هنا ، كان ارتباط إريتريا بإثيوبيا، وهى الفترة التى عاصرناها وقاومها شعبنا جميعا ، للحصول على استقلاله وشخصيته المميزة ، وأعلن ثورته المسلحة إيماناً منه بأن ما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة ، وخاصة بعد أن استنفد كافة الوسائل السلمية لمقاومة الاستعمار الإثيوبى ، وهكذا انتصرت إرادة الشعب الإريترى فى القرن

العشرين ، حيث شهد استقلال إريتريا وإعلان الدولة الإريترية المستقلة . وبالرغم من كل ذلك تظل إثيوبيا التوسعية الجارة ، هى نفس إثيوبيا الجارة الصديقة اليوم.

ونستخلص من هذه الدراسة التى تناولناها فى هذا الفصل بالذات ، أن الشعب الإريترى فى مجمله يرتبط فى تاريخه المشترك المكون للكيان الواحد فى كافة مرافق الحياة سياسية كانت أو اقتصادية أو اجتماعية ، كما أنه لا ينفصل تاريخه الطويل عند تاريخ الشعوب المجاورة وأهمها الجزيرة العربية وشعوب شرق وشمال إفريقيا ، والقرن الإفريقى ومصر والسودان وإثيوبيا والصومال ، كل هذه الشعوب كان لها تاريخ مشترك وروابط ومصالح مشتركة عبر العصور القديمة ، ولا زالت هذه المصالح ، وإن تعددت أبعادها ، تظل موجودة فى العصر الحديث .

الباب الثالث

جذور الثقافة العربية فى إريتريا عموما والهضبة بصفة خاصة قبل وبعد دخول المسيحية والإسلام فى إريتريا عبر العصور المختلفة

مقدمـــــة :

لاشك إن الهجرات العربية إلى ساحل إريتريا كانت مستمرة ، فقد وجدوا فى هذا الساحل ملجأ يفرون إليه ، ومنفذاً يعبرون به فى ظروف مختلفة مرت بها بلادهم منذ القدم ويذكر المؤرخون أن الهجرة العربية إلى إريتريا حدثت قبل المسيـح ، ويعتقد أن هجرة الساميين بدأت بين سنة ٦٠٠٠ وسنة ١٠٠٠ ق ٠ م وكانت هجرات العرب الأولى فى هذه الأزمنة قد تركت أثرها وبصماتها ، حيث أن السكان كانوا لا ينظرون إليهم كغرباء بل كجزء لا يتجزأ منهم ناقلين ثقافتهم وحضارتهم إليهم ، بعد أن اندمجوا مع السكان الأصليين حيث عبر السبئيون والحميريون – وهم ساميون – من اليمن وأقاموا ثقافة سامية بين سكان المرتفعات فى الهضبة الإريترية وإقليم تجراى المجاور لإريتريا، والتى انشقت من كتاباتهـــم " الجعزية " اللغة التجرينية والتجرى اللتان يتحدثان بهما سكان الهضبة والساحل وسمهر والمديرية الغربية ، ونستطيع أن نقول أن حوالى ٨٠٪ من السكان يتكلمون بهاتين اللغتين ٠

وقد وجد الباحثون كثيراً من التشابه بين السبئيه والقبائل الأخرى فى العقيدة والدين واللغة، وكان لسكان الهضبة الإريترية النصيب الأكبر من هذه التأثيرات السبئية الحميرية، حضارياً وثقافيًا ولغوياً ، قبل دخول المسيحية فى إريتريا ٠ ومن أشهر القبائل العربية المعروفة التى نزحت إلى أريتريا " قبيلةابلى أو بلو " اليمنية ٠ ومن القبائل التى هاجرت إلى إريتريا كذلك قبائل " سهرت " أو " سحرت " و"حبشات" التى أُخذ اسم الحبشة منها بعد أن أطلقها عليها العرب ، ومن العرب أخذ الأوربيون كلمة الحبشة ٠ ومن تأثيراتهم أيضاً ، الزراعة فى الوديان والسفوح الجبلية على شكل مدرجات التى أتوا بها من موطنهم الأصلى اليمن ، كما تمكنوا من بسط سلطانهم الثقافى والحضارى، وأدخلوا الجمال والبخور والنباتات الغذائية مما لم يكن معروفا من قبل فى إريتريا ٠

الفصل الثالث عشر

الجعـــازيان وجئـــــز

تعتبر جئز أقدم لغة سامية فى الهضبة الإريترية ، وقد نزحت من جنوب الجزيرة العربية ، وكان القوم اللذين يتحدثون بالجئز يطلق عليهم أجعازيان ومعناها الحرفى عند الباحثين " الرحالون " وبلهجة التجرى جعزا " وجعازى " والتجرى والتجرينية كما أسلفنا سابقا مشتقة من الجئز . كما حلت دياناتهم محل الديانات القديمة للأقوام الكوشيه التى كانت تقدس الأشجار والماء والثعابين . وكان سكان الجزيرة العربية يعبدون الشمس والقمر وكوكب الزهرة . والآثار القديمة تتجلى واضحة فى كلا من مطرة وقوحيتو فى اقليم أكلى غوزاى . وقد ظلت اللغة الجئزية بعد الاندماج ، الذى حدث بين الإفريقية والسامية فى الهضبة ، لم تفقد صفتها وأصالتها السامية ، لأن أصل مشتقاتها موجودة فى اللغة العربية وغيرها من اللغات السامية .

وبعد إندثار مملكة أكسوم منذ عدة قرون ظهرت اللغة التجرينية والتجرى ،كلغتين للتخاطب فى المناطق التى سادت فيها لغة الجئز تاريخياً، وهما أقرب اللهجات السامية إلى الجئز ، على الرغم من أنها أدخلت فيها تغييرات كثيرة فى العصور القديمة والمعاصرة . وكانت لثقافة هؤلاء المهاجرين أثراً واضحاً فى الحياة العامة ؛ سواء فى الأنماط المعيشية أو الأعراف أو الفن أو الدين . ويذكر المؤرخون أن السبئيين والحميريين بعد انهيار سد مأرب تدنت الأحوال المعيشية عندهم ، وضاقت الرقعة الزراعية، مما اضطر هذا الوضع السكان إلى الإنتقال على شكل مجموعات كبيرة إلى الهضبة الإريترية وهضبة إقليم تيجراى المجاور .

ومن التأثيرات الدينية التى تركت بصماتها فى ذلك الوقت ، نذكر منها على سبيل المثال :

عبادة الإله " عشتر " أى إله الزهرة وقد اشتق من ذلك كلمة " عستر " أى السماء كما هو واضح فى بعض اللهجات الإريترية ، كما عبدوا الإله " بحر " والإله " محرم " أى إله الحرب وإله الأرض ، وجميعها آلهة وثنية كانت تصنع لها التماثيل فى جنوب الجزيرة العربية . فهذه المؤثرات الثقافية كانت قائمة ، وهى خير شاهد على أصالة وترابط ثقافة الشعب الإريترى بالعرب ، ومن تأثيرات المبشرين الأوائل بعد ظهور المسيحية ، ومنهم السوريون ترجمتهم الإنجيل إلى لغة الجئز ، كما استعملوا ألفاظ سامية أقرب إلى اللغة العربية ، مثل صلوات " صلاة " ومقدس وصوم وقس أو قش " قس " أى كاهن .



قوحيتو مقبرة من القرن الثالث قبل الميلاد

الفصل الرابع عشر

المسيحية فى إريتريا وأكسوم ، وتأثيرها فى المجتمع الإريترى :

دخلت المسيحية فى إريتريا وأكسوم فى عهد مبكر ، عندما كانت مملكة أكسوم فى أوج عظمتها وسلطانها فى عهد الملك " عيزانا " ، وقد أصبحت المسيحية الدين الرسمى فى عهده . وأما كيفية دخول المسيحية فى هذه البلاد ، فقد اختلفت الروايات وأكثر هذه الروايات شيوعاً وتساندها المصادر التاريخية وبعض المؤرخين من الرومان ، مثل "زرفينوس" بأن ميروبيوس فلبوس MEROPIUS - من صور- قام بسفرة بحرية فى البحر الأحمر للاستجمام مصطحبا معه غلامين من أقربائه ، وعندما رست سفينتهم فى إحدى الموانى فى الشاطىء الإريترى داهمهم القراصنة، فاغتالوا جميع من فى السفينة، وقاموا بالنهب والسلب، وأما الغلامان فقد نجيا من الموت واقتادوهم إلى ملك الحبشة فى أكسوم ، وعند وصولهما مثلا أمامه ، فأعجب بهما فتبنى أحد هما وهو أيديسوس AEDESIUS خادما له وساقيه الخاص .

وأما الثانى واسمه فرومنتيوس FRUMENTIUS الذى توسم فيه الذكاء والنباهة، فعينه أحد أمنائه وناظر خزينته ، وبمرور الأيام قوى نفوذ فرومنتيوس وعلا شأنه فى البلاط ، بحيث لما دنا أجل الملك " إيلاأميدا ELLAAMIDA " ثم وافته المنية نصب فرومنتيوس وصياً على العرش ، وفى هذه الفترة عمل فرومنتيوس بكل دهاء وحكمة لزرع بذور الدين الجديد بين أفراد الحاشية الملكية ، وأخيراً تمكن من الملك "عيزانا" الذى أعلن المسيحية ديناً له وسافر فرومنتيوس إلى الإسكندرية ، ليزف هذه البشرى إلى بطريك الأقباط، فما كان من الأخير إلا أن

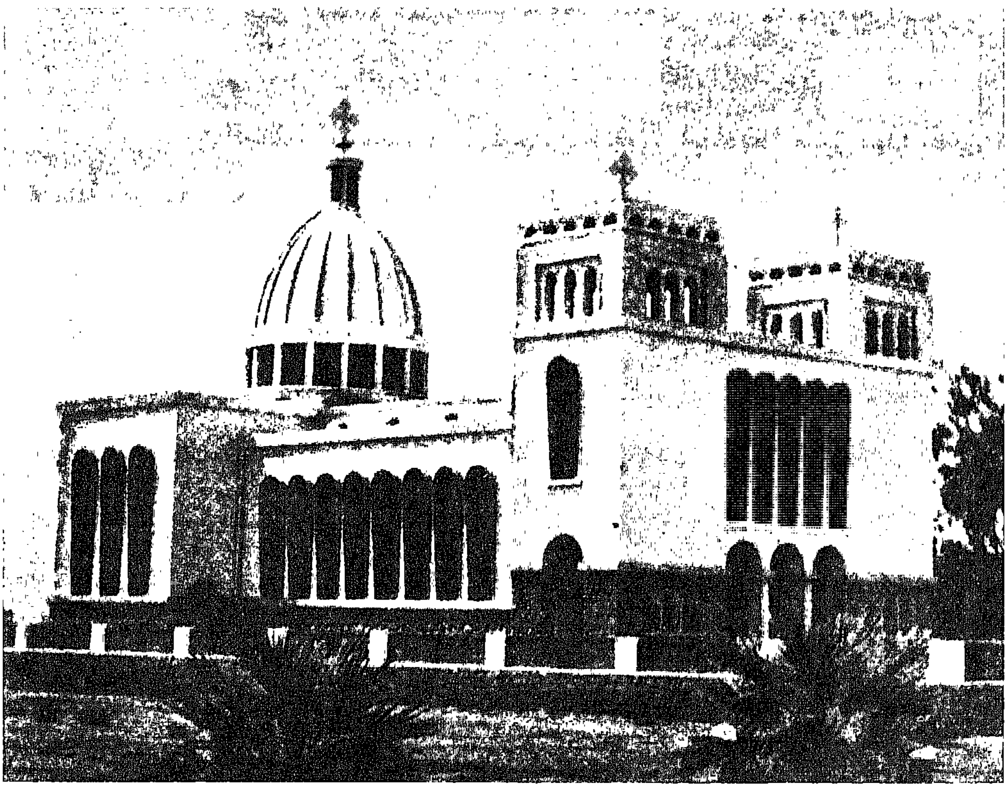
يعين فرومنتيوس مطراناً للكنيسة القبطية الحبشية ، فعاد بعدها من الإسكندرية بهذه الصفة إلى مملكة أكسوم وكان فيها حتى وافاه الأجل ٠

وفى رواية أخرى يُقال أن الغلامان سوريان ، وإننا لا نرى فى هذا الخلاف أهمية كبيرة ، حيث أن الشام كانت تطلق على تلك المنطقة (سوريا وفلسطين ولبنان) ٠ ونستنتج من الروايتين أن المسيحية دخلت إريتريا وأكسوم من خلال الغلامين من منطقة الشام سوريا حاليا ٠ وكانت لهذه البادرة من جانب بطريك الإسكندرية –أى تعيين مطراناً للكنيسة الحبشية– هى أول سابقة، ارتبطت بموجبها الكنيسة القبطية الحبشية بالكنيسة المرقصية بالإسكندرية ، ومنذ ذلك التاريخ أصبح بطريك الإسكندرية هو الذى يعين مطارنة الكنيسة الحبشية من بين الأقباط المصريين ٠ ومضت هذه السابقة سارية المفعول عبر هذه العصور الطويلة حتى سنة ١٩٥٨ ، حينما أدخل تغييراً جوهرياً على مبدأ تعيين المطارنة للكنيسة الحبشية ٠ ومما هو جدير بالذكر أن الكنيسة الإريترية كانت تتبع الكنيسة الإثيوبية ، حتى إعلان الاستقلال وأصبحت مستقلة بذاتها ٠

وبعد أن أعلنت مملكة أكسوم المسيحية ديناً رسمياً لهم ، أخذ الأهالى يسيرون تدريجيا على دين ملوكهم ٠ وما أن انقضى القرن الرابع والخامس الميلادى حتى ازدادت فى إريتريا المسيحيةُ رسوخًا ، كما ازدادت روابطها مع العالم المسيحى فى الخارج ، ووفد إليها الكثير من رجل الدين من بقية أنحاء العالم، منهم من جاء لاجئاً بسبب الخلافات العقائدية بين مختلف الطوائف التى حدثت فى تلك الفترة ، فاختار هذه القلعة الحصينة ملاذاً له أو مسرحاً لبث أفكاره وعن طريق هؤلاء المتدينين دخلت البلاد مبادئ الرهبنة ، وسرعان ما انتشرت الأديرة فى كل مكان فى الحبشة وإريتريا وأهم هذه الأديرة دير " دبرادامو " DEBRADAMO فى إثيوبيافيرجع تاريخها إلى القرن الخامس الميلادى ٠ ومن

أشهر الكنائس أيضاً فى الحبشة فى ذلك الوقت كنائس "لالى بيلا" المنحوتة من الكتل الحجرية ، والتى تعتبر من عجائب الفن المعمارى فى عصرها. وهكذا نستطيع أن نقول أن المسيحية فى إريتريا عريقة منذ انتشارها الأول فى الشرق الأوسط وقبل وصولها إلى أوربا ، ويعتنق المذهب الأرثوذكسى اليوم أكثر من ٨٠٪ من السكان المسيحيين ، بينما يتوزع الباقون بين طوائف أخرى منها طائفتى الكاثوليك والبروتستنت، اللتين وفدتا فى القرن التاسع عشر مع نزوح الاستعمار الأوربى، وأقامتا لهما مدارساً تبشيرية فى مختلف مناطق الهضبة الإريترية ٠

وهكذا نجد انتشار المسيحية فى إريتريا فى العصور القديمة والوسطى والحديثة ، لذلك لا نجد مدينة أو قرية وخاصة فى الهضبة لم تقم فيها كنيسة كما أن الأديرة قد وجدت قسطاً كبيرا من اهتمام رجال الدين ، وأصبحت تشكل الركائز الروحية فى البلاد، وهى غنية وعريقة ، وفيما مضى كانت لها سلطات زمنية واسعة ، بفضل الأراضى الشاسعة التى كانت تملكها، والإقطاعات التى كانت خاضعة لها حتى أن تمت علمنة تلك الإقطاعات ، وقد بدأ تنفيذه فى عهد الحكم الإثيوبى ، كما جرى تحديد وحصر ممتلكات الأديرة ٠



كنيسة القديسة مريم بأسمرا

الكنيسة فى إريتريا والحبشة :

الكنيسة فى إريتريا والحبشة فى العصور الوسطى ، هى مجموعات الكنائس الشرقية وهى فى الغالب أرثوذكسية ، تتبع المذهب اليعقوبى ، ومن أبرز صفاتها الالتزام بالعهد القديم (التوراه) ، بشكل أعمق مما تلتزم به الكنائس الأخرى مثل الأقباط المصريين . وفى الوقت الذى كانت فيه الشعوب الإفريقية غارقة فى بحر من الوثنية والجهالة والسحر، كان الإرتريون فى الهضبة ، والأحباش الذين اعتنقوا المسيحية كدين لهم ، يوصفون بإيمانهم العميق بهذا الدين إيماناً راسخاً ، وكانوا متمسكين بشعائرهم الدينية القديمة والجديدة ، وهى صفات كانت تميزهم عن غيرهم من الشعوب الإفريقية المعاصرة لهم . وظلت الكنيسة فى إريتريا والحبشة ، تحتل مركزاً مرموقاً فى المجتمع، قلما كان له شبيه فى بلد آخر فى العالم المسيحى ، فرجال الدين كانوا يتمتعون بنفوذ قوى على كافة المسيحيين، فى أمورهم الدينية والدنيوية ، وهو نفوذ أقرب للنفوذ الذى كان للكنيسة فى أوربا فى العصور الوسطى إلى وقت قريب ، فكانت تتدخل فى أكثر شئون البلاد السياسية وغير السياسية ، وخاصة فى إثيوبيا حتى نهاية عهد هيلاسلاسى .

ومن أبرز الأمثلة على قوة نفوذها وسلطانها فى إثيوبيا فى العصور القديمة والحديثة ، الدور الحاسم الذى لعبته الكنيسة فى تنحية الامبراطور الحبشى " ليج أياسو" سنة ١٩١٧ م عن العرش ، كما أن دورها الفعال فى إحباط الانقلاب العسكرى الذى وقع فى سنة ١٩٦٠ ضد الامبراطور ، عندما كان هيلاسلاسى فى زيارة رسمية للبرازيل. فبيانها الذى أصدرته فى تأييد الامبراطور ، كان من أهم العوامل التى أوقعت الخلافات بين وحدات الجيش ، فأدت إلى رجحان كفة القوات الموالية للامبراطور على القوات المعادية له ، ولكن لم يستمر الوضع كما كان ، حيث بدأ نفوذ الكنيسة فى الضعف ، وانتهى بنهاية حكم الامبراطور ودخول إثيوبيا فى عهد جديد .

الفرائض والطقوس :

ومن أهم المظاهرالدينية التى ينعكس أثرها على الحياة اليومية ، الصيام الذى يعتبر من أقدس الفرائض الأساسية ، إذ يدوم حوالى ١٥٠ يوماً من مجموع أيام السنة الواحدة . والصيام عند المسيحيين الإريتريين ، معناه الامتناع عن تناول اللحوم والبيض والزبد والحليب والجبن ، ويراعى المنع بكل دقة وأمانة ، ويُمارس الصيام بشكل لا يقبل السماح ، وفى بعض الأحيان تسبق الأعياد فتراتُ امتناع عن الأكل يوماً كاملاً ، وعدا ذلك فالصيام يفرض كل يوم أربعاء وجمعه من كل أسبوع على مدار السنة ٠

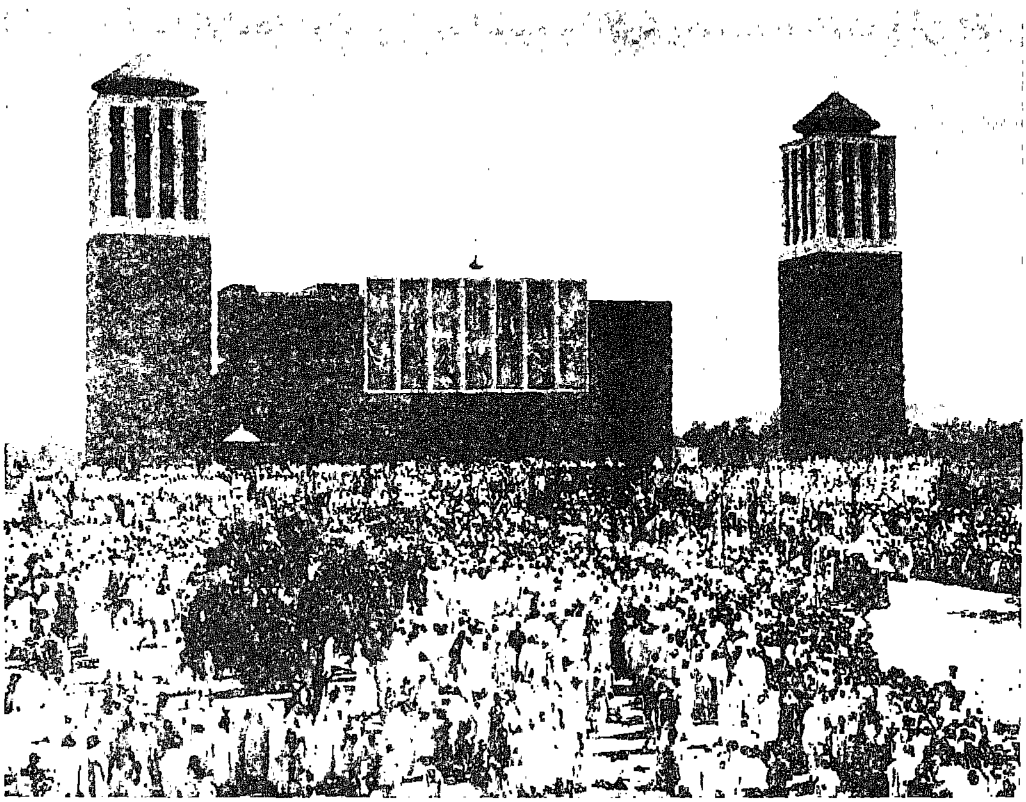
ومن طقوسهم المرعية تعميد الذكور فى اليوم الأربعين بعد الولادة ، أما بالنسبة للإناث ففى اليوم الثمانين، وهناك بعض التقاليد الأخرى الموروثة عن اليهود وتعاليم العهود القديمة ، مثل عملية الختان للذكور فى اليوم الرابع بعد الولادة ، وأما أعيادهم الدينية فكثيرة وأهمها ثلاثة :

١ – عيد الفصح الذى تسبقه فترة صيام طويلة كما أسلفنا ٠

٢ – عيد الصليب المعروف باسم "مسقل " MASKAL

٣ – عيد رأس السنة القبطية (أودى عمت)٠

وتوجد فى إريتريا مئات من الكنائس والأديرة وكانت الأديرة تعتبر من أهم مراكز التعبد والتبشير، وملاجىء فى الجبال الحصينة عند الغارات التى كانت تشهدها البلاد فى تلك العصور من الجنوب والغرب ، ومن أبرز الأديرة دير " دبربيزن" فى قمة جبال بيزن الذى أسسه الأب فليبوس بين عام ١٣٥٠ : ١٣٦٠ م وهو من أشهر الأديرة الإريترية وأعظمها شأناً ٠



المسيحيون وهم يؤدون الشعائر الدينية

وكان رجال الدين المصريون الأقباط يستخدمون كتاب الإنجيل باللغة العربية فى الحبشة ، ومن أهم الكتب التى كتبت بالجئز " فتحانجس " - أفوس فنسائى" أى دواء الروح ومنها أيضا كتاب سونانفس ٠ كل هذه الكتب اقتبست من اللغة العربية ، وقد احتفظت الكنيسة والأديرة بتراثها ودياناتها، عندما تعرضت البلاد

إلى غزوات متتالية وخاصة بعد إنهيار دولة أكسوم واندثارها ، واكتساح البيجة وغيرهم ، الذين استقروا فى إريتريا واحتلوها أكثر من أربعة قرون ، وقد انصهرت -فيما بعد- هذه القبائل فى إطار الثقافة السامية المسيحية ، وفقدت صلاتها بميزاتها القديمة قبل أن تحل محلها فى نهاية القرن الثالث عشر قبائل أجو البلين، والتى تشكل أحد فروعها التى نزحت من إقليم " لاستا " فى قلب الحبشة بعد أن انتزعت من أسرتها الحاكمة (زقواى) ٠

الكنيسة واللغة العربية :

لاشك بأن الهجرات العربية القديمة والحديثة فى العصور المتلاحقة، بالإضافة إلى الهجرات المعاكسة فى العصور الجاهلية أو الوسطى من أقوام الحبشة ، تركت أثرها فى المجتمع العربى فى الجنوب والشمال من الجزيرة العربية كما اعتنى المؤرخون القدماء بتصنيف الكتب والرسائل الجامعة لفضل الأحباش ٠

وفى القرن السادس الهجرى ألَّف ابن " الجوزى " سنة ٥٦٧ هـ كتاباً أسماه " تنوير القبش فى فضل السودان والحبش " ، ثم جاء عن أبو حيان النحْوى سنة ٧٤٥ هـ، أنُه شرع فى تأليف رسالة فى اللغة الحبشية ، ولم يتمها . كما وضع عبدالباقى البخارى الذى كان خطيباً بالمدينة المنورة سنة ٦٩٠ هـ رسالة سماها " الطراز المنقوش فى محاسن الحبوش " ٠ ومهما يكن من الأمر فإن أثر المسيحية الحبشية كانت تظهر بوضوح وقوة فى التجرينية ٠ ومن أشهر الأدباء فى الجاهلية أساقفة نجران " قس بنى ساعده الآيادى " ومن عظمائها يزيد بن عبدالمدن ، وكلاهما أديبان لهما فى الأدب العربى أثر يذكر وكذلك فى ظفار بنى الأحباش كنيسة كان يديرها أسقف يدعى " جرجبنتوس " اتخذه ملك الحبشة مستشاراً ومساعداً لنصارى حمير ٠

وهناك أفكاراً أخذها العرب عن الأحباش مثل " الزار " معناها الروح الشريرة، وتأثرت بها مصر والحجاز . ولعل الأجدر بالذكر تلك الاصطلاحات

والألفاظ التى استعارتها من الحبشة اللغة العربية والقرآن بنوع خاص ٠

ويقول عبدالمجيد عابدين فى كتابه " الحبش والعرب " : « ومن المعروف حتى للعلماء المسلمين أن القرآن قد استعار كثير من الألفاظ الحبشية ، فقد أورد السيوطى فى الإتقان باباً ذكر فيه ما ورد فى القرآن من الألفاظ بغير لغة عربية ، ذكر منها قرابة ٢٦ لفظاً حبشيا ، ولكن أكثرها لم يثبت اشتقاقه منها " وقد ذكر الباحثون بعد جمع هذه الألفاظ أن كثير منها يعود إلى أمور دينية ٠ وقد أشرت إلى ذلك فى أثناء تناولى الجزء الخاص بالثقافة العربية ٠

وهذا ما يدل على أن ثقافة الشعب الإريترى ، وخاصة التجرينية والتجرى ، والتى تنتمى فى مجملها تاريخياً إلى الثقافة السامية العربية وهكذا ظلت لغة الجئز لغة سامية بل هى أقرب للغات السامية من حيث المفردات إلى اللغة العربية ، كما هو واضح فى الكلمات المذكورة سلفاً ٠



قساوسة فى طقوس دينية

كما أن الفن والموسيقى أخذا قسطاً كبيراً من التأثير على الكنيسة وخاصة فى الهضبة الإريترية منذ دخول المسيحية ، فاستعان المسيحيوين الإريتريون الأرثوذكس فى بناء معابدهم وكنائسهم بالأقباط المصريين ، لتشييد المبانى والكنائس التى تشهد حتى اليوم بالفن المعمارى حيث كانت تبنى المبانى فى الهضبة الإريترية بالأحجار والأخشاب على شكل طبقات متتالية ، وهو نمط من البناء أصله فى عهد الأكسوم ، واستعمل فى الكنائس .ويعود استعمال الآلات الموسيقية فى عهود قديمة فى إريتريا حيث يميل سكان الهضبة وعموماً إريتريا إلى الطرب والرقص والمرح فى مختلف المناسبات الدينية والوطنية .

وقد تأثر الرقص والغناء بالحياة الدينية ، ومن الآلات الموسيقية القديمة " كرار والكبرو " وهى الطبل حيث تستعمل هذه الأدوات فى الأعياد والمناسبات الدينية .

الفصل الخامس عشر

الإسلام فى أرتريا

كثير من المراجع الموثوق بها فى تأريخ شرق إفريقيا والقرن الإفريقى تبدأ من حضارة قدماء المصريين ، وتروى تاريخ هذه المنطقة خاصة بعد دخول الإسلام فيها ، حيث استوطنتها القبائل العربية النازحة من الجزيرة . حيُث تدل المعلومات المتوافرة لدينا على أن المجموعات العربية التى انتقلت إلى هذه المنطقة ، قد أقامت مدناً وشيدت حضارات ، وتوالت الأعاصير فطمست أكثر معالمها ، حتى لم يبق منها شىء إلا ما توافرت عليه نصوص الحفريات ، حيث أنشأ المسلمون أول إمارة إسلامية فى الساحل الإريترى بجزر دهلك ، كما أنشأ العرب والمسلمون امبراطورية زيلع وتوابعها من الإمارات الإسلامية السبعة فى الحبشة والمذكورة فى كتب التاريخ .

ويعتبر دخول الإسلام فى إفريقيا عموماً والقرن الإفريقى بصفة خاصة ، إحدى المنعطفات التاريخية الحاسمة فى حياة القارة .

لقد تزاوجوا واختلطوا بجميع الشعوب والقبائل المحلية السامية والكوشيه والزنجية والبيجاوية . وهنا تجدر الإشارة إلى أن الإختلاط والتزاوج والتداخل ، ظاهرة فى السمات والقسمات واضحة فى أكثر القبائل الإريترية .

لقد كان القرن الافريقى منذ أبعد العصور -أبعد أمناً وأسرع نجده حيث لم تخلُ موانى شواطئه من السفن الشراعية العربية ، التى كانت فيما مضى تجوب المحيط الهندى إلى الجزيرة العربية والخليج ، وعلى طول فصول السنة مهما كانت الرياح البحرية شمالاً أو جنوباً هو وسيلة علمية دقيقة للسفر . وبذلك ندرك أن انتشار الإسلام فى هذه المناطق من القارة الإفريقية كان مصدره بعثة من العرب

الأوائل المهاجرين من الجزيرة العربية الذين وفدوا بسفنهم الشراعية ، وأولئك الأوائل هم الذين اختلطوا بالسكان المحليين نشروا انجازاتهم وعاداتهم وتقاليدهم ، قبل الإسلام وبعده ، ونتيجة لذلك كما بينا فى الفصل السابق أن العنصر الإريترى مسيحياً كان أو مسلماً قد تأثر بهذه التداخلات، حيث دخلت المسيحية والإسلام إريتريا عن طريق العرب المهاجرين ٠

ولاشك أن هناك بعض التداخلات بحكم تاريخ المنطقة، وخاصة الحبشة مع إريتريا، ولذلك لابد أن نعطى للقارئ لمحة موجزة عن تاريخ الإسلام وتطوره من البدايات الأولى فى إطار إريتريا والحبشة ، حيث أن علاقة العرب بإريتريا والحبشة كانت قبل الميلاد وبعده، وقد توطدت هذه العلاقات أكثر بعد ظهور الإسلام فى الجزيرة العربية والاتصال الذى جرى بين الرسول – صلى الله عليه وسلم – فى بداية الإسلام مع نجاشى الحبشة ٠

ومن المعروف أن الهجرات القديمة والحديثة كانت لها أثرها فى تكوين المجتمع الإريترى ، وكان الساحل الإريترى من أقدم الأماكن التى شهدت هذه الهجرات المتعاقبة عبر العصور فقدسكنته أمم كثيرة ، حيث كان المنفذ الذى عبرت منه الأمم النازحة من البر الآسيوى إلى البر الإفريقى ٠

وبينما الجاليات التجارية تقيم بالساحل ، كانت مملكة أكسوم ينحسر ظلها ويضعف أمرها ، وكانت بلاد الحجاز قد أفاقت من الجاهلية حيث نور الإسلام قد شع فى مكة وقبل انتشاره فى المدينة وسائر البلاد العربية ٠ فكانت إريتريا المركز الثانى الذى انطلق منه الإسلام بعد مكة ، حيث هاجر الصحابة الأولون إليها ، وهبطت على ساحله سفنهم فى شهر رجب من العام الثامن قبل الهجره سنة ٦١٤ م وكانت هذه الهجرة البعثة الاسلامية الأولى ، وتتكون من عثمان بن عفان وزوجته رقية بنت الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، وأبى حزيفة بن عتبة بن ربيعة ومعه زوجته سهيلة بنت سهيل بن عمر ، والزبير بن العوام ، ومصعب بن عمير ،

وعبدالرحمن بن عوف ، وعثمان بن مظعون وغيرهم ويبلغ عددهم العشرة ، ثم تبعهم جعفر بن أبى طالب ومعه زوجته أسماء بنت عميس وولد لهما عبدالله بن جعفر فى دار الهجرة هذه حيث هاجر هؤلاء هرباً بدينهم ، حين اشتد أذى قريش عليهم فى مكة . ورسوا فى بلدة معدر الساحلية فى إريتريا ويقال فى مدينة رحيتا فى الساحل الجنوبى من عصب فى إقليم دنكاليا حاليا .

وقد أحسن النجاشى استقبالهم كما وجدوا من مليكها كل ترحاب وعطف ، حيث أشار عليهم الرسول بالهجرة من مكة إلى الحبشة وقال لهم : " إن بها ملك لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم عليه " .

وقد أجمع مؤرخو العرب على أن النجاشى أكرم هؤلاء المهاجرين ، ووجدوا الأمان والإطمئنان ، وقد استقر بعضهم ، وعاد البعض الآخر إلى مكة قبل هجرة الرسول إلى يثرب سنة ٦٢٢ م .

الهجـرة الثانيـــة :

ولما كانت قريش لا تكف عن أذى المسلمين ، اجتمع عدد كبير من الصحابة حتى بلغ عددهم الثمانين رجلا عدا النساء والأطفال وقصدوا الحبشة فرحب بهم النجاشى للمرة الثانية ، وأسكنهم مجتمعين ليقيموا شعائر دينهم ، ومنهم من استقر وتكونت منهم عائلات لا تزال أحفادها تدعى بانتمائها إلى هذا الأصل بكل فخر واعتزاز .

وفى السنة السادسة للهجرة أرسل الرسول إلى الملوك والأمراء ومن بينهم النجاشى كتاباً يدعوهم فيه إلى الإسلام .

وقد أكدت الروايات أن النجاشى قد أسلم قبل وفاته ، وأخفى إسلامه فى ذلك الوقت ، وأن صلة قد نشأت بينه وبين الرسول طوال حياته . وتقول بعض

الروايات أن النبى صلى الله عليه وسلم نعى النجاشى إلى المسلمين ، مما جعل بعض المؤرخين يذهبون إلى أنه كان مسلماً • وروى عن السيدة عائشة زوج الرسـول، أنها قالت : لما مات كان يتحدث الرسول قائلاً : " أنه لا يزال على قبره نور " •

وكانت هذه المعاملة التى لقيها الصحابة من النجاشى خاصة والحبشة عامة ، باعثاً قوياً على توثيق العلاقات بين مسيحيى الحبشة وبين الإسلام ، وكان طبيعيا أن ينوه القرآن الكريم والنبى بالحبشة ويثنى عليهم • وقد روى عطاء بن أبى رباح أن ما ذكر الله به النصارى من خير فى القرآن ، فإنما يراد بهم النجاشى وأصحابه فى الحبشة ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : " ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون " سورة المائدة آية ٨٢ • وقد قيل أن المقصود بقوله تعالى : " وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين " سورة المائدة آية ٨٣ • أنهم قوم من الحبشة •

وكان طبيعيا لذلك أن يمدح النبى الحبش ، وأن يمحو النظرة العربية القديمة التى كانت تفرق بين الناس باللون والنسب أيام الجاهلية • فقال الرسول : " الجنة لمن أطاعنى ولو كان عبداً حبشياً ، والنار لمن عصانى ولو كان شريفاً قرشياً " • وقربهم إليه فجعل البركة على أيديهم بقوله " من أدخل بيته حبشيًا أو حبشية أدخل الله بيته بركة" • وأرسل النجاشى إلى النبى هدايا كثيرة كما أهداه الرسول أيضاً •

وقد أفسح الإسلام بهذه العلاقات الطيبة مجالا ، يصح للمؤثرات الحبشية لكى تعمل فى جو أكثر طلاقة وحرية فى عرب الشمال وأهل الحجاز بوجه خاص ، كما عملت من قبل فى أهل الجنوب ، وكانت هذه المؤثرات قوية وفعالة لأنها كانت تتغذى من جهات كثيرة ، فكانت تنموا وتزداد من تلك الصلات المباشرة بين العرب ،

ووفود الحبشة التى قدمت على النبى وبين العرب والأحباش الذين كانوا يعيشون فى الحجاز ، وبين المسلمين وبلاد الحبشة وإريتريا التى اتصلوا بها وهاجروا إليها وعاشوا فترة من الزمان ، ثم من تلك الصلات غير المباشرة التى جاءت عن طريق اليمن والتى كانت مسرحاً للمؤثرات خلال ثمان قرون على الأقل قبل عصر الرسول.

ومنذ تلك الفترة انتشر الإسلام فى إريتريا والحبشة ، منذ عصر النبوة حيث مكث الصحابة المهاجرين ستة عشر عاماً وهم يقيمون شعائر الإسلام ، ويوطدون تعاليمه وظل الإسلام منذ البدايات الأولى ، ينتشر فى أرجاء البلاد ، ويتسع من تلقاء نفسه دون أن يكون له مبشرين من المسلمين ، سوى أفراد قلائل من الدعاة ومن التجار العرب ، الذين كانوا يعبرون البحر للتجارة .

وفى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل كتيبة مؤلفة من ٣٠٠ رجل بقيادة علقمه بن مجزه الكينائى إلى سواحل إريتريا فى شهر صفر عام ٢٠هـ بقصد الدعوة الإسلامية .

وفى عهد الأمويين :

حينما أغار بعض القراصنة فى الساحل الإريترى على جده ونهبوا أموالاً كثيرة ، ودمروا السفن الراسية فى عام ٨٣ هـ فى أيام عبدالملك بن مروان ، الذى خشى على تجارة العرب إلى الهند ، فأرسل حملة استطاعت الاستيلاء على جزر دهلك الواقعة فى وسط البحر الأحمر على بعد ٦٠ كم من مصوع ، فكانت هذه الجزيرة القنطرة التى انتشر منها الاسلام فى إريتريا وشرق الحبشة ، وامتد جنوباً حتى مضيق باب المندب ، واستمر هذا الانتشار طيلة فترة أيام حكم الدولة الأموية ، وأصبحت دهلك أول إمارة إسلامية فى إريتريا ، كما أصبحت دهلك منفى لمن يسخط عليه الأمويون فى عهد سليمان بن عبدالملك من سنة ٩٦ إلى ٩٩ هـ ٧١٥ – ٧١٧ م . وكانت هذه الجزيرة معروفة لدى العرب بشدة الحرارة وكان الأمير الذى يتولى شئونها من قبل الأمويين يدعى مالك بن شداد .



لوحة عربية عثر عليها فى جزيرة دهلك الإريترية ويعود تاريخها
لأكثر من ألف عام وهى خير شاهد على قدم
علاقات هدا الشعب بالعرب

فقال فى ذلك أبو الفتح نصر الله بن عبدالله بيتان من الشعر يتناسب مع حرارة الجو واسم الأمير :

وأقبح بدهلك من بلـــدة * فكل امــرىء حلها هالـــك

كفاك دليلا على أنهـــا * جحيم وخازنهـــا مالـــك

وقال أبو المقدام فى بنت القطامى :

لو أصبحت خلف الثرية لزرتها * بنفسى ولو كانت بدهلك درهـــا

وظلت فى حيازة المسلمين حتى العهد العباسى ، ومن هذه الجزيرة انتشر الإسلام داخل أعماق الحبشة .

وفى عهد الدولة العباسية :

عندما قامت الدولة العباسية وابتدأ فى اضطهاد الأمويين ثم اضطهاد بعض من أنصار آل البيت الأشراف ، انتقل قسم منهم إلى إريتريا ، وكان لهؤلاء المنتقلين الأثر الكبير فى الدعوة الإسلامية ، فخضعت إريتريا للدولة العباسية وكانت تعرف باسم "بادع" وهو الإسم القديم لمدينة مصوع ، وبقيت إريتريا وخاصة أجزائها الساحلية تتبع الدولة العباسية ،حتى تنازل آخر خليفة عباسى فى مصر إلى السلطان سليم الأول عام ٩٢٣هـ، فخضعت للدولة العثمانية وكانت ولاية مستقلة تابعة لمكة عرفت باسم ولاية حبش وتتبع مدينة جدة .

أما ممالك الحبشة ، كانت تعيش فى عزلة تامة بسبب الصراعات الداخلية التى كانت بين حكامها ، حيث كانت تحكمها فى ذلك الزمان الأسرة السليمانية ، وهى تنتمى حسب الأساطير الحبشية إلى إحدى سلالات الملك سليمان . ولقد لعبت الأساطير فى الحبشة دوراً أساسياً فى ذلك الوقت . وبقيت هذه الأسرة تحكم الحبشة حتى عام ٥٣٠هـ حيث قامت أسرة أخرى هى أسرة " زاقواى " ، وقد انتحلت هذه الأسرة لنفسها نسباً آخر، فادعت أن أصلها يرجع إلى موسى عليه السلام ، حتى تستطيع أن تضاهى الأسرة السابقة ، فتدعى أنها أعرق فى

أسلافها ، فهى مستندة إلى كتاب التوراة الذى يحدث بأن موسى عليه السلام قد تزوج بأمرأه من الحبشة · وهذا ليس غريبا، فكثير من الأسر المالكة فى العالم تدعى مثل هذا الادعاء ، وهى الدول المتقدمة فالإنجليز مثلا يروجون أسطورة تقول أن السكسون يعودون فى أصلهم إلى إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام·

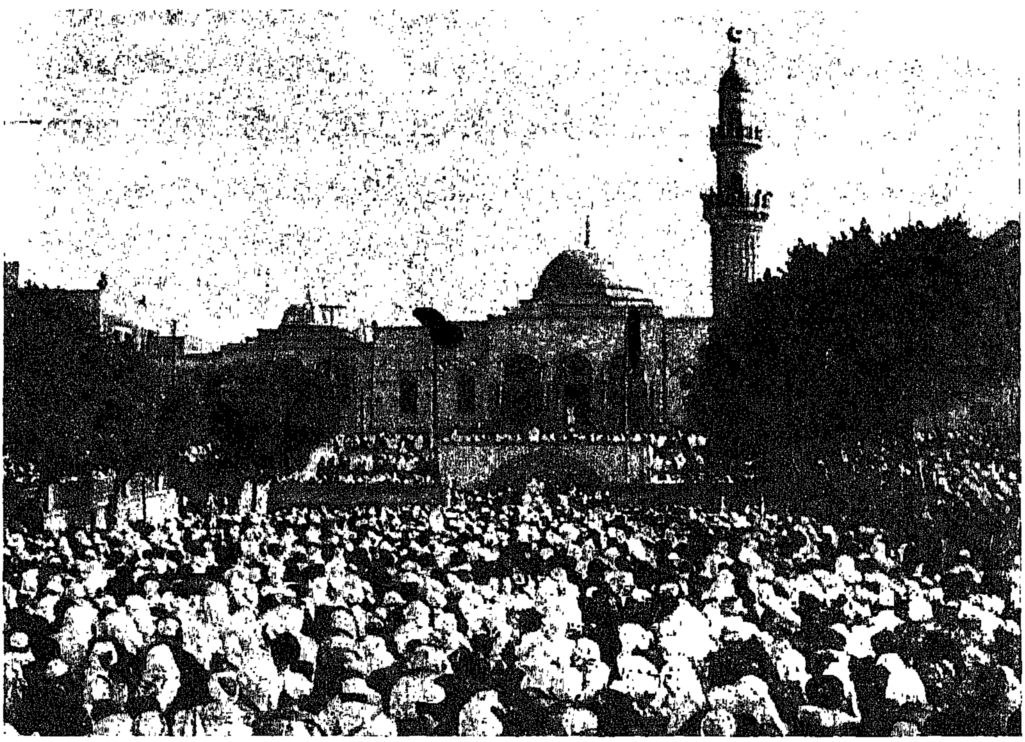
فحكمت هذه الأسرة نحو ثلاثة قرون ، بعد أن اعتنق ملوكها المسيحية ، وأشهر ملوكها "لالى بلا" الذى أسس الكنيسة المشهورة المنحوتة فى جبال "لاستا" وقد انتهى حكم هذه الأسرة على يد "يوكانو أملاك" الذى أنشأ ما سمى بالبيت السليمانى عام ١٢٢٠م ، بعد أن تعاون معه الأب "تكلا هيمانوت" نظير منح الكنيسة ثلث الأرض في البلاد وهكذا استعادت الأسرة السليمانية الحكم عام ٦٦٨ هـ ، وكانت الحبشة تعيش فى صراعاتها من أجل السيطرة على الحكم ، وفى نفس الوقت كان الإسلام فى انتشار إلى كل أرجاء الحبشة عبر إريتريا وسواحلها ·

ومن أهم السكان المسلمون الذين أسلموا منذ البدايات الأولى والمتلاحقة :

يعتقد أن " آل الجبرت " أول من أسلموا فى إريتريا فى بداية عصر الرسول حيث اشتركت وفود منهم إلى مكة لمقابلة الرسول ضمن بعثة النجاشى فى تلك الفترة ، وكانوا يقطنون فى هضبة التجراى ، وكانوا من أوائل أتباع النجاشى فى بداية الإسلام ·

كما أن "الدناكل" فى جنوب إريتريا و"السمهر" فى ضواحى "مصوع" تعد من أقدم سكان إريتريا اعتناقا الإسلام بعد الجبرت · كما انتشر الإسلام بين قبائل "الساهو" التى تسكن فى المنطقة الممتدة من خليج زولا وأرافلى إلى أكلى غوزاى فى القرن الثالث عشر الميلادى ، عن طريق أسرة دينية تسمى بيت فقيه محمد (سالم وصالح) وهى أسرة دينية عربية اشتهرت باسم (شيخ محمود) ، والذى انتقل أجدادها فى كل أنحاء إريتريا بدءً من جنوب إلى الهضبة ، ثم السمهر والساحل لنشر الدعوة الإسلامية ، وكان لها الفضل الكبير فى نشر الدعوة حيث

أسلمت على يدها قبائل كثيرة فى المناطق المذكورة ٠ وتفتخر بانتمائها إلى الزبير بن العوام ٠



المسلمون وهم يؤدون صلاة العيد بجامع الخلفاء الراشدين بأسمرا

وانتشر الإسلام بين قبائل بنى عامر والساحل ، ابتداء من القرن العاشر الميلادى وكان لأسرة (عد شيخ حامد) ولد نافعوتاى تأثيراً كبيراً فى نشر الإسلام والدعوة بين هذه القبائل وتنتمى هذه الأسرة إلى أشراف قريش فى مكة وقد قدمت إلى إريتريا عن طريق البحر الأحمر والسودان ، ولها حتى الآن زاوية التعليم الدينى " زغا شيخ " فى إقليم ساحل ، كما لها مركز آخر فى "أمبيرمى" فى إقليم سمهر على بعد ١٥ كم شمال مصوع ، وفى القرن التاسع عشر أصبح الإسلام ينتشر فى كل قبائل إريتريا فى إقليمى الساحل و "سنحيت" . ومن أهم هذه القبائل الماريا - والمنسع والبلين وبيت جوك والحباب بفروعها الثلاثة " بيت أسقدى عدتكليس وعتماريام " ، وكانت هذه القبائل أسر حاكمة نزحت من هضبة الحماسين حيث تسكن قبائل تجرى الكثيرة ، وأخضعتها لسلطانها ، كما اعتنقت قبيلة الباريا (نارا) فى وادى الجاش الإسلام وكانت من القبائل الوثنية ، وأيضا قبيلة البازا أسلم منهم عدد غير قليل وكان للأسر الدينية والصوفية أثر بالغ فى إسلام هذه القبائل فى إريتريا شرقها وغربها وأهم هذه الأسر التى تتمتع باحترام وتقدير فى أوساط المواطنين حيث أسلمت على أيديها مجموعات من القبائل الكبيرة والصغيرة :

١ - عد شيخ فى الساحل .

٢ - عد سيدنا مصطفى فى بركة .

٣ - بيت شيخ درقى وهم فرع من آل فقيه محمد .

٤ - عد معلم فى شمال إريتريا والساحل .

٥ - بيت شيخ إبراهيم الخليل فى طيعوا فى دنكاليا

٦ - بيت آل كبيرى فى الهضبة الإريترية الذين ينتمون إلى ذرية فقيه محمد"عدأبصالح"

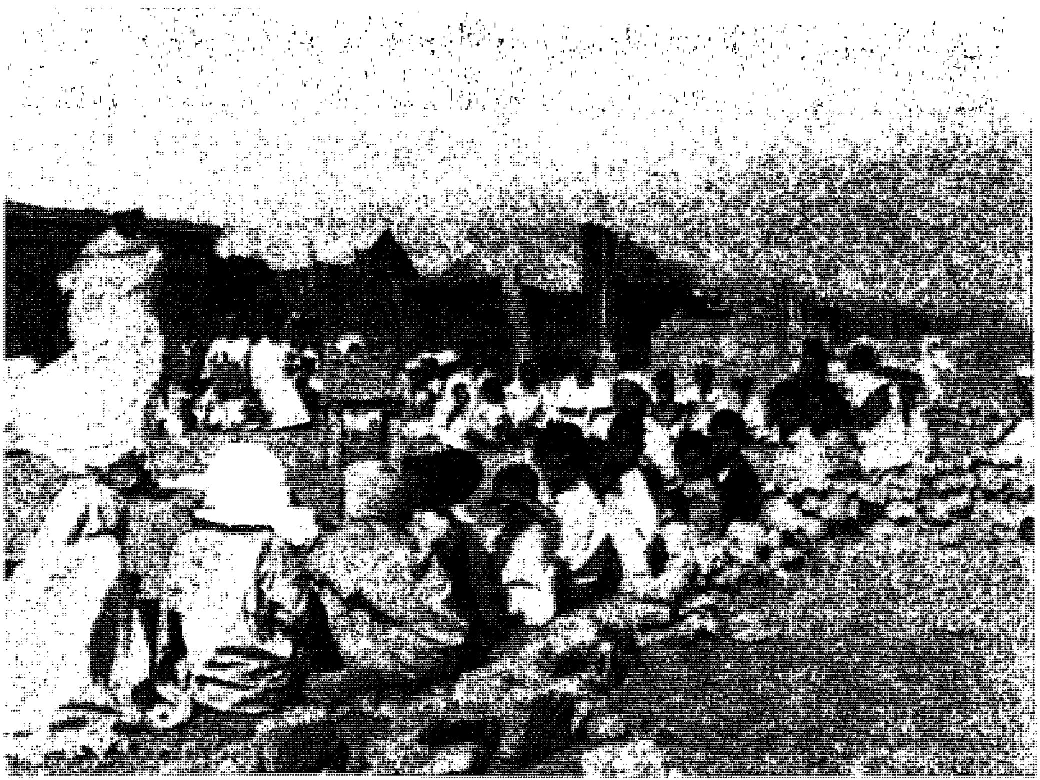
وهم أخوة لبيت شيخ محمود من ناحية النسب .

٧ – بيت شيخ إبراهيم أبو العينين (انتلى شيخ عرى) ·

٨ – المراغنه فى إقليم الساحل وسنحيت والجاش والبركه ·

٩ – أسرة الشيخ عثمان علوى وهم من الأشراف

١٠ – أسرة الشيخ حاج أبكر وهم من أشراف مكة ·



إحدى الخلاوى القرآنية الإريترية

وقد انتشر الإسلام فى الهضبة الإريترية عن طريق قوم عرفوا باسم الجبرته ، وهم سكان الهضبة . ويذكر الحيمى فى كتابه " سيرة الحبشة " سنة ١٦٦٥ م أنه التقى بزعيم آل كبير - صالح فى زيارته بهضبة التجراى ، ويقول أن أسرته تقوم فى كل بلاد الحبشة بنشر الإسلام ، وتعاليمه وهى أسرة من الجبرته.

المذاهب الإسلامية فى إريتريا :

غالبية المسلمون فى إريتريا سنيون على المذاهب الأربعة وأهم الطرق الدينية الصوفية :

١ - الخاتمية . ٢- القادرية . ٣- الشاذلية .

والخاتمية تنتسب إلى مؤسسها المرحوم السيد محمد عثمان الميرغنى، وكان لها أثر كبير فى نشر الإسلام وتعاليمه فى غرب إريتريا ، وقد أسلمت على يده قبائل كثيره .

وهكذا انتشر الإسلام فى إريتريا بنفس الطريقة التى دخلت منها المسيحية فى إرتريا من قبل .

وخلاصة القول أن الشعب الإريترى يدين بالديانتين المسيحية والإسلام ، ولم يشهد التاريخ الإريترى القديم والمعاصر حوادث تذكر أو حروب دينية بين الطرفين ، كما حدث فى جيرانه ، بل طغت على الطائفتين سمة التعايش والتآخى والتسامح بما كان بينهم من وحدة الأصول والمصالح والمصير المشترك .

كما أن الاستعمار والقهر والاستبداد التى عانت منه البلاد منذ فجر التاريخ، كانت من السمات البارزة فى وحدتهم الوطنية وتماسكهم وتآلفهم ، لمقاومة هذا الظلم الذى عان منه كل الشعب بدون استثناء ، مما أدى إلى عامل قوى ، عزز وحدتهم منذ نمو الحركة الوطنية فى إريتريا رافعين شعار " الدين لله والوطن للجميع " .

الباب الرابع

البحر الأحمر وأهميته الإستراتيجية وصراع الدول
على مدى العصور القديمه والحديثه

الفصل السادس عشر

الموقـــع الجغرافـــى

البحر الأحمر منخفض أرضى ، يصل بين شبه الجزيره العربيه وشمال فريقيا ، مروراً بشريط مائى يبدأ من السويس إلى باب المندب ، ويبلغ متوسط عرضه حوالى ١٩٠ ميلا بحرياً ، وأقصى عرض له يبلغ ٢٣٠ ميلا ، ومساحته حوالى ١٦٩ الف ميل مربع والمنطقه الصالحه للملاحه ضيقه نسبياً ، وذلك نظراً لوجود الشعب المرجانيه والصخور .

وقد أطلق الجغرافيون القدامى أسماء شتى على البحر الأحمر منها بحر "الغرمه" و "القلزم" - وهما ميناءان مصريان قديمان - وأما المحدثون فيذكرون أن اسم البحر الأحمر جاء من طبقة الطحالب الكثيفة التى تطفى على مياهه بلونها البنى المائل إلى الحمره .

وتقع المملكة العربية السعودية واليمن على شاطئه الشرقى ، وعلى شاطئه الغربى مصر والسودان وإريتريا ، وبجانبه رقعة ضيقة من الاردن وفلسطين المحتلة (ميناء العقبة وإيلات) اللتان تطلان على خليج العقبة وهو امتداد للبحر الأحمر ، كما تطل على طرفه الجنوبى دولة جيبوتى .

وقد اطلق عليه اليونانيون اسم تريكو ديسميوم ارثريوم (أى البحر الاحمر) Trichodosmium Erythaceum وذلك لتكاثر الطحالب العائمة على سطحه ، والتى تعكس على صفحة الماء لوناً احمر . وقد عرف عند الجغرافيين العرب ، فى العصور الوسطى ، باسم بحر القلـــزم.

ويعتبر البحر الأحمر جزء من الاخدود العظيم الذى يمتد من وسط إفريقيا الى الاردن والبحر الميت ، والذى تشكل بفعل البراكين فى عصور سحيقة مما أكثر

من الشُعَب المرجانية فى شواطئه، وبخاصة الشمالية منها وأدى هذا إلى قلة عدد المراسى الصالحة للملاحة . وامام الشاطىء الإريترى توجد اكثر من ١٢٠ جزيرة معظمها بركانية التكوين وغير مأهولة واهمها جزر دهلك .

وتبلغ الملوحة فيه درجة عالية ؛ لانعدام الأنهار التى تصب فى مياهه ، مع ارتفاع درجة بخار الماء مما جعل صناعة الملح ناجحة وبخاصة فى الشواطىء الإريترية . ويعتقد العلماء وجود ثروات معدنية ضخمة فى جوفه ، وخاصة الغاز الطبيعى والبترول والحديد والذهب وغيرها ، مما دفع بعض الدول الواقعة على شواطئه – كالسعودية والسودان – للدعوة إلى مؤتمرات لبحث مصير تلك الثروات واجراء الدراسات والاتفاقيات بشأنها .

وأهم الموانى الواقعة على البحر الأحمر هى السويس والغردقة فى مصر، بورت سودان وسواكن وعقيق فى السودان ، مصوع وعصب فى إريتريا ، المخا والحديدة وعدن فى اليمن ، جدة وينبع ورابغ وجيزان فى السعودية .

ومع ان معظم شواطىء البحر الاحمر قاحلة وقليلة السكان ، الا ان مجموع سكان البلاد الواقعة فى حوضه – باستثناء الاطراف الشمالية والجنوبية – لا يقل عن ٧٠ مليون نسمة (مصر ، والسودان ، وإريتريا ، اليمن والسعودية) .

ويُعد البحر الأحمر من أهم الممرات المائية الدولية ، ويربط تجارة الشرق بالغرب عبر قناة السويس ، كما انه ممر حيوى لناقلات البترول من الخليج العربى إلى أوربا . ولهذا زاد الاهتمام بوضعه السياسى والإستراتيجى من قِبَل دوائر عديدة ، ودعت جامعة الدول العربية الى مؤتمر لدول البحر الأحمر العربية .

الموقـــع الإستراتيجى :

يكتسب البحر الأحمر أهميته الإستراتيجية من موقعه الجغرافى ضمن طريق قناة السويس فى شماله وباب المندب من جنوبه ، حيث يتحكم فى إحدى الطرق

الرئيسيه لتجارة العالم وخاصه فى مجال البترول ، ويربط بين منطقتين من أخطر مناطق الصراع الإقليمى والدولى ، وهى الشرق الأوسط والقرن الإفريقى والخليج أيضا ، التى أصبحت تتأثر بمجريات الأحداث فى هذه المنطقه ، فيكون البحر الأحمر حلقه الصلة بينهم جميعاً. ويتصل البحر الأحمر عن طريق باب المندب بالمحيط الهندى الذى أصبح محلا للتنافس الدولى الجديد .

نبـــذة تاريخيـــة :

ظلّ البحر الأحمر ، على مدى العصور ، عاملا فعالا لربط البلاد المحيطة به، بعضها ببعض ، وكان طريقا للملاحة بينها ، ووسيلة تُسهل التبادل التجارى ، فأنتفع كل بلد بما يوجد لدى الآخر ، وساعد ذلك على ازدهار الأحوال فى تلك البلاد . وحينما تقدمت الملاحة وبدأت المواصلات مع الهند والصين وبقية بلاد الشرق الأقصى ، زادت قيمة هذا البحر ؛ إذ أن دوره لم يقتصر على توصيل تجارة ومنتجات هذه المناطق الى بلاد الشرق الادنى فحسب، بل أصبح هو الممر التجارى لتموين العالم الاوربى ، بكل ما يلزمه من هذه التجارة وتلك المنتجات . وأثر ذلك بالتالى على بلاد الشرق الادنى وأهالى هذه المنطقة ، الذين جنوا ثروات طائلة من العمل فى هذه التجارة ، ومن فرضهم الضرائب عليها عند مرورها فى أرضهم ، فظهر الازدهار فى هذه المنطقة ، وأثر ذلك بالتالى فى العلوم والفنون والآداب.

ولكن الزمن دار دورته ، وقامت حركة الإستكشافات البحرية فى غرب أوربا ، ونجحت هذه الحركة فى العثور على طريق حول إفريقيا وهو رأس الرجاء الصالح ، الذى سلب منطقة الشرق الأوسط أهميتها وثروتها؛ نتيجة توقف سريان التجارة العالمية فى البحر الأحمر .

الفصل السابع عشر

البحر الأحمر فى العصور القديمة

ربما كان المصريون القدماء هم أول من سافر فى البحر الأحمر لحاجتهم الى شواطئ إريتريا ، وبلاد الصومال ، وجنوب الجزيرة العربية وخصوصا للحصول على البخور والعطور وبعض الأخشاب ، اللازمة للمعابد وللحياة الدينية . فأتخذوا البحر الأحمر طريقا لمواصلاتهم مع تلك البلاد . ويذكر التاريخ ؛ ان ساحورع - من ملوك الإسرة الخامسة - قد أنشأ مواصلات بحرية مع بلاد الصومال رأسا، وجلب منها المر والذهب والفضة . ولقد قامت الملكة " حتشبسوت" برحلة إلى بلاد الصومال - كما تبين آثار معابدها - وحفرت ترعة تصل بين النيل والبحر الاحمر . وقد أهتم الفراعنة بحفر الآبار ، وإقامة الحاميات على طول الطريق المؤدى إلى البحر ، وساعد ذلك على ازدهار المحطات التى كانت تمون القوافل والبعثات فى طريقها لهذا البحر .

وبعد فتح الإسكندر الاكبر لمصر ، عمل خلفاؤه من البطالمه على ضم ملحقات مصر، وسعوا إلى السيطرة على الطرق التجارية ، فالّتفتوا الى طرق التجارة الوافدة من إفريقيا وبلاد العرب والهند وحاولوا تركيزها فى مصر .

وأنشأ " بطليموس الثانى " عددا من الموانئ فى البحر الأحمر ؛ أهمها "أدوليس" أو "عزولى" كما يسميها الاهالى ولا تزال رسومها موجودة إلى الأن بالقرب من مصوع فى إريتريا ، ووصلت سفن البطالمة حتى رأس جاردا فوى بالصومال . وكانت تجارة الشرق تُنقل من عدن إلى السفن المصرية ، التى تواصل الإبحار بها شمالاً ، تمهيداً لتوزيعها على بقية بلاد العالم المعروفة فى ذلك الوقت .

وقد وصف رحال يونانى حالة الازدهار التجارى فى القرن الأول الميلادى

بين ادوليس وبين بلدان العالم المعروفة عندئذ فيقول فى كتابه "الكشاف البحرى" (THE PRYPLUS OF THE ERYTHRAUAN SEA .

: " كان فى ادوليس مجتمع منظم ، ازدهر فى هذه المدينة الكبيرة ، ذات المبانى الجميلة والمعابد والحمامات والشوارع الواسعة " ٠ ويعجب المؤلف – حسب وصف المؤرخ البريطانى " باذل دافيدسون" فى كتابه "إفريقيا تحت أضواء جديدة" – لكثرة السفن العربية على الساحل الإريترى ، ويشيد بقدرة العرب على العيش مع الأهليين ، حيث يتزاوجون ، فتختلط الانساب ، ولايجد الخصام سبيلا بينهم وبين القوم ، تجىء سفنهم من الجزيرة العربية ، ومن كل صوب فى المحيط الهندى ، بالخناجر والرماح والزجاج ، وتقلع وهى تحمل العاج وقرون الخرتيت وجلود السلحفاة ، ورأى الرحالة الإفريقى فى عدوليس فى القرن الأول الميلادى ، عيشا رافهاً آمنا بعضه من بعض .

أدوليس والقوى الدولية المتصارعة عليها منذ العصور الغابرة :

أدوليس التى بدأت على الساحل الإريترى (بالقرب من مدينة زولا الحالية) كمرفأ صغير ؛ ليفى بالحاجة ، فى القرن الأول بعد الميلاد ، حيث تطورت بمرور الزمن لتصبح ممراً ، لتنفذ منه الحضارة السامية واليونانية والمصرية والرومانية ، إلى داخل البلاد وأهم هذه المناطق مدن : كولوى – مطرة – ويحا – أكسوم ٠ ولقد أصبحت مركزا للتجارة العالمية ، تستخدم كوسيط مهم بين التجار اليونايين والمصريين والرمانيين ، وبين الجنوب العربى والهند ، كما كانت المنتجات المحلية ؛ من العاج والبخور والبهارات والعطور والجلود المدبوغة وقرون الكركدن ، كل ذلك كانت تصدر عبر أدوليس ، كما عرفت إريتريا بهذا الإسم منذ القرن الثالث قبل الميلاد ، وقد أطلقه عليها البحارة اليونانيين ، باعتبار أن ساحلها يطل على البحو الأحمر ٠ وجاء هذا الإسم من طبقة الطحالب الكثيفة التى تطفى على مياه لونها المائل إلى الحمرة ٠ وقضى الرومان – أيام مجدهم – بهذه التسمية البحر الأحمر

حين فرضوا نفوذهم عليها وعلى مدينة أدوليس منذ ذلك العصر ٠

ومدينة أدوليس عريقة فى القدم ، وقد عرفها العرب قبل بطليموس باسم " عدولى " وباللهجة المحلية التجرى " عزولى " وكانت كلمة عدولية تطلق على السفن التى كانت يتم صنعها فى ميناء أدوليس القديم ، وكان هذا الميناء معبرا لكثير من الهجرات القديمة إلى البر الإريترى ٠ وقد اشتهر الميناء وازدهر فى عهد " بطليموس " فيلادلفبوس ، أحد ملوك البطالسة اليونانيين ، الذين حكموا مصر بعد أن إنقسمت امبراطورية الإسكندر الأكبر ٠ وكان المجتمع العدولى منظما ، ويعيش أمنا وكانت عدولية واسعة ذات مبانى جميلة ، تركزت فيها المعابد والحمامات ، ولعل أطلال عدولى الآن ومدينة : " قحيته " يشهدان على حضارة الساحل الإريترى فى القرون القديمة ٠

وقد ذكرها شعراء العرب قبل الإسلام ، فذكرها (طَرفَة بن العَبدِ) فى معلقاته قائلا : عدولية أو من سفينة ابن يامن – يجور بها الملاح طورا ويهتدى ٠

ويقول الأستاذ عبدالمجيد عابدين فى كتابه " بين الحبشة والعرب " : ومن المعروف أن الساحل الإريترى كان حلقة الإتصال بين الأحباش وكثير من الأمم الأخرى ، وأن تاريخ هذا الساحل أقدم فى الوجود من الدولة الأكسومية ٠ فقد يرجع تاريخه إلى حوالى القرن الثالث قبل الميلاد " ٠

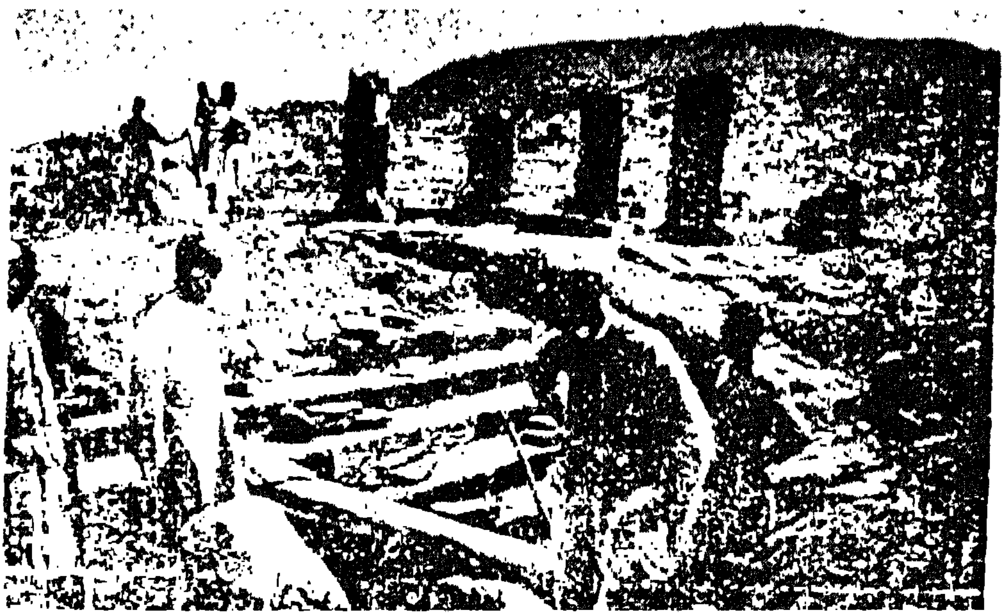
وقـــد كشفت أعمال الحفر ، التى قامت بها بعثة إيطالية سنة ١٩٠٦، برئاسة "بربينى " PARIBENI على اطلال معبد يونانى فى نظامه وفنه ، ووجدوا فيه كتابات تثبت علاقات غير ودية بين أدوليس ومملكة اكسوم ، التى كانت تحاول بسط سيطرتها على أدوليس فى العصر المسيحى الأول ، ولكنها لم تستطع ذلك ، رغم أنها كانت دولة توسعية قوية فى ذلك الوقت ، وذلك بسبب عدم ملاءمة المناخ الساحلى لهم ، حيث كانوا يحشدون فيها أسلحتهم ومعداتهم عند محاربة بلاد العرب ، وينسبون فيها آثارا تذكر انتصاراتهم على اليمن ٠ وهذا المعبد يرجع إلى

عصر استيطان الجاليات الإفريقية فى عدولى . بل هذا العصر كثر فيه البحارة الإغريق ، الآتون من مصر والإسكندرية ، كذلك العرب المهاجرون من الجزيرة العربية . (جاء هذا الوصف فى كتاب " الكشاف البحرى"، ، الذى وضعه بحار يونانى فى القرن الأول الميلادى) . ويذكر صاحب بريلوس عن أدوليس فى وصفه للمدينة أنها كانت ذات حجم متوسط ، وكانت تبعد عن " كولا " – وهى مركز داخلى لتجارة العاج – سيرا على الأقدام ثلاثة أيام ، وعلى مقربة من موقع " عدى قيح " الحالية فى إقليم إكلى غوزاى . ويضيف أن فى أدوليس كانت جالية يونانية كبيرة، كما كان فيها جاليات فارسية وعربية وإفريقية ، وأن اللغة اليونانية هى اللغة المكتوبة السائدة " .

أدوليس والصراع الدولى :

كما أوضحنا أن دولة اكسوم لم تدخل فى حلبة الصراع الدولى الذى كان قائما فى ذلك العصر ، للسيطرة على مداخل البحر الأحمر ، فانحصر الصراع بين اليونان والفرس فى عهد الإسكندر الأكبر ، ثم بين الفرس والرومان الذين ورثوا الحضارة اليونانية القديمة .

وقد انتهى دور أدوليس التاريخى بعد تمكن الفرس من السيطرة والنفوذ فى اليمن فى عهد ذى يزن ، الذى هزم وطرد الأكسوميين ، مما مكن الفرس من مد نفوذهم وسيطرتهم على سواحل أدوليس وجزر دهلك ، وبذلك تقلصت تجارة أدوليس، وأصبحت بمرور الزمن مدينة مهجورة أو ميتة وانتهى أمرها ، حتى غزوات البيجه للساحل الإريترى فى تلك الفترة ، كما أصبحت وكرا للقراصنة حتى الفتح الإسلامى لمصر فى القرن الثانى الميلادى ، فاحتلها الأمويون مع بقية أجزاء الساحل الإريترى . وهكذا كانت أدوليس مسرحا للصراعات الدولية والإقليمية ، وظلت أطلالها خير شاهد لإبطال المزاعم الإثيوبية التى كانت تدعى بأنها كانت لها علاقة بهذا الساحل .



آثـار أدوليـس

على أن سكان جنوب الجزيرة العربية الذين اكتشفوا الملاحة البحرية وازدهارها فى هذه المنطقة من المصريين . بل إن بعض المؤرخين يعتقدون أن قدماء المصريين هم من أصول سامية نزحت من جنوب الجزيرة العربية عبر باب المندب

الذى كان فيما يقال ممرا برياً قبل أن يتفتق بفعل البراكين .

والمعروف تاريخيا أن سكان مملكة أكسوم "الحبشية التى نشأت قبل الميلاد فى هضبة إريتريا والتجراى ، إنما كانوا من نازحى اليمن فى عهود دولة سبأ وحمير وبخاصة بعد أن دمرت السيول سد "مأرب" المشهور . ونقل النازحون حضارتهم إلى الشاطئ الغربى من البحر الأحمر ، ونظموا الزراعة على شكل مدرجات فى سفوح الجبال - على غرار نظام الزراعة فى وطنهم الاصلى بهضبة اليمن الخضراء - . وكانت أكسوم حاضرة مملكتهم ، ولاتزال المسلات المشهورة شاهدة على عظم حضارتها ، فى مضمار البناء والتعمير . ويقول بعض الباحثين : إن منطقة أكسوم كانت تابعة لملكة سبأ وحمير وريد ان فى اليمن . وأن لقب " النجاشى " او "نجوس" بالحبشية كان يعنى ،"جامع الضرائب" وهو مُوفد من ملك اليمن إلى تلك البقاع لجمع الضرائب من النازحين ، الى ان استقل بالملك . وربما كان ذلك هو الإساس للدعوى الغريبة لملوك إثيوبيا بالانتساب الى بلقيس ملكة "سبأ"، التى ينسبونها الى أنفسهم وتروى أساطيرهم بحملها سفاحا "منيليك" الأول أى "ابن ملك" من سليمان الحكيم .. بعد أن رحلت إليه فى "اورشليم" .. وهى القصة المروية فى الكتب السماوية المقدسة . ولا يزال التشابه قائما بين اللهجات السامية المنتشرة فى إريتريا واثيوبيا - التجرى ، التجرينية ، الامهرية ، الجراجى ، والهررى - وبين اللغة الحميرية القديمة ، وكان البحر الاحمر هو المعبر لهذا التمازج الحضارى والتزاوجات التاريخية بين سكان ضفتيه .

ولما غزا أبرهة الاشرم - ملك الحبشة - اليمن لانقاذ نصارى نجران من أضطهاد اليهود ، الذين كانوا يحرقونهم فى الاخدود ، بناء على طلب الامبراطور " جستا نيان- عاهل الامبراطورية الرومانية البيزنطية - فأستأجر السفن من ميناء "أدوليس" وعبر بها البحر الأحمر ، ثم استعمر اليمن اكثر من سبعين عاماً وعرف بصاحب الفيل ، الذى حاول تدمير الكعبة وأفنت جيوشه طيرا أبابيل ، كما يروى

القرآن الكريم فى سورة " الفيل " .

ولم يكن البحر الأحمر منذ عصر قديم بحر سلام وتجارة فحسب ، بل كان كذلك ، موقع صراع وتطاحن بين اصحاب التجارة والسطوة . فالتجارة والازدهار الاقتصادى يتطلب حسب عرف الانسان الرماح والمدافع لحمايتها .

وقبل ان يعبر الاحباش البحر الاحمر غزاة ، حاول الرومان بدورهم السيطرة على طرق التجارة العالمية ، والعمل على مرور اكبر كمية من هذه التجارة فى الاراضى الخاضعة لهم ، فأرسلوا الحملات لغزو اليمن واباد اليمنيون احداها وكانت تتألف من عشرين ألف محارب قدموا من مصر .

ثم أمر الامبراطور " أغسطس " بتدمير عدن ، والتى كان يسيطر عليها الفرس : عملا على انتعاش تجارة مصر ، فأصبحت لمصر المكانة الأولى فى التجارة بين الشرق والغرب، رغما عن استمرار بعض القوافل التى عملت على نقل التجارة الشرقية ، بين المخا والموانىء السورية، ولقد فرض الرومان ضرائبا باهظة على السفن العربية والهندية، التى تلجأ الى موانى الأقاليم الخاضعة لهم فى البحر الاحمر ، دفعا لاصحاب المتاجر الى استخدام سفن اقاليم خاضعة للرومان . وانتعشت التجارة فى " أدوليس" فى القرون الأولى للمسيحية خاصة بعد ان أعتنق ملك أكسوم – " عيزانا " – المسيحية ، على أيدى قسيسين سوريين من صيدا – فرمنتيوس وأوديسيوس – اللذين باعهما أهل " أدوليس" إلى الملك، إثر غرق سفينتهما فى شواطئ أدوليس بعد ان نشأ بينهم شجار بسبب الضرائب . وكانت " أدوليس " ترتبط بأواصر تجارية قوية مع أكسوم ، التى لم تبعد عنها سوى نحو ٤٠٠ كيلو مترا فى المرتفعات الجبلية ، كما كانت لها علاقات تجارية مماثلة مع مملكة "مروى" بالسودان .

وبسط الرومان سيطرتهم على ميناء " أدوليس" وجزر " دهلك " و " المخا " فى اليمن و" عيذاب" فى السودان ، وعددا من الموانئ الاخرى فى البحر الاحمر، وأعادوا حفر الآبار عليها، كما أعادوا حفر القناة الموصلة بينهما فى عهد الامبراطور " تراجان "، وعملوا على تقليل خطر القراصنة فى البحر الأحمر والمحيط الهندى .

ثم انتهج البيزانطيون سياسة تشجيع التجارة فى البحر الأحمر ، تقليلاً لأرباح أعدائهم الفرس من التجارة ، التى تمر عبر اراضيهم . وكان البيزانطيون يتعاونون مع أحباش مملكة أكسوم، ويشترون منهم بضائعهم عبر ميناء " أدوليس ". ومرت هذه التجارة بمصر وساعدت على استمرار رواج أحوالها

الفصل الثامن عشر

البحر الاحمر فى العصور الإسلامية الأولى

عندما ظهرت دولة العرب واستولت على مصر ، أقترح عمرو بن العاص حفر قناة ، تصل بين البحرين الأحمر والابيض ، ولكن الخليفة عمر بن الخطاب خشى من أن يتمكن الروم من استخدام هذه القناة فى عملياتهم الحربية ضد العرب ، ولكنه سرعان ما فطن إلى أهمية اعادة وصل البحر الأحمر بالنيل ، وخاصة لإرسال القمح إلى الحجاز ، فأمر بإعادة حفر القناة القديمة ، التى عرفت باسم " قناة امير المؤمنين " . وأخذت تجارة الشرق الأقصى تسير عبر البحر الاحمر ومصر الى الإسكندرية .

وجاءت فترة الحروب الصليبية واستقرار الصليبيين فى الشام . وأرادت أوربا فعلا، أن تمنع عن مصر الموارد الاولية اللازمة للحرب، فأصدر البابا وبعض الحكومات الأوربية قوانين ومراسيم بمنع توريد هذه الاصناف لمصر . ولكن لم يكن للطرفين أن يضحى بالمبالغ الوفيرة التى يربحونها من التجارة ، فتعامى الكثيرون عند تنفيذ المراسيم البابوية، وظلت التجارة عبر البحر الأحمر ومصر منتعشة ، حتى أن رسول فردريك بربار وسا قد أعلن دهشته عندما رأى النشاط التجارى فى الإسكندرية سنة ١١٧٥ م .

ويقول الدكتور / جلال يحيى فى كتابه" البحر الاحمر والإستعمار" إن الهنود والعرب والمصريين ، كانوا يتعاونون فى نقل التجارة المتجمعة فى عدن الى ميناء "عيذاب"، حيث يبدأ نقلها بعد ذلك على ظهور الجمال حتى " قوص " ثم يعاد شحنها فى النيل حتى "دمياط" و "رشيد " . وكان سلطان مصر يحرم على تجار الغرب الدخول إلى البحر الأحمر؛ خشية تآمرهم مع الاحباش ضد بلاده" .

وبعد نهاية الحرب الصليبية فقدت " عيذاب " أهميتها التجارية ، وخاصة بعد تجربة ميناء " الطور " التى أصبحت مركزا لسير القوافل صوب مصر ، وصوب الشام ، كما أن عدن فقدت هى أيضا أهميتها السابقة ، ذلك أن أمير اليمن حاول أن يمنع التجارة من المرور إلى مصر ، وفكر التجار الهنود فى مصلحتهم، ووجدوا أن سلطان مصر يتحكم فى نهاية المرحلة ، فبدأوا يستخدمون " جدة " لتفريغ بضائعهم بعد أن استولى عليها الملك الأشرف بارسباى ، وأخذت هذه التجارة تنقل بالقوافل عن طريق " مكة " والحجاز شمالا حتى مصر، او يعاد نقلها على سفن حربية حتى الطور .

وفى القرن السادس الميلادى وبعد ظهور الإسلام فى مكة المكرمة ، أشار الرسول -عليه الصلاة والسلام - إلى بعض اصحابه بالهجرة الى الحبشة ، بعد أن تعرضوا لاذى كفار قريش . فخرج من " مكة المكرمة "فى أول الأمر أحد عشر رجلا وقيل إثنا عشر ، أربعة منهم متزوجون ، ومعهم نساؤهم . وعلى رأس هؤلاء عثمان بن عفان - رضى الله عنه - وزوجته ام كلثوم ابنة رسول الله عليه السلام ، وقد وفق الله لهم ساعة جاءوا سفينتين للتجار حملتاهم ، لقاء نصف دينار ، ورست بهم السفينتان فى بلدة "معدر" فى الشاطئ الإريترى ومن ثم ساروا إلى الحبشة ، حيث احسن النجاشى استقبالهم . ولم يكن هؤلاء الصحابة المهاجرون ، إلا طليعة الموكب ، اذ تتابع المهاجرون المسلمون بعد ذلك حتى اكتمل منهم عدد ليس باليسير فى كنف النجاشى الصالح .

وهكذا فأن البحر الاحمر لم يكن فقط معبرا لنزوح الشعوب ، ولا لتبادل التجارة فقط ، بل كان معبرا للعقائد والافكار ، إذ بهذه الهجرة بدأ الإسلام فى تشييد جسوره مع إفريقيا حتى انتشر فى أجزاء كبيرة من شمال شرقى إفريقيا .

وفى القرن الثامن الميلادى احتل الخلفاء الأمويون العرب جزر " دهلك " وتبعا لذلك مدوا نفوذهم إلى المنطقة الساحلية كلها ، وذلك إثر غارة شنها القراصنة

من البر الإريترى على جدة فى عام ٨٤ هـ وهددوا بتدمير مكة المكرمة . وأناط الأمويون ومن بعدهم العباسيون على أنفسهم ، بمسئولية حماية الطرق التجارية فى البحر الأحمر، وأقاموا لهذه الغاية القلاع فى جزر دهلك وزودوها بالسفن الحربية . وكان العرب يستعملون " دهلك " منذ عهد امير المؤمنين عمر بن الخطاب ، منفى للمغضوبين عليهم من الدولة ؛ لبعدها وشدة حرارتها ، ومن هنـــا قال عنها أحد الشعراء العرب وكان اسم حاكمها – مالك بن شداد – :

واقبح بدهلك من بلدة — فكل امرئ حلها هالك

كفاك دليل على أنها — جحيم وخازنها مالك

كما قال شاعر آخر ، يشير إلى بعدها ويؤكد ملاحقته لحبيبته : –

ولو سكنت خلف الثريا لزرتها — ولو كانت بدهلك دارها

وفى تلك الفترة الإسلامية الأولى بقيت معظم الشواطئ الغربية للبحر الاحمر تحت سطوة قبائل البيجة الرعوية ، بعد ان دمرت ميناء "أدوليس" ، ومحقت مملكة أكسوم بفعل توافد قبائل البيجة من جنوب مصر . وقد عقد أحد خلفاء الفاطميين إتفاقية مع "مكنون بن عبد العزيز " – عظيم البيجة – بموجبها اعترف له بالسلطة على مناطـق البجـــية إلى " جزيرة الريح" اوميناء " مصوع " الحالية . ويقول " اسبنسر ترمنجهام " فى كتابه "الإسلام فى إثيوبيا" "أسست قبائل البيجة خمسة ممالك مستقلة فى غرب وشمال شرق إريتريا . وكانت "باضع" أو "مصوع " ميناء بحريا له اتصالات تجارية مع سلاطين مصر" ويقول " جسمان جلسو " فى كتابه " غرائب اثيوبيا" : " إن مصوع والموانى القليلة على البحر الأحمر أصبحت إسلامية فى وقت مبكر ، وبعد تدمير "أدوليس ازدهرت حضارة إسلامية فى جزيرة دهلك بالقرب من مصوع فى مستهل القرن الثامن " .

وعرفت الشواطئ الغربية للبحر الأحمر لدى المؤرخين العرب بأسماء مختلفة منهـــا؛ (بلاد الطراز الإسلامى) تطرز الساحل الإفريقى بالدين الإسلامى ،

بينما الدواخل كما يقول المسعودى فى كتابة " معجم البلدان " ، وعرفت أيضا ببلاد "الزيلع" ، وبلاد " الجبرته" ، وإليها ينسب المؤرخ المصرى المشهور عبد الرحمن الجبرتى .

الصراع البرتغالى والعثمانى فى القرن السادس عشر فى البحر الاحمر :

كما أسلفنا ، حصلت كل من مصر والبندقية على مكاسب كبيرة من الإشتغال بالتجارة مع الشرق ، عبر البحر الأحمر . وكان هذا من أهم الأسباب التى دفعت البرتغاليين إلى محاولة العثور على طريق آخر ، يوصلهم إلى ثروات الشرق ، وكانت حركة الإستكشافات الجغرافية قد نشطت ، وتمكن " بارتلو ميو دياز " من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح ، ثم وصل فاسكو داجاما الى كلكتا ، وأخيرا وصل" كبرال " بأسطوله الضخم إلى الهند ، بعد ثلاثة عشر عاما من الوصول إلى رأس الرجاء الصالح .

وقد اصطدم البرتغاليون مع المصريين فى مياه الهند ، وحاول البرتغاليون قطع التجارة الهندية مع مصر ، وتنبهت كل من مصر والبندقية إلى ذلك الخطر الجديد – خطر انتزاع التجارة الشرقية منهم – وتحويلها إلى طريق رأس الرجاء الصالح والمحيط الأطلسى – وتقدمت البندقية بأقتراحاتها لتخفيض الرسوم على التجارة التى تمر بمصر، وبحفر قناة تصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض ، ومحاولة إقناع امراء الهند بعدم التعامل مع البرتغاليين ، حتى لايضطروا للخضوع لهم فى يوم من الأيام . ولكن البندقية رفضت القيام بدور فعال فى هذا الصراع الاقتصادى العالمى ، إذ لم تكن ترغب فى ضم البرتغال إلى أعدائها . وفى سنة ١٥٠٨ هزم أسطول مصر الإسطول البرتغالى بقيادة الميدا ، بالقرب من جزيرة " ديو" بالمحيط الهندى ، بعد ان عبر البحر الأحمر ولكنه هُزم فى معركة أخرى فى سنة ١٥٠٩ .

وتمكن البرتغاليون من الإستيلاء على جوا في الهند ، ولكنهم فشلوا في الإستيلاء على " عدن " امام مقاومة اليمنيين ، وأرسل الغورى - سلطان مصر - حملة بحرية الى اليمن لتقوية المراكز العربية فيها . ولكنّ هذه الحملة عملت على الإستيلاء على مدن اليمن نفسها ، وبينما هى منهمكة فى هذه العمليات ، وصلت أنباء هزيمة الغورى وقتله واحتلال العثمانيين لسوريا ومصر . فانتهى نشاط مصر ومشاريعها فى البحر الأحمر ، وحلت محلها الدولة العثمانية التى استولت على الجزيرة العربية كلها .

وكان البرتغاليون قد سيطروا على موانىء البحر الاحمر الواقعة على الشاطئ الغربى وخليج عدن : سواكن، مصوع ، زيلع ، بربرة . وحول " الفاريز "، الذى ترأس البعثة التبشيرية البرتغالية إلى الحبشة ، دمر مسجد مصوع وحوله إلى كنيسة للجنود البرتغاليين فى عام ١٥٢٠ . ونزل الجيش البرتغالى ، الذى جاء لنجدة ملك الحبشة ضد فتوحات الإمام أحمد بن إبراهيم - امير هرر- فى ميناء زولا الإريترى ومن ثم توغل إلى هضبة الحبشة ، حيث شارك فى هزيمة الإمام .

ورأى العثمانيون فى سيطرة البرتغاليين على المراكز الحساسة فى طرق التجارة فى البحر الأحمر ،والقريبة من الاماكن الإسلامية المقدسة فى الحجاز ، خطراً على مصالحهم .

وكان البرتغاليون يعملون - من خلال تحالفهم مع الحبشة - على تعزيز وجودهم العسكرى والتجارى فى حوض البحر الأحمر ، وضمان استمرار تجارة أوربا مع الشرق عبر رأس الرجاء الصالح ، وابعادها عن مصر والشام .

وأعد العثمانيون أسطولا حربيا قاده " سنان باشا " ، ونازل البرتغاليين أمام شواطئ مصوع فى عام ١٥٥٤ ، وهزم الأسطول البرتغالى ، الذى كان يقوده " دون جوان دى كاسترو ". ثم صفوا المواقع البرتغالية على طول امتداد شواطئ

البحر الأحمر، وبنوا بها القلاع . وفى عام ١٥٥٧ أحتل الاتراك العثمانيون ميناء مصوع . وتعاون أهل البلاد مع الاتراك ومع تجار " كتلان" – المنافسين للبرتغاليين والذين كانوا يبنون السفن التجارية فى زيلع ببلاد الصومال – وذلك من اجل طرد البرتغاليين الذى أتسم حكمهم بالوحشية والتعصب .

على أن سيطرة البرتغاليين ، والأمم الأوربية الأخرى على تجارة الشرق عبر رأس الرجاء الصالح ، أفقدت البحر الأحمر أهميته الإقتصادية ، كممر مائى دولى، ومن ثم تحولت السيطرة العثمانية إلى سيادة اسمية ، وانحدرت حركة التجارة والعمران فى شواطئ البحر الأحمر القاحلة إلى أدنى مستوى خلال القرون الثلاثة التالية ، حتى انتعشت من جديد بفتح قناة السويس فى عام ١٨٦٩ .

وجاءت الحملة الفرنسية إلى مصر فى نهاية القرن الثامن عشر، بقيادة " نابليون بونابرت " وفكرت فى وصل مياه البحرين ، الأحمر والأبيض ، عن طريق قناة مباشرة بينهما . وكانت فرنسا تسعى إلى ضرب إنجلترا فى الهند ، والسيطرة بالتالى على تجارة الشرق الأقصى مع أوربا ، عندئذ عملت بريطانيا على طرد فرنسا من مصر ، وعلى توكيد سيطرتها على المحيط الهندى والبحر الأحمر عند عدن وبريم ، التى تعتبر المفاتيح الجنوبية للبحر الأحمر . وظل هذا العامل عاملا فعالا فى تسيير السياسة البريطانية على مدى قرن ونصف قرن احتكارا ، وتحكما فى طرق التجارة العالمية ، وفى من يعيشون على طول هذا الطريق ان لزم الامر .

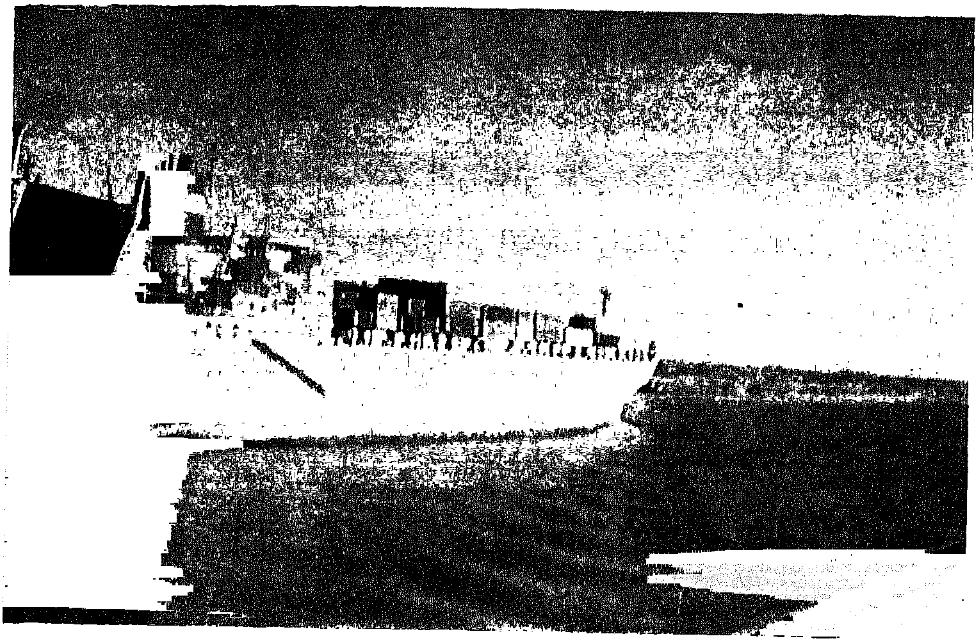
الفصل التاسع عشر

صراع الإستعمار فى حوض البحر الأحمر بعد فتح قناة السويس

كان حفر قناة السويس نقطة تحول هامة فى تاريخ البحر الأحمر ، وتاريخ التجارة العالمية ، وتاريخ الإستعمار . وحاولت كل الدول الإستعمارية – فرنسا ، إيطاليا ، بريطانيا وغيرها – أن تحصّل على محطات بحرية على طريق المواصلات الجديد بين الشرق والغرب . محطات تقوم بتخزين الفحم والمؤن والتموين فيها لسد حاجة سفنها . وتحولت هذه المحطات الى قواعد هامة ، وكانت هذه المحطات هى ، عدن الانجليزية وأبوخ الفرنسية وعصب الايطالية ، والتى كانت نواة الإستعمار الأوربى ومراكزه فى البحر الأحمر .

سيطرت إنجلترا على عدن فى عام ١٨٣٩ ، بعد معركة غير متكافئة مع سكانها، ورأت فيها قلعة تسيطر على المحيط الهندى ، ونقطة ارتكاز فى طريق الملاحة صوب البحر الأبيض المتوسط ، علاوة على كونها مركزا هاما للتوسع فى جنوب الجزيرة العربية وفى بلاد الصومال وفى شرق إفريقيا ، خاصة وأن انجلترا كان يمكنها من هذه القاعدة ان تتعامل مع رؤساء الحبشة ، وان تتخذ من بلادهم المرتفعة مكانا تشرف منه على وادى النيل ان تأزم الأمر . وهذا ما حدث عندما شنّت حملتها المشهورة بقيادة " لورد نابير "الذى جعل من عدن موقع تموينه ، وزحف عبر ميناء زولا الإريترى الى هضبة الحبشة ، وأفرج عن القنصل البريطانى المعتقل ، بعد ان قتل ملك الحبشة – تيودور – ، وهزم جيشه فى العام الذى فتحت فيه قناة السويس ١٨٦٩م .

ومن عدن أرسلت إنجلترا مبعوثها إلى ملك "شوا" – احدى مقاطعات الحبشة– والذى عقد اتفاقية معه فى عام ١٨٤١م ونصت على :عدم فرض أى رسوم تزيد على ٥ ٪ من قيمة البضائع الإنجليزية التى تدخل الحبشة ، وتعهد فيها ملك شوا بإبقاء طرق التجارة مفتوحة ، وتسهيل سفر الإنجليز فى المنطقة .



صورة لباخرة تعبر قناة السويس

وفى عام ١٨٨٢ تم لانجلترا السيطرة على ميناء بربرة الصومالى ،الذى كانت به حامية مصرية ، وكان يخضع اسميا للدولة العثمانية ، وذلك بعد أن أرسلت السلطات البريطانية فى عدن ، الميجر " هنتر" مع خمسين جنديا كحرس شخصى، واعترضت تركيا على الإحتلال البريطانى ، ورفض الباشا المصرى إجلاء قواته من الحامية ، ولكن إنجلترا رفضت المطالب التركية ، وأجلت الحامية المصرية من بربرة وزيلع ، وعملت على تأسيس مستعمرة لها أطلق عليها اسم " الصومال البريطانى" فى الجزء المقابل لعدن . ولقد ثار شعـــب الصومال ضد المغتصب البريطانى ، بقيادة المجاهد الكبير السيد : "محمد عبد الله حسن " ، وواصل جهاده مدة عشرين عاما ، أذاق فيها الاستعمار البريطانى مرارة الهزيمة أكثر من مرة . ولكن الامبراطورية البريطانية - بالتواطىء مع الحبشة وإيطاليا - تمكنت بعد الحرب العالمية الثانية من وضع قوات كبيرة فى هذا الميدان ، مما تسبب فى إضعاف المقاومة الاهلية ، ثم القضاء على قواتها العسكرية .

وكما توسعت إنجلترا إقليمياً مستندة إلى عدن ، توسعت فرنسا بدورها ابتداء من أبوخ ، بالساحل المقابل لعدن ، لتكون قاعدة عملياتها المقبلة فى هذه المنطقة ، فأرسلت احدى السفن الحربية ، وأمرتها بالبقاء فى هذا الميناء ، وأنزلت فى هذه المدينة بعض الجنود كحامية على الساحل ، وكان قائدها يتمتع بسلطات المقيم السياسى ، أى بنفس السلطات التى يتمتع بها الممثل البريطانى فى عدن . ووقعت الحكومة الفرنسية على اتفاق ، مع احدى الشركات ؛ لاقامة مخزن للفحم فى ابوخ ، وعملت من ناحية أخرى على اصدار اوامرها للسفن الفرنسية ، التى تمر فى بوغاز باب المندب ، ان تتزود بالفحم من هذه القاعدة الجديدة .

وقد اعتمدت فرنسا فى تلك المنطقة على (لاجارد) الذى اختارته لمنصب "قمندان أبوخ " وكان نشيطاً . ولقد لفت هذا الموظف نظر دولته إلى ضرورة الإستيلاء على ذلك الجزء من الساحل ، الذى يسمح لقيام مستعمرة فرنسية ، وإلى

ضرورة الاتصال بالداخل، ومحاولة الإستفادة من التجارة في بلاد "هرر وشوا" . وكان من الطبيعي أن يتجه نظره في أاول الأمر ، عند " تاجورة " التي تبدأ معها طرق القوافل في الداخل ، فبدأ بالاتصال بالرؤساء على طول الساحل ، ولكنه اضطر إلى عدم الذهاب إلى " تاجورة " قبل أن يخرج المصريون منها ، فأرسل احدى السفن إلى " رأس على " - وهو الميناء الصيفي لتاجورة - في يوم ٢٧ من ابريل ١٨٨٤ ، واستغل الفرنسيون في هذه العملية " إبراهيم محمد " - وزير تاجورة - الذي صحبه في هذه الرحلة ، والذي لم يكن يرغب في ترك الإنجليز يستولون على بلاده بعد خروج المصريين . وطاف الفرنسيون في هذه المنطقة ، واقتربوا من المكان الذي يرفرف عليه العلم المصري ، وابلغوا شيخ الناحية أن ميناء " رأس على " قد أصبح ملكا لهم ، وأنهم سيعودون بعد أيام للإستيلاء عليه . وبطبيعة الحال أسرع الموظفون المصريون في هذه الناحية بالاتصال بحكومتهم وطلبوا ارسال امدادات اليهم .

واستغل الفرنسيون المشايخ والرؤساء المحليين ، فعقد (لاجارد) معاهدة مع السلطان أحمد - سلطان تاجورة - في ١٨٨٤/٩/٢١ ، واعطت هذه المعاهدة لفرنسا الحماية على الأراضي الممتدة من "رأس على" حتى "قبة الخراب" ، وتعهد السلطان بعدم إبرام أي معاهدة أو إتفاقية مع دولة أجنبية ، بغير موافقة قائد أبوخ الفرنسي ، وتقدم فرنسا بالمقابل مائة ريال للسلطان شهريا وثمانين ريالا لوزيره .

وخشيت السلطات البريطانية في القاهرة من وقوع صدام مسلح مع الفرنسيين في تاجورة ، وأشارت بأنسحاب المصريين منها ، وأبلغوا ذلك إلى محافظها على أنه أمر صادر من الحكومة الخديوية . ونجح الدناكل في إخراج الحامية الصغيرة من تاجورة ، إلى زيلع وسيطر السلطان على المدينة ، وجاء الفرنسيون ، وأعلنوا ضمها رسميا ، وحيوها بإطلاق المدافع .

ولم تمانع إنجلترا فى إدخال چيبوتى داخل منطقة النفوذ الفرنسى ، إذ إنها كانت تهم التجارة مع داخل القارة ، أكثر من أهميتها بالنسبة لتموين عدن . وشعرت انجلترا بأن فرنسا تحتاج إليها ، مثل احتياجها هى إلى زيلع والبربرة، فتبادل السفير الفرنسى فى لندن مع وزير الخارجية البريطانية ، فى يومى ٢ و ٨ من فبراير سنة ١٨٨٨ ، خطابين بالإتفاق المبرم من الدولتين بخصوص مصالحهما فى بلاد الصومال ، ونجحت بذلك كل من فرنسا وإنجلترا فى الإستناد إلى قواعدهما البحرية ، للتوسع الإستعمارى على طريق الملاحة البحرية عبر البحر الأحمر . وأعلنت چيبوتى عاصمة لما سُمى بالصومال الفرنسى. ولا تزال فرنسا تحتفظ بقاعدة عسكرية فى جيبوتى ؛ وذلك حفاظاً على مصالحها الإستراتيچية والاقتصادية .

الخديوية المصرية فى إريتريـا :

عندما قامت الثورة الوهابية وتعرضت حقوق السيادة العثمانية على الحجاز للضياع ، كلف الباب العالى واليه فى مصر بإخماد هذه الثورة ، وحين انتصر" إبراهيم بن محمد على " على الوهابيين ، عينه السلطان " محمود الثانى " على باشوية جدة فى يوليو ١٨٢٠ ؛ مكافأة له على خدماته . وعلى ذلك فقد أصبح لمصر حينئذ فى ساحل البحر الاحمر الغربى نوع من السيادة ، ولكن هذه السيادة كانت غير مباشرة فضلا عن أنها كانت سيادة اسمية ..

وعندما اكرهت حوادث الشام (الحروب السورية) ، وتدخل الدول الأوروبية لتسوية المسألة المصرية العثمانية ، باشوية مصر على إخلاء شبه جزيرة العرب ، واستقدام قواتها منها عام ١٨٤٠ ، استعاد الباب العالى نفوذه المباشر على الأقاليم المطلة على البحر الاحمر فى شاطئيه الآسيوى والإفريقى ، والتى كانت تحتلها القوات المصرية . وعلى ذلك ، فقد توطدت سلطة السلطان العثمانى من

جديد فى اقليم الحجاز . واستعادت تركيا عن طريق الوالى العثمانى فى الحجاز - سيادتها المباشرة على سواكن ومصوع على شاطئ البحر الأحمر الغربى .

ولكن سرعان ما عادت الحكومة الخديوية ، بمطالبتها بحقوق السيادة على ساحل البحر الأحمر الغربـى . وبعـد مساعى طويلة لدى الباب العالى ، وافق الباب العالى فى ١٨٦٥/٥/٣ على انتزاع ميناء مصوع من اشراف حكومة جدة ، ووضعه تحت حكم والى مصر مباشرة . وفى ١٨٦٥/٥/٧ تنـازل لمصـر عن ميناء سواكـن أيضـا . وفى ١٨٦٥/٥/١١ أصدر الباب العالى فرمانا منح باشا مصر قائمقامتي مصوع وسواكن وملحقاتهما . وتوجه اسماعيل صادق باشا الى مصوع لاستلامها ، وعين حسن رأفت بك محافظاً لها . وفى ١٨٦٦/٤/٣٠ تم استلام مصوع ، وسط احتفال قرئ فيه فرمان التنازل ، فى حضور سلطات ووجهاء المدينة .

وفى مارس ١٨٦٦ إبتاعت الحكومة المصرية من شركة إخوان "باشترى" حقوق ملكية إقليم "عد" لقاء مبلغ ٥٨٣٤ جنيهاً ، وذلك حتى يكون لمصر مطلق التصرف تماما على ساحل البحر الأحمر الغربى .

وكان الأسطول المصرى فى البحر الاحمر بقيادة جمال بك ، يتألف من ثمان سفن، وكان لهذا الأسطول محطات مهيأة لاستقباله ، وتزويده بحاجاته على طول الساحل الإفريقى حتى أقصى نقطة فى شرقى خليج عدن .

نزول الإيطاليين فى عصب وتأسيس مستعمرة إريتريا :

كان المصريون يسيطرون على ساحل البحر الأحمر الغربى، عندما شرع الإيطاليون يسلكون مسلك الإنجليز والفرنسيين ، فأبتاعوا عصب فى أواخر عام ١٨٦٩ - بواسطة المبشر الأب " سابيتو " من السلطان إبراهيم .

وأثار نشاط الإيطاليين احتجاجات الحكومة المصرية ضدهم ، وكانت الحكومة الإيطالية تأمل ، بعد افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية ، أن تؤسس محطة تجارية على ساحل خليج عصب ، ساعدت على زيادة التجارة الإيطالية بين الشرق والغرب ، عبر البحر الأحمر وقناة السويس . وأبلغ " شريف باشا " وزير الخارجية المصرية في ٢٧ مايو سنة ١٨٧٠ دى مارتينو القنصل الإيطالى ، أن الخديوى فى غاية الألم والدهشة، من احتلال الإيطاليين عصب ، وأنه قد أمره بالاحتجاج على هذا التعدى الواضح على سلامة الأراضى المصرية .

بجانب الرغبة الأكيدة ، من جانب اصحاب رءوس الأموال الإيطاليين ، فى البحث عن مناطق جديدة لاستثمار أموالهم ، فإن أسباب أمنية كانت تدفع الحكومة الإيطالية البحث عن مستعمرات فيما وراء البحار . فقد كانت الأقاليم الجنوبية من إيطاليا ، وبسبب حكم الكهنة السيىء ، وعسف أصحاب الأراضى الإقطاعيين - مرتعا لجماعات قطاع الطرق والمجرمين ، مما حفز ساسة إيطاليا فى الستينات من القرن التاسع عشر ، إلى محاولة البحث عن مستعمرات فيما وراء البحار حتى يتخذوها منفى لهؤلاء المجرمين . وتفاوضت إيطاليا مع البرتغال ، ثم مع الدانمارك والبلجيك وغيرها ، لإبتياع بعض الجزر فى المحيط الاطلسى والهندى وغيرها ، ولكن لم تُحرز نجاحا يذكر. كما فشلت فى الحصول على مستعمرات فى شمال إفريقيا .

وعلى ذلك ، شرع السنيور " مانشينى " ، وزير الخارجية الإيطالية ، فى توجية إهتمامه إلى الساحل الغربى للبحر الأحمر ، وقال حينئذ كلمته المشهورة: "مفاتيح البحر الأبيض توجد فى البحر الأحمر" .

وقد شجّع الأب "جيزبى سابيتو" السنيور "رافايلى روباتينو" - مدير شركة "روباتينو" للملاحة ، وهى من اكبر شركات الملاحة فى إيطاليا حينئذ - على إنشاء نقاط ملاحة بين البندقية وموانئ الهند والصين ، عن طريق قناة السويس والبحر

الأحمر ، وأن تنشىء فى البحر الأحمر محطة تزويد الوقود . ووافقت الحكومة الإيطالية على تكليف الأب " سابيتو " بهذه المهمة ، وأرسلت معه الأميرال البحرى "أكتون" ، لمرافقته فى انجاز المهمة المكلف بها .

وفى ١٥ نوفمبر ١٨٦٩ عقد المبشر " سابيتو " مع شيخى قبيلة (عد على) السلطان " حسن بن أحمد " والسلطان " إبراهيم بن احمد " إتفاقا اشترى بمقتضاه – هذا المبشر الايطالى – منطقة على ساحل البحر الاحمر الغربى ، بين جبل " جانجا " "ورأس لوما" وذلك بمبلغ ١٥٠٠٠ ريال (مارى تريزا) وذلك لاستخدامها ، " كمكان تحتمى فيه سفن شركة روباتينو ، وتتزود بالفحم فى رحلتها الى الهند ، حسب نص الاتفاقية .

وأبرم فى مارس ١٨٧٠ إتفاقاً آخر مع السلطان " عبد الله شحيم " – وكيل سلطان "رحيتا" فى عصب – الشيخ" برهان محمد " والسلطان " حسن بن احمد" والسلطان " ابراهيم بن احمد " ، حصل بموجبه على " جانجا " . وفى اليوم الثالث لتوقيع هذا الإتفاق (أى فى ١٣ مارس ١٨٧٠) رفع سابيتو الراية الايطالية على هذه المنطقة من ساحل خليج عصب . وبذلك رفرف العلم الإيطالى لأول مرة على شاطىء البحر الاحمر الغربى . وانتهز سابيتو فرصة وجوده فى عصب ، فشيّد فى هذه القرية دارا صغيرة بسيطة من الخشب ؛ لاستخدامها بمثابة مكتب الشركة روباتينو .

وعندما علم السلطان " ابو بكر ابراهيم " ، حاكم زيلع ، بأمر هاتين الاتفاقيتين، اللتين عقدهما الايطاليون مع سلاطين عصب ، احتج على ذلك وقال: إن هذه المنطقة تابعة للدولة الإسلامية العثمانية . وكان مفهوم السكان بالنسبة لتركيا ، بأنها دولة تمثل كل المسلمين ولم يشعروا إزاء احتلالها بالعداء .

وترتب على ازدياد ، وتغلغل النفوذ الأوربى فى شئون الإدارة المصرية

الداخلية، إنشاء نوع من "الوصاية الدولية" على مصر . ووسط الاحتجاجات المصرية استمرت ايطاليا فى الإستيلاء على الحاميات المصرية فى " بيلول" و" برعسولى " و "عد " ، حتى توجته بأحتلال " مصوع "فى ٥ فبراير ١٨٨٥ ، وذلك بتشجيع من بريطانيا ، التى كانت تخشى بدرجة عظيمة من وقوع موانئ هذا الساحل فى قبضة المهديين . وكانت ترى فى توسيع إيطاليا رقعة أملاكها على حساب الأراضى المصرية بساحل البحر الأحمر ، عاملا مساعدا لبريطانيا ، فى محاولة القضاء على ثورة المهديين من ناحية ، وكبح جماح الفرنسيين ، الذين كانوا يريدون بسط نفوذهم فى شرق إفريقيا من ناحية اخرى . وجرى الاتصال بين الدولتين عن طريق قنصليهما فى القاهرة ، السنيور " دى مارتينو" واللورد " كرومر" .

واستغرقت عملية نزول القوات الإيطالية فى مصوع نحو أربعة ساعات (من الثالثة بعد الظهر إلى السابعة مساء) . وقامت القوات الإيطالية على الفور بأحتلال المراكز الإستراتيجية بالجزيرة ، ورفع العلم الايطالى .

وصح عزم الچنرال " چينى " على التخلص من حامية مصوع المصرية ، وقائدهـــا " عزت بك " ، بغية احتلال ايطاليا العسكرى لهذه المنطقة . فأرغم فعلا - فى ديسمبر ١٨٨٥ - بقايا الحامية المصرية على مغادرة مصوع الى مصر .

فى ١٠ أبريل ١٨٨٥ وصلت الباخرة "اسبلوراتورى" الى ارافلى ، حيث نزل الجنود الايطاليون على الفور الى الميناء ورفعوا الراية الايطالية فى قلعة (اراڤلى)، بالرغم من احتجاج الضابط المصرى " بخيت عثمان " قائد الحامية ، الذى طُرد مع حاميته فى اليوم التالى . وزحفت القوات البرية نحو الجنوب من مصوع ، فأحتلت بالإضافة إلى ارافلى ، حرقيقو وزولا ومعدر وعد وجزر هواكل .

وفى يوم ٢ يونيو ١٨٨٩ احتلت القوات الإيطالية بقيادة الماجور " دى مايو "

مدينة كرن ورفعت عليها العلم الايطالى . وفى ٣ أغسطس ١٨٨٩ ايضا تمكن الماجور "دى مايو" من احتلال أسمرا ، واستولى على قرع فى ١٧ أغسطس ١٨٨٩ كما أحتل أيضا مساحة كبيرة من إقليم سراى وأكلى قوازاى .

وفى أول يناير ١٨٩٠ أصدر الملك " همبرت الأول " ملك ايطاليا مرسوما ملكيا، بتأسيس مستعمرة إريتريا ، بعد توحيد الأقاليم المختلفة على البحر الأحمر، والمرتفعات التى احتلها الجيش الإيطالى . وقد عينت الحكومة الايطالية الجنرال (أوريرو) أول حاكم عام على إريتريا .

وقُمِعَت مقاومة الشعب المتفرقة ، والتى استمرت لنحو ١٥ عاما بمنتهى القسوة تحت قانون عرفى ، اشتهر بأسم " قانون التهدئة والأمن" . وملأت ايطاليا سجون جزيرة نخرة بالمعتقلــين ، مــن زعماء الحركة الوطنية ، الذين مات معظمهم بأمراض الملاريا وسوء التغذية .

اما الموانئ السودانية – سواكن وبورت سودان – فقذ وقعت تحت الاحتلال البريطانى بهزيمة المهديين . هذا وسوف نتناول بإسهاب الاستعمار الإيطالى لإريتريا فى الفصل الخاص به .

وفشلت المحاولات ، التى بذلها الامبراطور الحبشى المتعصب يوحنا الرابع للإستيلاء على مصوع وكرن ، بعد أن تخلت بريطانيا عن وعدها له بهذه المناطق ، نظير اشتراكه فى حربها الإستعمارية ضد المهدية فى السودان . وقتل " يوحنا " بأيدى المهديين فى معركة "متما" على الحدود السودانية فى عام ١٨٨٩ .

الوضع فى حوض البحر الأحمر بعد الحرب العالمية الثانية

إثر بروز دور الحركات الوطنية فى النصف الأول من القرن العشرين ، والمناهضة للاستعمار ، والتأثيرات التى أحدثتها الحرب العالمية الثانية على موازين القوى الدولية، حدثت تطورات هامة فى الاقطار المستعمرة الواقعة فى حوض البحر الأحمر ، كما هو الحال بالنسبة لشعوب قارتى آسيا وإفريقيا .

فتمكنت مصر من استعادة سيادتها الوطنية ، ومن فرض هيمنتها على قناة السويس بعد ثورة ٢٣ يوليو لعام ١٩٥٢ ، ومكّنت السودان من التخلص من الإستعمار البريطانى ونيل الاستقلال الوطنى الكامل وتخلص الصومال وجنوب اليمن وجيبوتى من الاستعمار البريطانى والإيطالى والفرنسى ، كما تحررت إريتريا من ربقة الاستعمار الإثيوبى واعلنت دولتها المستقلة وهكذا تزينت شواطىء البحر الأحمر الشرقية والغربية برايات الاستقلال .

الباب الخامس

جغرافية إريتريا

الفصل العشرون
(الموقع - المناخ)

الموقع :

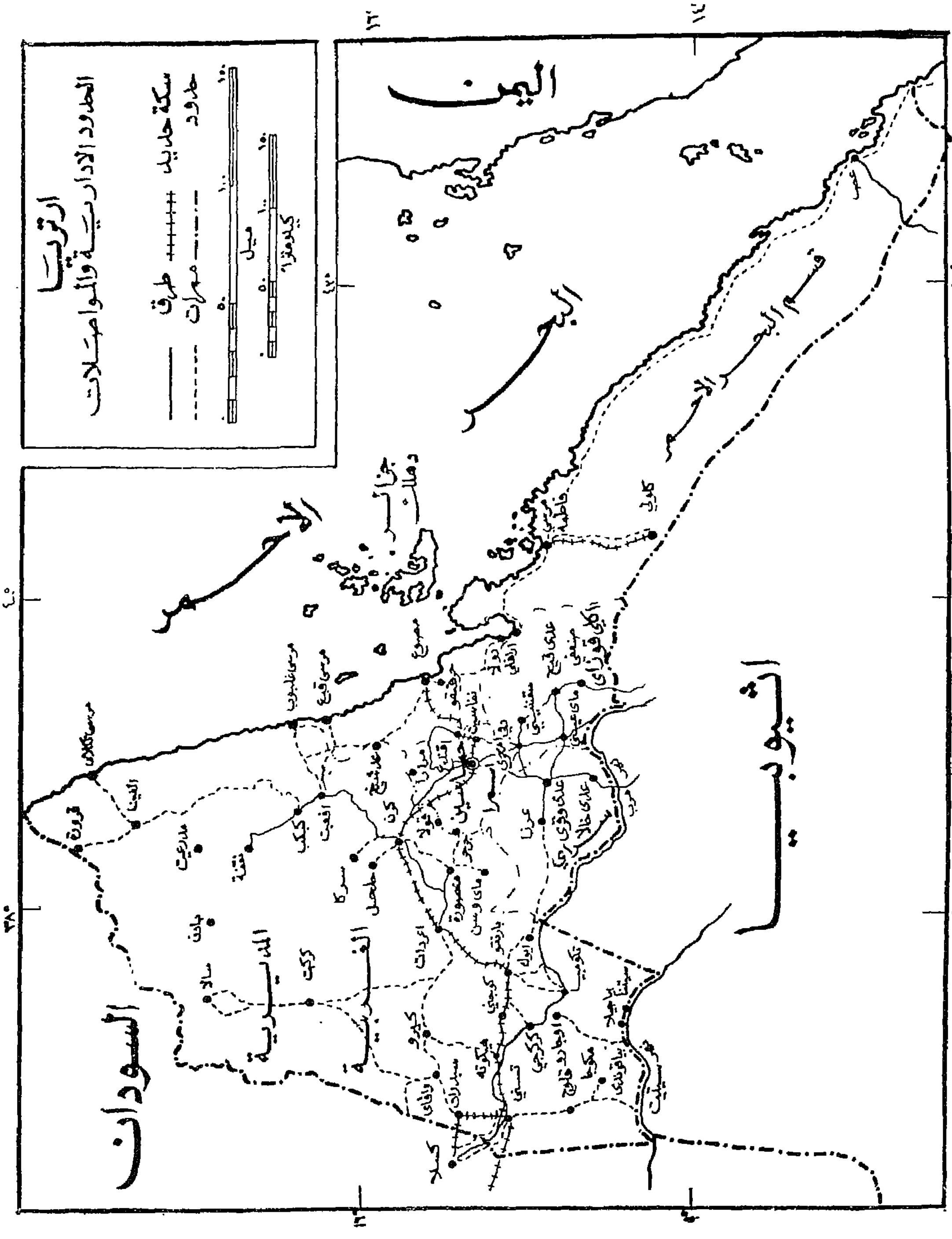
تقع إريتريا ERITREA على الساحل الغربى للبحر الأحمر المقابل لشبه جزيرة العرب بين خطى عرض ١٥° / ١٨° شمالا وخط طول ٣٦° / ٤٣° شرقا وتبلغ مساحتها ٥٠٠٠٠ ميل مربع تقريبا على امتداد ١٠٨٠ كم ، وتشكل مثلثا غير منتظم الأضلاع طوله من كلا من القاعدة وإرتفاعه زهاء ثلاثمائة ميل ، وينحدر من الطرف الشرقى للقاعدة لسان أو ممر طويل ضيق ملاصق للبحر الأحمر .

وتطل إريتريا من الشمال والغرب على السودان ومن الجنوب على اثيوبيا وجيبوتى ومن الشرق على البحر الأحمر وأهم موانيها مصوع وعصب فى الجنوب .

تسمية إريتريا :

عرفت إريتريا فى عهد الفراعنة المصريين واليونانيين والرومان ، حيث أطلق عليها اسم البحر الأحمر نسبة إلى البحر الأحمر . وكان فى اليونان قديما جزيرة تحمل اسم إريتريا تجاه الشاطئ الشرقى لبلاد الإغريق ، ولا يزال هناك موقع فى جزيرة كريت يحمل اسم رأس إريتريا ، وقد حصر الرومان أيام مجدهم التسمية نبوس إريتريوم على البحر الأحمر وشواطئه التى سيطروا عليها عندما خضعت أدوليس لنفوذهم .

وعرفت إريتريا فى العصور الوسطى وفى بداية العصور الحديثة " بحر مدرى " BAHRMEDER أو مدرى بحرى MEDRIBHARI أى بلاد الشاطئ أو الأقاليم المطلة على البحر الأحمر وهى تسمية محلية إريترية . كما عرفت أيضا أجزاء منها لدى المؤرخين العرب ببلاد الطراز الإسلامى . وعندما احتل الإيطاليين سواحل البحر الأحمر، المتد من رحيتا جنوبا إلى رأس قصار شمالا ، فأطلقوا عليها اسم إريتريا تجديدا للتسمية الرومانية القديمة لساحل أدوليس ، وذلك بالمرسوم الذى أصدره الملك أمبرتو الأول ملك ايطاليا فى ١٨٨٩/١/١ .



خريطـة إريتريـــا

فإريتريا جغرافيا من أهم البلدان المطلة على المدخل الجنوبى للبحر الأحمر. وتظهر أهمية ذلك ، بالمدى الذى تتوضح فيه أهمية الترابط الجغرافى والاستراتيجى بين البحر الأحمر وحوض البحر الأبيض المتوسط . هذه حقيقة تاريخية أثبتتها وقائع الأحداث القديمة والمعاصرة . وقد ابتدأ بها التاريخ الإريترى ، وخاض حساب الرهان بها ، ومشكلة إريتريا كانت فى الأساس مشكلة موقعها الجغرافى وإرتباط تاريخها به ، وهى جزء من الشرق الأوسط بحكم موقعها فيه ، وهى جزء حيوى من أجزائه بحكم اطلالتها الساحلية على البحر الأحمر ومضيقه الجنوبى . فأضافت إلى أهمية موقعها الجغرافى العام أهمية موقعها الساحلى الخاص . ومن ناحية أخرى تضيف إريتريا إلى هذه الميزة الجغرافية ، موقعها كإحدى بلدان القرن الإفريقى ، حيث تمتد إلى الداخل بعمق يعادل ١٢٠ الف كم مربع تلامس شمالا وغربا ، كما أوضحنا ، السودان وتتدرج فى الإرتفاع جنوبا ، حتى تندمج فى بدايات الهضبة الإثيوبية الشمالية ، وتمتد أطرافها الساحلية المنحدرة ، لتتلاشى فى الشرق الصحراوى الضيق ، حتى تنتهى لدى العمق الجنوبى عند جيبوتى .

وبحكم هذا الموقع الجغرافى جمعت إريتريا بين الخلفية الافريقية والإطلالة الساحلية على الشواطئ العربية الأسيوية ، فاكتسبت عدة سمات حضارية وتاريخية مشتركة جعلت منها قاسما مشتركا من حضارات الشعوب من حولها . وللأحداث التاريخية التى عاشتها . وهكذا أصبحت إريتريا محطة للتفاعلات دوما بين مقدمتها الساحلية العربية وخلفيتها الافريقية ، وفى اطار هذا التركيب الجغرافى ، ذو الأبعاد المزدوجة وذو الصباغ الزمانى التاريخى المتصل بكل الشعوب والحضارات التى امتد تأثيرها إلى حوض البحر الأحمر وإريتريا سواء كانت هذه الشعوب الشرق أوسطية أو خارجية بدأ التشكيل الإريترى الحضارى والاجتماعى والثقافى .

المناخ والبيئة (الأرض) :

إريتريا تعطى مثالا فريدا من حيث اختلاف تضاريسها وموقعها تتمثل فى طبيعة مرتفعات وسط إفريقيا التى تكون عالما صغيرا ، وصحارى شمال السودان، وغابات إفريقيا الإستوائية الكثيفة ، والقفاز البركانية على الساحل الجنوبى للجزيرة العربية ووصفها جون جنتر بقوله " إريتريا ذلك الركام الصخرى من الجبال البارزة كالشوك الموازى للبحر الأحمر شمال الحبشة " .

الهضبة الإريترية :

يتكون قلب إريتريا من هضبة تتخللها جبال من الصخر الصلد ، وتشقها أودية خصبة ومرتفعات بين ستة آلاف وثمانية آلاف قدم فوق سطح البحر ، ويبلغ طول ساحلها ١٠٨٠ كم وتتمتع بربيع دائم وهواء عليل وشمس ساطعة ورياح معتدلة ولا يغطى الصقيع إلا القمم الجبلية العالية كما أن الحرارة لا تختلف بين فصول السنة إلا اختلافا طفيفا، فهى لذلك صالحة على مدار السنة لاستقرار المواطنين . ويصل أقصى إرتفاعها عند قمة جبل سويرا بالقرب من بلدة صنعفى المرتفعة ٩٨٨٥ قدما وهو أعلى جبل فى إريتريا . وتشمل الهضبة الوسطى معظم أقاليم حماسين واكلى غوزاى وسراى .

وتكسو بعض أجزاء الهضبة خضرة مستديمة ، متمثلة بأشجار العرعر والزقوم والزيتون البرى ، كما تتخلل الهضبة بعض السهول المنخفضة والمعروفة بخصب تربتها؛ لما تحمله اليها السيول من مواد غرينية كل عام، مثل سهل هذمو ، وبقاع مرارا وعد تكليزان. وتستغل الأشجار البرية فى صناعة الأخشاب وأعواد الكبريت . والمنطقة الشرقية المعروفة ببحرى هى كثيفة الأشجار كما هو الحال فى جبال بيزن والذى يرتفع ٩٣٨٠ قدما ، وجبال صابور المطلة على منطقة جندع وتمد الهضبة السهل الساحلى الشرقى والسهل الغربى بمياه السيول فى فصل الأمطار

الموسمية . ونذكر هنا بعض المدن المرتفعة عن سطح البحر .

١ –	اسمرا	٨٣٩٦	قدم
٢ –	نفاسيت	٨١٣٩	قدم
٣ –	دقى محارى	٦٣٨٢	قدم
٤ –	عدى قيح	٧٦٢٨	قدم
٥ –	عدى وقرى (مندفره)	٥٠٠٠	قدم
٦ –	جندع	٣٦١٥	قدم
٧ –	سقنيتى	٩٣٠٠	قدم

كما أن المسافة لا تتجاوز ١٠٠ كم بين عدى قيح وإرافلى على البحر الأحمر لينخفض الإرتفاع عن سطح البحر إلى ٤٠٠ قدم عند إرافلى .

المنخفضات الشرقية والغربية :

تكمل المنطقتان إحداهما الأخرى اقتصاديا وذلك ، بنباتاتها وحيواناتها ومواردها المعدنية ، واختلاف المناخ والفصول ، وهذا يتيح تسهيل الهجرات الصيفية والشتوية للماشية ، كما أن المنطقتين مرتبطتان إرتباطا وثيقا بشبكة جيدة من طرق المواصلات .

المرتفعات الشمالية :

ومن الهضبة تتجه سلسلة جبلية ضيقة صوب الشمال عبر حدود السودان ، مكونة بوجه عام مرتفعات إريتريا الشمالية ، أو المرتفعات الشمالية والشمالية الوسطى والغربية الوسطى . وتقع القاعدة الجنوبية لهذه المرتفعات عند التلال ، أو بالأحرى الجبال المحيطة ببلدة كرن KEREN بينما يمتد طرفها الشمالى إلى قمة

المثلث الإريترى ، وهى أكثر إرتفاعا واتساعا فى الجنوب وتنمو بأوديتها الجبلية الضيقة نباتات شوكية فقيرة، وتتخلل قممها العالية هضبة صغيرة تعرف محليا باسم رورا RORA ، تمتد إلى الشمال والجنوب من بلدة نقفه NAGFA ، وتنحدر صوب الساحل ، وتسمى هذه الهضبة باسم القبائل التى تسكنها هناك رورا حباب ورورا ماريا ٠ وكذلك ، تتشابه الأحوال المناخية والنباتية للمرتفعات الشمالية مع الأحوال السائدة فى الهضبة الجنوبية الوسطى ، كما أنها أكثر إرتفاعا واتساعا فى الجنوب ، غير أن مناخ الأودية المنخفضة حار وجاف ، يتم الصرف المائى بها غرب خور بركه ، وشرقا فى السهل الساحلى عن طريق عدة مجارى مائية ؛ أهمها من الشمال إلى الجنوب خور فلكات FALKAT وخور لبكا LABKA وخور لابا LABA ٠

منخفضـــات بركـــة :

وفى الغرب تهبط الهضبة والمرتفعات الشمالية حوالى ٦٠٠٠ قدم ، لتتحول إلى سهول صحراوية تمتد إلى السودان ، مكونة منخفض وادى بركة ، وتنتشر غابات الدوم المخضرة على جانبى نهر بركة ٠

وبالقرب من منطقة بركة ، تتحول المنخفضات فجأة إلى أحراش وغابات تتخللها حشائش السافانا ، وتكثر فيها قطعان الحيوانات البرية المختلفة ، مكونة بذلك منخفضات القاش وستيت ويعتبر جوها حارا ورطبا ٠

السهــل الساحلــى :

مناخه معتدل وممطر فى الشتاء والربيع ، شديد الحرارة والرطوبة فى الصيف، ونظرا لإرتفاع درجة الحرارة ، فيوصف مناخ الساحل بأنه مدارى

وصحراوى صرف . ويوصف مناخ مصوع بأنه حار ورطب بشكل لا يحتمل ، فالحرارة مرتفعة تصل إلى ٩٦° درجة فهرنهيت ولعل ذلك يعود إلى انخفاض سهلها وبعدها عن تأثير الرياح الموسمية .

ويضيق السهل فى الشمال بينما يتسع فى الجنوب مع انخفاضه فى بعض الأماكن إلى ما دون سطح البحر ، فتكثر البحيرات المالحة فى منخفض " كوبار " ، حيث يتم استخراج الملح . ويمتاز السهل الساحلى باستوائه ، وخاصة فى الشمال ، وبكثرة تعاريج رءوسه البحرية وخلجانه فى الوسط ، ويقابل فى منتصفه ١٦٠ جزيرة فى عرض البحر بعضها مأهول بالسكان وأهمها " دهلك " الكبير .

الفصل الحادى والعشرون

الشواطىء والخلجان والرؤوس والجزر

يمتد الشاطئ الإريترى من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى ، وتكثر الجزر والخلجان والرءوس فيه كلما اتجهنا جنوبا وأهم خلجان إريتريا هى :

١ - خليج عصب : تقع به مجموعة من الجزر يزيد عددها عن العشرين ، أكبرها جزيرة " حالب " ثم جزيرة " فاطمه " وجزيرة " حانش كبير" " وحانش صغير" و "ذكور " ، وهذه الجزر تتمتع بموقع استراتيجى هام عند مدخل باب المندب ٠

٢ - خلجان برعسولى ٠

٣ - خلجان طيعو ٠

٤ - خلجان هواكل ٠

٥ - خليج زولا المعروفة وهو أكبر خلجان إريتريا وتقع على شاطئه قرية زولا - ومكعنلى وأرفلى ٠

٦ - خليج حرقيقو وجرار ٠

الرءوس : وأبرزهـــا :

١ - رأس رحيتا ٠

٢ - رأس سنتيان فى خليج عصب ٠

٣ - رأس دما فى خليج بيلول ٠

٤ - رأس رشمت فى خليج برعسولى ٠

٥ - رأس عندادو ٠

٦ - رأس كرمل ٠

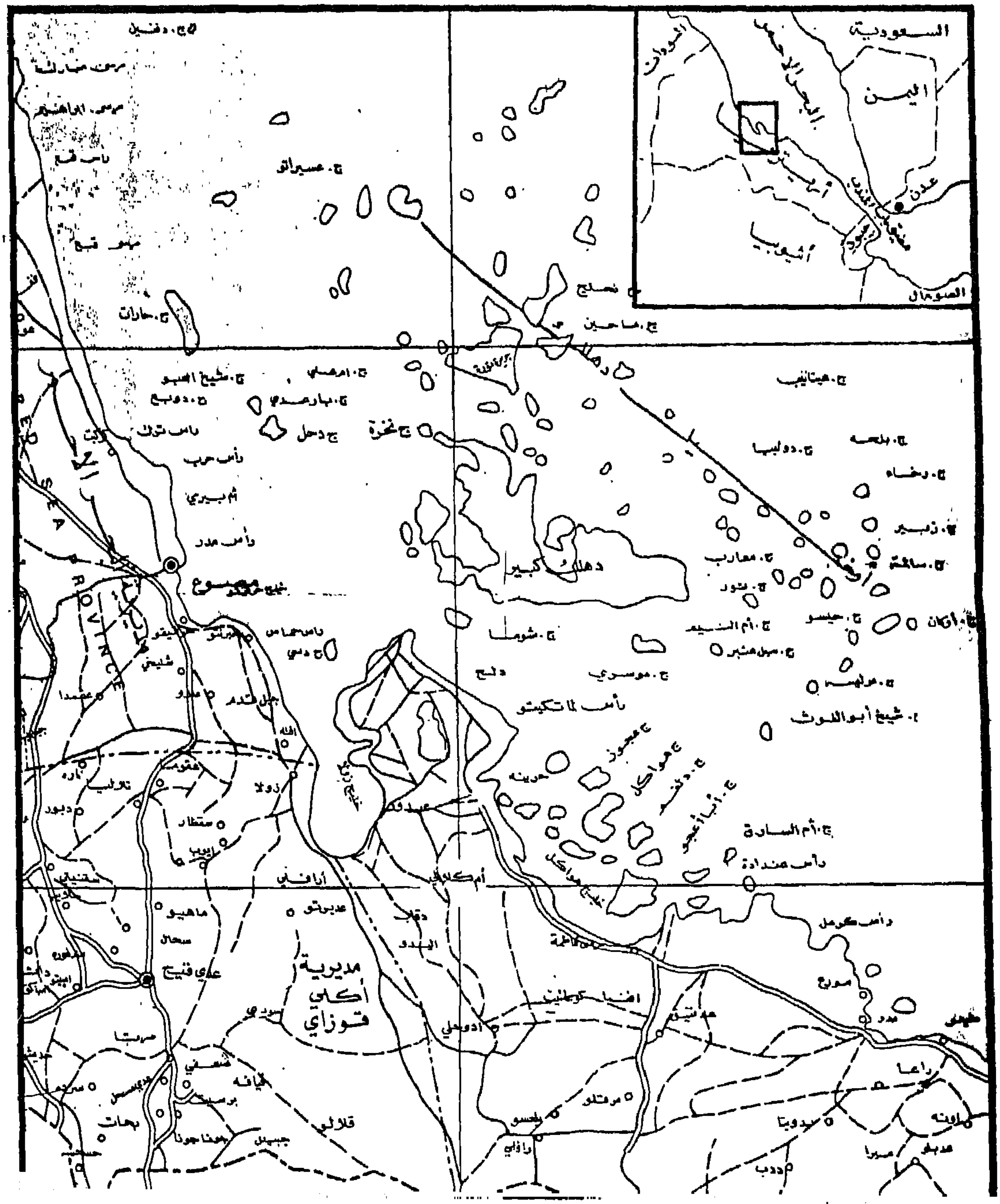
٧ - رأس كوريلى فى جزيرة بورى ٠

٨ - رأس مدر فى مصوع ٠

٩ - رأس حرب ٠

١٠ - رأس تركى ٠

١١ - رأس قبع ٠



خريطة جزر دهلك

هذا وتتبع إريتريا نحو ٣٦٠ جزيرة وأهمها جزيرة دهلك الكبير ومساحتها ١٨٥ كم مربع ، وتبلغ المساحة الكلية للجزر الإريترية ١٣٨٩ كم مربع ، وأهم الجزر بعد دهلك ؛ هواكل – عجوز – دله – أبا عجوز – حارينه – نخره – نوره – دحل – حارات – موسرى – عسيراتو – دسيت ٠ وفى مصوع توجد جزيرة الشيخ سعيد ٠ وتقل الجزر فى الشمال ، وتأتى جزيرة "دفنين" أبرزها ؛ حيث بها فنارة تهتدى بها السفن ، وتوجد تسع فنارات فى تسع جزر إريترية وهى ذات أهمية بالغة لإرشاد السفن إلى الطرق الصالحة للملاحة لتجنب الالتواءات الجبلية والمواقع الضحلة وتجاورها جزيرة عندلى ٠ ومن هنا تأتى أهمية الجزر الإريترية للملاحة الدولية ٠

الأمطـــار :

وأما عن الأمطار فى إريتريا فإنها تتميز بفصلين ممطرين ؛ أحدهما يمتد من يونيو إلى سبتمبر ، حيث تهب الرياح الموسمية الجنوبية الشرقية فتسقط الأمطار الصيفية فى جميع أنحاء البلاد ، ما عدا السهل الساحلى ٠ وتمد الهضبة الإريترية أثناء هذا الموسم السهول الغربية والشرقية بالمياه المندفعة عبر الأنهار والوديان الكثيرة ٠

ويمتد الفصل الآخر من نوفمبر إلى فبراير، حيث تهب عليها الرياح الموسمية الشمالية الشرقية ، فتسقط الأمطار الشتوية على السهل الساحلى ، وتندر فى طرفه الجنوبى الأقصى وتقل الأمطار نسبيا فى المناطق الجنوبية من إريتريا فى شتاء السهل الساحلى وتقل كلما اتجهنا شمالا ٠ ويتراوح المتوسط السنوى للمطر بين ٢٠ و ٢٥ بوصة فى الهضبة ومنخفضات القاش وستيت ، على حين يتراوح بين ٧ و ١٠ بوصة فى المرتفعات الشمالية ومنخفضات بركة ، ولا يتجاوز أربع بوصات فى الطرف الشمالى من السهل الساحلى ٠

وأما المنطقة المسماه بـ " بحرى " BAHRI ، فبسبب موقعها من الجانب الشرقى من الهضبة فإنها تستفيد من أمطار الصيف والشتاء والمتوسط السنوى للمطر بها ٤٥ درجة فى قندع وفلفل ٠

وبوجه عام تسهم كمية الأمطار التى تهطل فى معظم فصول السنة فى إريتريا والطقس المعتدل وتنوعه فيها، بزراعة أنواع متعددة من المحاصيل الزراعية من الحبوب والفواكه والخضروات وغيرها من المحاصيل الأخرى ، وذلك بفضل نمو الغابات والمراعى النموذجية ٠

الفصل الثانى والعشرون

الأنهــار فــى إريتريــا

١ - نهر بركــة :

ينبع من مرتفعات إريتريا فى حماسين بالقرب من حمبرتى ، ويبلغ طوله ٦٣٠ كم، وتنضم إليه عشرات الروافد الكثيرة أثناء موسم الأمطار ، وهو مثل نهر الجاش .نهر موسمى وأهم روافده خور عنسبه ويمر بمدينة أغوردات ، ويصب فى البحر الأحمر جنوب سواكن السودانية بالقرب من طوكر ، ويشتهر نهر بركة بأشجار الدوم والنخيل الباسقة وبزراعة الموز لأغراض التصدير .

ومن الملاحظ أن خور بركه أقل تصريفا أكثر تذبذبا من خور القاش وفيضاناته قد تستمر من بضعة ساعات إلى بضعة أيام . وهناك إمكانية كبيرة لتطوير الزراعة الحديثة فى وادى بركه .



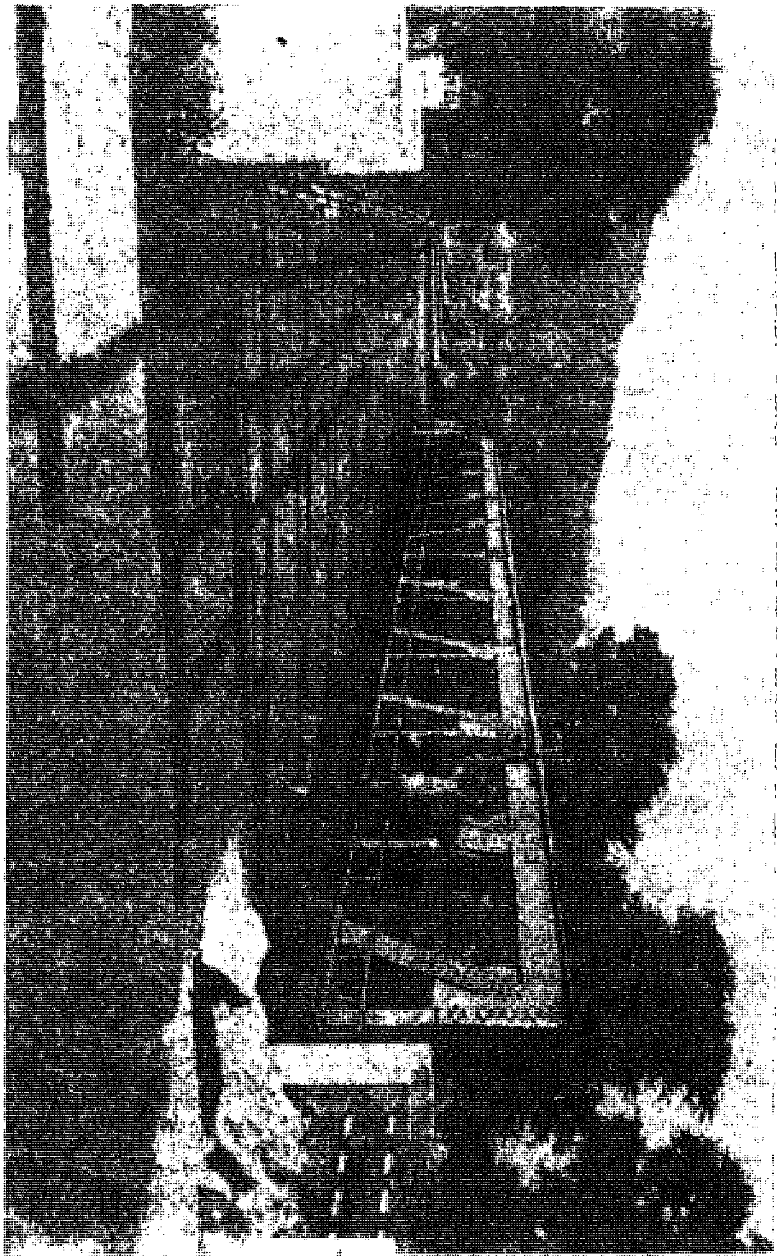
أشجار الدوم في كل مكان من إريتريا

٢ - نهـــر الجـــاش :

ينبع من هضبة تجراى بالقرب من عدوا وينتهى بمستنقع صحراء السودان الشرقية مشكلا دلتا خصبة بعد أن يجتاز منطقة كسلا وأروما فى الإقليم الشرقى من السودان ، وهو مثل نهر بركة موسمى يفيض فى موسم الأمطار الصيفية من يوليو إلى أكتوبر ويشكل الحدود الطبيعية فى منطقة تجراى بين إريتريا وإثيوبيا، ويعرف باسم نهر مأرب ، المأخوذ من وادى مأرب المشهور بسده فى اليمن ، حيث يفصل نهر مأرب المرتفعات الإريترية عن أثيوبيا فصلا طبيعيا ، وهذه الحقيقة الجغرافية كانت عاملا أساسيا فى حماية إريتريا من السيطرة الإثيوبية ، وتوسعاتها خلال التاريخ الطويل .

ويبلغ طوله ٤٤٠ كم معظمها فى الأراضى الإريترية ويجتاز إقليم سراى فى إريتريا على الحدود ، ويخترق إقليم الجاش. ويروى مزارع " على قدر " بالقرب من تسنى ثم ينتهى عند مزارع أروما بالسودان.

يحوى الجاش إمكانيات ضخمة للزراعة المروية لكونه يمر بسهول خصبة ،وتهدر مياهه حاليا فى السودان ، وعلى ضفافه تزدهر غابات نخيل الدوم ذات المنافع الاقتصادية العديدة . وللجاش من التصريف نحو ٦٣ مترا مكعبا من المياه فى الثانية الواحدة .



جســر مأرب الفاصل بين إريتريا وإثيوبيا

٣ - نهر عنسبة

الاسم مشتق من عين سبأ اليمنية ، ينبع هذا النهر من الهضبة الإريترية ، ويمر بمدينة كرن حيث يوجد سد " عيلا برعد " ويروى مزارع الموز والفواكه المدارية والخضروات والألياف النباتية وغيرها ويعتبر نهر عنسبة من أهم روافد نهر بركه وكلاهما موسميان ويجريان لمدة ثلاثة أشهر ، وفى بقية السنة تتوفر المياه على عمق قريب جدا من سطح الأرض ٠

٤- نهر ستيت :

الذى يسمى أيضا نهر تكزى فيهبط من إرتفاع سبعة آلاف قدم من الهضبة الوسطى ، إلى إرتفاع ٢٥٠٠ قدم فى الفجوة الهائلة التى يندفع إليها غربا صوب المنحدرات القريبة للسودان ويرتفع منسوب نهر ستيت خلال فترة الأمطار القصوى ١٨ قدما فوق مستواه العادى وبذلك يتحول إلى حاجز لا يمكن اختراقه بين الأقاليم الشمالية والوسطى ، وهو النهر الوحيد الدائم الجريان فى إريتريا وتقع مدينة أم حجر على ضفته الشرقية ، وتقابلها على الضفة الغربية مدينة حمرة الأثيوبية ٠ ويشكل هذا النهر الحدود الطبيعية بين إريتريا وأثيوبيا ، ويسمى فى السودان بنهر عطبرة ، ويسقى مزارع حلفا الجديدة فى شرق السودان ، قبل أن يلتقى بنهر النيل فى مدينة عطبره السودانية ، مشكلا بذلك آخر رافد من روافد النيل ٠ وينبع هذا النهر من هضبة إثيوبيا الشمالية بروافده الثلاثة تكزى ومعناها بالجئز " المرعب " كثيرة التماسيح والآفات الطبيعية بها ٠ وبالقرب من مدينة غندر التاريخية شمالى منبع النيل الأزرق من بحيرة تانا، وينضم إليـــه فرعـــان ستيت وهو ينبع من منطقة أقرب فى اثيوبيا ، مع روافد قليلة من إريتريا ٠

ويحمل نهر عطبرة ، بفروعه الثلاثة كميات ضخمة من المياه والطمى فى فترة الفيضانات التى تصحب فصل الأمطار الصيفية ويبلغ طول نهر ستيت نحو ١٥٠٠ كم ثلثيها داخل الأراضى السودانية ٠



نهــر ستيـــــت

ومن هذا السرد عن جغرافية إريتريا من ناحية المناخ والأنهار والوديان نورد هذه الملاحظات باختصار شديد ٠

إن مناخ إريتريا عموما معتدل وربيع دائم فى مجمله باستثناء السهل الساحلى ، وتمتاز الأقاليم الجبلية والمرتفعة بانخفاض درجة الحرارة طول أيام السنة ، فجو العاصمة اسمرا معتدل ويميل إلى البرودة ؛ لأنها تقع على إرتفاع ٢٣٠٠ متر و،مثلها يقال عن مدينة كرن وقندع وسقنيتى ، وعدى قيح وصنعفى ، وجميع المدن الواقعة فى الأقاليم الثلاثة من الهضبة الإريترية ٠ وأما الساحل الجنوبى فمناخه حار ورطب فى الصيف ، ومعتدل ممطر فى الشتاء ، وهو مدارى أو صحراوى صرف كما ذكرنا سابقا ٠

وعلى صعيد الزراعة يمكن الاستفادة منه كما يلى ، حيث تقع إمكانية إريتريا الزراعية فى الدلتا الواقعة بين نهر الجاش وستيت ، حيث توجد أراضى سهلية خصبة للغاية يمكن استثمارها بشكل أوسع وبطرق حديثة ، خاصة بعد أن اصبحت إريتريا حرة ودولة مستقلة ٠ ففى الإمكان الاستفادة من هذه الأراضى الصالحة لزراعة أكثر من ثلاثة ملايين فدان على وجه التقريب ٠ وأما الوديان والأنهار التى تصب على الجانب الشرقى من الهضبة الإريترية ،كما نلاحظ فهى كثيرة ، غير أن معظم مقادير مياهها تتسرب فى الرمال وتضيع هدرا فى البحر الأحمر ، لعدم وجود سدود حديثة للتحكم والاستفادة منها، ومن هذه الوديان على سبيل المثال " على قدى " كميلى – حداث ، ويروى نهر على قدى سهول زولا ، حيث يوجد سد قديم يتطلب الاسراع فى ترميمه ٠ ويعتبر سهل هزمو فى أكلى غوزاى من أهم المناطق الخصبة فى إريتريا ، وهناك وديان وأنهار موسمية أخرى تروى مزارع أمبيرمى ووقيرو وقدقد وشبح وشعب وعين غفرالله وغيرها ٠والأنهار الموسمية ماى أولى ، لبكا ، لايا قرقر ، دماس ٠ ويوجد سد فى وادى نيقوس ، بالقرب من مدينة قندع حيث كان يروى مزارع الموز والفواكه فى مرتفعات قندع ، بين اسمرا ومصوع ، قبل التخريب الذى أصاب هذه المزارع من قبل الاحتلال الاثيوبى وما

سببه من دمار . ومن السدود المهمة فى إريتريا سد " بلزا " بالقرب من أسمرا الذى يتحكم فى مساقط مياه الأمطار ، ويمد العاصمة اسمرا بحاجاتها من الماء والكهرباء بالإضافة إلى الأغراض الزراعية .

وتؤكد الدراسات القديمة والحديثة بالنسبة لإريتريا ، وجود امكانيات اقتصادية كبيرة عند استغلال مساقط المياه ، واقامة بحيرات لتوليد الكهرباء وتنظيم الرى الاصطناعي .

الفصل الثالث والعشرون

المـــوارد الاقتصاديـــة

١- الثروة الزراعيـة :

الزراعة فى إريتريا قديمة منذ القدم ، فتعد إريتريا بلد زراعى ورعوى بالدرجة الأولى ، فإن مجموع السكان البالغ عددهم ثلاثة ملايين ونصف يعمل ٧٨٪ منهم بالزراعة ، وهذا يعنى أن الزراعة هى الحرفة الأساسية للسكان . وتعتبر إريتريا من ناحية البيئة النباتية وانتشار الأصناف ، من أكثر بلدان العالم تنوعا ، ويشمل انتاج إريتريا مختلف المحاصيل الحقلية والخضر والفواكه ومنتجات الغابات ، ويساعدها فى ذلك تعدد الحالات المناخية والبيئات الزراعية . وتعتبر مناطق أراضى الجاش وستيت المنخفضة ، بأمطارها الغزيرة والأراضى المنخفضة الغربية، مع فرص تطور الرى الهائلة فيها ، والمرتفعات ذات المناخ الممتاز ، وسهول هزمو فى أكلى غوزاى ومنطقة ديباروا فى المرتفعات الشمالية ، والأرض المنخفضة على الساحل الشرقى ، ومنطقة بحرى ، حيث تزدهر كافة أنواع المحاصيل، تعتبر كلها مناطق زراعية غنية فى إريتريا . كما يمكن استغلال أنهر بركة ، مأرب ، ستيت ، الجاش ، كوميلـــى ، حداس ، عنسبه ، على قدى وغيرها لتعزز الموارد الزراعية والمحاصيل .

ملكية الأرض " دومنيالى - ورستي " :

نظام ملكية الأرض فى اريتريا كان يحدد بواسطة الأعراف المحلية ، ويخضع توزيع الأرض فى إريتريا لنظامين من نظم الملكية .

١ – نظام الأرض المتوارثة ويسمى محليا " الرستيى " .

٢ – نظام الأرض الأميرية ويسمى " الدومنيالى " بالإيطالية .

وتتبع معظم الأراضى فى المرتفعات نظام الرستى، ويرجع السبب لهذا أن سكان المرتفعات معظمهم مزارعون مستقرون ، وقد اكتسبوا حقوقا متوارثة تاريخيا على الأرض ، وينتظم المزارعون فى قرى تتألف من أعداد متفواتة من الأسر الفلاحة ومعظم العائلات الفلاحة من السكان الأصليين ، وبالتالى فهم أصحاب هذه الأرض وتسمى هذه العوائل رستينا ۰ وبينما يطلق على الأسر التى لا تمتلك الأرض ، إنما تستأجرها، اسم " ماكلاى عليت " ۰ والرستينا سواء كان مقيما فى القرية أو نائيا فى المدن ، فهو يحتفظ بنصيبه من أرض القرية ويمكن أن يؤجر أرضه لمن يرغب فى زراعتها ۰

الدومنيالـــــى :

أما فيما يختص بالأرض الأميرية أو الدومنيالية ، فقد أعطى القانون الإيطالى آن ذاك (حاكم إريتريا) باتباع هذه الأرض لملكية الدولة حيث الحقت بأراضى الدولة التى يقل إرتفاعها عن ٣٥٠ متر فى المنخفضات الشرقية وتحت ٨٥٠ متر فى المنخفضات الغربية ، تطبيقا للقانون الإيطالى ، وهو نظام يعنى الملكية المشتركة للأرض وبواسطة العشيرة أو القرية ۰

ويرجع ظهور هذا النظام إلى أيام سيطرة الأتراك العثمانيين على إريتريا ، واعتمدته إيطاليا كما كان ، وبعد أن استعاد الأهالى سلطاتهم على مقدرات وطنهم، بدأوا بزراعتها إلى جانب استعمال معظم الأجزاء لأغراض الرعى ۰ ويعتبر نظام الدومنيال من الناحية العملية ،غير موجود فى الريف الإريترى، لأن ملكية الأرض كما كان متعارف عليه ، موزعة بين البيوتات والعشائر الإريترية ۰ هكذا كان الواقع حتى اعلان استقلال إريتريا ۰

أهم المحاصيل الزراعيــة :

الذرة بأنواعها المختلفة و القمح و الشعير و الطاف ، وكان معروفا فى الهضبة منذ عام ١٥٠٠ ق٠م والدخن وأنواع البهارات والبقول ، كالحمص والفول والحلبة والعدس والبطاطس والسمسم والبصل والثوم والخضروات المتنوعة ، والحمضيات والفواكه المدارية مثل الليمون والبرتقال والمانجو والموز والألياف النباتية والتبغ والقطن والبن ، الذى يزرع فى منحدرات الهضبة الإريترية ، وخاصة فى منطقة فلفل وجندع ذات المنسوب العالى من مياه الأمطار ٠

الغابـــات :

تغطى الغابات مساحة تقدر بحوالى ١ر٥٢٠ر٠٠٠ هكتار أى نحو ٥ ٪ من مساحة إريتريا ، وتعتبر الغابات فى إريتريا من أهم مصادر الثروة الطبيعية ، فهى توفر العلف للماشية وأخشاب البناء والحطب والفحم واللبان وتكون حماية ضد الرياح ، كما تحافظ على التربة من التعرية والانجراف ٠ ولعل الفرص المنظمة للأشجار يجعل الغابات مصدرا هاما من مصادر الدخل ٠

وإريتريا من الأماكن النادرة فى العالم التى تنبت فيها (أشجار الدوم) وأشجار الدوم لها قيمة اقتصادية فى إريتريا وكانت تعطى المواد الأولية لصناعة الأزرار المحلية والصدف والكحول وزيت الصابون وعلف الماشية ، وتحتوى قشرة الثمرة على حامض التنيك بكميات تجارية تستخدم فى صناعة دبغ الجلود ، كما تستخدم القشرة الخارجية للثمرة للوقود ويصنع من أوراق شجرة الدوم الحبال ٠ ويكثر انتشار هذه الأشجار فى بركة والجاش فى الأراضى المنخفضة ، كما تكثر فى الأراضى المرتفعة فى منطقة كرن ٠ وهناك أشجار " أوفربيا " أو " كاندبلابرا" فى الهضبة والمرتفعات الشمالية ، والتى كانت تصنع منها عيدان الكبريت وأشجار

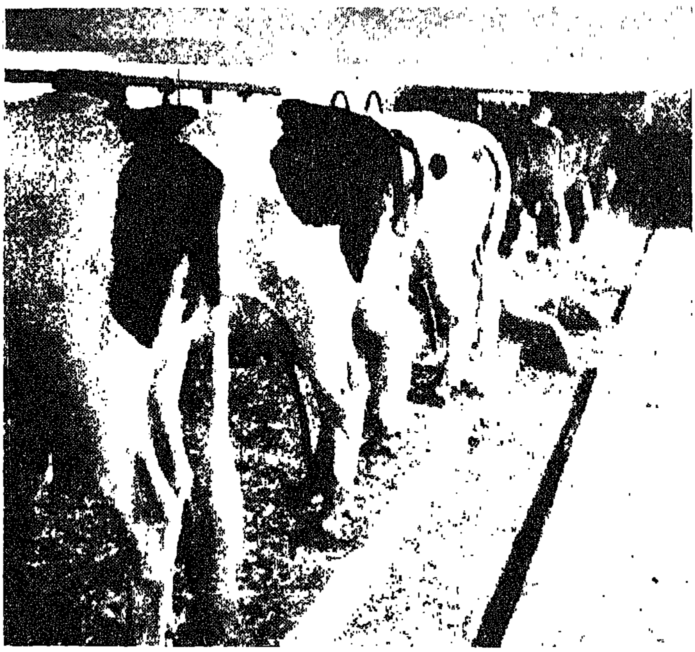
" بوسد اليابابابيريتارا " في المرتفعات الشمالية والجاش وستيت التى كان يستخرج منها نوع من البخور التجارية " اللبان " ٠

أشجار " الاكاسيا " المتنوعة التى يستخرج منها الصمغ العربى ٠ كما يصنع من الأخشاب بعض الأوانى ينحتونها بأدوات بدائية وتسمى هذه الأوانى " الطيشو " وقد حافظ الأيطاليون على غابات إريتريا فى فترة حكمهم لها ، وكونوا حرسا خاصا لها ٠

الثروة الحيوانيــة :

تشكل الثروة الحيوانية مصدرا هاما لثروة إريتريا وهى تعد من المصادر الرئيسية للإقتصاد الإريترى ، إذ أن الرعى وتملك الماشية حرفة تمارسها جماهير كثيرة من سكان إريتريا منذ القدم ، نظرا لتوافر المراعى الطبيعية التى تغطى نحو ٧٥ ٪ من مساحة إريتريا ٠ وينتقل الرعاة بقطعانهم بين المناطق المختلفة تبعا لاختلاف فصول الأمطار ، بحثا عن المراعى الخصبة ، ويملك الشعب الإريترى عدة ملايين من الأبقار والأغنام ، وهى من النوع العربى ؛ العرض والبركاوى بالنسبة للأبقار إلى جانب الماعز والضأن من الأغنام والإبل فهى من ذوات الصنام الواحدة ، وكانت الثروة الحيوانية تبلغ حوالى عشرة ملايين رأس من الغنم والبقر والإبل ، وكانت تجد العناية والاهتمام ، وقد انشئت لها منذ عام ١٩٠٥ مركزا للأبحاث البيطرية وكان من أكفأ المراكز البيطرية فى إفريقيا فى عهد ايطاليا وبريطانيا إلى أن أهملت هذه المراكز عقب الاحتلال الإثيوبى المدمر ٠





الثروة الحيوانية فى إريتريا

والجمال كان لها اهتمامها من جانب الشعب الإريترى منذ القدم ، وكانت تستخدم لأغراض نقل الأمتعة فى الريف الإريترى • وفى عهد الثورة لعب الجمل دورا أساسيا ورئيسيا فى خدمة الثورة ، وأخذ نصيبه من الإبادة التى تعرض لها الشعب الإريترى فى أيام المقاومة ضد الاحتلال الإثيوبى، ولهذا جعلته الدولة الإريترية بعد الاستقلال شعارا لها •



الثروة السمكية فى المياه الإريترية

الثروة البحرية :

يشكل الساحل الإريترى الذى يفوق الألف كم ، وكذلك أرخبيل دهلك للصناعة البحرية ذات مستقبل زاهر ٠

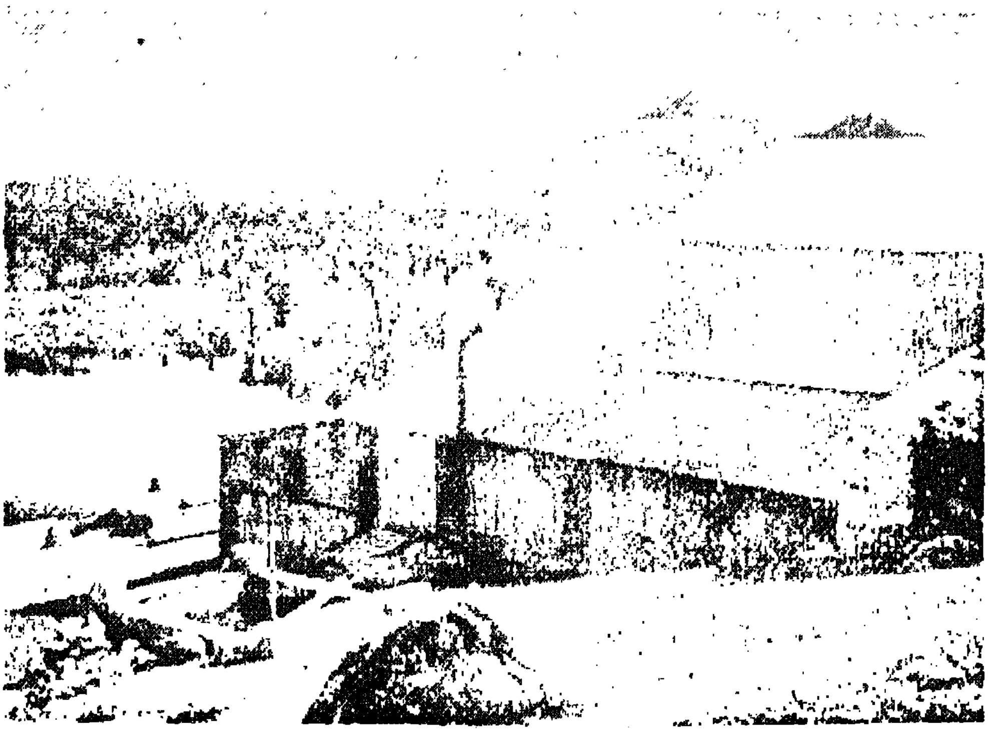
فقد ازدهرت فى الماضى مصانع تعليب الأسماك ، ومنتجات بحرية أخرى على نحو ممتاز بشكل عام ، فإن البحر الأحمر هو أحد المناطق الغنية بالموارد الطبيعية ذات الإمكانيات الاقتصادية الهائلة لإريتريا ، فكان البحر الأحمر المصدر الرئيسى لثروة إريتريا من الأسماك ٠ وتمتلك ثروة بحرية هائلة منها الأصداف والمرجان والقواقع والاسفنج واللؤلؤ ، والملح بجانب الثروة المعدنية التى تربض فى قاع البحار فى الشاطئ الإريترى ، وان استغلال هذه الثروة يعطى دخلا مهما يساعد فى تدعيم الاقتصاد الوطنى ٠

الثروة المعدنية :

عرفت أراضى إريتريا منذ القدم بكثرة معادنها ، وفى أدوليس كان يثبت ازدهار صناعة صهر الحديد والنحاس والذهب ، وكانت المناجم المجاورة فى هضبة قوحيتو وجبال قدم المصدر الأساسى ٠

وفى العصور الوسطى اشتهرت جزيرة دهلك التى كانت بها سلطنة غنية مزدهرة، بصناعة سنان الرماح والخناجر من حديد مستخرج محليا ٠

أما شمال إريتريا فقد عرف عهد ممالك البيجه فى العصور الوسطى ،الصراع بين عدد من القوى العربية والبيجاوية حول استغلال مناجم الذهب والحديد والنحاس والفضة وغيرها ٠ وبالرغم من أنه لم يجر مسح شامل للمعادن فى إريتريا حتى الآن ، بسبب ظروف الحرب والصراعات التى كانت قائمة ، فإن الدراسات الأولية والحقائق الملموسة تشير إلى وجود مخزونات كبيرة من المواد الخام ، وتشمل المكتشفات المعدنية ، النحاس فى مناطق عديدة ، كذلك الفضة والأملاح المعدنية والرخام والبترول والنيكل والمنجنيز والمغنسيوم والبوتاسيوم وسلكات الألمنيوم وغيرها ، فالدلائل المتوفرة تدل أن إمكانيات المعادن ليست قليلة فتشير المعلومات إلى وجود :



منجم الذهب فى أوقارو

الذهـــب :

فى أربع مناطق رئيسية وهى وادى عنسبه أو كرن وهضبة الحماسين فى إقليم اسمرا ووادى جعال GAALA جنوب اسمرا ووادى الجاش أو بارنتو BARENTU .

الحديــــد :

يوجد الحديد فى عدة أماكن على الهضبة وجبال قدم GADUM ، وفى سفوح التلال خلف مصوع تجاه حرقيقو ٠

الأمـــــلاح :

توجد كميات كبيرة من أملاح الصوديوم فى النطاقات الجنوبية للسهل الساحلى عند بردولى BARDOLI ، وفى شبه جزيرة بورى وراموردى RAMODI ، وبالقرب من مدينة طيعو TIO ٠ أما الآن فالمصدر الرئيسى للأملاح سواء للاستهلاك المحلى أو التصدير إنما يأتى من تبخير مياه البحر الأحمر فى مصوع وعصب ٠

وتستخرج الميكا من جبال قدم وسلكى SILIKE جنوب حرقيقو ، وقد وجد الزبرجد فى جبال قدم والكاولين KAOLIN فى عدة أماكن فى إقليم الحماسين ، والرخام فى عدى نبو ADINEBU فى إقليم سراى ٠

البتـــرول :

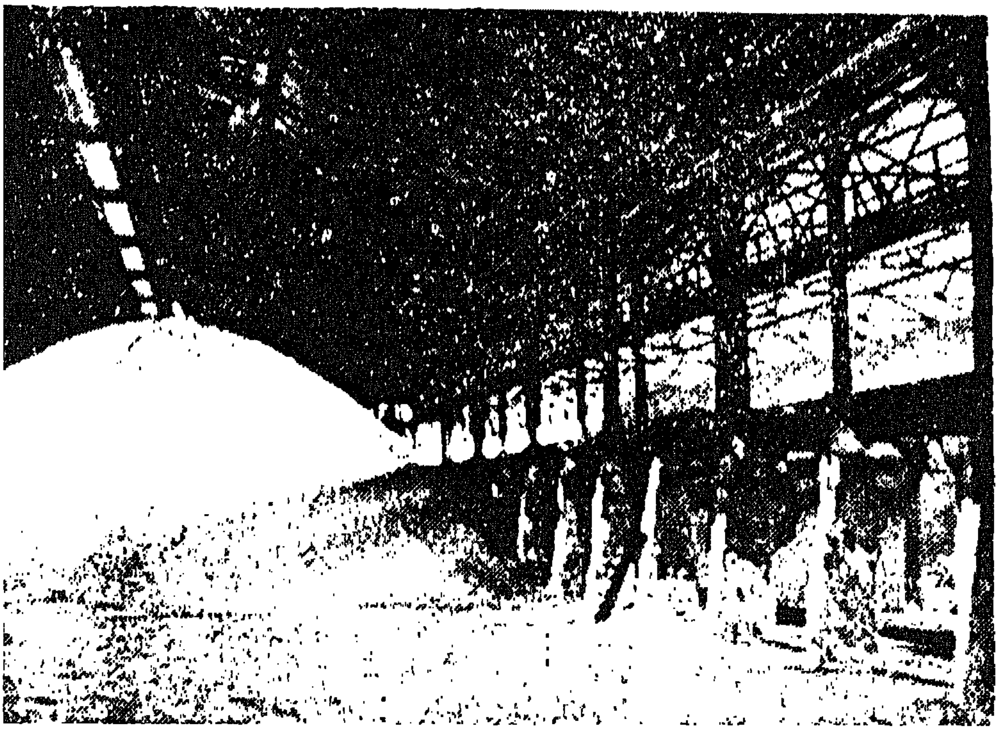
لقد قيل الكثير عن وجود البترول فى سواحل البحر الأحمر، وقد عثر الإيطاليون فى خلال العشرة سنوات الأخيرة من احتلالهم لإريتريا علـى البتــرول فـــى جــزر " دهلك " شرقى ساحل ميناء مصوع ، ولكن ظروف الحرب العالمية الثانية أوقفت عمليات التنقيب بعد أن بدءوا بالحفر ، ولم تقدم أى تقارير بشكل علمى عن نتائج تلك الحفريات ، وربما استولت عليها اثيوبيا فى ذلك الوقت وسواحل إريتريا من المناطق التى تلائم ظروفها وجود بترول ، وقد ثبت وجود رواسب من العهد الميوسينى فى الساحل الشمالى لميناء مصوع ، كما أوضحت الخرائط التى وضعها الجيولوجيون الإيطاليون إمكانية وجود البترول فى المنطقة الواقعة حول مصوع والممتدة إلى شبه جزيرة " بورى " ، وفى داخل المياه الإقليمية إلى خليج دهلك ، وفى سنة ١٩٥٨ ظهرت بوادر البترول فى أم بيرمى بإقليم سمهر،

فى منطقة تقع شمال مصوع ١٨ كم ولكن نظرا لعدم الاستقرار السياسى توقف البحث عن البترول ٠

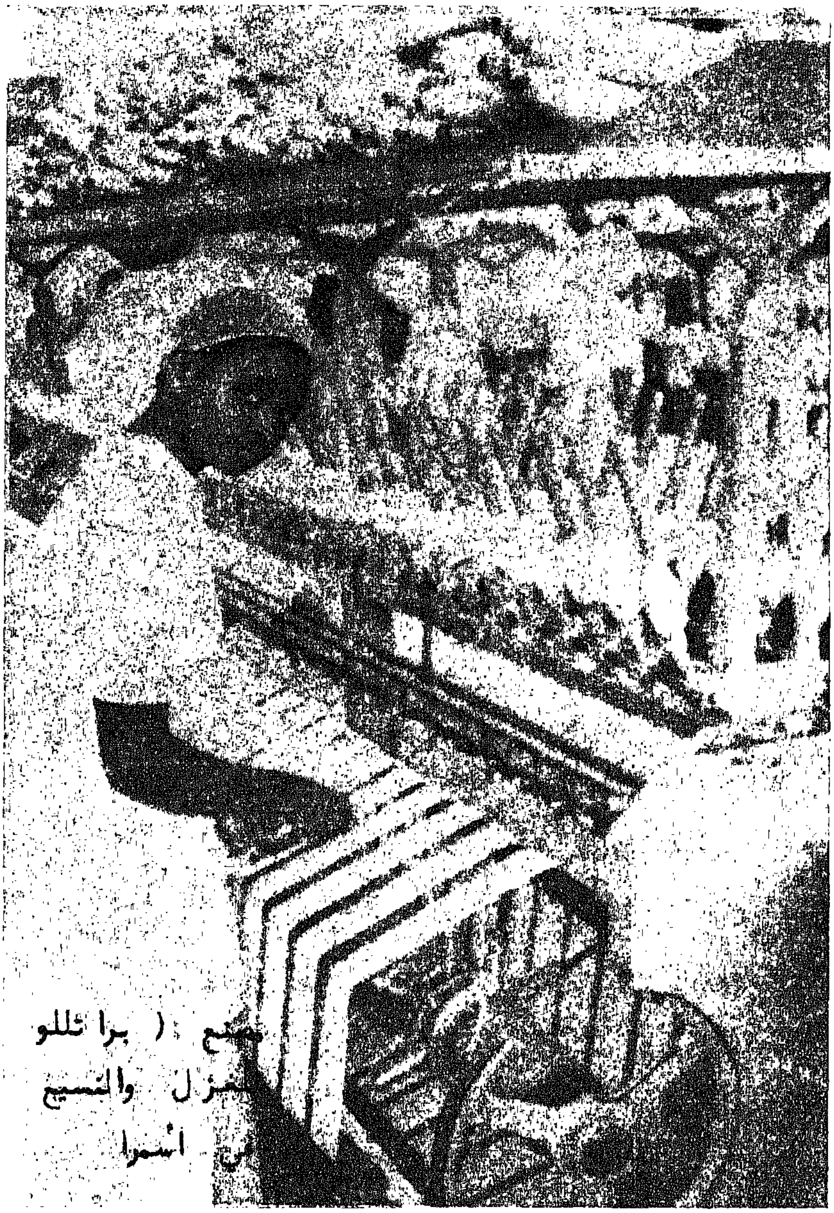
الصناعــة :

اشتهر الإريتريون منذ القدم بصناعة السيوف والرماح وأسنتها الحادة القاتلة ، وقد نســب العــرب قبـل الإســلام السيـف الجيد الصنع إلى السمهر فكان يقال " اسمر العوالق " ٠ إن توافر المواد الأولية اللازمة للتصنيع ، كان من أبرز العوامل المشجعة لقيام عدة صناعات فى إريتريا معتمدة على الخامات المحلية ومن ذلك مصانع الأسمنت والطوب والزجاج لأغراض مختلفة والثقاب والورق ومنتجات الألياف النباتية والأكياس وحلج القطن وغزله والخزف والأثاث والزراير ومنتجات الألبان والصابون والعطور والزيوت والكحول والبيرة ودبغ الجلود والأخشاب والمسامير ولف السجاير واستخراج الملح والهواء المضغوط (الأكسجين) وأكسيد الكبريت وحفظ اللحوم وتعليب الأسماك وتعبئة الخضروات وتوليد الكهرباء والبلاستيك ٠

كل هذه الصناعات كانت متواجدة فى إريتريا قبل الاحتلال الإثيوبى لها ، والذى أدى إلى تدميرها ، والبعض الآخر نقلته سلطات الاحتلال إلى أديس أبابا ٠ ويرجع قيام الصناعة فى إريتريا إلى عام ١٩٠٥ ، عندما اصبحت ملاحه مصوع ، ثم فى عصب حيث بلغ الإنتاج فى عام ١٩٢٧ ، أكثر من مليون ونصف كنتال صدر كله إلى اليابان والهند ٠ ثم أنشئ مصنع للسجائر فى العاصمة أسمرا سنة ١٩٢٧ وقد ابتدأ التوسع الصناعى فى إريتريا سنة ١٩٤٣ ، وبلغ عدد المنشآت الصناعية حتى سنة ١٩٥٢ ، ٢٤ مؤسسة أضيف إليها شركات أخرى سنة ١٩٥٧ منها ٢٢ مؤسسة فى العاصمة أسمرا فقط وشركتين فى مصوع وأخرى فى كرن ٠



مصنع الملح فى مصوع



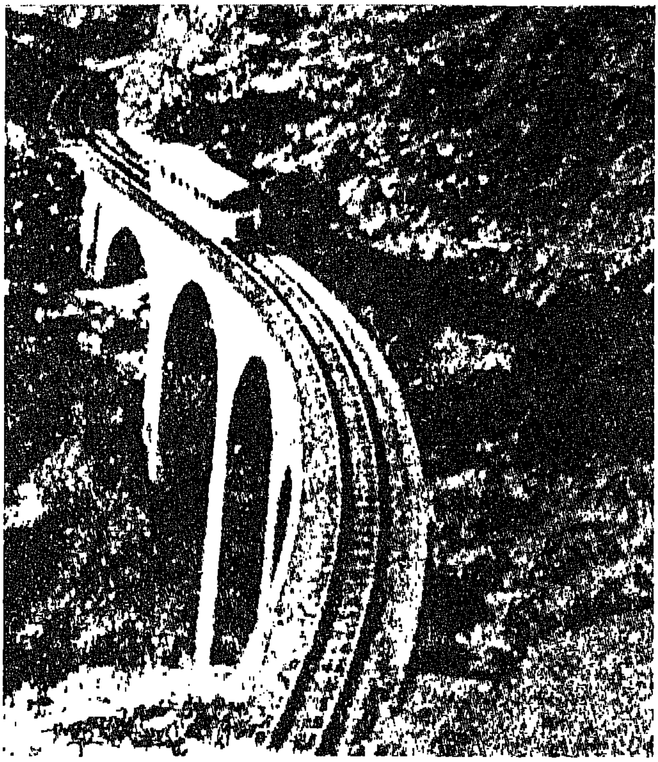
مصنع الغزل والنسيج فى أسمرا

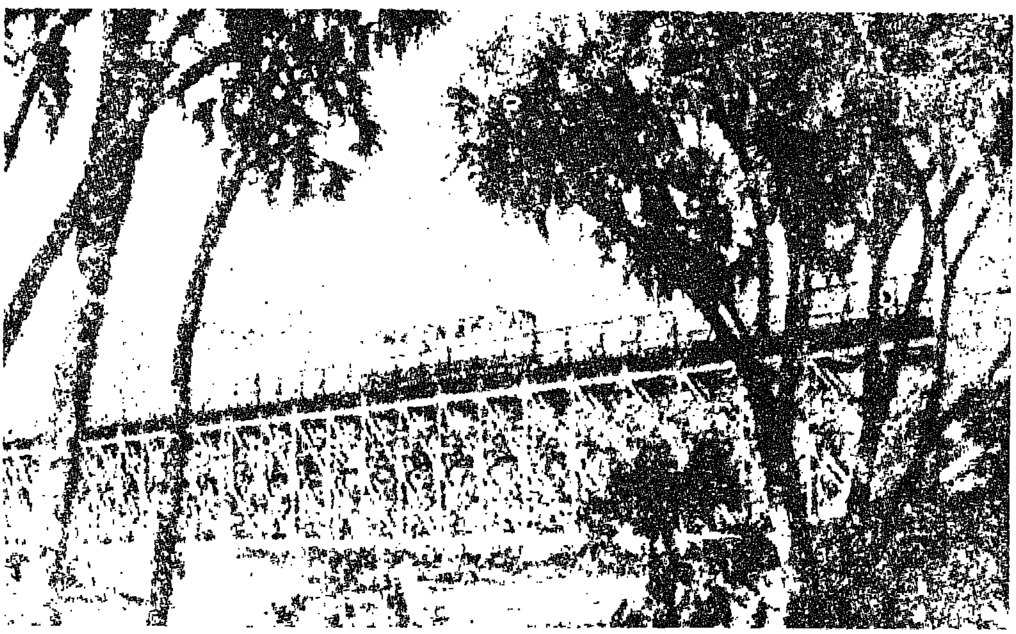
التجارة والمواصلات :

كانت إريتريا تصدر الكثير من سلعها إلى الخارج كالأسمنت والكبريت واللؤلؤ والمرجان والجلود والملح وغيرها، فكان الملح يصدر إلى الشرق الأقصي والكنغو ، كما صدر الزيت إلى هولندا ، والأسماك والأزرار والسجق واللحوم المحفوظة إلى بريطانيا والدول الأوروبية الأخرى مثل ايطاليا ، وحبال الألياف النباتية والذرة والفواكه ٠

وتخدم تجارة إريتريا شبكة رائعة من الطرق والمواصلات ، ولا تعرف الأقاليم الإرترية فى تاريخها صعوبة الإتصال بين أجزائها وكذلك الإتصال بالعالم الخارجى سواء كان بالنسبة للأشخاص أو تصريف حركة التجارة ٠ وكان الإيطاليون أثناء احتلالهم البلاد قد اهتموا بإعداد شبكة من المواصلات البرية فعبدوا الكثير من الطرق للسيارات وأنشئوا خطا حديديا ، وخطا آخر تلفريك معلق من ميناء مصوع إلى العاصمة أسمرا ٠ وتمتد الطرق المعبدة إلى ٣٠١٦ كم والسكة الحديد يبلغ طولها ٣٦١ كم مخترقة ٣٥ نفقا فى الهضبة الإريترية ومنحدراتها عبر الطريق الذى يربط بين مصوع وأسمرا وكرن وأغردات ٠







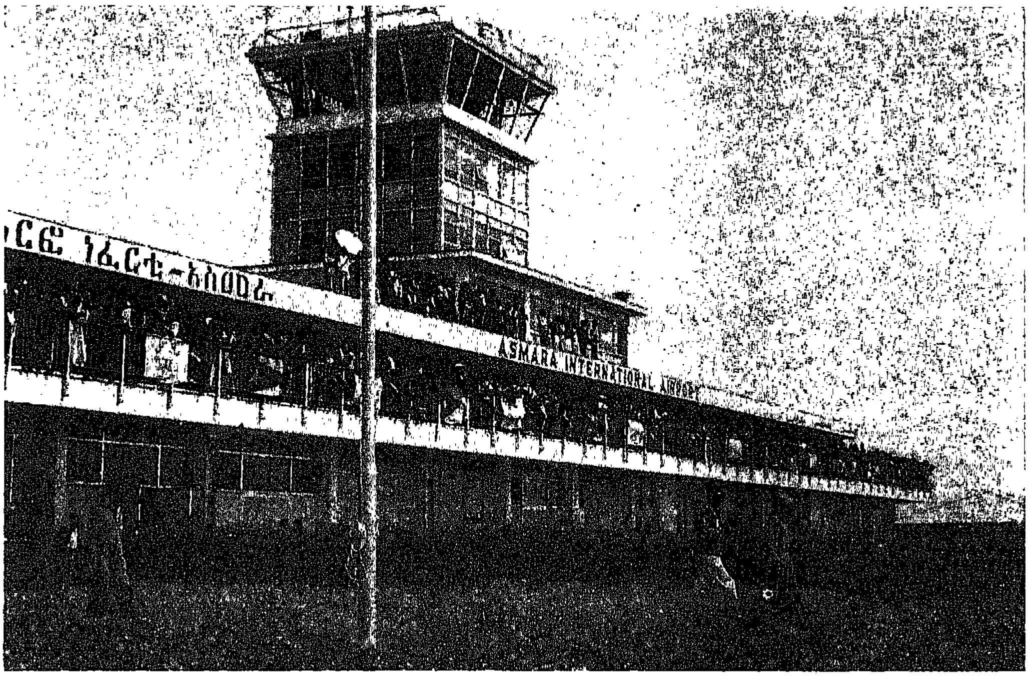
لقطات من الطرق البرية فى إريتريا

وقد أنشأ الإيطاليون هذا الخط الحديدى على مراحل وبدءوا العمل به عقب احتلالهم لمصوع عام ١٨٨٥م ، ووصل إلى ساهاتى SAHTI عام ١٨٨٧م ، ثم امتد إلى جندع GHINDA بعد سبعة عشر عاما ، ووصل إلى أسمرا عام ١٩٠٩، وبدأ العمل فى فرع أسمرا كرن عام ١٩١٠ وانتهى عام ١٩٢٢ ٠ أما فرع كرن أغوردات ، فقد انتهى العمل منه عام ١٩٢٠ ثم إمتد الخط بعد ذلك إلى بيشا ويبلغ طول خط مصوع أسمرا ١٢٢ كم وخط أسمرا كرن ١٠٤ كم وخط كرن اغوردات ٨٦ كم وخط أغوردات بيشا ٤٩ كم ٠ وكان القطار يقطع الرحلة من مصوع إلى أسمرا في نحو ثلاث ساعات، صاعدا من مستوى سطح البحر عند مصوع إلى ارتفاع ٧٧٦٥ قدما عند أسمرا فى طريق متعرج يمتد على حافات المرتفعات ٠ وأما شبكة طرق السيارات التى أنشأها الإيطاليون فى إريتريا فقد وصفت بأنها عمل هندسى فذ بالإضافة إلى ذلك هناك طرق حوالى ١٤٠٠ ميل من الطرق الثانوية والدروب وكان يمر بمينائى مصوع وعصب ما يتراوح بين ٥٠٪ و ٦٠٪ من صادرات إثيوبيا ووارداتها ٠

وتعتبر مصوع جغرافيا المنفذ الطبيعى للبذور الزيتية والذرة والفواكه والجلود من المناطق القريبة والمرتفعات الإريترية وشمال إثيوبيا (اقليم تجراى) ، وأما عصب فموقعها مناسب لتصدير الملح والقمح والذرة من الأجزاء الوسطى والجنوبية من إثيوبيا ٠

المواصلات الجوية :

ترتبط إريتريا من خلال العاصمة اسمرا بالعالم الخارجى ، عن طريق خدمات عدد من شركات الطيران العالمية التى تعمل بين أوربا والشرق الأوسط وشرق افريقيا واثيوبيا، وفيها مطار دولى حديث لاستقبال الطائرات النفاثة ٠ وهناك بعض المطارات الصغيرة لا تستعمل إلا للطيران الداخلى ولأغراض عسكرية٠



مطار أسمرا الدولى

الموانئ والمراسى :

أهم موانيها مينائى مصوع وعصب ،

أما المراسى الصغيرة الغير مجهزة بالوسائل العصريةللشحن والتفريغ فكثيرة، ويستعملها الأهالى لقواربهم الخشبية (سنبوك) وهذه المراسى من الجنوب للشمال :

١ – مرسى بيلول على بعد ٦٠ كم جنوب عصب ٠

٢ – مرسى برعسولى على بعد ١٠٠ كم جنوب عصب ٠

٣ – مرسى عد ٠

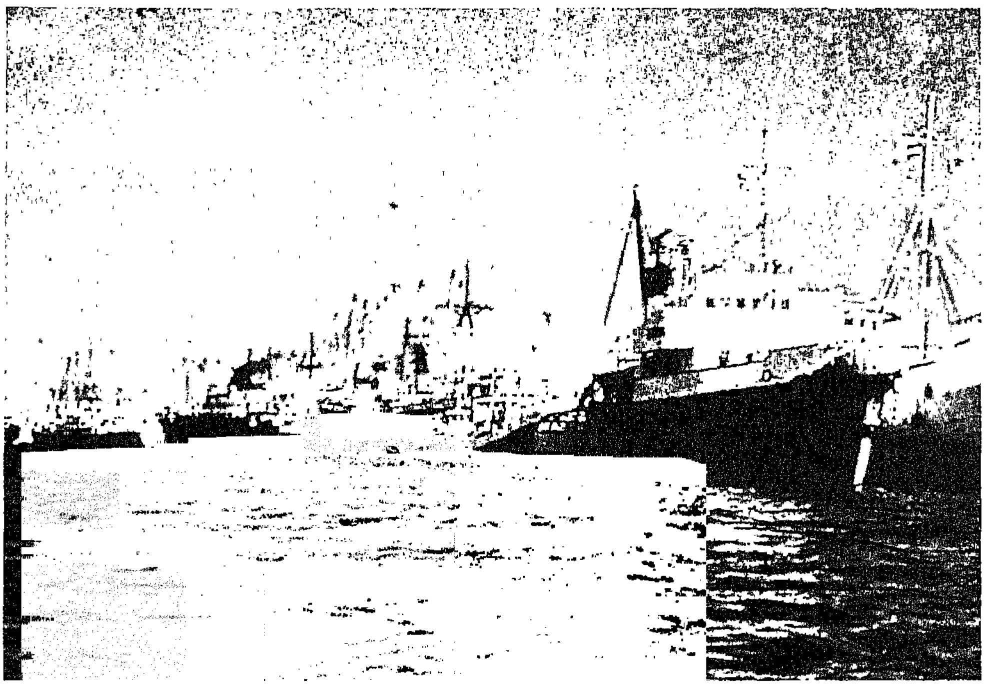
٤ – مرسى طيعو ، وبه مدينة طيعو

٥ – مرسى فاطمه

٦ – مرسى أنجل ومرسى مكعنلى ٠

٧ – مرسى زولا ومرسى حرقيقو ٠٠

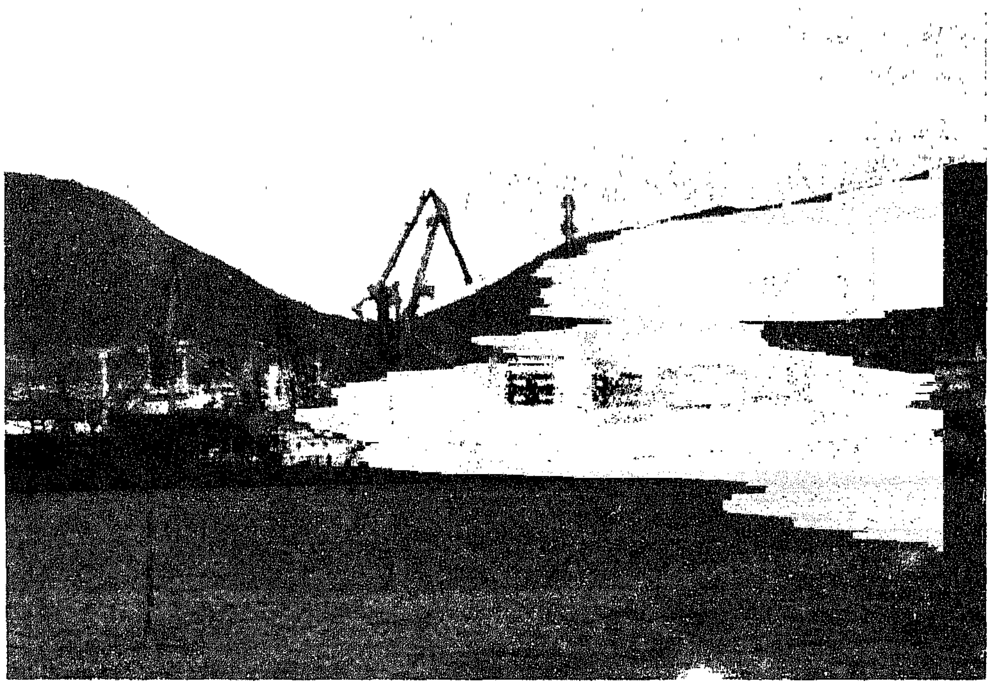
وهذه المراسى مأهولة بالسكان ٠٠



منظر عام من ميناء مصوع

مراسى شمال إريتريا :

غير أن هذه المراسى خالية من السكان ، وهى فقط مواقع آمنة للزوارق الشراعية لمن يحترفون الأعمال البحرية ، بينما سكان المنطقة بصورة عامة يحترفون الرعى والزراعة وهذه المراسى هى مرسى قبع ، مرسى مبارك ، مرسى ابراهيم ، مرسى جلبوب، مرسى دسيت ، مرسى تكلاى ٠ ويأتى مرسى تكلاى ثم جلبوب أهم هذه المراسى ٠



منظر عام لميناء عصب

السياحة :

تتمتع إريتريا بميزات طبيعية فريدة تؤهلها لأن تصبح بلدا سياحيا يجتذب السياح صيفا وشتاءا . ويقصد هضبة إريتريا عدد من سكان البلدان المجاورة الحارة ، كالسودان والسعودية واليمن بفضل طرقها المعبدة . يستطيع السائح أن يزور معظم أنحاء البلاد بكل ما تملكه من تنوع فى المناخ ، وفى أيام معدودات دون أن يشعر بالتعب والصعوبات فى الجولة على أنحاء البلاد كلها . وأما هواة المعالم والآثار ، وخاصة من الأوروبيين ، فيجدون ضالتهم فى زيارة بعض المواقع المهمة الواقعة على طريق القوافل القديمة ادوليس وأكسوم مثل موقع " قحيتا " ومطرا وآثار البلو والكلو والتلو فى صنعفى وزيارة البحر الأحمر فى الشتاء حيث الطقس المعتدل فتتوافر وسائل الراحة والهدوء والسباحة وسط عشرات من الجزر الخضراء والرمال البيضاء . وفى جزيرة دهلك كان يوجد مركز للغوص فى قاع البحار .



المتحف الوطنى الإريترى بأسمرا

الفصل الرابع والعشرون
إريتريا والثروة الوطنية القومية

==

بعد أن أوضحنا أهمية الموقع الجغرافى للبحر الأحمر بالنسبة لإريتريا ، كممر استراتيجى ، فلابد من الإشارة إلى أنه مصدر كبير من الثروات الاقتصادية؛ مثل خام الحديد والمنجنيز والرصاص والذهب . وارتفاع درجة الملوحة أكثر من أى بحر آخر فى العالم أوجدت أنواعا متعددة من الأسماك والأحياء المائية الأخرى التى يذخر بها قاع البحر .

إن هذه الأهمية للبحر الأحمر وثرواته المختلفة على امتداد طول شواطئه ، ستعود بلا شك على الشعب الإريترى بخيرات كثيرة ، مما تؤدى إلى رفع مستوى الاقتصاد حيث كانت مجمدة وغير مستغلة قبل الاستقلال . هذا فضلا عن الثروات المعدنية والزراعية والحيوانية الموجودة فى إريتريا كما يلاحظ من التضاريس . وتنوع الأحوال المناخية لإريتريا يجعل منها منطقة شاسعة صالحة لتنويع المحاصيل الزراعية . ومناطق أخرى صالحة لضمان المراعى الكبيرة للمواشى على مدار السنة ، كل ذلك فى إمكان استصلاح أراضى زراعية جديدة عن طريق تنظيم الرى فى وقت الفيضانات الموسمية فى المنخفضات الغربية والشرقية . وبوجه خاص فى أحواض الأنهار الموسمية الكبيرة التى أشرنا إليها من قبل .

وبناء سلسلة من السدود المناسبة على المنحدرات الكبيرة المنتشرة فى المرتفعات الإريترية ولذلك يمكن الاستفادة من مياهه .

ومن هنا فإن استغلال هذه الثروات الهائلة المغمورة فى أعماق الأرض ، والتى لم تستغل من قبل بالتأكيد ، سوف ترفع من مكانة هذا الشعب بين الأمم ؛ لأن رقى أى مجتمع وتطوره يكمن فيما لديه من الثروات المتنوعة التى تحت تصرفه.

وأن الدراسات القديمة تشير إلى وجود بترول فى إريتريا لأن ساحل البحر الأحمر يخبئ فى أحشائه خيرات كثيرة كما أنعم بها شعوب المنطقة المطلة عليه .

وهذه القدرات الاقتصادية التي تحدثنا عنها والتى تذخر بها إريتريا ، بالتأكيد ستكون دافعا ملموسا فى ظل الحكومة الوطنية الإريترية لترفع من مكانة البلاد ورفاهية الشعب . وهذه الحقائق تؤكد لنا كفاءة الاقتصاد الإريترى ؛ لأن مسألة القدرة الاقتصادية بالنسبة لإريتريا كانت من المسائل التى أثيرت منذ البداية مع بروز القضية الإريترية على المسرح السياسى الدولى فى نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات من القرن العشرين ، من جانب القوى المختلفة من الدول الأوربية وإثيوبيا التى كانت تطمح دوما باحتلال إريتريا ، وضمها إليها دون أى اعتبار لإرادة الشعب الذى كان يطالب بحقه فى تقرير مصيره .

ومن هنا تعمدت الإشارة إليه ، وابراز الحقائق الملموسة المتعلقة بهذا الموضوع الأمر الذى نجد له أكثر من إشارة ، وفى مناسبات عديدة يرد ذكرها من موضوع هذا الكتاب نظرا لأهمية وحيوية هذا الجانب الاقتصادى ، وخاصة بعد حصول إريتريا على استقلالها الوطنى ولدحـــض الأكاذيب التى أطلقتها القوى الخارجية قبل الاستقلال وفى أثناء المقاومة الوطنية فى بداية عرض قضية إريتريا إلى الأمم المتحدة ، فإريتريا اقتصاديا لا تقل عن أى دولة إفريقية مستقلة ،إن لم تكن تتميز بمواردها الاقتصادية المتعددة كما أوضحنا فى هذا الفصل ، فإريتريا لديها البحر الأحمر بكل خيراته ومدخراته وبكل أهميته الاستراتيجية والملاحية ، وإريتريا لديها كنوز الأرض من معادن ونفط وقدرات زراعية هائلة كل ما تحتاجه الآن دعم الأشقاء والأصدقاء وخاصة القادرين من الدول العربية فى كافة المجالات الاستثمارية فى الزراعة والصناعة والطاقة الكهربائية. فقدرات الشعب الإريترى فى هذه المرحلة من بداية حياته الوطنية فى ظل الاستقلال الوطنى الذى ينعم به الآن ، حيث كانت طاقاته معطلة وخبراته مدمرة من جراء الحرب الطويلة التى خاضها هذا الشعب طوال ثلاثين عاما ضد الاحتلال الإثيوبى ، لينال استقلاله

الوطنى والاستفادة من خيراته القومية ، ولذلك لابد من التعاون ليس فقط فى إطار العرب ، ولكن جميع القوى المحبة للحرية والسلام ومن الدول الكبرى الصناعية. فموقعها الجغرافى ، وثرواتها المدفونة فى باطن الأرض التى لم تستغل حتى الآن، ونضالها الطويل التاريخى ، يؤهلها أن تحظى بمكانة مرموقة بين الأمم وتستحق كل العون والمساعدة من أجل رفاهية هذا البلد ، الذى تآمرت عليه كثير من القوى الخارجية والإقليمية ، والتى دفع ثمنها شعبنا غاليا ويعانى من آثارها حتى الآن .

البـــاب الســـادس

العناصـر البشريـة والتكويـــن الاجتماعى للشعـب الإريتـرى

الفصل الخامس والعشرون
اللغات واللهجات

سوف نستعرض فى هذا الفصل وبشكل مسهب ، نظراً للأهمية، وهى الأبواب التى تتكون منها العناصر الرئيسية للتركيبة السكانية، سواء كان من ناحية الأقاليم أو القبائل أو اللغات . وقبل دخولى فى هذا الموضوع لابد من الإشارة هنا إلى جملة من الحقائق، كان لها أثر كبير فى التكوين السكانى لإريتريا ، سواء كان من الناحية الجغرافية أو التاريخية أو الحضارية. ولقد سبق أن أشرنا إليها من خلال سردنا التاريخى فى الخلفية التاريخية ، والذى يعتبر سلسلة متصلة ومكملة لبعضها البعض .

إن إريتريا بحكم موقعها الجغرافى -كما لاحظنا- كانت مسرحاً دائما لموجات متتالية من الهجرات البشرية – سامية – حامية – زنجية . ومن هنا يمكننا أن نقول أن السكان هم مزيج من هذه التزاوجات التاريخية، تطغى على ثقافاتهم وملامحهم السمات السامية والعربية؛ لأن الانصهار على مدى التاريخ والترابط فى إطار المصالح الاقتصادية المتشابكة جعل منهم كل لا يتجزأ .

وهذه السمة – سمة التعدد – لا تنفرد بها إريتريا وحدها ، فنادراً ما يوجد فى العالم قطر يتكون سكانه من سلالة عنصرية واحدة ، أو من تجمع ثقافى ولغوى واحد ، فالتجانس فى إطار التعدد سمة مألوفة فى كل أقطار العالم . فتكوين البلاد الجغرافى وتضاريسها ينعكس أكثر من أى شىء آخر على ظروفها السكانية.

ويقول الدكتور رجب حراز فى كتابه " إريتريا الحديثة " ، قائلا :
(إن هذه الهجرات والغزوات البشرية قد تركت بصماتها على الكيان الإريترى الأنثولوجى، فصار متبايناً ، تكاد تحتل كل مجموعة بشرية منه إقليماً جغرافياً

مميزًا، ويشترك أفراد المجموعة البشرية الواحدة فى صفات معينة ، كاللغة والدين والطرق المعيشية) .

يتحدث سكان إريتريا بلغتين مكتوبتين وسبعة لهجات محلية . والعربية والتجرينية هما اللغتان الرسميتان حسب المادة ٣٨ من الدستور الإريترى، الذى صادقت عليه الجمعية العامة للأمم المتحدة فى العاشر من يوليو ١٩٥٢، وأقرها البرلمان الإريترى فى تلك الفترة . وقد استخدمت اللغتان فى كافة نشاطات الدولة فى بداية العهد الفيدرالى حتى تم الغائهما من قبَل سلطات الاحتلال الإثيوبى، ولكن الثورة الإريترية منذ انطلاقتها الأولى، أخذت تؤكد هذا الاتجاه لتثبيت اللغتان الرسميتان للبلاد، مع الاهتمام باللهجات المحلية حفاظًا على التراث والعادات والتقاليد لكافة فئات الشعب .

(١) اللغة العربية :

تنتشر اللغة العربية فى إريتريا وقد اتخذها البرلمان الإريترى لغة رسمية للبلاد بجانب اللغة التجرينية ، وهى لغة التخاطب والثقافة بين المتحدثين باللهجات المختلفة بما فيه المتحدثين بالتجرينية .

(٢) اللغة التجرينية :

هى لغة سامية كما أشرنا إلى ذلك سابقًا، وتكتب بالحروف الحبشية التى اقتبست من الحروف الجئزية الحميرية القادمة من جنوب الجزيرة العربية، وتكتب من اليسار إلى اليمين، ولها سبعة حركات تكتب على شكل حروف مستقلة . والتجرينية تعتبر تاريخيًا هى الوريث الشرعى للغة الجئز ومعظم مفرداتها سامية . فالتجرينية تسود فى مملكة أكسوم القديمة أى إقليم تجراى الحالى وإريتريا، وهى غنية بآدابها من قصص وحكايات شعبية والأحكام والأمثال . وهناك وجه التشابه بينها وبين لهجة التجرى .

واللغة التجرينية يتحدث بها سكان الهضبة الإريترية، ويتخاطب بها معظم الإريتريين ؛ باعتبارها اللغة الرسمية للبلاد بجانب اللغة العربية ٠ ويعتبر كتاب القانون المسمى (لقى جوا) من أقدم ما كتب بالتجرينية، ويعود تاريخه إلى مستهل القرن التاسع عشر ، كما كتبت عدة كتب دينية وتاريخية بهذه اللغة ٠

لهجة التجرى :

هى لهجة سامية متفرعة من لغة الجئز القديمة ، أى اللغات الجنوبية الأخرى التى وصلت مع المهاجرين الأوائل من جنوب الجزيرة العربية ٠ تنتشر فى شرق إريتريا وشمالها وغربها، وتمتد إلى مناطق الحدود حتى شرق السودان ٠ وتعتبر التجرى لهجة شعر راقية، وهى غير مكتوبة ولكنها غنية بالمفردات من أى لهجات سامية أخرى فى شمال شرق إفريقيا. وهناك كثيرًا من أوجه التشابه بين اللغة التجرينية والتجرى ، وقد اشتقتا من أصل واحد ، وقد انقرضت اللغات السبئية فى جنوب الجزيرة العربية ولم تبق منها إلا لغة (المهرة) فى إقليم ظفار فى سلطنة عمان وفى إحدى المحافظات الجنوبية فى الجمهورية اليمنية، وهى لهجة غير مكتوبة وتشابه التجرى والتجرينية فى تركيبها وفى كثير من مفرداتها ٠

ولا يقل عدد المتحدثين بالتجرينية والتجرى عن ٨٠٪ من مجموع السكان الإريتريين. وهناك أربعة لهجات تنتمى إلى اللغة الكوشية الحامية. وهى : الهضارب والبلين والساهو والدناكل ٠

لهجة ساهو :

هى لهجة تتحدث بها القبائل المنتشرة شرق وجنوب شرق إريتريا، إلى جانب تلك التى تعيش فى مرتفعات تجراى الشرقى ومنحدراتها الوعرة فى أقاليم إيروب وعقامى AGAME ولا عسا واكلتا أولى AKLTE AWLAO وأندرتا ANDERTA

وهى لهجة متقاربة مع لهجة الدناكل فى كثير من المفردات .

لهجة الدناكل :

هى اللهجة التى يتحدث بها تجمعات العنصر المتواجدين جنوب السهل الشرقى من إريتريا، وهى تتشابه مع الساهو كما ذكرنا سابقًا، وهى لهجة كوشية حامية وفى بعض مفرداتها نجد كلمات سامية بحكم اتصال الدناكل بالجزيرة العربية عبر الساحل على مدى عصور مختلفة. وتأثرت لغة الدناكل -أو العفر باللغة العربية - من ناحية الألفاظ فى العصر الحديث . كما يتحدث بها العفريين المتواجدين فى كل من إقليم تجراى وسلطنة أوسا فى إثيوبيا وعفر جيبوتى . وكل هذه التجمعات تربطهم هذه اللهجة .

لهجة البلين : PELEIN

وتتحدث بها قبائل البلين التى تسكن جنوب مدينة كرن، وينصبها علماء اللغات إلى مجموعة اللغات الحامية الوسطى، المعتبرة أقدم لغات المرتفعات الإثيوبية، التى كان يتحدث بها الأجو فى الهضبة الإثيوبية . وعلى كل أن لهجة البلين تعد إحدى اللهجات الكوشية القديمة .

الهضارب :

تعد من أقدم لهجات أهل بيجه ويتحدث بها بعض قبائل بنى عامر والهضارب فى إريتريا، كما يتحدث بها قبائل الهدندوة المتواجدين بشرق السودان وهى كوشية الأصل.

وهكذا فإن الأربعة لهجات الإريترية المذكورة تنتمى إلى المجموعة الكوشية الحامية، ولو أنها تختلف مع بعضها البعض إلا ما كان فى الأصول .

اللهجات النيلية :

(١) لهجة الباريا (نارا) وتتحدث بها قبيلة باريا التى تقطن منطقة مقراييب وهقر بإقليم القاش، كما تتحدث بها قبيلة إيليت المنتشرة من هيكوته حتى مشارف تسنى فى الحدود السودانية .

(٢) لهجة البازا : ويتحدث بها قبيلة البازا (كوناما) المتواجدة فى مدينة بارنتو وضواحيها وغيرها من إقليم القاش وستيت . وكل هذه اللهجات غير مكتوبة .

الفصل السادس والعشرون

العادات والتقاليد للشعب الإريترى

ومن الصفات التى ورثها هذا الشعب من خلال نضاله التاريخى الطويل منذ بداياته الأولى :

أن الشعب الإريترى على اختلاف تجمعاته، مشهود له بالأمانة، ومعروف منذ القدم بعادات تمتاز بها جميع العناصر الإريترية بمختلف الطوائف. وهم مشهورون أيضا باحترام الضيف وتكريمه قريبا كان أو بعيد ٠ ويمتاز أيضا بالهدوء فى الطبع وصدق فى المعاملة وإخلاص فى العمل ٠٠ هكذا يشهد له المؤرخون فى كتاباتهم، وهم كرماء شأنهم فى ذلك شأن البدوي فى البوادى العربية الأخرى ٠

والتاريخ الإريترى يزخر بالعادات والتقاليد والصفات التى اكتسبها على مدى العصور والأزمنة المختلفة، وتناقلها على مدى أجيال أبا عن جد ٠ وبقيت حية فى ذاكرتهم بالرغم من الظروف التى مر بها هذا الشعب ٠ كما أن كثيرا من العادات والتقاليد التى كانت تزخر بها إريتريا، قد انقرض بعض منها وخاصة لدى الجيل الجديد ٠ ويكاد يكون لا يفهم عنها شيئا، بسبب ظروف الهجرة والاغتراب خارج الوطن، حيث تأثر الجيل الجديد بالبيئة التى يعيش فيها خارج الوطن. والشعب الإريترى كبقية شعوب العالم له آدابه الشعبية ومأثوراته ٠ هذه الآداب المتداولة سمعيا وكتابيا، فالمأثورات الشعبية فى إريتريا كثيرة وحية فمعظم أبناء الشعب الإريترى من الجيل المعاصر يتكلم الأمثال، وهذه الأمثال هى خلاصة مركزة لتجارب المجتمع الإرتيرى، ويشتمل الأدب الشعبى فى إريتريا الحكايات والأمثال والأقوال المأثورة والشعر والنواحات ٠

وتستخدم هذه الأنماط الحافلة بالتعبيرات الجميلة القليلة فى كلماتها الفنيه

فى مضمونها فى التسلية أو التثقيف، وتشكل الحكايات جانبا مهمامن جوانب الأدب الشعبى وإننى لا أريد أن أدخل فى مجال البحث عن هذا الموضوع، لأنه يحتاج إلى مجال أوسع خارج إطار هذا البحث من المتخصصين فى الأدب من الكتاب الإريتريين . وعلى كل نستطيع أن نقول ونؤكد، ففى إريتريا الحديثة بعد الثورة نهضة أدبية وشعبية حديثة، يحتاج الحديث عنها إلى دراسة مستفيضة فى المستقبل؛ لأن تجربة الثورة ونضالها التحررى، أضافت الكثير فى هذه المأثورات الشعبية والبطولات التى تمتلكها إريتريا .

فإن الشعب الإريترى من أكثر التجمعات الإنسانية ارتباطا بتاريخه، فمهما كان من الأمر فالتقاليد والعادات تساعدنا على استكشاف الماضى وتفهم الحاضر، فالوقفة على تاريخنا القديم ونضالاتنا وبطولاتنا تحتاج منا إلى قراءة جديدة، وخاصة بعد انتصارنا لأن من لا ماضى له لا مستقبل له .

ومن هنا جاء اهتمامنا بالتاريخ الإريترى على عصور مختلفة وجاء الاهتمام والعناية، لأنها هى بحق النور الساطع لرجال الغد وأمل المستقبل، بل وللحاضر المشرق وخاصة بعد أن أزاح شعبنا كابوس الاستعمار الذى كان يكتم على أنفاسه، ويتلاعب فى قدراته وخيراته وأصبح اليوم ينعم بالحرية والاستقلال فى ظل حكومته الوطنية، حيث يحكمه ابناؤه الوطنيين الأحرار .

وقال جمال الدين الأفغانى " لا حاجة لقوم لا لسان لهم، ولا لسان لقوم لا أدب لهم، ولا عز لقوم لا تاريخ لهم، إذا لم يقم منهم من يحيى رجال تاريخهم، فيعمل عملهم وينسج على منوالهم " .

وقال أحد العظماء الحكماء " سماع التاريخ أجدى من التجارب "

وقال أناتول فارنس " ان كل أمة نسيت أهلها ونبذت قديمها وأنكرت قيمها فأحرى بها أن تكون أمة ساقطة " .

وحياة الشعوب سلسلة طويلة من الممارسات، وخلال هذه الممارسات تبرز على سطح الحياة اليومية أحداث وتكون هناك مواقف، هذه الأحداث مؤشرات للمستقبل ولها أيضا دلالات تفسر الحاضر، وتجلو أمام أعين الباحث والمدقق طبيعة المرحلة التى يمر بها المجتمع. والنظرية فى حياة الشعوب تقول: إن تاريخ الأمم وحضارات الشعوب لا يمكن أن نجد فيها فجوات، إنما نجد دائما بناءا شامخا يرتفع حجرا فوق حجر، ويضيف فيه كل جيل لبنة جديدة من أجل أن يعلو الصرح ويصبح شامخا عزيزا قويا، فيه بناء حقيقة الإنسان الإريترى قديما وحديثا .

الفصل السابع والعشرون
التكوين الاجتماعى والقبلى لشعب إريتريا

يبلغ عدد سكان إريتريا ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة وفق التقديرات الأولية ٠

والشعب الإريترى ينتمى إلى أصول مختلفة كما بينًا فى الخلفية التاريخية ٠ ويتكون من جماعات وقبائل متباينة تختلف فيها اللغات والأديان، ولكن السمة الغالبة فى إريتريا -كما أوضحنا- هى السمة العربية، والديانة السائدة المسيحية والإسلام٠ ويعتقد أن سكان إريتريا الأوائل من الشعوب النيلية والكوشيه والحامية٠ ثم هجرة العرب الساميين والسبئيين والحميريين الذين عبروا البحر الأحمر من اليمن إلى شواطئ إريتريا٠ وأن هذه المجموعات كانوا ذا خبرة ومعرفة بالتنظيم السياسى والفنون الزراعية والخبرة التجارية، وأقاموا ثقافة سامية بين سكان المرتفعات فى الهضبة، ونشروا لغاتهم وكتاباتهم (الجئز) والتى اشتقت منها اللغة التجرينية والتجرى. ولاشك أن هجرات العرب إلى الساحل الإريترى، كانت مستمرة ولم تتوقف حتى نهاية القرن الرابع عشر، حيث استقرت القبائل العربية المختلفة على طول الساحل الإريترى ولعل قبيلة الرشايدة آخر القبائل العربية التى نزحت إلى إريتريا سنة ١٨٦٩م من جدة ٠

ويظهر أن قبيلتا " سهرت - أو سحرت - وحبشات " قد هاجرتا إلى إريتريا منذ قديم الزمان ٠ وفى بادئ الأمر استقروا فى منطقة مصوع، ومن مصوع توغلوا إلى المرتفعات الإريترية فى منطقة حماسين وانتشروا فى الهضبة،

وزرعوا الأراضى الخصبة واندمجوا مع السكان الأصليين، وامتصوهم عن طريق الانصهار والتزاوج، بفضل تفوقهم الحضارى وما زالت هذه القبائل تتفاخر بأصولها القديمة حتى اليوم ٠

كما هاجر إلى إريتريا أقوام وأسر فى عصور مختلفة منها العناصر الهندية واليونانية والفارسية والتركيه ٠

وهكذا نجد أثر الهجرات العديدة إلى إريتريا، وفى مختلف الأزمنة واضحة فى التكوين السكانى لشعب إريتريا ٠ ولذلك فإن الشعب الإريترى يعتبر تجسيداً لنتاج التزاوجات " الحامية السامية " ٠ على مر التاريخ الطويل الذى يعود إلى عدة آلاف من السنين - قبل ميلاد السيد المسيح - حافظت إريتريا على تراثها الحضارى العريق المنتمى للحضارات السامية والحامية القديمة، وهى أول حضارات التاريخ وأشدها قِدَماً وتجذراً فى التاريخ ٠

هذه خلاصة التكوينات القبلية التى يتألف منها المجتمع الإريترى ٠

بعد هذه المقدمة ندخل فى التركيبة السكانية للهضبة الوسطى الإريترية، والتى تقع فيها الأقاليم الثلاثة . إقليم حماسين وإقليم أكلى غوزاى وإقليم سراى، وتعتبر هذه الأقاليم عمق إريتريا وقلبها النابض، حيث أنها -أكثر من غيرها من الأقاليم الإريترية الأخرى- مرت بتطور تاريخى وحضارى طويل، منحها الطابع المميز عن بقية الأقاليم . وبالرغم أن هذه الأقاليم الثلاثة كلاً على حدة لها خصوصيتها وعاداتها الخاصة التى تميزها عن الأخرى، وتظهر هذه الفوارق فى بعض العادات وفى مختلف القوانين العرفية، فمثلا أكثرية سكان أكلى غوزاى كانت تتبع مجموعة قوانين معروفة باسم " معم محازا " MEHAZA ، بينما فى إقليم سرايى تسود مجموعة قوانين عرفية باسم " أكدى ملجا " AKEDE MELEGA نسبة إلى الشقيقين اللذين ينحدر منهما شعب سرايى. وأما فى حماسين فقد اعتمدت نصف أقاليمها "جبره كريستوس" المنسوب مثل قانون "دكى تشيم" DEKKI TESHIM إلى إحدى مناطق الإقليم، بينما لبقية الأقاليم قوانينها الخاصة بها، وهكذا الحال بالنسبة لمختلف الأقاليم؛ أكلى غوزاى وسرايى فكان لكل منهما قوانينه الخاصة، وتبرز -فى أهم مجموعات القوانين فى الأقاليم الثلاثة- فوارق كبيرة فى إطارين، القانونى والإجرائى، ولا يوجد بالمقابل سوى فوارق بسيطة بين قوانين الأقاليم، تتعلق ببعض العادات والزواج والضيافة وفدية الدم . وأهم القوانين التى تجمع بين الأطراف الثلاثة -مع فوارق بسيطة- قانون الشعب المعروف باسم " لوجوشوا " LAGGOCWA وتلك الصلات التى توجد بينهم والوحدة والترابط أوسع وأقوى وأشمل، كما تربطهم مع بقية الأقاليم الأخرى، ومن هنا جاء بحثنا باعتبارهم تجمع واحد تربطهم قومية واحدة ، من حيث اللغة والعادات والتقاليد والدين، وهم من السكان المزارعين المستوطنين فى تجمعات قروية مؤلفة من عدة عائلات، تشكل سكان الأرض الأوائل وبالتالى المالكين وهؤلاء يعرفوا باسم " رستينا " المرتبطة بتجمعات " الاندا " فالعائلات التى جاء ت تقيم معها فيما بعد تعرف باسم " ماكالاى عايلت " تلك الطبقتين من العائلات كانت تتمتع

بنفس الحقوق، كمستغلة للأرض، لكن " الرستينا " وحدهم كان لهم حق إدارة شئون القرية سياسياً، وكانت العائلات إما تتوارث المراكز أو تتبادلها طواعية، حتى مجيء الإيطاليين فوجدوا النظام بانتقاء زعماء مسئولين عن الأقاليم . وفى بعض الأحيان خارج نطاق العائلات المتزعمة تقليدياً، وعمدوا كذلك إلى تعيين جماعاتهم الموالية لهم لإدارة شئون القرى .

ويستوطن الهضبة الوسطى ما يعادل نصف سكان إريتريا، وهى تضم تجمع سكانى واسع عن بقية الأقاليم الأخرى .

وعن أصول هذا التجمع تقول الروايات المحلية عن أصولهم، أنهم ينتمون إلى مجموعتين من العائلات، تنحدر من جدٍ واحدٍ يشار إليه أحيانا "الملك القادم من وراء البحار" ومن أولاده الثلاثة " فالوك " و " شالوك " و " مالوك " يدعى "ميرونى". والثانى منحدرة من سلالات آل " أغو " أصول بعض أهالى سرايى إلى مهاجرين من «لاستا» .

وتعيش المجموعة الأولى مع الذين انضموا إليها فى الحماسين وأكلى غوزاى فى مناطق الهضبة . ومهما يكن من الأمر بقيت هذه الرواية المحلية ذكرى حية فى أسماء بعض الأقاليم .

وتختلف الأوضاع الاقتصادية والثروه الحيوانية والإنتاج الزراعى من إقليم إلى آخر، ولا يصل إنتاج الأرض عموماً إلى درجة الاكتفاء الذاتي ويستوردون حاجاتهم الضرورية من العاصمة أسمرا، أما النقص فى مساحات المراعى فإنه رغم أهميته لا يصل إلى حد الخطر، حيث أنهم يستعيضون عنه بسهولة عن طريق النزوح إلى المراعى الأكثر غنا . فهناك النزوح الموسمى إلى السواحل، وتقوم به القبائل الرعوية فى أكلى غوزاى، ونزوح آخر على نطاق أضيق، يقوم به أبناء حماسين والسرايى إلى السهل الغربى .

وإقليم سرايى يعد أغنى الأقاليم الثلاثة زراعيًا، فإنها تكاد تحقق الاكتفاء الذاتى ويعود عدم تحقيقها الاكتفاء الكامل إلى كثافة سكانها المرتفعة نسبيا . ولقد أوصلت كثافة السكان البدو، وفقر التربة فى إقليم أكلى غوزاى إلى العجز فى تحقيق الاكتفاء الذاتى، بجانب طبيعة تقاليد الشعب المحارب، والذى كان يشكل العمل فى الأرض بالنسبة له ثانى اهتماماته .

فمن الشائع مثلا هنا أن اسم أكلى غوزاى مأخوذ عن اسم الشقيقين " أكلى – غوزاى " الأبوين الأولين لسكان المنطقة الأوائل. وهناك مناطق فى أكلى غوزاى وحماسين وسرايى تدعى " لوغا " ، إذ يسود الاعتقاد بأن أبناءهم من فرع عنصرى واحد ويوجد فى إقليم أكلى غوزاى معروف باسم " دكى ديقنا " DEKKI DIGNA أى أبناء الديقنا . كما توجد منطقة فى سرايى تحمل الاسم نفسه، مما يوحى بالإنتماء السكانى الواحد .

ومن الملاحظ أن التقسيم العنصرى القديم لسكان البلاد الحاليين لم يعد له وجود أكثر من ذكرى، فموجات الهجرة المستمرة واختلاط النازحين واندماجهم جعلت من الشعوب المتحدثين بالتجرينية – من سكان الهضبة بإريتريا – خليطا من السلالات العنصرية المختلفة كبقية إخوانهم من أبناء سكان الأقاليم المختلفة . فالعنصر القبلى الذى كان قائما ذات يوم فى الماضى قد ضاع وسط التنظيم الإقليمى فى البلاد منذ حوالى قرون من الزمان. ومن هنا تختلف الهضبة عن بقية الأقاليم من ناحية التطور والحضارة . ولقد فطن الأيطاليون لهذا العامل النفسى فى شعوب أكلى غوزاى فقد استغل هذه التقاليد إلى أقصى حد، فحوّلوا الآلاف من هؤلاء الرجال الأشداء إلى جنود فى جيوشهم، وجعلوهم غير صالحين للعمل الأكثر شقاء والأكثر رتابة –هو العمل فى الأرض– وعلى كل الأحوال يعتمد سكان أكلى غوزاى من المسيحيين الحضر والمسلمين البدو على مصادر متعددة، لتأمين تموينهم عبر جيرانهم من الأقاليم الأخرى .

الديـــــن :

تنتمى أكثرية سكان الهضبة كما سبقت الإشارة إلى المسيحية الأرثوذكسية، ولا توجد قرية مهما كانت صغيرة أو كبيرة لا تقم فيها كنيسة، وليس هناك إقليم لا يوجد فيه عدداً من تلك الأديرة الشهيرة، والتى هي فى أغلب الأحيان غنية وعريقة، وكانت تشكل الركائز الروحية فى البلاد · وقد كان لهذه الأديرة فيما مضى سلطات زمنية واسعة بفضل الأراضى الشاسعة التى كانت تملكها، والاقطاعات التى كانت تخضع لها، غير أنه تمت علمنة تلك الإقطاعات مؤخراً، وكان هذا الاتجاه العلمانى قد بدأ تنفيذه فى عهد الاستعمار الإثيوبى، كما جرى تحديد ممتلكات الأديرة، فإن رأس الكنيسة الأرثوذكسية يطلق عليه لقب " أبونا "، وفى أكلى غوزاى وحماسين توجد أقلية لا بأس بها من الكاثوليك والبروتستنت

المسلمون فى الهضبة الوسطى :

توجد أقلية مسلمة بين سكان الأقاليم، وهما تجمعين أساسيين : الأول يتألف من القبائل المسلمة التى تتكلم الساهو، ويعيش أفرادها فى هذه الأقاليم · والثانية الجبرته المنتشرة على شكل تجمعات صغيرة فى مختلف أنحاء الهضبة ·

ويشكل العرب القادمون من اليمن وحضرموت مع بعض السكان الناطقين بالتجرى المسلمون وخاصة فى حماسينَ التجمع الثالث، وهم كانوا يتعاطون عادة التجارة والعمالة فى الزراعة، ويتواجدون بأعداد صغيرة فى المدن والقرى فى الهضبة، باستثناء مدينة أسمرا العاصمة باعتبارها تجمع لكل الإريتريين · ومن الملاحظ أن الدين الاسلامى والدين المسيحى ينتشرا فى كل أنحاء البلاد، فإن السكان من مسلمين ومسيحيين يعيشون فى سلام جنبا إلى جنب، ويتمتعون بالفضائل والتسامح والتآخى فيما بينهم، والكل مستقر على ما هو عليه ·

التنظيم السياسى :

يقوم التنظيم السياسى المعاصر لسكان الهضبة الوسطى فى تلك الفترة على أساس نظام إقليمى يعترف بوحدتين : وحدة التجمع القروى الضيقة بزعامة " شيكا " CHIKA أى زعيم قرية. ووحدة الإقليم الأوسع بزعامة " مسلينه " MESLENIE أو زعيم الإقليم، ويشكل التنظيم الاجتماعى القائم على أساس " الاندا " تنظيماً مستقلاً عن التنظيم السياسى موازياً له ولكنه لا يتشابك معه .

وكان زعيم القرية يطلق عليه اسم " حلقا " HALAKHA ، وكان يدين بمركزه وانتمائه لأحد " الإندات " ، فكان التجمع العائلى هو الذى يعين زعيمه، وكانت هذه الزعامة تنتقل سنويا من إندا إلى آخر .

واستمر هذا الوضع حتى الفترة التى بقيت فى عهد الاحتلال الإيطالى، وفى الماضى كان العديد من القرى تتمتع بحكم ذاتى، وترتبط بالإقليم سياسيا، حتى جاء الحكم الإيطالى والبريطانى حيث جرى تجميع أكثرية هذه القرى ذات الحكم الذاتى فى إطار الإقليم كوحدة سياسية واحدة -وخاصة بعد علمنة أراضى الكنيسة والغاء الملكيات الاقطاعية- كما عمدت الإدارة الإيطالية من جهة أخرى إلى تقسيم بعض المناطق القديمة، ودمج بعضها إلى الآخر، وكان الدافع لذلك ضرورات إدارية تصاحبها نزعة فى تأمين مراكز جديدة لزعماء مقربين، أو محاولة من الحد من سلطة زعماء تقليديين أقوياء. وكان الزعيم الإقليمى يعرف باسم " شومونيا " SHUMONYA ، وكان ينتمى دائما إلى طبقة "البالابات " وفى كثير من الأحيان كان هذا المركز وراثياً .

وعمد الإيطاليون فيما بعد إلى تغيير لقب الزعيم فأصبح " مسلينيه ، وقد بقى العديد من الزعماء الوراثيين فى مراكزهم إبان الحكم الإيطالى . كما أن الإدارات الإقليمية مرت هى الأخرى قبل الحكم الإيطالى بتغيرات كثيرة وتبدلات .

ومن أشهر زعماء سكان الأقاليم فى عهد الحكم الإيطالى وقبله :

١ - رأس هيلو HAILU وهو أحد أبناء عائلة هازغه HAZEGA حكم حماسين قبل الحكم الإيطالى .

٢ - رأس ولدى ميكائيل من عائلة عد زقا ، وهى عائلة كانت منافسة لحكم عائلة رأس هيلو قبل الاحتلال الإيطالى . وفى فترة من الفترات مد هذا الرأس حكمه حتى إقليم سرايى .

٣ - " الديجاش بهتا حقوس " ، من "سنعدقلى " كان حاكم أكلى غوزاى فى عهد الاحتلال الإيطالى، ولكن لم يدم هذا الوضع طويلا إذ سرعان ما انقلب على الإيطاليين وثار عليهم، فأبعدوه إلى جزيرة نخره فى دهلك . ومن أبرز الذين شهدوا العهد الإيطالى فى حماسين " رأس براخى " BARAKI والديجياش تسفامريم TESFAMARIAM من سرايى .

٤- راس تسما أسبروم كان من ابرز زعماء اكلى غوزاى وكان مقر حكمه معربا

الفصل الثامن والعشرون
إقليم حماسين الأرض والشعب

هى أصغر أقاليم الهضبة الوسطى مساحة، ولكنها أعلاها كثافة سكانية وأكثرها أهمية سياسية منذ العصر الحديث وإلى يومنا هذا، وعاصمة حماسين هى أسمرا عاصمة إريتريا. وقد ساهمت الأوضاع الجغرافية فى جعل أسمرا وإقليم حماسين قلب إريتريا استراتيجياً وسياسياً منذ قديم الزمان ٠

إن الطرقات الرئيسية وطرق التداخل فى الماضى وطرق السيارات والقطارات الحديدية اليوم، المنطلقة من الساحل إلى الغرب، ومن التلال الشمالية إلى الجنوب، تمر جميعها بأسمرا. وهى أكثر تناسقا من الأقاليم الأخرى، كما كانت فى الماضى مقراً لحكومة " مارب ميلاشى " ، وإن معظم أهالى حماسين ينتسبون إلى الأشقاء الثلاثة شالوك ومالوك وفالوك، الذين ينحدر منهم سكان الهضبة. هذا الجد القادم مع أبنائه الثلاثة من وراء البحار، الذى اجتاز وادى عنسبه حتى بلغ حماسين، فقرر أن يستقر. وقد ظهرت فروعه الكثيرة تحت أضواء التاريخ فى السيد " تسفازبان " الذى يقال أنه عاش فى القرن السابع عشر وحكم حماسين ٠ وتقول الرواية المحلية أنه حمل الشقيق الأصغر لتسفازيان وأبناؤه من بعده أسماء إقليم حماسين الحالية ٠

جبرهكرستوس	GEBRA KUSTOS
أغابا	AGABA
زراى	ZERAI
تاكلة	TAKKEE
ميناب	MENAB

ولا يزال أبناء هذه الأقاليم يعتبرون أنفسهم أحفاد لهؤلاء .

أهم المدن فى إقليم حماسين منذ العهد الإيطالى :

١ - كارنشيم KARNESSHIM

منطقة توأم يتألف من كارنشيم الشمالى وكارنشيم الجنوبى . مركز كارنشيم الشمالى الرئيسى هو " عدزين " ADZEIN ، أما مركز القسم الجنوبى فهو " أمبادرهو"AMBADARHO ، وفى الجزء الشمالى فرع آخر مهم هو " زاجير " ZAGIR و" ويكى"WOKKI وفى المنطقتين أراضى زراعية خصبة وثروة مهمة من المواشى . ونجد فى كارنشيم مجموعة أخرى ممن اعتنقوا البروتستانتية على يد البعثة التبشيرية السويدية . أما بقية السكان فمن الأرثوذكس مع أقلية مسلمة فى الشمال .

عنسبه : ANSABA

إقليم توأم آخر بين الشمال والجنوب، يقع غربى حماسين عند المنحدرات المؤدية إلى تلال كرن. وأهم قراه فى الشمال عدى نامان ADINAAMEN ودرسناى DERSENEI ، وفى الجنوب دقى شحاى DEKISKIAI ، وباستثناء أقلية مسلمة فإن معظم سكانه من المسيحيين ، وكانت تعتمد مناطق عنسبه فى الماضى مجموعة قوانين عرفية قريبة من مجموعة " دقى تشيم " " لوغوشوا " LOGGO CHWA وهى منطقة واسعة تقع فى أقصى الجنوب الغربى من إقليم حماسين عند حدود سرايى ، ويدعى أبناء لوغوشوا فى الحماسين وحدة الأصل مع المجموعة التى تحمل الاسم نفسه فى سرايى ومع مجموعة لوغوساردا LOGGO SARDA .

وفى أكلى غوزاى – وكانت تعتمد المجموعتين فى الحماسين والسرايى– تعتمد القوانين العرفية القديمة وهم مركزين مهمين فى حماسين سكيكيتى SKIKETTI أو "حمبرتى" HIMBERTI . ويمتاز الجزء الشرقى بخصوبة أراضيه ،بينما الجزء الغربى صخرية قاحلة ، حوّلها السكان إلى مراعى لمواشيهم الوفيرة وينزلون فى فصل الشتاء مع قطعانهم إلى السهل الغربى وإلى الشرق من لوغوشوا حتى حدود أسمرا، يوجد إقليم كبساشو KEBESSA CHWA عدد قراها صغيرة وأكبرها عدى قعداد ADIGWADAD وهناك قرى أخرى لامزا – سحرتى – دقرتى .

أرض بحرى تضم هذه المنطقة السفوح الشرقية الوعرة ومنحدرات حماسين وأراضيها المنخفضة، ويقع فيها " دير بيزن " الذى هو واحد من أقدم الأديرة فى إريتريا وأشهرها . يعيش فى البحرى عدد من السكان المتحضرين فى نفاسيت وأمباتكالا NAEFASIT - EMBATKALA وقرى جبال أربع ربوع . وضع الأراضى حكومية، وموضوعة تحت سلطة الحكومة، وكان يشرف على شئونها حاكم حماسين .

إقليم أسمرا

أسمرا:

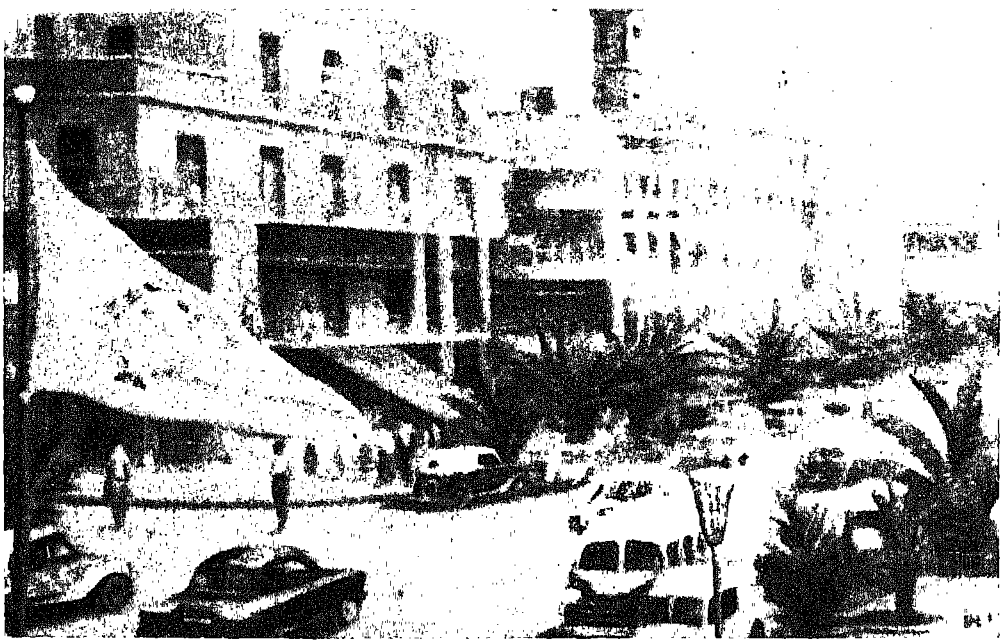
هى عاصمة دولة إريتريا منذ العهد الإيطالى ، وفى نفس الوقت تعتبر إقليمًا مستقلاً من الناحية الإدارية، حيث اعتبرت بعد التحرير وإعلان دولة اريتريا أقليمًا عاشرًا بجانب الأقاليم التسعه الأصلية .

وأسمرا تجثم فوق جبال شاهقة تتكللها الخضرة ويصل ارتفاعها ٧٧٥٦ قدمًا فوق سطح البحر، وجوها معتدل ويميل إلى البرودة، وتتصف بالنظافة والجمال وقد أحسن الإيطاليون بناءها فوسطوا شوارعها ونسقوا ميادينها العامة ووفروا فيها مستلزمات المدينة العصرية كنظام المجارى والصرف الصحى .

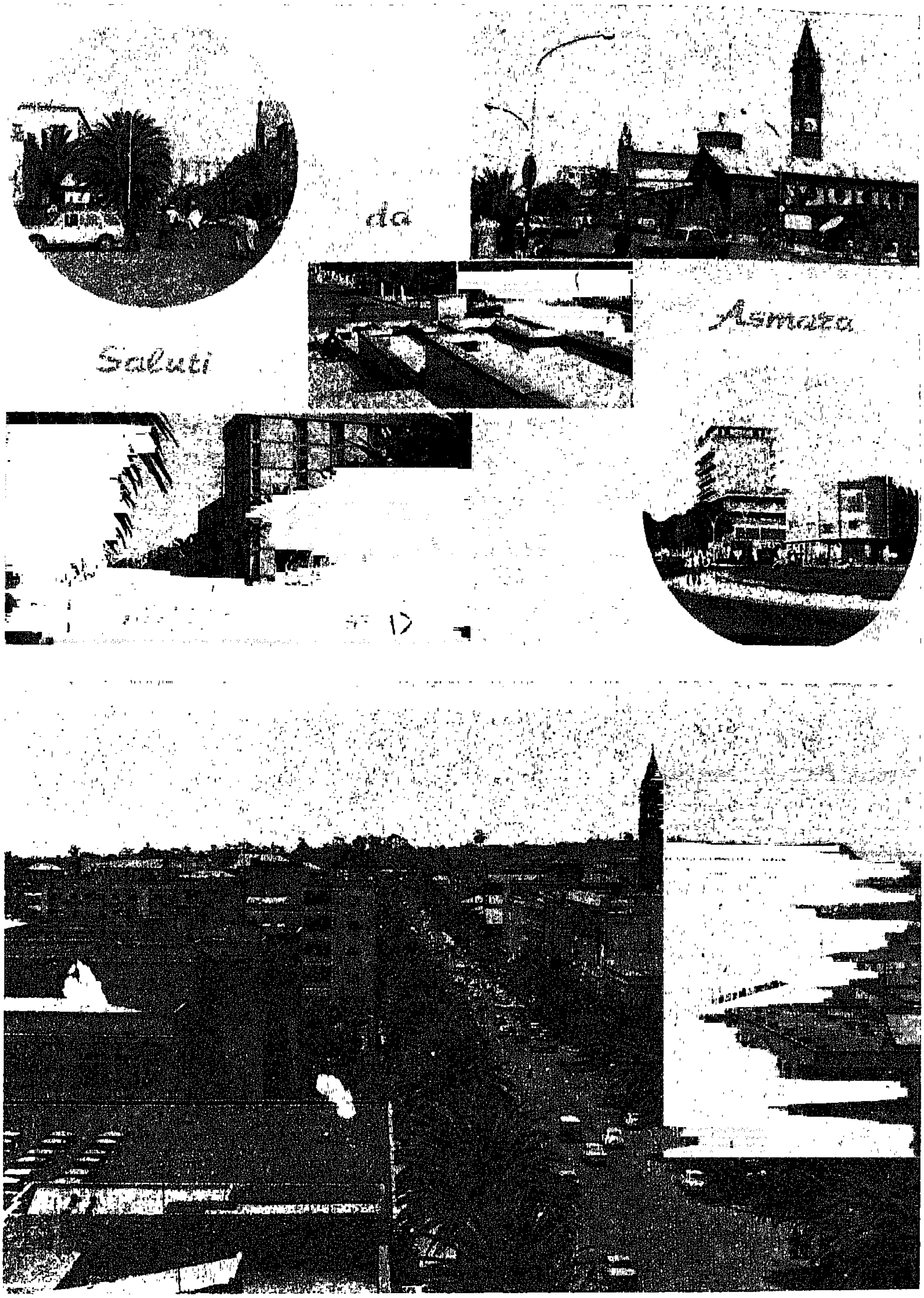
وتقول الرواية المحلية فى تسمية أسمرا أن القرى الأربعة فى تلك الهضبة التى كانت تعيش فى حالة نزاع وقتال إلى أن وفقت أربعة نسوة ساهمت فى إحلال السلام والوئام محل الحروب والخصام الذى كان بينهم فسمى عملهن بالعمل المثمر وبالتجرينية « أسمرت » أى وحدت وصالحت وكما جاء اسم أسمرا فى مخطوطات تجار البندقية فى القرن الرابع عشر الميلادى مما يدل أنها مدينة قديمة .

وعندما دخلها القائد الإيطالى بالسيرا فى ١٨٨٩/٨/٤م كانت فى تلك الفترة عبارة عن أربعة قرى صغيرة يطلق عليها أربعتى أسمرا، وقد نقلت الإدارة الإيطالية مكاتبها من مصوع إلى أسمرا عاصمة للبلاد بالنظر لموقعها الممتاز المتوسط للبلاد وجوها الدائم الربيع، وهى تعد من أجمل المدن الإفريقية وترتبط ببقية المدن الإريترية بالطرق المعبدة . و كانت فى نفس الوقت عاصمة لإقليم حماسين .





مناظر من مدينة أسمرا



مناظر من مدينة أسمرا

الفصل التاسع والعشرون

إقليم سرايى : الأرض والشعب

إن سرايى – كما سبق أن أشرنا – من أغنى الأقاليم –زراعيا– بين أقاليم الهضبة الثلاثة. فالهضبة الواسعة والمنبسطة والتلال المتناثرة فوقها، تستقر هنا فى سرايى على ارتفاع هو أدنى من معدل ارتفاعها فى الإقليمين الحماسين وأكلى غوزاى. كما أن سرايى تمتاز بأنها أكثر غنى منهما، فى مياهها الدائمة الجريان وبأراضيها الزراعية ومراعيها فى الجنوب والشرق. تنتهى الهضبة بانحدار جدارى على وادى نهر مأرب MAREB ، الذى يشكل خط الحدود مع إثيوبيا . بينما فى الغرب والشمال الغربى تنحدر الهضبة تدريجيًا نحو السهل الغربى، وفى هذه المنطقة تلتقى موسميا بقبائل بنى عامر التى تقصد مراعى الإقليم، كما تلتقى مع مجموعة صغيرة من البازا .

وأهل سرايى مجموعات متجانسة قبليًا، والبعض منهم ينحدر من سلالتين وثيقة القرابة ، الأولى، ينحدر من إحدى الأخويين الشقيقين " أدكيمه " " ميلفا " ، بينما ترتبط الثانية بجد آخر هو " تسفاى " ، وتعرف باسم " دقى تسفاى " أى أبناء تسفاى، وتلتقى فى هذين الإقليمين كذلك بعناصر من سلالة عد كمى ADKEME المنتشرة بسائر مناطق سرايى، ويتواجد مجموعات منحدرة من عناصر الحماسين أو التجراى فى بعض مناطق الحدود فى الشمال والجنوب، وتنعكس وحدة العنصر فى الإقليم فى مجموعة القوانين العرفية الموحدة، المعمول بها فى الأقاليم فى العهد الإيطالى، والمسماه مجموعة عدى كمى مليفا " نسبة إلى

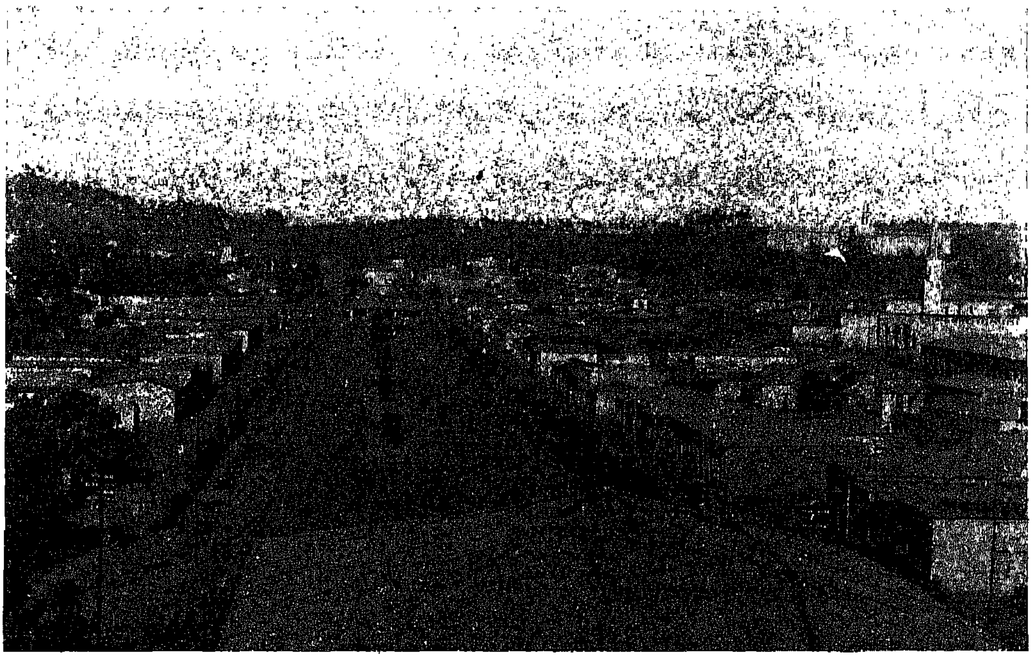
الجدين الشقيقين. هذا كان فى العهد السابق . أما اليوم فيخضع لحاكم الإقليم للحكومة المركزية. وكان الإقليم ينقسم إداريا إلى مركزين : عـــدى وقـــرى " مندفره " حاليا وعدى خاله فى الجنوب .

مركز مندفره :

تاكالا تضم هذه المنطقة العاصمة السياسية لمديرية مندفرة، ينحدر سكانه من عدى كمى ومليفا، يضاف إليهم عدد من مهاجرى سحرتى من حماسين المتواجدين فى بعض القرى تدين أكثرية السكان بالمسيحية الأرثوذكسية وتتواجد أقلية من الكاثوليك ومسلمين من الجبرته. واشتهر تاكالا بديرها القديم المشهور " أندا أبو جوانس " ، أهم المراكز السكنية مندفرة وكبشاهايلا HAELA " إيقرى ماخت " EGRIMAHET ، وعدى بارى تمتاز هذه المنطقة بغناء وخصوبة التربة الزراعية .

مندفـــرة :

كانت هذه المدينة قبل الحكم الإيطالى قرية صغيرة عند التل الذى كان يقوم عليه الحصن الإيطالى وفى سنة ١٨٩٤ أُنشئت المدينة الحديثة لتكون مركزًا إداريًا، ونقلت القرية إلى حيث موقعها الحالى فأصبح يسكنها عدد كبير من السكان ، نصفهم مسيحيين والنصف الآخر مسلمين .



صورة لمدينة مندفره

مــاراغــــوز MARAGUB

هذه المدينة واسعة المساحة وغنية بالأرض الزراعية ولكنها فقيرة بالمواشى، وأهم قراها دوكى - ماى لاها - أغيزانا AAGEZNA ، عدى هاييس ADIHAHS زيبان سيباو ZEBAN - SEBAU مدرى ود سيبيرا MEDRI WOOD CEBERA . أرضها أقل خصوبة من إقليمى " مارغوزو تاخلا " ، ولكنه أغنى منهما بالثروة الحيوانية وأهم قراها عرزا وعديبه ADDABAI وصعداعدى

OSADAADI و عدى أحسا ADIAHSA ميلادمانتيه MILAD MANTI ، وكان حاكمها رأس كدانى مريم KIDENE MARIAM ، وهو أحد رأسين كان موجود فى الهضبة يحمل رتبة الأعلى "رأس " ، وينحدر من سلالة إيتيه هيلاب AITEHAILAB العريقة التى تواصل أبناؤها إلى مراكز بارونات إقطاعيين " شوماغولى " SHUMGOLI . وكانت اقطاعاتهم تشمل سبعة مراكز- عرفت فيما بعد ببلاد عرزا نسبة مقر هؤلاء البارونات- وكانت هذه المراكز السبعة خاضعة لحكم هذا البيت حتى فى العهد الإيطالى، وتلاشت بعد الحكم الأريترى فى عهد الفدرالية حيث كان الإقليم كله يخضع لسلطة حاكم الإقليم آن ذاك " محافظ " .

مـدرى فالاسـى : MEDRI FALASSI

لا توجد فيه إلا قرية صغيرة اسمها توكول، والمنطقة غنية بالمواشى، وقليلة فى الزراعة . اسم المنطقة يعنى " بلاد الرهبان " ، لأن أراضى المنطقة فى السابق كان يملكها دير " دبرى مرقص " وفى العهد الإيطالى ضمت المنطقة إلى ممتلكات " رأس كدانى مريم " .

ومن المدن الأخرى كونو رده KUNNO REDDA .

دقى عطاييس DEKKI AITAES .

وهناك قرية تسمى " مها كوك " ، ينحدر سكانها من نايب بلو فى إقليم مصوع، ويرتبطون بصلات النسب مع سكان " تدرر " TEDRER فى أكلى غوزاى وبيت مخا فى أسمرا ، وفدوا إلى الإقليم منذ عشرة عقود كرعاة مسلمين ، ولكنهم سرعان ما تحولوا إلى الحياة الحضرية واستقروا هناك واعتنقوا المسيحية وهم من قبائل بلو المعروفه.

زايد أكولوم ZAIDAKLOM

إقليم واسع خصوبته نسبية، وسكانه مبعثرين فى أنحائه الذى يضم قرية كبيرة واحدة هى توكول، ويعيش عدد قليل من المسلمين فى قرية عدى كنتيب ADIKENTIB ، يدين بقية السكان بالمسيحية ، وكانت هذه المنطقة من بين ممتلكات عرزا فى عهد الإيطاليين ·

قوللو سراى KWOLLO CERAE · وأفلبا AFELBA بينهم فرع ينحدرون من بلو مصوع، ويقيمون فى قرية هاتسينا HATSINA ، ومن أهم قرى هذه المدينة هاتسينا لعلاى وعدى غولتى– تاريخه الإدارى شبيه بتاريخ قوللوسراى ·

عناجر ANAGIR

ونصف سكانها من المسيحيين، والنصف الآخر من المسلمين الجبرته والأساورته· ولا توجد فى المدينة سوى قرية واحدة وهى : عبى عدى ABIADI وجميع سكانها من المسلمين، وأما قرية هارفى غروتو فجميع سكانها يدينون بالمسيحية ·

ومدينة غوهشا GUHCHA مدينة كثيرة الخصب متنوعة الأصول ، أهم قراها عد دقدى ADDEKKI وتوكلا و سيمازن SEMAZEN لاجن LAGEN ، وكانت تابعة لإدارة " دجاش منقشا " من عرزا ·

تسليما : TSELLIMA

بجاور لوغوشوا فى الحماسين، وكان يشكل حتى العهد الإيطالى وحدة النسب مع أبناء لوغوشوا فى الحماسين ولوغو ساردا فى أكلى غوزاى · يدين الأكثرية بالمسيحية الأرثوذكسية، وبينهم أقلية بروتستانتية ومجموعة كبيرة من المسلمين الجبرته ·

دقى تسونا DEKKITSUNA :

سفاح SEFAHA :

وهى غنية بالثروة الحيوانية، وبالأراضى الزاعية ، أهم قراها عدى فلستى FELCSTI وتلا TALLAA ·

لبـــــان :

مدينة صغيرة كانت فى الأصل تابعة للحماسين، تضم جماعات من " لاستا " فى إثيوبيا وتجراى ومجموعات تنحدر من البلين، وأهم قراها :

جرات جبرو GRAT GEBRU وعند طرف لبان عند حدود الحماسين تقع قرية هابيلا HABELA ·

تميـــــزا :

ينحدر سكان المدينةمن عقامى من إقليم تجراى الإثيوبى، غالبيتهم مسيحيون تتواجد ببينهم أقلية من المسلمين الأساورته · تقع المدينة فى نطاق سهل وادى مأرب الخصب وهو غنى بالثروة الحيوانية ·

مدينـة دوبوب DOBUB

ترتبط بصلات نسب مع أهالى غوهشا، أكثريتهم من المسيحيين، توجد بها ثلاث قرى يسكنها مسلمون من الجبرتة والأساورتة، وهذه المدينة غنية بالأراضى الزراعية ·

مدينة دقى ديقنـــا :

ينحد رسكان هذه المنطقة من المدينة التى تحمل اسم ذاته فى أكلى غوزاى ·

منطقة دمبيلاس DEMBELAS

تقع هذه المدينة عند حدود أغوردات، فى زاوية البلاد الشمالية الغربية الجافة والقاحلة. وهى فقيرة من حيث الأراضى الزراعية، ولكنها غنية بالثروة الحيوانية أكثريتهم من المسيحيين، مع أقلية مسلمة صغيرة من الأساورته والجبرته .

مركـــز عـــدى خالـــه ADIGUALA

يعتبر مركز عدى خاله المركز الثانى لإقليم سراى، والذى يضم عدداً كثيراً من المدن والقرى وأهمها :

مـــاى تعـــده MAITSADA

كان هذا الاسم يشمل بالأصل ثلاثة مناطق تشكل مناطقاً مستقلة ، وهى ماى تعده الجديدة و أندا أزماش AZMACH وعقبت ودقى بوكرى .

سكان هذه المناطق الثلاثة أقارب ينحدرون من عدى كيمتو مليفا . وقد أُنشئت ماى طعدا فى العهد الإيطالى وهو يشمل الأرض المحيطة بعدى خاله .

مدينة أندا أزماش عقبيت OGBIT مدينة واسعة الثروة .

مدينة مدرى فلاسى MEDRI FELASSI

مدينة صغيرة ولكنها بالغة الثراء تضم خمسة قرى، ففى العهد الإيطالى تم الحاقها بممتلكات دجاش تسفا مريم .

قرية " دقى بوكرى "

قرية صغيرة وغنية .

مدينـــة قوحايـــين KOHAIN

مدينة جبلية واسعة المساحة .

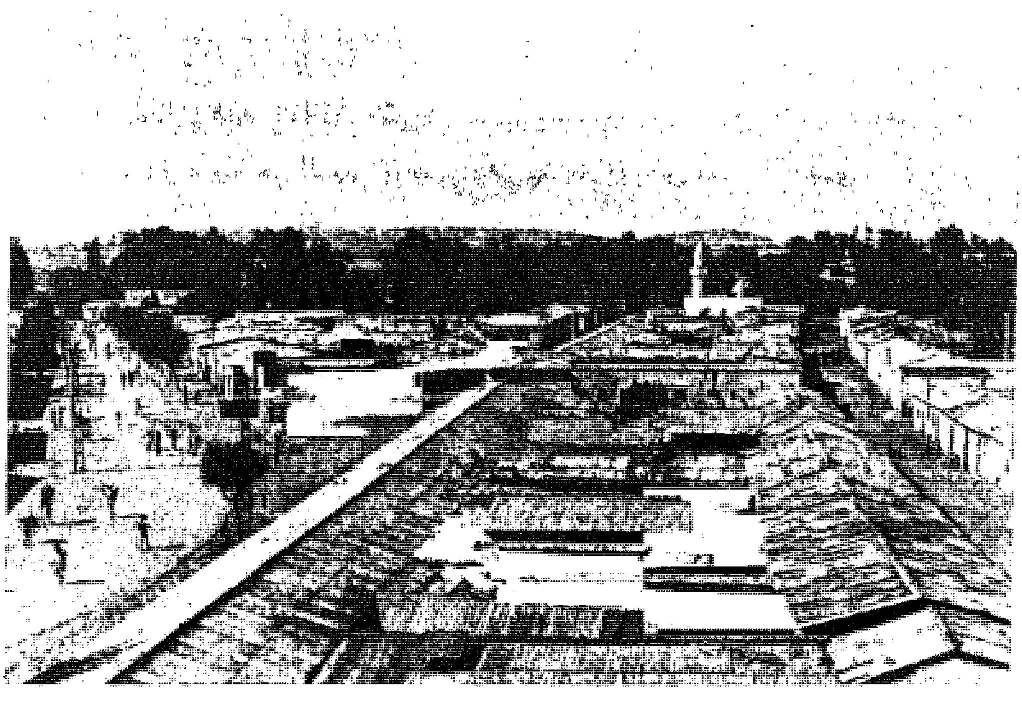
ومن ضمن القرى أيضا :

عايـلا : قرية صغيرة مجاورة لقوحايين تقع فى سهل مأرب .

غونـدت : جاء سكانها من سورخسو SOROKHSO من **عقامى** AGAME

يتوزعون على قرى صغيرة، ومن أهم هذه القرى قرية أنداكرن KEREN

وثروة المدينة من أراضيها الزراعية ومواشيها .



صورة لمدينة عـدى خـاله

المسلمون فى إقليم سرايى

الجبرتـة :

يتواجد الجبرته فى عدة قرى بأقليم سرايى ويدينون بالإسلام ويشكلون جزءًا من قومية تجرينية فى الهضبة، من حيث العادات والتقاليد ٠

وأهل الجبرتة أول من آمن بالإسلام فى عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على يد البعثة الأولى للإسلام من الصحابة، التى أرسلها النبى إلى نجاشى الحبشة (أصحمة)٠ كما أنهم من المسلمين الأوائل الذين وفدوا إلى مكة فى بداية الإسلام فى عهـد الرســول (صلى الله عليه وسلم) مع بعثة النجاشى إلى الرسول٠ ولغتهم الرسمية التجرينية ٠ ويتحدثون باللغة العربية وخاصة المثقفين منهم، الذين أتيحت لهم الفرصة لتلقى العلم والمعرفة خارج وطنهـم، ومنهم من تفقه فى الأمور الدينية وعلوم التاريخ فى حقبة متقدمة من الزمن ٠ ومن أبرز هؤلاء العلماء والمؤرخين فى العصور القديمة الشيخ عبدالرحمن الجبرتى، المؤرخ المصرى الذى أرَّخ تاريخ الجبرت ، وأول من أسس رواق الجبرته فى الأزهر الشريف ومن بعده أحفاده ومنهم أيضا الشيخ إسماعيل الجبرتى والشيخ على الجبرتى ٠

وتسمية الجبرت هى كلمة أطلقت أيضًا على أماكن وأقوام مختلفة فى العصور الوسطى ٠ وفى العهد الإسلامى كان يطلق هذا الاسم فى بعض الأحيان على عموم مسلمى الحبشة ٠ كما سميت زيلع فى الساحل الصومالى بهذا الاسم، وتتواجد منهم مجموعات كثيرة فى إثيوبيا بإقليم تجراى٠ ويروى عن تسمية الجبرت أنها جاء ت بعد ظهور الإسلام، حيث هاجرت بعثة من مسلمى الحبشة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام، وضمت عددًا كبيرًا من مسلمى الحبشةقيل ثمانين

وفى رواية أخرى مائتان رجل. فلما قدموا إلى مدينة الرسول لم يجدوه، حيث صادف قدومهم خروج الرسول إلى غزوة، فأصروا على مشاركة الرسول فى جهاده ضد قريش، فتم النصر للرسول والمسلمين ، وهم معهم .

فسأل الرسول صلى الله عليه وسلم : مَنْ هؤلاء القوم ، فأجاب أحد الصحابة : هم قوم من مسلمى الحبشة جاء وا لزيارتك من بلاد النجاشى، وكلموا بهذه الغزوة فأصروا أن يشاركوك فى هذه الغزوة حتى النصر أو الاستشهاد . فقال الرسول عليه الصلاة والسلام: قد جبرتنى الحبشة مرتين مرة عندما استقبلوا أصحابى واحتضنوهم وأكرموهم، والمرة الثانية عندما اشترك رجالهم فى هذه الغزوة التى نصرنا الله فيها على أعدائنا . ومن هنا جاءت كلمة الجبرته .

والجبرت ينحدرون من قبائل وعناصر مختلفة ، كما هو الحال بالنسبة إلى كل التجمعات السكانية فى إريتريا، فكثير من العائلات الجبرت والأسر الكبيرة تنتمى إلى القبائل الإريترية التى تنحدر أصولها من العرب المنتشرين فى أقاليم إريتريا، وعلى وجه الخصوص سكان سمهر التى تربطهم مع هذه الأسر صلة النسب والقرابة .

ويقول المسعودى فى كتابه " معجم البلدان " كان يطلق على شواطئ البحر الأحمر بلاد الطراز الإسلامى، بينما الدواخل كانت تعرف ببلاد الجبرته . والجبرته هم جزء من سكان الهضبة الإريترية بينما القسم الآخر يستوطن فى داخل اثيوبيا وهم أهل العلم والحرفة منذ عهود طويلة .

وبعض الروايات - مما ذكر المؤرخون - تنسبهم إلى قبيلة " جبرت " القرشية وأن هذه الرواية الأخيرة من وجهة نظرى ضعيفة وليس لها أى سند تاريخى، بدليل أن الجبرت لا يشكلون قبيلة واحدة، ولا عنصراً واحداً ولكن هم

تجمع عنصرى ينتمى إلى قبائل مختلفة من إريترية وهذا ما يشير إليه المؤرخ المصرى الشيخ عبدالرحمن الجبرتى فى كتابه " تاريخ الجبرت " .

" والجبرته من الأقوام الإريترية المعروفة، وهى شبه حضارية، ويتعاطى أهلها التجارة، ويسكنون معظم المدن الكبرى وبخاصة أسمرا وكرن ومندفرا ومدن الأقاليم الغربية . وعرفوا بالانفتاح على الآخرين وتكوين علاقات إجتماعية . وتعرضوا لمحاولات شوفينية لتنصيرهم .

ومن أهم زعماء هم البارزين والذين لعبوا دوراً وطنيا فى الحركة الوطنية الزعيم الشهيد عبد القادر صالح كبيرى والشيخ إمام موسى .

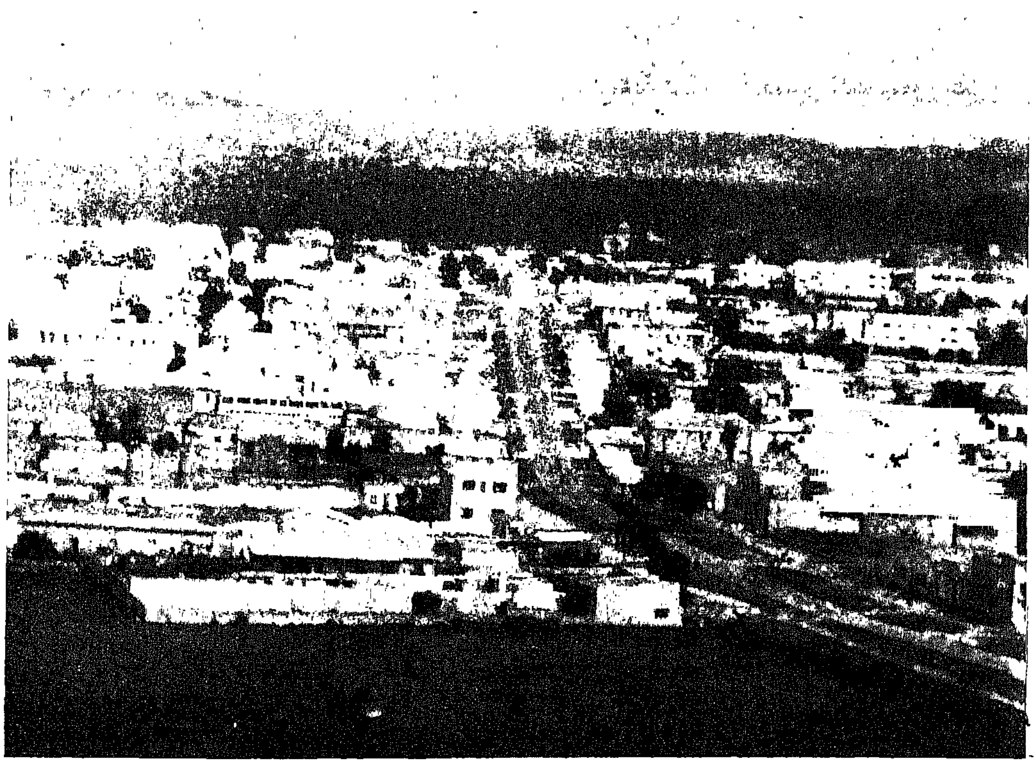
الفصل الثلاثـــون
إقليـم إكلـــى غـــوزاى
الأرض والشعب

إقليم أكلى غوزاى يختلف عن الأقاليم الأخرى فى الهضبة، فهو خليط عرقى أكثر تنوعًا مما هو عليه من سكان الهضبة ، وعندما نتحدث عن هذا الإقليم فنجد تجمعين وحضارتين متميزتين؛ فى الغرب التجمع الذى يتكلم التجرينية ويدين بالمسيحية ويمارس حياة الحضر، وفى الشرق القبائل التى تتحدث الساهو وتدين بالاسلام وتمارس حياة البدو، وبين الطرفين يوجد تجمع جبرت يدين بالإسلام، ويتميز داخليًا فيما بين المجموعات التى تتحدث التجرينية بالانتماءات و الروابط العرقية – والتى تنتسب إلى سلالات مثلها أى مكان آخر من هذه البلاد – وتقاليد النسب هنا هى شبه أسطورية، ولكنها بقيت حية وفعالة فى توطيد العلاقات الاجتماعية. ويرتبط المتحدثون باللغة التجرينية من المسيحيين فى أكلى غوزاى وفق التقاليد الشائعة كما هو واضح فى بقية سكان الهضبة الأخرى بالشقيقين الأبوين الأولين شالوك ومالوك . فأما الجد الثالث فالوك فليس له مكان فى شجرة نسب أبناء أكلى غوزاى . وتوضح التقاليد أن أكلى غوزاى المنحدرين من شالوك قد أنجبا سكان البلاد التى تحمل اسميهما. أما أبناء مالوك فقد شكلوا مجموعة منفصلة أصغر عددًا اقتصرتواجدهم على منطقتين عرفا باسم "ميره تاه" MERTTAH . وقد انضم إلى هؤلاء السكان الأصليين وأبنائهم مهاجرون جاءوا من أماكن مختلفة، استقروا فى الغرب والشمال من الإقليم. ولا تزال اسماء بعض مدن المناطق تعكس توزيع تجمعات النسب فى هذه المناطق. وعلى هذا نجد منطقة

اسمها ولـدى إكليـه WOLDEKKLE أى أبناء إكليه . ونجـد أيضـا اسمـاً آخـر " لوغوساردا " أى لوغاى العظيم. وهكذا يقسم إقليم أكلى غوزاى إلى عدة مدن ومراكز ومن أهم مدنها الرئيسية عدى قيح وسقنيتى وصنعفى . ومن الملاحظ هنا أن تقسيم البلاد إلى منطقة منظمة على أسس إقليمية وأخرى تدار على أساس التجمعات القبلية، فهنا نجد مغزى كبير تلتقى بتلك الازدواجية الإدارية التى أشرنا إليها فى المقدمة، والتى تعكس التعايش بين مجموعات حضارية مستقرة وقبائل بدوية، إلا أنه بمرور الزمن فى مختلف العصور- وبالذات فى العصر الحضارى فإن كثيراً من هذه المجموعات البدوية اتجهت إلى الاستقرارفى القرى والمدن المختلفة من الإقليم، فلم تعد اليوم بالمعنى القديم قبائل بدوية.

عـــدى قيـــح :

وأهم المدن والقرى التى تتبعها منها زيبا ونتى : ينسب سكان هذه المدينة أنفسهم إلى الجد غوزاى. والمدينة غنية بالأرض والزراعة، وتمتد شرقاً إلى هضبة قوحايتو KOHAITO التى تسكنها قبيلة فقة حرك من قبائل المنفرى ومجموعات من أساورتا ، باستثناء المسلمين من القبيلتين وباقى السكان غالبيتهم مسيحيون. وأهم القرى لهذه المدينة توكوندا TOKONDA وميناح MENAH وهما من المستوطنات الأولى، وهى العاصمة التقليدية للإقليم. وقد خضع الإقليم لحكام سلالات من الرؤساء الوراثيين فى العهد القديم. وكان يتبع سكان زيباونتى- شأن كافة المجموعات المنحدرة- من أكلى غوزاى، أى مجموعة القوانين العرفية المعروفة باسم " ميم ميهازا " .



صورة لمدينة دقمحرى

مدينة عـدى قيـح :

وهى عاصمة إقليم أكلى غوزاى ADI CAIEH ، فقد كانت أصلا قرية صغيرة تحولت سنة ١٨٩٢ إلى مركز إدارى ومدينة حديثة، حيث فقدت توكوندا TOKONDA بعد ذلك أهميتها الأولى، وشأن سائر المدن تضم عدى قيح مجموعة

متنوعة من السكان المسيحيين الأرثوذكس والكاثوليك والمسلمين من الجبرته والساهو وعرب اليمن وحضرموت ٠

عاريت ARET

هى المنطقة التى تضم عدداً كبيراً من السكان بين إقليم أكلى غوزاى، تمتد فوق الهضبة والجبال حتى الجنوب الشرقى من عدى قيح، أرضها فقيرة وصخرية مع وجود بعض المراعى الخصبة ٠ وينتمى أبناء هذه المدينة إلى سلالة غوزاى، وفى المنطقة الجبلية من الشرق تلتقى مجموعة من الأساورتة يجمعون بين حياة الرعى والبداوة وحياة الاستقرار والحضر والزراعة وأهم قراها :

حالاى HALAI	حديث عدى HADDITHADI
درع DERAA	أوهاب AUHABE

ولقرية حلاى أهمية تاريخية فقد زارها عام ١٧٧٢ ميلادية برسى - أحد أوائل الرحالة البريطانين- فى طريقه إلى إثيوبيا كما كانت فى عام ١٨٩٤ مسرحاً لمعركة بين الإيطاليون وجيش " ديجياش باهتا حقوس " هزم فيها ولقى مصرعه ٠

دقى زيرسينى DEKKIXERESSENEI

مدينة صغيرة تضم عدداً من القرى المجاورة ، وتربتهم تجبرهم على الهجرة الموسمية إلى سهل هذامو HAZAMO وجنوب غرب المديرية، إلا أن المدينة كانت مستقلة فى الأساس، لكنها اختارت طوعياً أن تتبع زعامة رئيس زيبا ونتى، والاتحاد مع ذلك الإقليم قبل الاحتلال الإيطالى لإريتريا بقليل ٠

دقـــى تيهيشتا DEKKITIHISHTA

دريشـــن DERICHEN

يمثلان فرعًا نسب غوزاى، وبناى وهو إقليم قديم كانت تحكمه سلالات وراثية قديمة.

مدينـــة دجييان DEGIEN

ينحدرون أيضا من فرع إيباناى سكانهما يسعون فى وراء سهول هذاموا لزراعة أراضيهم القاحلة.

هداديـــم شلـــو HATDADIMCHALO

ويرتبط سكان هذه المدينة بصلات القرابة مع أهالى حييان ،تمتد أراضيها حتى الجـــزء الشمالـــى من سهل هذاموا مما جعل المدينة غنية بالزراعة، وتضم قرى كثيرة منها :

قرية أونا عندوم ONAANDOM
مدينة متشع METSHE

ينتمون من فرع من فروع أغوزاى فأرضه قاحلة وفقيرة وأهم قراه كعاتيت CAATIT وإيباكواكوات KWAKAT ومن المدن الأخرى :

بيـــر كيتو BERKITO

ومن أهم قراها عدى كويتا ADI KWTTA

قريـــة كعاتيـــت :

ولقرية كعاتيت تاريخ جدير بالرواية ففيها حقق الجنرال الإيطالى " بارا تيارى " انتصاره على جيش رأس منقشا سنة ١٨٩٥م ، وخلال الحرب الإيطالية الإثيوبية أقام

المارشال الإيطالى " ده بونو " مقر أركان حربه فى كعاتيت، وبقيت هذه القرية أثناء الحكم الإيطالي مقراً لحامية عسكرية، وسوقًا تجارية هامًا ومركزًا لأحد الإرساليات، ولكنها اليوم تراجع دورها .

إيجيسلا هاتسين :

ينتمى سكان هذه المدينة إلى تلك المجموعة التى تطلق على نفسها بجيلا، وكانوا يعتمدون قانونًا عرفيًا خاصًا اسمه غورزو تسوبولو GORZOTSOBOLO ، وضم الجزء الغربى من هذاموا HAZOMO غنيه بالأراضى الزراعية والمراعى . وقد دفن أبونا يعقوب كما سبق ذكره فى كنيسة هبو، القرية التى غرست الكاثوليكية المسيحية أما بقية السكان فيدينون بالأرثوذكسية مع تواجد بعض المسلمين من الجبرته .

حدقتى HADDEGTI

يشكل أهل هذه المدينة فرعا ثالثا لأبناء أكلى، وهى مدينة صغيرة وتضم أراضيها بعض الأراضى الخصبة ويمارسون الزراعة فى سهل دماس، لتعويض النقص من إنتاج الزراعة وأهم قراها :

معربة MARABA وهى مقر رئاسة القرية وتدين بالمسيحية الأرثوذكسية، وقرية عبى عبور ABIABUR وهم كاثوليك ، وكان يحكمهم رئيس يحمل إحدى الرتب فى البلاد "دجاش بعل ناقاريت "أى صاحب النقارة واسمه رأس تسما أسبروم TESEMMAASBEROMوكانوا ينحدرون من إحدى أقدم العائلات الزعامة فى إريتريا . وكان الرؤساء من هذه العائلة . وقد كانت تستقطب هذه القرى أعدادًا كبيرة من الرعاة البدو القادمين من جبال طروعه والسهل الساحلى وبلاد بنى عامر من جهة وهى تعد من الأقاليم الفقيرة زراعيا فى أكلى

غوزاى .

مدينة سقنيتى :

و تضم عدة قرى مجاورة، وهى مدينة صغيرة مستوطنة قديمة، وكانت سوقًا حيث تحولت إلى مركز إدارى وموقع عسكرى بمرور الزمن فى ظل الحكم الإيطالى، وينتمى أكثرية سكانها إلى الكنيسة الكاثوليكية وكان أبونا يعقوب مؤسس هذه الكنيسة .

ومن أهم قراها سنعادقله TSENADEGLE ، وسكانهـا فرع مـن مجموعة تسكن " الولدكيله " WOLDEKKELE ، وهى غنية بالثروة الحيوانية ومفتقرة إلى الأراضى الزراعية ولهذا فسكانها سنويا ينزحون للزراعة فى دماس فى مدينة قندع . ومن القرى التابعة لها أكرور – هبو – دغرالبه DEGRALIBE . كل هذه المناطق تابعة لمدينة سقنيتى .

وحافظ زعماء هذه العائلة على سلطانهم ، بل و وسعوه فى عهد الحكم الإيطالى، حيث ضموا إلى ممتلكاتهم الأساسية حكم العديد من الأقاليم الأخرى . وانتهى حكمها- فى عهد الفدراليه بين إريتريا وإثيوبيا- كبقية الأقاليم فى إريتريا . والمقصود من هذه الزعامات عائلة رأس تسيما أسبروم التى كان لها دور أساسى ومؤثر وفعال فى أيام بروز الحركة الوطنية فى إريتريا، حيث كان زعيمها يمثل القوى الوطنية التى كانت تطالب باستقلال إريتريا من إثيوبيا، وكان ضمن الكتلة الاستقلالية فى إريتريا .

مدينة إيجيلا حامس EGGELA HAMES

وهى من القرى المهمة فى إقليم أكلى غوزاى، وتضم قرى عديدة أهمها

قرع GURA – زيبان ZEBAN – سراو SERRAU – إينادوكو ENADOKO

وكانت تخضع هذه المدينة مع القرى التابعة لها لمجموعة قوانين عرفية باسم ميهازا، وبعد سلسلة؛ التطورات التاريخية التى مرت بهذه القرى ، اعتمدت مجموعة قوانين سميت " ماى أدقى " MAIADGI . وفى أواخر العهد الإيطالى ضمت إلى ممتلكات رأس تسيما أسبروم .

روبــرا : تقع هذه المدينة فى سهل قرع الخصيب، ولا يزال غنيا بالأراضى الزراعية، وجميع سكان هذه المدينة ينحدرون من " **إيـجيلا** " ، وتضم عدداً من القرى تتبع لها من الناحية الإدارية أهمها فوكول – وتو WUTTO – عدى نفاس – غوديتى – وكل هذه القرى ضمت مؤخرا فى عهد الطليان إلى حكم رأس تسيما أسبروم .

دقــى أدمــو غــوم :

وهى منطقة أخرى تقع فى سهل قرع الخصب، وينحدرون من إيجيلا ويطبقون قانونها، وأهم قراه : مهور – دنجل DENGEL – أرتو – ويقوم فيه دير قديم وشهير يطلق عليه " دير أنداسيلاس " :وهو من أهم الأديرة فى إقليم أكلى غوزاى، وأصبحت دقى أدموغوم الإقليم الرابع الذى ينضم تحت سلطة رأس تسيما أسبروم .

دقــى جبرى :

منطقة غنية بالأرض أهم مستوطناتها خورباريا KORBATIA ، وكانت مركز الرئاسة للمنطقة تورات – عدى راس ADIRASSI ، ويطبق السكان هنا قانون إيجيلا قبل الحكم الإيطالى، وكان الإقليم من ممتلكات إحدى السلالات الرئاسية التى قتل آخر زعيم لها على يد أحد أقاربه، وبعد وقت من الزمن قضاها

الإقليم على حكم رئيس غير كفء عينته الحكومة الإيطالية فألحق الإقليم بإنقانا التابعة الآن إلى إقليم حماسين. وفى سنة ١٩٣١م وضعت المنطقة تحت سلطة رئيسها الدجاشى بخرو . وفى سنة ١٩٣٧ بعد موت بخرو، جرى فصل المنطقتين وتسلم ابن بخرو رئاسة منطقة دقى جبرى، وكان هذا الوضع قائمًا حتى عهد الإتحاد الفيدرالى حيث الغى فيما بعد .

مرتساقيح :

ينحدر سكانها من الجد الأسطورى "فالوك"، ويملكون أراضى شاسعة وخصبة، وتتبعهم قرى كثيرة أهمها غوغورات GOGWAT – جرجره GERGERA – عدى نيفاس ADIENEFAS – فكيه FELIEH . كانت هذه المنطقة فى الأساس من مجموعة قرى، تتمتع بالحكم الذاتى قبل الاحتلال الإيطالى، وفى أيام الحكم الإيطالى أصبحت هذه المدينة والقرى التابعة لهاتحت سلطة دجياش بخرو بانقانا، وأصبح يطبق القانون العرفى الخاص به وهو " تساوا هامت " .

ميريتاسبنه SEBENE وأرض هذه المدينة واسعة وخصبة وكان يطبق أهلها قانون أكلى غوزاى العرفى، وأهم قراها حاليبو HALIBO ماى أحا حديدا MAI AHA HDIDAH أمبيتو .

تــــدرر TEDRER

وتضم أرض هذه المنطقة الجزء الشمالى من سهل هزامو، وهو من أغنى مناطق أكلى غوزاى وكلهم يدينون بالمسيحية ويعود أصلهم إلى بلو حرقيقو، وكان سكان تدرر مسلمين فى الأصل ولكنهم حسب الرواية المحلية تحولوا إلى مسيحيين على يد مؤسس دير أندا يوحنا الشهير. وهى تتبع قانون المسمى على اسم أجداد مجموعة سكانية سلستى دقى درار SELESTE DEKIDERAR ، أى أبناء ضرار الثلاثة، وتتبع هذه المنطقة عدة قرى فى مختلف الأحجام وهم عدى نبرى – جنسيبا

GENISEBA - عدى موكادا- حديث عدى HADISHADU ٠

حتنــــات HATENAT

دقــى ديقينــا DEKKI DGNA

وهى مدينة صغيرة ينتسب أهلها إلى ولد أكلى٠

منطقة مقامات صنعفى وأهم مستوطناتها ٠

صنعفــى :

تعد مدينة صنعفى من أهم المدن الكبرى المزدحمة بالسكان فى إقليم أكلى غوزاى، ويقال أن هذا الاسم يعنى صنعافين أى الذين جاء وا من صنعاء، وفيه إشارة إلى أن مهاجرين من اليمن كانوا أول من وصل إلى المنطقة واستقروا فيها ، وكانت الأرض عند قدومهم تسكنها جماعات من قبائل منفرى وجماعات أخرى تسمى زرفتـا ZEREFTAI - منتشرة اليوم بكثرة فى أكلى غوزاى- وقد حصل المهاجرين عبر التزاوج مع المنفرى على حقوق فى الأرض وأقاموا فوقها قريتين لا تزالان موجودتان إلى اليوم وهما أولع AWLE وححايلو HAHAILE ٠ وأسس هذا التجمع قبيلة أسماها صنعفاى وهى من القبائل المعروفة ٠ تنحدر من الأصول العربية من اليمن وتتحدث اليوم لهجة الساهو٠ وتسكن المدينة الآن عناصر مختلفة من القبائل ومنها قبيلة الشيخ سالم عرى من زرية فقيه محمد شأنها شأن المدينة التى تضم قبائل من مختلف الأقاليم ، وأغلبية سكان المدينة مسلمون ويوجد بها عدد لا بأس به من المسيحيين٠ وأهم القرى المجاورة لها :

زيبــــان :

ويعتقد أن سكان هذه المدينة ينحدرون من الجد غوزاى، وزيبان ، تعتبر

القرية الحدودية فى أكلى غوزاى وتشكل جزءًا من المنطقة المعروفة باسم شيميزانا SHIMEZANA والتى تضم أيضا منطقة عدى غولتى واندا داشيم، وتمتاز أراضى زيبان بخصوبة أرضها على الرغم من ضيق مساحتها .

دجيان وجيرا DEGIEN WOGERA

وأهم مستوطناتها مطرا ، وأراضيها خصبة وصالحة للزاعة .

عـــدى قولتـــى :

منطقة بالغة الخصوبة وسكانها عناصر مختلفة ينحدرون من إحدى فروع غوزاى ومن مستوطنتى عرسا فى صنعفى. يدينون بالمسيحية مع وجود أقلية مسلمة من الجبرته. أهم مستوطناتها: باراكيت BARAKIT - بيحات BIHAT - عدى عطال ADIATAL - أغرى أندا EGRIMANDA

أنـــداداشيـــم :

تقع هذه المدينة فى وادى انداداشيم الخصب، وينحدر سكانها من غوزاى، ويعيشون فى باركنا - BARAKNA وعد رهو ADDE RHO

دبـر إســـلام DEBBHAR ISLAM

وهى قرية كانت تتمتع بالحكم الذاتى، وتقع على تلة شمال أكران وتمتد أراضيها القاحلة غربًا إلى الحدود الإثيوبية، يقطنها المسلمون من الجبرته، وكان هؤلاء السكان قد أجبروا على اعتناق المسيحية - فى عهد الامبراطور الإثيوبى يوحنا فى ذلك العهد قهرًا ففرو بدينهم من منطقتهم الأصلية بالهضبة هربا بدينهم

واستقروا فى هذه القرية . وفى عهد الاحتلال الإيطالى منحت " دبر إسلام " التى كانت تعنى " تلة المسلمين " حق الحكم الذاتى وعين لها رئيس خاص بها .

أكـــــران :

وهى منطقة حدودية يعيش فيها جماعة منحدرة من أكلى غوزاى، وأرض أكران قاحلة وضيقة وحولها مجموعة من القرى أهمها: مشعل MESHAL - هديت عدى HADITADI - عدى شوهو SHOHO - عدى عربايتا ARBRITA .

مدينة زريموسى :

وسكانها تربطهم صلات القرابة مع الشعب فى أكران . تمتد أراضى المدينة فوق منحدرات صخرية شاهقة وأخاديد عميقة وهى قاحلة بالرغم من اتساعها . ويتبعها قريتان كبيرتان هما :

عد سطـح ASSETHA وكبشاهات KASYAHAT .

وولدى أكلى مشعل

منطقة كبيرة ومهمة وهى مسقط رأس أبناء أكلى، يقطنها مسيحيون من الأرثوذكس وعدد قليل من المسلمين المنحدرين من منفرى. والإقليم غنى بثرواته المختلفة. تحيط بها مجموعة من القرى أهمها: مشعل وديبديب DIBDIB - أدى رفاى REFAI - ماى طعدة - إمبا - داهان . وكانت هذه المنطقة تشكل الأساس لإحدى المناطق الخاصة لرؤساء أكران ولكنها حصلت على استقلالها الذاتى إبّان الحكم الإيطالى . ثم الحقت إلى الإقليم فيما بعد .

أمبست جليبـــا AMBESETGELEBA

ويوجد فى هذه المدينة دير أندا أبو ليبانوس الشهير، والذى كان يتمتع فى

وقت من الأوقات بسلطة واسعة .

أراضى المنطقة فقيرة قليلة منها حليباهام – أحزا AHEZ عرجين AREGEN .

لوغـــو ســـــاردا :

أرضه تضم الجزء الجنوبى من من سهل هزمو HAZOMO ، غنية وشاسعة ولذلك ينتقل– شأن سائر أقاليم هزمو سنويا– العديد من الزوار من رعاة ومزارعين يأتون من مناطق مختلفة مجاورة أكثر فقراً بحثا عن المراعى والزراعة .

وأهم قراها سارد – منداف كوما MENDAF KOMA مبرارا MEBRARA – سوكوم SUKUM . وتتبع قانون ميم ميهازا .

مدينـــة أغـــروف :

هناك ثلاثة مدن تحمل هذا الاسم وهى أغروف لعالاى "الأعلى " أغروف تحتاى "الأسفل" وأغروف الأول وتحتاى أغروف هذه المدن الثلاثة صغيرة وغنية نسبيًا بالأراضى الزراعية ويدين سكانها بالمسيحية .

الساهـــو : لقد أطلق المؤرخون الكتاب من العرب والأوربيين– الذين اتيحت لهم الفرصة لكتابة تاريخ إريتريا والحبشة فى الأزمنة المختلفة– كلمة ساهو على كل من يتحدث بهذه اللهجة الغير مكتوبة والقريبة من الدنكلية، وتلتقى فى بعض الألفاظ مع الصومالية .

ولهجة ساهو – كما أوضحنا فى فصل اللغات واللهجات الخاصة باريتريا– هى لغة كوشية حامية، وكان يتحدث بها السكان المحليين الأوائل، وكان يطلق عليهم اسم كابوتا (بارو عمبا ليش) وتعنى سكان البلاد الأصليين بلغة ساهو، حيث كانوا يتحدثون بهذه اللغة الكوشية الحامية. وضمن الهجرات المتنامية التى شهدتها إريتريا فى تلك الحقبة من الزمن، هاجر إلى المنطقة رجل عربى من الجزيرة،

وسكن هذه المنطقة، ومن خلال المصاهرة والتزاوج مع هؤلاء السكان المحليين كونت قبيلة سميت فيما بعد بـ " إدة " من هذا الجد القادم من وراء البحار . وكلمة إدة تعنى جده . وذلك عندما سئل من أين جاء أجاب أنه قادم من جدة . وحرفت كلمة جدة إلى إدة، وهى أول قبيلة نشرت لغة الساهو فى محيط المنطقة .

وهكذا أصبح كل من يسكن هذه المنطقة من القبائل يتحدث بلغة الساهو، ناسين مع مرور الزمن اللغة التى كانوا يتحدثون بها سابقا، نتيجة لهذا التزاوج والانصهار مع السكان الأصليين . وكلمة ساهو لا تعنى من الناحية العنصرية أو العرقية على مدلول عنصر أو أصول واحدة بل العكس هو الصحيح . فقبائل الساهو المتحدثين بهذه اللهجة ينتمون كبقية سكان إريتريا من أصول مختلفة، سواء كان حامية أو سامية ، فأصبحت لهجة الساهو تجمع بينهم فقط من الناحية الثقافية والعادات والتقاليد، مثل التجرى والتجرينية وغيرها .

وأهم القبائل التى تتحدث لهجة الساهو هى : (١) حزو (٢) ديرميلا (٣) منفرى (٤) أساورتا (٥) طروعة . وهناك تجمعات متعددة كلها تجمعها اللهجة، وتتبع إداريا القبائل الخمسة المذكورة .

وتتواجد هذه القبائل فى مناطق متجاورة فى مواقعها سواء فى الساحل أو الجبال، ويجمع بينها قانون خاص مستمد من الشريعة الاسلامية. وبعض القوانين العرفية تحت اسم القانون العرفى لمسلمى أكلى غوزاى، وتم جمعه فى عهد الإدارة البريطانية التى أقرته رسميًا؛ ليميزها عن بقية القوانين والأعراف السائدة فى الهضبة.

١ - أساورتـــا :

وهم يتواجدون بدءًا من سهول حديث على الساحل، مرورًا بنهر حداس وجبال ريعوت، حتى ضواحى قوحيتو .

وينقسم الأساورتا إلى قسمين : الأول يطلق عليهم الأساورتا العليا ، أما القسم الثانى فيطلق عليه الأساورتا السفلى ويتواجدون فى إقليم سمهر، وهم بيت خليفة وبيت توكل وأدفير ، ويلتقون مع الأساورتا عرقيا إلا أنهم يتحدثون لغة التجرى .

وتقول الرواية المحلية أن عمر أساور لمعه جد أساورتا الأكبر ، قدم من الجزيرة العربية عبر منطقة زبيد اليمنية القريبة من الشواطئ الإريترية مع مجموعة من أوائل المسلمين، وكان موطنه الأصلى مكة. وتقول تلك الرواية أنه ينتسب إلى سلالة على ابن أبى طالب .كما يؤكد بعض المؤرخين بانتماء الأسورتا إلى القريش، وقدوم جدهم من الجزيرة العربية فى بداية العهد الاسلامى، وفى الفترة التى شهدت نزوحات وهجرات متلاحقة إلى الساحل الإريترى، شأنهم شأن العديد من القبائل الإريترية المهاجرة ، التى تصاهرت مع السكان الأصليين واكتسبت لغتها وثقافاتها .

وتنقسم أساورتا العليا إلى سبعة فروع هى :

١ -	فقرتو عرى	FOKORTA ARE
٢ -	بيت ليليش	BEIT LELISH
٣ -	بيت فقيه	BEIT FAKIH
٤ -	عسكرى	ASAKARI
٥ -	أرس أبوسا	OROS ABOUSA
٦ -	عساليسان	ASSALISAN
٧ -	سرمعرى	SARMA ARE

وهناك قبائل أخرى تنتسب إلى الأساورتا وترتبط بها إداريا .

وهى :

١ - حسبت عرى HASABAT ARE

٢ - إدة IDDAH

٣ - بردوتا BARADOUTTA

٤ - ريزه مرا RIZA MARA

٥ - حجى أبكر HAGGI ABKOUR

ثروتهم :

تتمثل ثروتهم فى الأبقار والأغنام والماعز · وتتبع نزوحاتهم الموسمية مخططًا دوريًا تحددهم الحاجة إلى المراعى· وهم جبليون أكثر مما هم سهليون، وينفرون من حر السهول، وفى موسم الأمطار التى تمتد من شهر نوفمبر إلى أبريل يقيمون فى السهل الغربى من خليج زولا، وينتقلون فى الفترة ما بين مايو ويوليو إلى التلال السفيحة وإلى الحافة القريبة من الهضبة الوسطى، التى تشهد فى مثل هذا الوقت حياة نباتية نشطة · وفى موسم الأمطار الداخلية الذى يلى تنتقل القبيلة إلى الهضبة نفسها، وأثناء إقامتهم على التلال. يعمد بعض أبناء القبيلة إلى ممارسة الزراعة حيث يزرعون الذرة والدخن وغيرهما من المزروعات السريعة النضج، بينما تعتمد مجموعة أخرى من الأساورتا إلى ممارسة أنواع أخرى من الزراعة الأكثر استمرارية · وفى بداية القرن العشرين بدأت مجموعة صغيرة منهم ممارسة الزراعة على ضفاف نهر حداس، يروون مزروعاتهم من مياه النهر بواسطة القنوات البدائية · وقد أخذ هذا الطور من حياة البدو والرعاة إلى حياة المزارعين المستقرين يتزايد ، وكان قد بدا ذلك واضحا فى ماضى القبيلة القريب فى المستوطنات الزراعية التى قامت خلال هذه الفترة ·

الهيكل الإجتماعى للقبيلـــة :

يقوم على أساس القرابة والنسب، وهم ينظرون إلى فروع القبيلة باستثناء الفروع المنتسبة على أنها تنحدر من جد مشترك، وتعرف هذه الفروع باسم " كيشو KISHO " أو "عرى" (بيت) ARE · ويتوزع كل فرع قبلى إلى عدة تجمعات قرابة، ويطلق عليهـــا (ديك DIK) تحمل عادة أسماء مؤسسى خط النسب · ولا تشكل تجمعات النسب هذه بالضرورة تجمعات محلية، بالرغم من أن عبارة ديك تستعمل كذلك للدلالة على مجموعة محلية متعددة النسب · ويتواجد كل فرع قبلى عادة فى مناطق محدودة، يرعى فيها أبناءه مواشيهم، ويقيمون مخيماتهم الموسمية، ولا وجود عندهم لنظام حقوق فى ملكية الأرض، ويجرى توزيع أراضى القبيلة على مختلف أقسام القبيلة بالتراضى · كانت كل قبيلة من هذه القبائل تتمتع باستقلاليتها الذاتية، وحتى بعد الاحتلال الإيطالى حافظت القبيلة لعدة سنوات على شبه استقلال ذاتى، فلم تُفرض عليها إلا رقابة ضعيفة وضرائب اسمية ·

وفى التنظيم الإدارى للقبيلة، اعتبرت الفروع القبلية بمثابة وحدات تتمتع بالحكم الذاتى، فيما كانت الإدارة القبلية بيد الرؤساء المنتخبين لهـــذه الفـروع المعروفـــين باســم (الشوم) ويبقى الشوم زعيما للفرع القبلى ويتبعه رؤساء تجمعات الأفخاذ المعروفين باسم (نبرا) · وفى سنة ١٩٣٩م وحد الحكم القبيلة كلها تحت رئاسة زعيم أعلى أطلق عليه لقب " بيك " فى بادئ الأمر والباشا فيما بعد · وظل هذا الوضع قائما حتى قيام الحكومـــة الفيدرالية الإريترية التى ألغت هذا النظام وربطت رؤساء القبائل بحكام الأقاليم (المحافظين) مباشرة · ومن أشهر زعماؤهم الناظر ناصر بيك ابو بكر وقاضى على عمر الذى اشتهر بمقاومته الاحتلال الإثيوبى وكان من أبرز زعماء الحركة الوطنية والحاج إبراهيم قوراى من قبيلة حجى أبكر وكان شخصية وطنية مشهورة إبان الحركة الوطنية الإريترية وكان عضواً فى الوفد الإريترى الذى سافر إلى الأمم المتحدة للدفاع عن حق الشعب الإريترى فى الإستقلال فى أواخر الأربعينيات ·

منفــــرى : MINIFERI

موقـــع القبيلــة :

يحدها من الشرق بلدة إرافلى التاريخية على ساحل البحر الأحمر، والتلال الفسيحة التى تلف سهل ونقبو WANGABO ٠ وفى الجنوب السفح الجنوبى لجبل سويرا SOIRA ونهر دنديرو DANDERO حتى مدينة صنعفى، ويمتد تواجدهم إلى جبال حمس المطلة على سهول هزمو حتى قوحيتو بالقرب من مدينة عدى قيح ٠

نسبهـــــم :

تقول الرواية المحلية أن جدهم الأول الذى ينحدر منه " مينا " الذى اكتسبت القبيلة اسمها منه ، قدم من مكة المكرمة وهو أحد أحفاد عمر بن الخطاب، وينتهى نسبه إلى سالم ابن عبدالله بن عمر بن الخطاب ٠ ويعتبر عمر بن الخطاب الجد السابع عشر لمينا٠ وتقول الرواية المحلية أن الرأس يسبى الملقب بـ (مينا) هو ابن الملك مرسو الملقب بـ (كنلى) وهو أحد حكام الهضبة فى ذلك الزمان ٠ وتقول تلك الرواية المحلية أن حفيد سالم بن عبدالله- وكان يدعى عبدالحى- تزوج امرأة حبشية فى مكة، وكانت من الأسر الحاكمة فى الحبشة وعادت إلى أهلها، وكانت حاملة وعندما وضعت إبنها أطلقت عليه اسماً حبشياً، حيث كان أهلها يدينون بالمسيحية ونشأ الطفل على دين أخواله، وعندما شب عن الطوق أصبح أحد فرسان القبيلة، وتوج حاكماً للمنطقة ولقب بـ (رأس اتكم) وهو الجد التاسع للرأس يسبى الملقب بـ (مينا) ، وظلت هذه الأسرة تتوارث الحكم فى الهضبة حتى عهد مينا ، الذى تنسب إليه قبائل منفرى فى إريتريا ٠

وتتفق هذ الرواية مع ما ذكره المرحوم الشيخ إبراهيم عمر المختار -مفتى

الديار الإريترية السابق- فى مخطوطه عن الأنساب والقبائل الإريترية وجذورها التاريخية العربية .

ومن رأس أتكم حتى ما بعد رأس يسبى (مينا)، كان المنفرى يدينون بالمسيحية قبل أن يعودوا إلى الإسلام مرة أخرى .

التقسيم الإدارى للمنفرى :

ينقسم المنفرى إلى ثلاثة فروع رئيسية :

١ - رسمو .

٢ - قعسو .

٣ - فقيه حرك (سليتو) .

وهذه الفروع الرئيسية الثلاثة تنقسم بدورها إلى فروع أخرى وهى :

أ - رسمو وتنقسم إلى سبعة قبائل .

١ - الليشى .

٢ - كندس .

٣ - ديلى عسرى .

٤ - سباكم عرى .

٥ - نافع حرك .

٦ - عبدالله حرك .

٧ - موسى حرك .

ب - قعسو وينقسمون إلى سبعة أفرع قبَلِيَّة :

١ - عسا إسماعيل .

٢ - عسا يوفيث (يوسف) .

٣ - شوم أحمد قيشا .

٤ – شوم عبدالله قيشا .

٥ – حسن قيشـــــا .

٦ – سليمان قيشـــا .

٧ – يوسف قيشـــا .

حـ – فقيـه حرك (سليتو) :

١ – فقيه حرك .

٢ – حقيتا عرى .

٣ – قمة عـــرى .

٤ – سرمه عرى .

٥ – حلاطـو .

٦ – أباريور .

وهناك قبائل أخرى تعيش وسط قبائل منفرى مثل :

١ – قبيلة صنعفـى .

٢ – قبيلة عسابورا .

٣ – قبيلة دناقولتا .

٤ – قبيلة سالمونتا .

٥ – قبيلة إنتلى شيخ عرى .

٦ – . قبيلة قضفـر

وأما فيما يتعلق بنمط عيش القبيلة، وخاصة تحولها التدريجى من الاقتصاد الرعوى إلى الاقتصاد الريفى، فينطبق عليها ما سبق قوله عن الأساورتا، إلا أنهم يتميزون عن الآخرين من ناحية الزراعة والاستقرار والتجمعات القروية . وعلى سبيل المثال توجد فى أقصى الجنوب من خليج زولا بلدة أرافلى التى كانت تعتبر

سوقًا ومركزًا إداريًا وسياسيًا وبريديًا هامًا فى مختلف العصور، ذلك لأنها قامت على مقربة من الآبار الغنية بالمياه التى تجذب فى فصل الشتاء القطعان من مسافات بعيدة مما، جعلها سوقًا مزدهرا تجذب إليها تجار مصوع وزولا . وفى الوقت الحاضرتعتبر إحدى المحافظات التابعة لإقليم أكلى غوزاى . ومن أشهر رجالاتهم على بيك محمد ناظر عموم قبائل منفرى والشيخ إبراهيم عمر المختار مفتى الديار الإريترية والحاج سليمان عمر أحمد وكان من أشهر الزعامات الوطنية فى الحركة الوطنية الإريترية والحاج محمود على جاسر وكان شخصية وطنية بارزة ومن زعماء الرابطة الإسلامية ومن الذين أسهموا فى وضع القانون العرفى لمسلمى أكلى غوزاى ، والقاضى عبدالله علوان الذى كان زعيمًا دينيا وسياسيا بارزًا ابَّان الحكم الإيطالى ومن أشهر شعراءهم الشاعر المشهور بـ فديكوّبى FRDIKOUBI الذى لا تزال أشعاره متداولة بين سائر أبناء الساهو وقد عاش فى القرن التاسع عشر .

قبائل حزو - أرضا وشعبا :

يعيشون إلى الشرق والجنوب عند نهرى عنديلى ENDELI ، وراقلى RACALI ، وجبل رنده كوما فى الحدود الإريترية والإثيوبية وحتى حدود سهل الدناكل وهم يعتمدون على الرعى، ولم يمارسوا أى من الزراعة خلافًا لأساورتا والمنفرى لتواجد موقعهم فى الجبال الوعرة، وفى نزوحاتهم الموسمية يتحركون ضمن دائرة ضيقة بين الساحل والتلال الداخلية، وكانت تقتصر اتصالاتهم مع الخارج على جيرانهم الدناكل وقبائل إيروب، الإثيوبية .

ومن الناحية السياسية والاجتماعية، ينطبق عليها ما ذكرناه فى قبائل الساهو الأخرى .

نسبهم :

وهم ينتسبون إلى بنى أمية مع أبناء عمومتهم الآخرين - الطروعة والمنسع والماريا- حيث هاجر جدهم - وهو أحد أحفاد معاوية بن أبى سفيان - مع ابناعئه الثلاثة - قرابسو وعمر طروع وماريو - إلى الساحل الإريترى فرارًا من الاضطهاد والملاحقة التى تعرض لها الأمويون، بعد إنهيار خلافتهم على أيدى العباسيين. والجد الأكبر لقبائل حذو هو قرابسو .

ومن الناحية الإدارية والاجتماعية ينطبق عليها ما ذكرناه فى قبائل الساهو الأخرى .

التقسيم القبلى :

تنقسم قبائل حزو إلى عشرة فروع وهى :

١ - عسى عيلا .	٢ - كنسبفرى .
٣ - عسى على قيشا .	٤- حمدى قيشا .
٥ - حكبى قيشا .	٦ - عمرتو .
٧ - حمد كيويا .	٨ - موسى بقو .
٩ - بوكيتى .	١٠- عنده عمرتو .

وهناك مجموعات أخرى تعيش وسط قبائل حذو وهى :

١ - لادوس ٢- عيشيتا ٣- باحا كلى ٤ - ديد ميلا .

والحزو يمتازون بالكرم والشهامة والنخوة العربية الأصيلة ومن أشهر رجالاتهم الكرماء نباعسا على (على الأحمر الكبير) وأشهر فرسانهم عند اعسا على ومن أشهر زعمائهم الناظر أونا على .

طروعة :

وهم ينتمون إلى أصول عربية وينتسبون بصلة النسب مع قبائل حزو ومنسع وماريا كما ذكرنا سابقا · وينحدرون من عمر طروع الذى يعود نسبه إلى بنى أمية · وهى تنقسم إلى فرعين بيت سراح وبيت موشيه ·

بيت سراح :

تقطن هذه القبيلة فى أقصى شمال إقليم أكلى غوزاى بالهضبة الإريترية، وتتواجد على ضفاف نهر حداس من ربربية إلى مرتفعات دقعا ونهر عالا حتى امتداد الجبال المطلة على دقمحرى · بينما يسكن الفرع الآخر من الطروعة " بيت موشيه " إقليم سمهر، وسيأتى ذكرها فى الباب الخاص بإقليم سمهر ·

وينطبق عليهم من الناحية الاجتماعية ما ذكرناه من القبائل الأخرى من الساهو، وتتبعها إدارياً بعض التجمعات الصغيرة مثل :

١ - بيت شيخ لحلحة ٢ - عند عجلى وهم من الأشراف ، وكابوتا، ومن أشهر رجالاتهم شوم محمد وكان من زعماء الحركة الوطنية ومن قيادات الرابطة الإسلامية البارزين وتعرض للمطاردة من قبل قوات الإحتلال الإثيوبى وظل صامدا فى مواقفه الوطنية حتى استشهد دفاعا عن مبادؤه الوطنية

قبيلة دبر ميلا :

وهى من قبائل الساهو الرئيسية الخمسة التى سبق ذكرها، إلا أنها أقل عدداً من شقيقاتها، وتتواجد فى جنوب أكلى غوزاى على جبلين متجاورين ·

وتقول الروايات بأن اسم القبيلة مشتق من جدهم الكبير الذى كان يسمى ميلا، وأما د بر فيعنى الجبل · وفى رواية أخرى أن الاسم مشتق من الاسم الأول

للقبيلة ، حيث تعنى (ميلا) قبيلة ، ودبر ميلا تعنى القبيلة الجبلية • أما عن أصلهم فيقال أنهم نازحين من الجزيرة العربية مثلهم مثل أبناء عمومتهم قبيلة داهميلا بجنوب دنكاليا •

وتنقسم القبيلة إلى قسمين :

١ – الدس ALADES وتسكن جبل أمبا دمبرا ، وغالبيتهم مسيحيون •

٢ – لبهلت LABHLET على جبل سويرا ، وغالبيتهم مسلمون •

وكلاهما يمارس الزراعة إلى حد بعيد ، وحياة الحضر لدى السهل • تُنظم شئون القبيلة فى إطار الإدارة الإقليمية، ويرعى شئون كل فرع من فرعيها رئيس خاص • أما فيما يتعلق من الناحية الإدارية والاجتماعية ينطبق عليهم ما ذكر فى عموم الساهو •

الخاتمـة للأقاليـم

ملحوظـة :

عندما أبرزت – فى هذا الجزء فى الأقاليم الثلاثة – ديانات سكان الأقاليم ، كان الغرض من ذلك إبراز أنهم يعيشون و تربط بينهم روح المحبة والإخاء – أمة وشعبًا واحداً • ولم يكن الدين يومًا من الأيام عاملاً للتفرقة بينهم فى التعايش، بل على العكس كان يشكل بينهم الترابط والمحبة والاحترام المتبادل ، حيث نجد قرية مسلمة تعيش فى وسط مجموعة من القرى المحيطة بها مع إخوانهم المسيحيين ، ومجموعات مسيحية نجدها تعيش فى وسط تجمع إسلامى• وهكذا سيعيش دائمًا شعبنا فى أقاليمه ومدنه وقراه تحت شعار "**الدين لله والوطن للجميع** " •

الفصل الحادى والثلاثون
إقليم القاش - الأرض والشعب

يقع إقليم القاش بين نهرى القاش وهو يشكل جزء من مراعى السفانا وتكثر فيها الماشية التى تشكل الثروة الأساسية للسكان كما تزدهر فيها الزراعة وبالأخص المحاصيل النقدية كالموز والفواكه المدارية والقطن وحبوب الذرة، وتكثر فيها الغابات وتزدهر فيها الحشائش والأعشاب فى الأراضى الواقعة بين نهرى القاش وسيتيت وهى أراضى سهلة وخصبة إلا أنها بجانب نعيمها وخيراتها تشكو من انتشار الملاريا والرطوبة الخانقة خلال موسم الأمطار مما سيتطلب مكافحة الأفات الطبيعية عند الشروع فى الاستثمار المخطط فى مجال الزراعة مستقبلا . وتعتمد الزراعة القائمة على الرى من الأنهار الموسمية ونهر سيتيت الدائم الجريان الذى يصب فى السودان حاملا فى موسم الأمطار كميات ضخمة من المياه والطمى بعد أن يجمع روافد لا حصر لها من الوديان .

وهضبة القاش الشمالية تمتد إلى تخوم مدينة تسنى حيث يصل ارتفاع الإقليم حول منطقة سبدرات إلى ٤٨٦٦ قدمًا كما تتواصل هضبة بارنتو مع هضبة إريتريا الوسطى والتجراى ويصل أطرافها نحو الشمال إلى وادى لكوييب وجبال ساوا وقربًا إلى أطراف هيكوته ومن مدنها الرئيسية بارنتو وهى عاصمة الإقليم وترتفع عن سطح البحر ٣٥٠٠ قدم ومدينة تسنى وترتفع عن سطح البحر ٢٠١٨ قدم ومدينة هيكوته وترتفع ٢٥٠٠ قدم ومدينة أم حجر ٢٢٤٥ قدم .

وعلى قدر وقلوج وتكمبيا وهى مدن ذات طابع زراعى تجتذب أعدادا كبيرة من مختلف أنحاء إريتريا .

وأهم قبائل هذا الإقليم البازا (كونامة) والباريا (نارا) والسبدرات وإيليت وايتما والحلنقة ومجموعات أخرى من قبائل بنى عامر وقبائل الحماسين .

١ - **قبيلة الباريـــا (نـــارا)**

وهى خليط من الأصول العربية والإفريقية وتتكلم لهجة نيلية وتتواجد فى منطقة مقراييب وهقر فى المنطقة الواقعة بين بارنتو وتسنى ٠ وكانت الباريا تنقسم إلى وحدتين ولكل مكنها زعيم يسمى ماشقة أو العمدة ، ولكل عمدة نائب يسمى نادا والفرعين يخضعان لزعيم أعلى يسمى الناظر ٠

وهم من سكان إريتريا الأوائل ويدينون بالإسلام ٠

٢ - **بـــازا (كونامــــة) :**

وهى من القبائل الرئيسة التى تقطن إقليم القاش وسيتيت ويتحدثون لهجة خاصة بهم يعود أصولها إلى النيلية وهم من الشعوب النيلية التى نزحت من حوض النيل الأوسط بالسودان فى الأزمنة القديمة ويعدون من سكان إريتريا الأوائل ويعيش معظم أبناء البازا فى قرى جماعية يعملون فى الزراعة وكثيرون منهم اعتنق الدين الإسلامى ومجموعات صغيرة إعتنقت المسيحية على أيدى الإرساليات البورتستانتية والكاثوليكية ومازال بعض أفراد القبيلة وثنيون وكغيرها من القبائل الإريترية تتفرع ألبازا إلى فروع وبطون وتجمعات محلية تعيش فى مناطق محددة ويخضع كل فرع لسلطة زعيم يدعى أدانا أو العمدة ولكل وحدة محلية نائب للزعيم يسمى اودادا أو الوكيل ويمثلها زعيم أعلى يسمى الناظر ٠

٣ - **سبــــدرات :**

هى قبيلة تعيش بالقرب من الحدود السودانية فى مناطق تمرات ، كما توجد لهم قرية كبيرة تسمى عواض على الحدود السودانية الإريترية . ويتحدثون اللغة العربية والتجرى ، ويدينون بالإسلام ، ويروى أنهم ينتسبون إلى سلالة تقودهم لأحد اشراف مكة ٠

٤ - إيليت :

وهى من إحدى قبائل القاش القديمة ، ويتحدثون بلغة تجرى كما يتحدثون لهجة محلية خاصة بهم ويدينون بالإسلام .

٥ - أيتما :

وينتمى أيتما إلى أصول عربية حيث ينحدرون من سلالة فقيه محمد آل زبير من أبناء عبد الحى بن صالح بن فقيه محمد وتربطهم صلة النسب بأخوانهم من أحفاد فقيه محمد فى إقليم سمهر وسراى وأكلى غوزاى وعاشوا فى إقليم القاش مع سبدرات وهم يتحدثون التجرى .

٦ - الشكرية :

هى قبيلة عربية مشهورة بشرق السودان وقبيلة شكرية الإريترية قدموا إلى إريتريا فى أيام المهدية ويستقرون فى أطراف القاش وإبو جمل ، ولهم ثروة حيوانية كبيرة ولاسيما الإبل والماعز ويتحدثون العربية ويدينون بالإسلام . وفى قلب بلاد البازا توجد مجموعات أخرى أصلها يعود إلى الهضبة الإريترية ويدينون بالمسيحية حيث استقروا هناك منذ بداية القرن التاسع عشر، ويتحدثون التجرينية . ويقطن على نهر القاش فى مدينة تكمبيا وأوغارو وشلالو وبادومى ، كما يوجد كثير منهم على ضفاف نهر سيتيت فى قرى انتورى ومليزيناى بالقرب من أم حجر .

كما توجد مجموعات من قبائل الساهو وإدفير الذين ينحدرون من إقليم أكلى غوزاى وسمهر حيث توجد عدة قرى للساهو فى منطقة ماى شغلى كما توجد مجموعات من إدفير فى منطقة فانكو وأميلّو .

ويسكن القاش مجموعات كبيرة من قبائل بنى عامر ولا سيما من قبيلة أسفدا والمدا ويتواجدون على ضفاف نهر القاش فى مناطق هدمدمى قاش وعمبرا وفانكووقرست .

كما توجد مجموعة من قبائل الماريا التى نزحت بمواشيها من مواطنهم الأصلى ويتواجدون أساساً من اوغارو ومناطق فانكو حتى خور قرست بالقرب من مدينة تسنى .

وبهذا السرد نكون قد أوضحنا فى إعطاء فكرة عن هذا الإقليم أرضا وشعباً . وكان ما ذكر من تفاصيل من العهد التركى إلى العهد البريطانى . وقد الغيت هذا النمط من الحكم القبلى فى حكم الفيدرالية واستبدل بنظام السلطة المركزية لحاكم الإقليم (المحافظ) حيث تتبع كل قبيلة أو تجمع مباشرة إلى سلطة الحاكم شأنهم شأن بقية أقاليم إريتريا .

الفصـــل الثانى الثـــلاثـون

إقليم بركة - الأرض والشعب

التكوين الاجتماعى والقبلى لهذا الإقليم

ويعرف إقليم بركة بالسهل الغربى وهو من أكبر الأقاليم الإريترية مساحة ، كما يعتبر واحداً من أغنى المناطق الإريترية فى المجال الزراعى والثروة الحيوانية وثروة الإقليم فى الحبوب تجعل منها منطقة تصدير لهذه الحبوب إلى المناطق الشرقية الأكثر فقرًا ، وهضبة كرن ويقع على ضفافه نهر بركة وتكثر فيه أشجار الدوم.

وأما مناخ إقليم بركة فهو حار جاف صيفًا ومعتدل البرودة وممطر ربيعًا متأثرًا فى ذلك بالهضبة .

ومن أهم القبائل التى تقطن إقليم بركة بنى عامر .

١ - بنـــى عامـــر :

وهى من أكبر قبائل الإقليم الغربى فى إقليم بركة كما أنها من أكبر قبائل إريتريا . وينتشر بنو عامر فى شمال وغرب وجنوب غرب مدينة أغوردات ، كما يتوغلون غربًا فى العمق إلى داخل السودان فى الإقليم الشرقى ، كما يتوغلون شرقًا فى إقليمى سنحيت وسراى .

وتنتمى قبيلة بنى عامر إلى المجموعة العرقية الكبرى المعروفة بالسامية والحامية . ولكن تسمية القبيلة لا تتلائم بالمعنى المطلق مع بنى عامر الذين يشكلون فى الحقيقة مجموعة قبائل من أصول مختلفة فى بعض الأحيان أكثر مما يشكلون وحدة عرقية واحدة ذات بنية قوية ، فهى مجموعة تحالف من القبائل كانت تتجمع

فيما كان يسمى باتحاد بنى عامر على أساس سياسى ذو طابع اتحادى ضعيف يقوده زعيم أعلى يلقب بـ (دقليل) تعاونه طبقة حاكمة مشتركة من مختلف القبائل المتحالفة وفى مقدمتها قبيلة نبتاب التى تنتمى إليها دقليل .

هذه الأصول غير المتجانسة لبنى عامر تبرز بوضوح فى وضعهم اللغوى فبعضهم يتكلم لغة البيجا ، وبعضهم الآخر يتحدث التجرى فيما يستعمل الآخرون اللهجتان معا ، فبنى عامر كما ذكرنا سابقًا ليسو عنصراً واحداً ،بل تجمع قبلى يضم عدة قبائل من أصول متعددة فمنهم من ينحدر من الهدندوة فى السودان أو من قبيلة عد شيخ حامد فى التلال الشمالية ، وعدد من قبائل تنتمى إلى المهاجرين العرب وآخرون نازحين من إقليم الساحل والبعض من مملكة الفونج فى السنار ، وهى القبيلة الحاكمة التى تسمى بالنبتاب وينتمى إليها زعيمهم دقليل ويتوزع البنى عامر إلى ٢١ قبيلة وتعرف بأسم البطانه بالبيجاوية وبالعربية القبائل وكانت تنضوى كلها فى إطار ماكان يسمى باتحاد بنى عامر والذى شهد العديد من التغيرات ، حيث انضمت إليه تجمعات جديدة وانسلخت عنه تجمعات أخرى . والسبب فى ذلك نتيجة خلافات داخلية على الزعامة او صراعات شخصية بين زعماء القبائل المتحالفة ، ،حتى القبيلة الواحدة لم تسلم من التفكك والانقسام . ومن أهم قبائل بنى عامر .

١ - النابتـــــاب :

كانت قبيلة نابتاب بزعامة دقليل تحكم المديرية الغربية كلها والتى كانت تتكون من إقليم بركة والقاش حتى منتصف القرن العشرين عندما استبدل نظام النظارة السابق بالحكم المركزى فى عهد الفيدرالية . وهى من أهم قبائل بنى عامر وأكثرها غنى . وظلت تحتكر زعامة بنى عامر وفيها كان جميع زعمائهـم وحكامهـم ، ويتكلمون البيجا والتجرى وكان مقر حكمه تسمى

« زقا » وترجمتها مخيم وهى ترمز بدقة أكثر إلى المجتمع الكبير الشبه الدائم التى كانت تقوم مضاربه إلى جانب ما هو اليوم مدينة أغوردات حيث كان يقيـم الزعيـم الأعلى لبنى عامر ومنه كان يدير شئون قبائله الموزعه هنا وهناك.

وتعود أصول قبيلة النابتاب إلى رجل من الجعليين من مملكة الفونج بمنطقة النيل الأوسط . وتقول الرواية أن هذا الرجل تزوج بامرأه من قبيلة بلو السكان الأصليين الأوائل بالإقليم وتضيف الرواية أن أجدادهم الفونج غزوا سلطنة البلو ودمروا سلطانها كما ورد ذكرها فى أسباب زوال إمارة البلو على يد الفونج . ومهما يكن من أمر فإن الأمر المؤكد أن قبيلة النابتاب تعود أصولها إلى الفونج .

٢ - عـد عمـر :

تنقسم هذه القبيلة إلى خمسة فروع كبيرة ولكل منها كيانها المستقل .

١ - عد علام : ويتحدثون التجـرى .
٢ - عد حامد عوض : ويتحدثون بالتجرى .
٣ - عد هومبيرة : ويتحدثون التجرى .
٤ - عد هاسال : ويتحدثون البيجـا .
٥ - عد شياب : ولغتهـم البيجـا .

٣ - عـد عقود وعـد طـواس :

ترتبط القبيلتان بأواصر القربى الوثيقة فيما بينهما ويتحدث البعض منهم بالتجرى والبعض الآخر البيجا و كانت جزء من اتحاد بنى عامر .

٤ - عـد بخيت وسنكات كناب :

ترتبط هاتان القبيلتان بأواصر القربة الوثيقة فيما بينها وكذلك مع قبيلة النابتاب وانتقلت من حياة الرعى إلى حياة الحضر وتحولوا إلى مزارعين مستقرين . ويتحدث أبناء عد بخيت بالتجرى ، بينما يتحدث سنكات كناب البيجاوية . ويسكنون فى أقصى شرق وجنوب أغوردات .

٥ - عـد إبرهيم :

يتحدث أكثرهم التجرى فيما يتحدث بعضهم البيجة .

٦ - فيـداب :

وهم يتكلمون التجرى وينتمون إلى الأشراف ، ولعبوا دوراً كبيراً فى نشر التعاليم الإسلامية ومن مشاهيرهم سيدنا مصطفى الذى اشتهر بالتقوى والصلاح وتوجد قرية باسمه فى ضواحى أغوردات حيث يوجد ضريحه .

٧ - عـد شيخ غار ابيـت :

وهم ينحدرون من سلالة قبيلة عد شيخ ويتكلمون التجرى .

٨ - لبـت :

وهم يتواجدون ما بين نهرى القاش وسيتيت بين مدينتى تسنى وأم حجر بإقليم القاش ويتحدثون البيجا ، وينحدرون من قبائل الهدندوة بشرق السودان . وفى أثناء الحكم الإيطالى استبدلوا استقلالهم من اتحاد بنى عامر بحكم ذاتى كفرع مستقل من اتحاد بنى عامر .

٩ - عـد شـرف :

وهم يتحدثون بالتجرى والبيجا وينتمون إلى أصول عربية من القريش حيث

يعود نسبهم إلى أشراف مكة . وكانوا جزء من اتحاد بنى عامر .

١٠ - بيــت عــوض :

وتتحدث غالبيتهم بالتجرى وقليل منهم يتحدث البيجاوية .

١١ - عـــد غولتانـــا :

وهم يتحدثون لغة التجرى .

١٢ - عـد سـالا أو عيـداب :

ويتكلمون البيجا ويرتبطون بصلة النسب والقربى مع النابتاب وهم يقاسمون عد بخيت وتولياب الأرض الواقعة جنوب شرق أغوردات واعتمدوا مثلهم حياة المزارعين المستقرين الحضر .

١٣ - عـد نازاى وعـد هاسارى :

قبيلتان تنحدران من أصل واحد وتتحدثان البيجا والتجرى .

١٤ - عـــد علمـــان :

ويتكلمون البيجا والتجرى .

١٥ - عـــد حشيـــش :

ينتمى قسم كبير من أبناء هذه القبيلة إلى الهدندوة المتواجدين بشرق السودان ، ويتكلمون البيجا وكانوا قد انضموا إلى اتحاد بنى عامر أبان الحكم الإيطالى .

١٦ - افلنـــدا :

وهم يقطنون فى بركة السفلى وقد قد وشبّح بإقليم سمهر وينحدرون من أصول عربية . وعرفت القبيلة بالنزعة الاستقلالية حيث انفصلت من اتحاد

بنى عامر مع كل من عدها سارى وبيت معلا ويتحدثون التجرى وهم فى معظمهم رعاة كما يوجد من بينهم مزارعون .

١٧ - قبيلـــة ولـد نهـو :

وهى أحد قبائل اتحاد بنى عامر وتتحدث بالتجرى وتنحدر من أصول عربية.

١٨ - قبيلـــة دوبعـــات :

وكانت جزء من اتحاد بنى عامر ولغتها التجرى وقد تحدثنا عن أصولها فى فرعها بإقليم الساحل .

١٩ - قبيلـــة عـد شيـخ حامـد:

وهم من العرب الأشراف وينتسبون إلى جدهم الأكبر الشيخ حامد بن احمد بن نافعوتاى ، وهى أسرة دينية كما ورد ذكرها فى إقليم سمهر والساحل . وقد لعبت دورا اساسيا فى حياة المجتمع الإريترى ، حيث قامت بنشر الدعوة الإسلامية فى كل من بركة والقاش وأسلمت على يدها قبائل كثيرة وتحظى بالاحترام والتقدير بين أبناء المنطقة ، وتشكل جزء مهم من اتحاد بنى عامر ، وتتحدث بالتجرى وكما هو واضح فإنهم يلتقون بصلة النسب مع عد شيخ حامد فى إقليمى سمهر والساحل فى جدهم الأكبر الشيخ حامد بن أحمد نافعوتاى .

٢٠ - قبيلـــة اسفـــدا :

هى الفرع الآخر لقبيلة اسفدا التى ورد ذكرها فى إقليم الساحل وينتمى إلى أصول عربية وكانوا يشكلون جزء من اتحاد بنى عامر سابقا ويتحدثون التجرى .

٢١ - قبيلـــة رقبـــات :

هى قبيلة من أصول عربية من القريش وينحدر جدهم من سلالة عبد الرحمـن بن أبو بكر الصديق وكانت تشكل جزء من اتحاد بنى عامر ولها امتداداتها فى الساحل الشمالى وسمهر والقاش وفى عالا بإقليم أكلى غوزاى كما يوجد فرع آخر منهم فى سواكن بإقليم شرق السودان ويتحدثون بلغة التجرى ٠

٢٢ - قبائـــل المـــدا :

وتتحدث قبيلة المدا بالتجرى وهى من القبائل الكبيرة فى إقليم بركة وكانت جزء من اتحاد بنى عامر ولها امتدادات فى أقاليم إريترية أخرى مثل القاش والساحل وسمهر ، كما يوجد مجموعات منهم فى الهضبة الإريترية ٠ وهى تنتمى إلى أصول عربية وجدهم الأكبر يسمى محمود الماضى الذى ورد ذكره بأسهاب فى الفصل الخاص بإقليم الساحل ويعود نسبه إلى ذرية على بن أبى طالب ٠

وقد شهد إقليم بركه هجرة تجمعات من قبائل إريترية مختلفة بحثًا عن المراعى التى لم تجدها فى موطنها الأصلى ومن أهم هذه القبائل الماريا التى تقع منطقتها فى إقليم سنحيت والتى تناولناها فى موطنه الأصلى بإسهاب . وكلما شهدت منطقتها الجفاف انتقلت إلى بركة والقاش سعيًا وراء المرعى وبمرور الزمن استقر فريق من ماريا وبأعداد متزايدة فى بدايات القرن العشرين حيث استقر بهَم المقام بإقليم بركة وأصبحوا جزء من سكان المنطقة ٠

وظل الحال هكذا حتى عهد الإدارة البريطانية حيث استقلت كل قبيلة من قبائل بنى عامر بعموديتها وزعميها ، مُنْهِيَة ما كان يسمى بإتحاد بنى

عامر تحت زعامة «دقليل » وفى عهد الحكم الفيدرالى ارتبط كل زعيم قبيلة بالحكم المركزى .

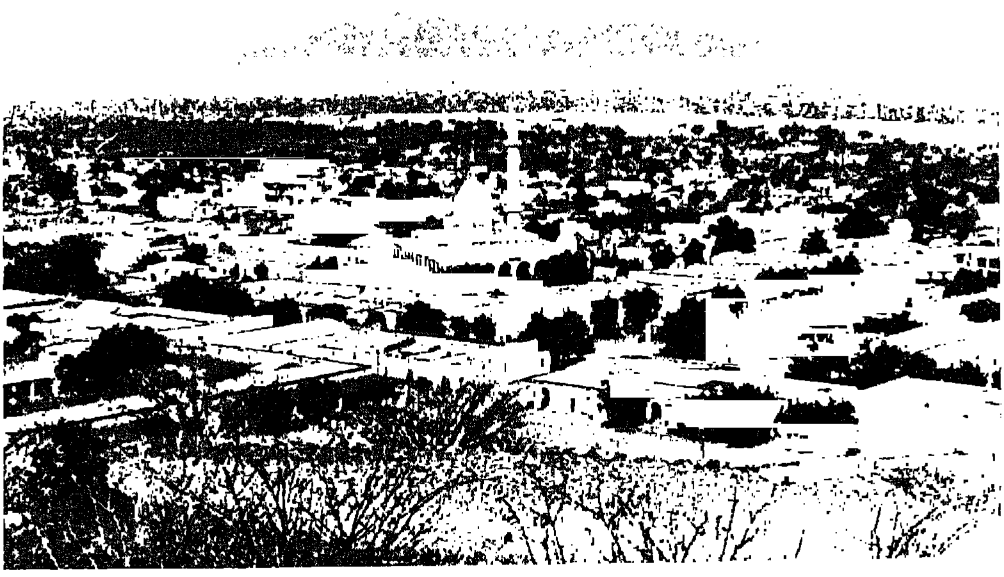
وخلاصة القول فإن قبائل بنى عامر بالرغم من أنها تنحدر من قبائل وأصول متنوعه إلا أنها اليوم تربطها مصالح مشتركة من الناحية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والجغرافية وهى تشكل فى النهاية وحدة متجانسة فى إطار حكم الأقلية مثل سكان المدينة أو القرية وبجانب هذا هناك عنصر آخر يشد أوصال بنى عامر وهو نمط العيش والحياة البدوية التى يحبونها كرعاة للمواشى من إبل وأبقار وأغنام وماعز ، وفى فصول الجفاف ينتقلون باتجاه الغرب حتى داخل السودان أكثر من اتجاههم إلى الشرق والجنوب بحثًا عن المرعى لمواشيهم . أما رعاة الإبل فيفضلون التحرك شرقًا باتجاه المنحدرات الغربية للمرتفعات والتلال الشمالية ويتوجه رعاة الماشية أحيانا نحو نهر القاش ويعبرونه ويصل بعضهم إلى مناطق أودية مناطق كرن وأكلى غوزاى وسراى فى الهضبة . وأما فى موسم الامطار فيتحرك معظم الرعاة باتجاه نهر بركة حيث تشكل القرى الصغيرة ومراكز شبه دائمة للقبائل ، ومع مرور الزمن تخلت بعض فروع بنى عامر عن حياة البداوة تقريبا وتحولت إلى حياة الحضر وإستقرت وعملت بالزراعة .

أهم المدن التابعة لإقليم بركة هى مدينة أغوردات وهى عاصمة الإقليم ومنصورةوكيرو.

مدينـــة أغـــوردات :

أغوردات هى عاصمة لإقليم بركة كما كانت فى السابق المركز الرئيسى للمديرية الغربية التى كانت تشمل بركة والقاش . وتقع أغوردات وسط منطقة زراعية وكان معظم بيوتها مبنية بالحجارة والقليل منها بالأسمنت . ترتبط أغوردات بمدينة كرن بخط حديدى طوله ٨٦ كم ويربطها بالعاصمة أسمرا

شبكة مواصلات . ومدينة أغوردات منطقة ترانزيت لاستيراد الحبوب من السودان خاصة فى سنوات القحط عندما تنقص المؤن فى المرتفعات الإريترية المعرضة باستمرار لمثل هذه الظروف الصعبة ، وهى تقع على ضفاف نهر بركة مما جعل منها مركزاً رئيسيا لصناعة الدوم .



صورة لمدينة أغوردات

الفصل الثالث والثلاثون

إقليم الساحل الشمالى - الأرض والشعب

أصول قبائل الحباب

الى الشمال والغرب من الهضبة تنتشر على طول الشريط الشمالى من السهل الساحلى وحول المرتفعات الشمالية ، تسكن قبائل الحباب فى هذا الاقليم ٠

كلمة الحباب تعنى قبائل عديدة ومتنوعة وكل قبيلة تنتمى الى اصول تختلف عن الأخرى ، وكان دائماً هذا الأقليم مركز تجمع لقبائل مهاجرة من الأقاليم المختلفة من سكان الهضبة والمرتفعات الإريترية وسمهر واهمها أقليم حماسين واكلى غوزاى حيث هاجرت مجموعات كبيرة وافدة من هذه المناطق على شكل افراد وعوائل وأسر واستقرت هذه المجموعات فى هذه المناطق بعد ان اخضعت السكان الاصليين القدماء الذين كانوا يتحدثون لغة التجرى ، فأقليم ساحل كان يضم مجموعات قبائل تنضوى تحت نظارة واحدة فى البداية وفى القرن التاسع عشر انفصلت عن بعضها البعض وكونت كل قبيلة نظارتها وعموديتها منذ عام ١٩٤٧ بعد حركة الاصلاح الاجتماعى التى قام بأنتفاضتها المرحوم الشيخ ابراهيم سلطان واهم هذه القبائل وابرزها هى :

١ - قبائل بيت أسجدى :

وقبائل بيت اسجدى ينتسبون الى الفضل بن العباس بن عتبه بن ابى لهب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد المناف واسلم جدهم – الفضل يوم فتح مكة المكرمة : والفضل كان احد شعراء بن هاشم المشهورين وفصحائهم المعدودين وكان شديد السواد ورثت عنه احفاده من الحباب بيت اسجدى نظم الشعر بلغة التجرى ٠

وتقول الرواية المحلية عن كيفية قدوم ابناء الفضل الى إريتريا ثم تكوين بيت اسجدى فى الحباب (ان ابن الفضل الأكبر استأجر سفينه بعد وفاة والده وعبر البحر الاحمر الى الضفة الغربية بأهله ورست السفينه فى ميناء تكلاى ثم ساروا الى الداخل الى الهضبة الارترية وانضموا مع اهلها ومن خلال التصاهر والتزاوج واصبحوا جزء منهم وكانت المسيحية هى الديانه السائدة فى المرتفعات فأعتنق احفادهم الديانه المسيحية وبمرور الزمن نسوا لغتهم العربية واستبدلت اسمائهم بأسماء محلية كسائر قبائل حماسين التى تقطن المنطقة وهى تعد من اكبر القبائل الشمالية وجدهم الكبير هو كنيتباى بؤمنت) .

كنتيـــباى بؤمنـــــت :

أتخذ جبل رورا ROURA عاصمـــة له وهـو أول جد لرؤســاء قبـــائل الحباب (بيت اسجدى) وقبلها كانوا خاضعين لسلطات بلو فى المنطقة حتى جاءهم فى سنة ٨٠٠ هـ شاب اسمه اسجدى ابن بؤمنت فأقام بينهم زمناً ثم احضر اباه من حماسين وسكن بينهم ورزق بؤمنت ٤ أولاد وهـم : ١- أسجدى ٢- أتكمى ATKAMI : وهما اشقاء وامهما من ماريا الحمراء ٣ - قعداد GIADAD
٤- بحالاى BAHAYLAI وامهما من ماريا السوداء (طلام)) بعد ان توفى والدهم « بؤمنت » ورثى اسجدى لقب والده كنتيباى .

ويقول الكونت روسينى (ان اسجدى بؤمنت ظهر فى سنه ١٥٠٠م وكانت بلاد الحباب خاضعة لسلطة البلو فى تلك الفترة) .

أستقل بهيلاى وشقيقه ببعض القبائل حسب وصية والدهم وهى ان كل القبائل التى تسكن فى الجبال يرأسها اسجدى وأما المجاورة لسواحل البحر الاحمر فيرإسها بحالاى .

كنتيبـــاى أسجـــدى :

تولى النظارة بعد وفاة والده وأختار مدينة نقفه مقراً لنظارته بدلاً من رورا واشتهر أسجدى بالتساهل مع كل من يرغب فى السكن مع الحباب خصوصاً العائلات العربية التى هاجرت من الجزيرة العربية إلى إريتريا او التى كانت تلجأ اليه من اضطهاد الاحباش ويعتبر اسجدى من أشهر اولاد كنتيباى بؤمنت وقد خلق أسجدى أمة ارستقراطية اشتهرت بالسيادة والرئاسة على كل من جاورها وانشأت لنفسها تميزاً عن سائر القبائل التى حكمها وكلما تولى منهم سيد الرئاسة خلف سلفه وسار على نفس الوتيرة وأيد ملكه وزاد فى سيادة أقاربه على القبائل التى تحت رئاسته . وانجب اسجدى عدة بطون وافخاذ التى تنتمى اليها قبائل بيت اسجدى ومن اهم احفاده كنتيباى أبيب بن جرجيس الذى انجب بدوره ولدين هما مفلس وعتماريام وبعد موت ابيهم تقاسم الاخوين السلطة مفلس تزعم جميع قبائل الحباب وعتماريام تبعته بعض المشايخ من الحباب واصبح منذ ذلك اليوم فرعاً آخر يسمى عتماريام بينما احتفظ فرع مفلس بأسم بيت أسجدى ٠

ولما توفى مفلس خلف اربعة ابناء هم (هبتيس – تكليس – شكر – ادريس) وتولى هبتيس الزعامة خلفا لوالده فى زعامة الحباب الا ان اخيه تكليس انفصل عنه فى حكم بعض القبائل من الحباب كما عمل عمه عتماريام ابان حكم والده وهكذا سميت المنطقة والقبائل الخاضعة لسلطته عد تكليس ٠

وتوارث زعامة قبائل الحباب احفاد اسجدى الى ان آلت الزعامة لكنتيباى عثمان ابن كنتيباى هداد . وفى عام ١٩٤٧ انحسرت زعامة بيت اسجدى فى الفروع التى تنحدر من اسجدى اما القبائل الأخرى فأستقلت بنظاراتها وعمودياتها مرتبطين بالسلطة المركزية مباشرة . واهم قبائل الحباب فى الساحل والتى كانت تحت حكم بيت اسجدى هى :

١ – بيت اسجدى
٢ – المدا
٣ – عدقى
٤ – أمور
٥ – كبيراى
٦ – فتتساى
٧ – اقدوب
٨ – حطوراى
٩ – طوراى
١٠– ميكال
١١ – أسفدا
١٢ – دقدقى
١٣ – دوبعات
١٤ – رقبات
١٥ – افلندا
١٦ – كادين
١٧ – أقلمبا
١٨ – مران
١٩ – عمدوى
٢٠ – تيقسنا
٢١ – بيت كبى
٢٢ – أتكمى
٢٣ – حرابسو
٢٤ – أتلل
٢٥ – نيب
٢٦ – سبجانو
٢٧ – كنكنا
٢٨ – أبى أو أباى
٢٩ – سكبو
٣٠ – تقر
٣١ – سلوين
٣٢– بيت لعاليت اساورت
٣٣ – أسيرة
٣٤ – سبور
٣٥ – دنكلى
٣٦ – توات
٣٧ – تلا
٣٨ – نيرى
٣٩ – سيهو
٤٠ – مورتى
٤١ – ستبو
٤٢ – قوين
٤٣ – دنقين
٤٤ – دين
٤٥ – داقر
٤٦ – بنى هلبه

كانت قبائل بين اسجدى فى الاساس تعتنق المسيحية الأورثوذكسية بينما كان رعاياها من قبائل التجرى يدينون بالاسلام ثم اصبحت لغتهم التجرى واعتنقوا الديانه الاسلامية .

وقبائل بيت اسجدى وعتماريام كانوا من الرعاة البدو يملكون ثروة حيوانية كبيرة من المواشى وكانوا يعيشون فى مضارب متنقله ويقودهم نزوحهم الموسمى فى فصل الشتاء حتى الشاطئ واحيانا بأتجاه الشمال حتى داخل السودان وكانوا يحافظون على مواقعهم التقليدية لمضاربهم التى كانت تشكل مركزاً شبه دائم للقبيلة المتنقلة والنبلاء فيهم الذين أقل ترحلا يستقرون فى القينا ومأبة ونقفه . وكانت القبيلتان تمارس بعض الزراعة قرب المواقع القبلية وكان يقوم بتنظيمهم السياسى على أسس قبلية وتشمل سلطة الزعيم كل ابناء القبيلة حيث قادتهم نزوحاتهم .

اما قبيلة عد تكليس الاكثر جنوبية فقد اعتمدت الزراعة على نطاق اوسع بكثير وهى تمارس اليوم حياة شبه حضرية .

وهكذا كان الوضع القبلى لهذه القبائل بما فيها بقية قبائل الحباب واما اليوم الغى كل هذا النظام واستبدل تدريجيا من حكم القبيلة الى السلطة المركزية للاقليم كسائر القبائل الإريترية الاخرى التى كان يسودها الحكم القبلى .

المـــــدا :

وهى من اكبر قبائل الحباب التى تسكن سهول رحيب شتاءاً وجبال أقرع صيفاً وهم من القبائل العربية القديمة التى هاجرت الى إريتريا من الجزيرة العربية ويعود نسبهم الى على بن طالب وكان أول من استوطن مع الامويين العرب منطقة عقيتاى بالقرب من الحدود السودانية . وبعد ان شهدت المنطقة صراعا وحروب هاجرت القبائل العربية الاخرى الى داخل بركة وكان محمود الماضى (المداى) جد قبيلة عموم المدا يسكن ايضاً فى هذه المنطقة مع انجاله واقاربه وكان متزوجا من امرأة من قبيلة دوبعت وهى أخت كنتيباى تقس ابن بقس وكان حاكم دوبعت ورزق منها سبعة اولاد وبنتا واحدة وهم :

١ - ادريس - كبيراى)　　٢ - على (اموراى)　　٣ - حامد (حطوراى)

٤ - حسين (قبيئاى)　　٥ - حسن (طوراى)　　٦ - عمر (اقدوباى)

٧ - موسى (قنتئاى)　　٨ - فاطمة (قماميت)

والتى قيل انها لم تكن تسرح شعرها فأنشأ هو وإبناءه مملكة فى عقيتاى وبلغت اوج عزها ايام الزعيم همد سلطان وقد اعتنى بتربية الخيل والجمال وتعاقبت عليهم السنون والايام حتى ايام ولاية حفيده حامد بن موسى سلطان . وقد تفرعت من ابناء محمود المداى عدة عائلات غير المذكورة واشهرها :

١ – عد ابو بكر (بيت نظارة) . ويليهم عد سلطان (بيت الوزارة) ثم فضيل وشرشر وسروا وبادين BADEIN ولهم زعامة دينيه وعد ابو القاسم وهم ايضاً من بيت الزعامة الدينيه فى المدا ونقلت الى عد فقيه سعيد .

ويقول المؤرخ محمد صالح ضرار فى كتابه تاريخ قبائل الحباب والحماسين بالسودان وإريتريا قائلا (لم تكن المدا تهتم بالانساب فى العصور السابقه ولكن فى ١٩٢٥ وجدت فى امبيرمى بمصوع رجلا منهم يقال له الشيخ محمد على ابو بكر يهتم كثيراً بالانساب وألحق نسب المدا بأمير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه فأخبرته بأن شرف النسب لايجديه شيئاً فقال لى اننى سافرت الى مكة المكرمة ثم الى بلاد الشكرية فى القضارف وبنى عامر واثبت النسب لما تأكدت من صلة النسب التى تربطنـــا بـ عد تبقسنا TABAGGASNA وهى من القبائل المشهورة بأنتماءها الى على بن ابى طالب والنازحة من مكة المكرمة ووجدت معها شجرة العائلة التى تؤكد انتماءنا لعلى ابن ابى طالب .

ويقول صالح ضرار فى مواصلة روايته فى سنة ١٩٢٣ قابلنى ببلاد الهدندوة فى قرية محمد بك موسى الناظر السابق لأحدى مشايخ الشكرية وقال لى هذا الشيخ أوصيكم بأقاربنا القاطنين معكم فقلت له من هم فقال الى كل قبائل المدى واخبرنى هذا الشيخ ان المداى هو ابن مهيد MIHEID بن شكرين التويم وكان يتولى زعامة المدا فى ذلك العام ١٩٢٥ الشيخ محمد على بن محمد بن حمد شنقب وهو من احفاد حسين (قيئاى) بن محمود المداى وتنتمى قبيلة هؤلاء المشايخ الى قبيلة عد قيئ وكانت يوما من الايام من اقوى قبائل الحباب الساحلية .

وابناء المداى هما اثنان :

١ – مندلاى حامد : وهو جد عموم قبائل ترقيلى TERGELLI يقال لها قيح وطلام .

٢ - والثانى هو محمود المداى وله من الابناء السبعه الذين سبق ذكرهم واما ابنته فاطمة (قمامبت) فتزوجها ميكائيل المدا وهو من ابناء عمومة المداى وهى التى تناسلت منها قبيلة ميكال .

وكان لمحمود المداى ذرية اخرى من ام ثانيه غير الابناء السبعة وهم ثلاثة ابناء :(حلحلا HALHALA – ستبو SATBO – سبوارى SIBOURAI)

وتنتمى الى المدا قبيلة اتليل ATLIL وهم من ذرية درب من طعدا وابناء بشيلاب ومنتاى وعمار وهم بيت العمودية والرئاسة واشتهر فى المدا زعيم أسمه موسى بن سلطان أبو بكر . وفي المدا مشايخ وزعماء دينيون منهم عد شيخ ابو القاسم وكان يرأسهم الشيخ محمود قاسم ومن اهم قبائل المدا من ابناء محمود المداى :

١- أمــــور :

وهى احدى قبائل المدا التى انشأها على أموراى ابن محمود المداى وكانت تسكن فى احدى ضواحى نقفه حتى ظهرت سلطة بيت أسجدى الحباب على كل القبائل القاطنه بين وادى ادهرا ووادى رحيب مخضعة لسلطة الحباب كل عائلة امور وكانت قبل ذلك تحت رئاسة دويعت ورفض بعضها الاذعان لزعامة دويعت وارتحل الى اراضى بنى عامر وهناك ايضاً اضطروا لقبول زعامة دقلل من النبتاب حتى سنة ١٩٤٦م حتى كونت عموديتها ومشيختها كبقية قبائل التجرى المنفصلة من سلطات دقلل وبيت اسجدى .

٢- كبيراى وهم من ذرية ادريس كبيراى الأبن الاكبر لمحمود المداى .

٣- قنتيئاى : وهو موسى ابن محمود المداى .

٤- أقدوباى : وهو عمر ابن محمود المداى واشتهرت القبيلة بالاقدام والشجاعة

وكانت تشارك قبائل الحباب والبنى عامر فى مواجتها الغزاة الذين كانوا يغيرون على هذه القبائل ولم تخلو معركة او غزوة الا فى مقدمتها رجالات الاقدوب . ومن اشهر عمدهم الشيخ محمد صالح محمد وهم اول من طالب بالانفصال من نظارة الحباب سنة ١٩٢٠ م .

٥ – حطوراى : وهو حامد ابن محمود المداى ، وسكنت ذريته مع قبيلة ماريا طلام وهو الذى سلب من خاله طقس ملابسه بعد مقتله على يد اخيه اموراى وتعرف ذريته بين القبائل بأبناء اب سلاب وكانوا كغيرهم من قبائل التجرى متفرغين ولكن بعد ظهور الاصلاح الاجتماعى اخيراً ردت كل عائلة الى اصولها وكونت مشيختها وعموديتها

٦ – طوراى : ويسمى جدهم حسن ابن محمود المداى واليه تنسب قبيلة طوراى والتى انفصلت عن سائر قبائل المدا فى ايام رئيسها الشيخ عامر ملاطى واستوطن بقبيلته في أكات وأفعبت وهى اماكن ذات مراعى خصبة وبها اشجار كبيرة وسكانها اهل المروءة والكرم . وقبيلة طوره تلى قبيلة عد قيئ فى الكثرة وسائر الإجتماعيات وكان رئيسها الشيخ سراج محمود كركور .

٧ – قييئاى : وهو ابن حسين محمود المداى وتنتمى اليه قبيلة عد قيئ وهى من أكبر قبائل المدا ومشهورة بالشجاعة والاقدام ومن اوائل من تمرد على سلطة كنتيباى .

ملحوظة

ان اسم محمود المداى الحقيقى هو محمود الماضى ولجهل الناس بالنطق الصحيح حرفوه الى المدا .

قبيلــة ميكـــال :

قبيلة ميكال أو ميكائيل : تطلق على ذرية فاطمة قماميت بنت محمود المداى وهى المنطقة التى سكن بها ميكال مع اهلها ولما تكاثرت ذريته ارتحلوا الى محكاك سوميت شمال قرورة فأندمجت فيهم عدة قبائل من البيجة والحماسين والتجرى وصارت ذات شوكة وقوة خصوصاً حين تولى نظارتها ادريس بن يوسف .

قبيلـــة دوبعـــــات :

قبيلة دوبعات هى من اقدم القبائل التى هاجرت من الجزيرة العربية وهى من القبائل التى قدمت بصحبة الشيخ معلم ومعها قبيلة الشيخ ابو القاسم عبر مصوع. فى بادئ الامر استقروا فى ذقة محراد واطاى بالقرب من ام كلو فى مصوع ثم توغلت لداخل اقليم الساحل واندمجت مع التجرى فلما ازداد عددهم وتكاثرت ذريتهم انشأوا عمودية تحت نظارة المدا وانضم باقيها الى الحباب والبعض الآخر الى بنى عامر والجزأ الآخر الي افلندا والنبتاب ومن اشهر رؤسائهم الشيخ حسن بن دبع المدفون غرب قرية امبيرمى فى مصوع وكان له هناك غار يتعبد فيه حتى توفى وخلفه ابنه حسين طلال الدين في الزعامة وكان تقيا مثل ابيه وعندما توفى دفن فى ايدقرسا ويزار قبره مثل قبر ابيه فى الحوليات وهم من قبائل قريش .

ومن اشهر رجالات دوبعات شوم تنقس بن بقس اذ كانت احكامه فى منتهى القسوة والشدة على رعيته وهم قوم طيب الخلق والكرم ومسالمون فيعجب المرء كيف ظهر بينهم حاكم مستبد مثل تقس بجرائمه ومصائبه التى لا تحصى والتى ادت بقتله وضياع سلطانه فى النهاية .

وتتفرع قبيلة دوبعات الى ثلاثة اخوان وهم (احمد وكمهولاى KUMHOULAI وبرقيلاى . BARGILLAI)

وكلهم من ذرية الشيخ حسن دبع وليس لهم فى قبائل الحباب او بنى عامر اقارب الا فى عمودية ابناء معلم اى عد معلم فهم اقرب القبائل اليهم وبعد ان ضعفت شوكتهم انضموا الى الحباب وتعاقبت عليهم عدة حكومات وهم تحت تلك السلطات ولم يستقلوا بعموديتهم الا بعد سنة ١٩٤٧م . وتشتهر القبيلة بالزراعة والمواشى واغلب اهل دويعات تسكن مع عجيلاب والبهدور فى عدوبنه .

اسبـــاب مقــتل تقـــس

تحكى الروايات المحلية عن قصة مقتله ، قيل انه كان يجلس على كرسى ملكه وهى من صخره كبيرة وبيده حربته ثم يقول اتونى بزراع شاب لأدهن من نخاعها حربتى . لقد اعتاد ان يقطع ذراع شاب فى السنه فى حالة عدم خروجه فى الغزوات حيث كان يقطع ذراع اى شاب من الأسرى ويدهن بنخاعه حربته وكانت تسمى حربته نوريت اما فى حالة عدم خروجه فى الغزوات كان يؤتى له بشاب من كل عائلة سنوياً فيقطع ذراعه فيعود الشاب الى اهله فى حالة تفتت الاكباد ويروى ان الدور هذه المرة جاء على قطع ذراع احد ابناء محمود المداى وهم ابناء اخته فأرسل الى امهم كى تبعث اليه بمن يتبرع بزراعه لحربة خاله فوافته اخته تبكى وتحث التراب على رأسها فقال لها لا مناص من تسليم ذراع احدهم مضطراً لكى اعدل بين رعيتى واساوى بينهم فى السراء والضراء فأبعثى الى بأدريس فقالت له انه كبيرهم وقال لها فعمر فقالت انه أقدوباى وهى متفائله به منذ ولادته فلم تجدب الارض فقال لها اذاً فذراع حسين فأجابته أنه مريض دائم التقيؤ فقال لها فليكن حسن فقالت له أنه حطوراى بمعنى حصنى وذريبتى التى احتمى بها من الاعداء والوحوش فقال لها لابد من ذراع موسى او على فقالت له ان الاول هو قنتئاى ومعناها سندى الذى اعتمد عليه فى كل امور العائلة واما الثانى على فهو أموراى اى اكثرهم شبهاً بى فقال لها انتى تعترضين على اوامرى وهذا لا ينجيهم من قطع

ذراع احدهم فأذهبى واستشيرى زوجك وانجالك عسى ان يتطوع احدهم بذراع لدهن نوريت فعادت الام الى بيتها ونادت بنيها واخبرتهم بأ وامر خالهم . فقال لها على اموراى انا اصغر اخوتى ولا انفع كثيراً فسلمينى اليه فقال اخوه حامد (حطوراى) انا لا اوافق ان ترى والدتى بعينها قطع ذراع ابنها ولذلك سأذهب معك وقامامعا وإتفقا وهما فى الطريق على قتل خالهم بحيلة حسب خطة اتفق عليها الاخوة السبعة فلما وقفا امامه قال لهما ايكما المتطوع فأجابه اموراى انا المتطوع غير انى ارجو منك ايها الخال ان تطلعنى على حربتك نوريت هذه قبل قطع ذراعى فناولها له فهزها اموراى جيداً ثم غرسها فى صدر خاله تقس فسقط من على صخرة ملكه فأدركه ونزعها من صدره وكرر الطعنات وكان يقول عند كل طعنه انا اب رقاز ANA ABRAGAD ومعناها انا ابو الطعان ثم هجم عليه حامد (حطوراى) وخلع منه ملابسه وقال انا اب سلاب ANA ABSALAB ومعناها ان ابو الاسلاب ، ثم عادا الى اهلهما فرحين بعد ان اراحا الناس من طاغية جبار كان كابتاً على أنفاسهم ويروى ، ان تقس لما سقط عن عرشه وهو عبارة عن صخرة مرتفعه عليها صورة حربته نوريت ونعليه وجلد ابن بقرته التى كان يحبها قائلا اخفو قبرى من الناس لئلا يتبول على خصومى او يحرقون جثتى . فدفنوه بجوار صخرته فى وادى حداى HIDAI عند اكلت نئيش KALLAT NEISH

قبيلــــة أسفـــــدا

يطلق هذا الاسم على ذرية دويد DEWEID ابن اسفدا وقيل انه اختلف مع اخوانه سعيد وعوض وسعيده فرحل دويد عنهم الى جبال أفعبت وهناك وجد قرية استطاب المقام فيها ثم صاهر رئيسها ورزق اربعة ابناء هم :

١ – عثمان ٢ – قصير (اى حشير) ٣ – رييم ويلقب بطعدة اى الابيض

٤ – اشهد ASH-HAD . ومع توالى الايام والسنين انشأ ابناء داويد واحفادهم

عمودية مستقلة تحت نظارة الحباب حتى كانت ايام نظارة كنتيباى فكاك بن ناود وانقسمت اسفدا الى عدة افخاذ وبطون وبقت رئاسة اسفدا فى عائلتين عد دوين DAYIN وعد حامد شلع SHALE الذين اشتهر منهم الشيخ محمد على فكاك حامد شلع رئيس القبيلة آنذاك فى ايام المهدية وكان لهم نظارة وآخر نظارها الشيخ موسى سلطان من عائلة طاطاى . وفى ايام كنتيباى فكاك بعض قبائل انضمت الى بيت عوض والبعض الآخر الى افلندا ونبتاب عد عمر وعد هاسارى وبقيت اكثريتهم فى الحباب ، وبعد قدوم الإيطاليين استقلت قبيلة اسفدا بنظارتها وكان اول ناظر لها اسمه الشيخ حامد عبد الكريم فى الساحل واما فى بركة كانت النظارة فى الشيخ داود ادريس والعمودية فى الشيخ محمد سالم محمد من مشاهيرهم السـيد على موسى رداى رئيس اول برلـــان إريتـرى والشيخ محمد على باناى واشهر عائلات اسفدا هم عد ابناء داين DAYIN وطاطئ TATTI وايمان وهؤلاء هم من ابناء طعدا وابناء عثمان هم عد أب عوض AWUAD وهم ذرية احمد منتاى وابناء شريوت وهم من ابناء ذرية محمد منتاى .

وقبائل اسفدا تنتمى الى اصول عربية من الجزيرة واكثرهم ينتمون الى رجل عربى يسمى حذيفة من بنى تميم فى الحجاز .

دقـــدقـــى

وهى احدى القبائل النازحة من الجزيرة وذى اصول عربية ومن اهم قبائل التجرى المجاورة للحباب فى سكنها وكانت فى قديم الزمان مستقلة عن نظارة كنتيباى حباب ولم تكن تابعة له بل كان لها نظارتها وعموديتها وزادت دقدقى قوة وكثرة بالقبائل العربية التى كانت تهاجر اليهم من سواحل البحر الاحمر الشرقية اذ تبدأ بمصاهرتهم ثم نشر تعاليم الدين الاسلامى بينهم وبين مجاوريهم وكان مسكنهم القديم وادى دسيت فى سمهر وكانت تسكن دقدقى السهول وكانت تعتنى

بتربية الابل التى كانت ترعى حول مصب وادى حداى HIDAI .

اسبـــاب زوال ملـك دقدقـــى

تقول الروايات المحلية انها كانت تدخل فى صراعات كبيرة مع القبائل المختلفة المجاورة لها مما اضعف من سلطانهم وملكهم نتيجة للحروب الكثيرة التى خاضوها مع القبائل وتذكر الرواية على سبيل المثال هذه الواقعة .

ضمن سلسلة حروبهم مع غيرهم فى أخريات أيامهم حيث دخلت الحرب مع قبيلة طوراى احدى بطون المدا والسبب اذ خطب ابن رئيس طورة ابنة ناظر دقدقى المدعو كنتيباى على بن يعقوب واتفق رجال القبلتين على يوم معين تحضر فيه قبيلة طورة برجالها وجمالها ومعها العريس وبعض نساء القبيلة بجمال عليها هودج ويسمونه بالتجرى باشور BASHDUR وهم كما يقال لهم بالتجرى وردى فلما وصل ركب العريس وادى دسيت DASEIT المشهور بكثرة شجر الأراك اخذ كل منهم سواكا يستاك به كما تزودوا بكمية كبيرة كى يقسموه بين اهاليهم عند العودة ثم استأنفوا سيرهم حتى وصلوا قرية ناظر دقدقى فخرج للقاءهم برجاله مرحباً بقدومهم حسب العادة المتبعة فى تقاليد القبائل فلما شاهدوهم يستاكون استاؤا جداً ولكن الناظر تمالك نفسه وتجلد بالصبر وامر بأنزالهم فى المكان المعد لهم ووضعت سيوفهم وسروج جمالهم فى مكان بعيد عنهم واوقدوا فيها النيران فأحترقت جميعها واصحابها لا يعلمون ولما اصبح الصباح اعطاهم الناظر ابلاً كثيرة وسلمهم ابنته كما هى العادة بعد ان تم عقد القران ودخل مجلسه الخاص فطلب رجال طورة من دقدقى السروج والاسلحة فأجابوهم اننا احرقناها جميعاً لأنكم قطعتم اغصان آراك من وادى دسيت من غير إذننا فقد غضب ابناء حسن طوراى واخذوا الأبل والزوجة وصاروا غير بعيد من وادى دسيت وامروا العريس ابن زعيمهم ان يحلق شعر زوجته وفعلاً مسكتها له النساء الموجودات معه ونفذوا فيها

الأمر ثم ردوها الى اهلها جزاء حرق السيوف والسروج . واستاءت الزوجة لأنها اخذت بجريرة هى بريئة منها فعادت الى اهلها ولسان حالها يقول رحلت اليه من بلدى واهلى فجازانى جزاء الخائنين وقد عاد العريس ورهطه الى ديارهم بالأبل وتقاسموا الأبل فيما بينهم واخذ كل من فقد سرجاً او سيفاً ناقة عوضا عما فقدوه وخافوا ان تدركهم دقدقى فرحلوا الى تقدره TAQDARA وهو جبل قصير واقع فى الشمال الغربى من العقيق وهناك وجدوا خيام قبيلة محمد داب الهدندويه فأستجاروا بها فأجارتهم وانشأوا بأتفاق بينهم وبالتعاون مع قبيلتين من ابناء المدا ابناء عمومتهم قوة تغزوا قرى دقددقى من مكان الى آخر فأختفت آثار دقدقى وأقلقت راحتها حتى هربت من وجههم ولجأت الى مصوع واستجارت ببلو حرقيقو فنهضوا معها وحالوا دون غزوها حتى دعى كنتيباى حباب رئيس طورة ودقدقى واصلح بينهما ورضى ان يكون تحت نظارته ولكن بعض عائلات من دقدقى رفضت الصلح وانضمت الى عد تكليس وغالبيتهم انضمت الى عتماريام ومع توالى الايام والسنين اندمج باقيهم فى الحباب .

واشهر عائلات دقدقى هى ، مرتاى MIRTI ، تسبوى TASBOI ، أبوى ABBOY ، كنكنا KANKANA ويقال انها من أب حشيلا وهى فرع من قبائل الحماسين وقد انضمت كنكنا أخيراً الى أب حشيلا عندما تحررت سبحانو SIBHANO واشتهرت دقدقى بالشهامة والشجاعة ويقال ان احد نظارها الاقدمين المدعو على ولد معو امتد سلطانه على القبائل التى كانت تسكن عائليت وقمهوت وعسوس وقاتل جيوش الفونج فى مصوع وعموم سمهر بالتنسيق والتعاون مع بلو التى كانت قائمة سلطاتهم فى حرقيقو ولما زالت سلطة دقدقى رثاها شعراء القبائل وامتدحوا فروسية شجعانها وشهامتهم ، وكان لقبيلة دقدقى نظارة وعموديات كثيرة ومن اشهر نظارها فى العصر الحديث الشيخ محمد على حسن على .

رقبـــــات

قبيله رقبات : وهى من القبائل العربية الكبرى فى إريتريا التى هاجرت الى إريتريا من الجزيرة العربية بالحجاز وينتهى نسبها الى عبد الرحمن بن ابو بكر الصديق وكانت من القبائل العربية القرشية التى هاجرت بأعداد كبيرة ومعها مواشيها ويؤيد ذلك المؤرخ الكبير ابن حوقل الذى زار اقليم شرق السودان فى سنة ١٠٠٠ ميلادية وذكر انه وجد قبيلة رقبات تسكن حول ضواحى سواكن وهى من اقدم قبائل القريش فى هذا الاقليم مثلها كمثل اسفدا .

كما روى لى عن انساب الحباب الشيخ المرحوم ابراهيم سلطان على فى القاهرة ان قبيلته الرقبات تنتمى الى قبائل قريش التى قدمت الى إريتريا منذ الف سنه وهم من اقدم القبائل العربية المهاجرة الى إريتريا وقال انهم من احفاد ابو بكر الصديق رضى الله عنه وتؤكد ذلك الروايات المحلية فى إريتريا والسودان من زعماء هذه القبيلة ولم تخضع قبيلة رقبات لأى سلطان حتى رحلت إلى أرض الساحل فى افلقة كما لا يخضع معظم القبيلة لسلطات بيت اسجدى حيث رفضوا الامتثال لأوامر بيت اسجدى وهجر عدد منهم الساحل وتفرقوا فى سائر اقاليم إريتريا وسواحل البحر الاحمر حتى تجمعوا فى سنة ١٩٤٧ فى نظارة مستقلة بعد ان استقل ابناء عمومتهم الذين كانوا تحت نظارة كنتيباى عثمان وانشأوا نظارتهم برئاسة الشيخ ابراهيم سلطان الذى تنازل عنها لأخيه حسن سلطان فكان من ابرز نظار قبيلة رقبات . كما اشتهر من رؤساء رقبات بالتقوى والصلاح الشيخ ابو حواء حمد بن عيسى فقد كان حواريا للسيد الأمين بن حامد بن احمد نافعوتاى كما تولى نظارة رقبات ١٩٥٦م السيد يوسف بن فكى على وكانت توجد نظارة لقبيلة رقبات فى اقليم بركة والقاش بأغوردات بجانب اقليم الساحل وكان يتولى النظارة فيها الشيخ محمد ابراهيم شاطر وكان من اشهر النظار الذين يؤيدون

الحرية والاستقلال لأرتريا وله مواقف شهامة وقفها ضد خصوم الحرية ويعد من ابرز زعماء الحركة الوطنية

ومن أبرز رجالاتها الشيخ ابراهيم سلطان على الزعيم الإريترى المعروف والذى ناضل في سبيل الحرية والاستقلال ومؤسس الرابطة الاسلامية وزعيمها وكان الشيخ ابراهيم سلطان يعد من أكبر المصلحين الاجتماعيين حيث كان ينادى بالمساواة والتآخى بين ابناء الوطن الواحد . والمساواة والعدل بين الناس في الحياة الاجتماعية والسلطة الادارية والسياسية فى كل الاقاليم كما نذر حياته للدفاع عن وطنه المغتصب ضد الاحتلال الاثيوبى فكان قد سبق عصرة ومن ابرز الزعماء الذين كانوا ينادوا بالتعددية السياسية والديمقراطية والعداله الاجتماعية فى البلاد والتمسك بوحدة الوطن الإريترى ارضاً وشعباً وكان من اشد المقاومين لمشروع التقسيم لأرتريا فى فترة تقرير المصير .

عـد معلـم

عد معلم : وهم من القبائل القرشية فى مكة وكان جدهم الكبير الشيخ حب الدين المعلم الذى قدم من الجزيرة العربية وبرفقته شيخ دوبعات وكبى وابو القاسم وكلهم من اشراف قريش الذين فروا هرباً من الاضطهاد الأموى للأشراف .

وفى بادئ الأمر استقر الشيخ معلم فى ذقا محراد وطاى بالقرب من ام كلو بمصوع ثم توغلت ذريته الى الساحل الشمالى ومرتفعات اكلى غوازي ويعود اليهم الفضل فى نشر الاسلام وتعاليمه بين الوثنيين فى المنطقة اذ كانوا اناس منصرفون للعبادة ومن مشاهيرهم الشيخ بشير سالم على بن معلم .

وابناء معلم هم حمد وسكن مصوع . ولما تكاثرت ذريته رحل الى وادى

ادرهمه بالساحل بينما بقى بعضهم فى عسوس بسمهر اما على فقد ارتحل احفاده الى داخل المرتفعات لنشر الاسلام فإستقروا بخور باريا بأقليم اكلى غوازي كما ينتسب اليهم اسرة الشيخ مزمل المعروفة فى الجبرته . كما يتفرع عنهم عد معلم ذقا وعد تكليس .

وهكذا يتضح لنا انتشار قبيلة عد معلم فى انحاء الأقاليم الإريترية الثلاثة : سمهر الساحل واكلى غوازي . وكانت قبيلة عد معلم بالساحل ضمن نظارة كنتيباى الحباب ثم استقلوا بنظارتهم وتجاورهم فى الساحل كل من عتماريام وقداداى من اسفدا وطوره . أما فى سمهر حافظت على استقلالها بزعامة رئيسها المعروف بـ (الشوم) ويمارس بعض ابناء هذه القبيلة الزراعة والرعى ولغتهم التجرى ويدينون بالأسلام .

عــــد شيــخ حامـــد

تقع مناطق عد شيخ حامد بين مناطق الحباب فى الشمال وعد تكليس فى الجنوب.

لقد تحدثنا فى السابق عن هذه الاسرة الدينية التى لعبت دوراً اساسيا ومهماً فى نشر الدعوة الاسلامية وخاصة فى اقليم بركة والساحل الشمالى حيث يستقرون الأن هناك . وتنتمى هذه القبيلة لأحدى قبائل قريش العربية ويعود نسبهم الى اشراف مكة كما هو واضح فى الفصل الخاص بإقليم سمهر .

ويعود تاريخ تواجد القبيلة حيث هى حاليا الى عام ٨٠٠م .

وقد ادت العلاقات الوثيقة التى اقامتها قبيلة عد شيخ حامد مع جميع القبائل المجاورة الى فقدان لغتها العربية واصبحت لغة التجرى لغتهم اليوم وعلى مر الايام والسنين انقسمت القبيلة الى عدة فروع . فنزحت الفروع المختلفة لهذه

القبيلة فى عدة اتجاهات مثل اقليم بركة وسمهر وشمالاً الى الساحل وطوكر بالسودان . بينما بقى الفرع الرئيسى فى تلال نقفه ويطلق عليهم حاليا أسرة الشيخ عمار بينما يطلق على المتواجدين فى بركة وسمهر عد شيخ حامد . وكانت تحظى هذه الاسرة بأحترام وتقدير جميع السكان الذين جاوروهم فى الاقاليم المختلفة لما عرف عنهم من التمسك بتعاليم الدين الاسلامى ونشره واهتمامهم بأقامة الخلاوى القرآنية ومن اشهر رجالاتهم الشيخ محمد ابن على الذى اشتهر بالتقوى والصلاح والورع فكرمه الناس بأعتباره احد اولياء الله الصالحين اقاموا له ضريحاً فى قرية امبيرمى بضواحى مصوع عند وفاته ١٨٧٧م ولايزال مزاراً يزوره الناس فى حولياته السنوية وبرز فى هذه العائلة في القرن العشرين الشيخ الأمين ابن الشيخ عبد القادر وكان مشهود له بالتقوى والورع وكان ولياً من أولياء الله الصالحين ودفن مع والده وجده بقرية امبيرمى .

وبيت الشيخ حامد منهم الرعاة المتنقلين بمواشيهم بحثاً عن المرعى ومنهم حضر مستقرون فى مناطق عدة ومنها شعب وامبيرمى وأفعبت بالساحل .

وفى الساحل والبركة كانوا يعتمدون نظاماً سياسياً قبلى الطابع وكانوا يخضعون لسلطة زعيم وراثى يسمى الناظر او الشيخ .

قبيلــة عــد شيــخ درقــى

وهم من احفاد الشيخ احمد درقى ابن الشيخ عمر ابن سالم ابن فقيه محمد موطن القبيلة الاصلى زولا بأقليم سمهر حيث قدم الشيخ احمد درقى مؤسس هذه القبيلة ولهم ابناء عمومة فى كل من سمهر واكلى غوازي وسراى من ذرية فقيه محمد آل زبير . ولهم الفضل الكبير فى نشر تعاليم الدين الاسلامى فى الساحل وهم من اصحاب الامامة الدينية لعموم قبائل الحباب حيث يعود الفضل الى جدهم

فى نشر الدين الاسلامى بين بيت اسجدى فى عصر كنتيباى جاويد واشتهرت القبيلة بالجود والكرم والشهامة والنخوة العربية . ومن اشهر زعاماتهم الدينيه الشيخ حسين بن عبد العزيز ومن اتقياءهم ابناء الشيخ محد نور وحق الدين وسعد الدين ومحمد دين وكانت لهم زعامتهم المستقلة عن نظارة بيت أسجدى حيث كانوا يحظون بالتقدير والاحترام من الجميع كما ذكرنا .

قبيلة بيت معلا

يعود نسب هذه القبيلة الى اصول عربية من الجزيرة العربية حيث قدم منها جدهم وتعيش على التلال والسفوح قرب منطقة الحباب ويتواجدون اساساً بمنطقة قروره بالقرب من الحدود السودانية . وحافظت على استقلالها برئاسة زعيمها الملقب بالشوم .

وقبيلة بيت معلا مشهود لها بالشجاعة فى القتال حيث حاربت قوات المهدية فى اقليم بركة مع سائر قبائل المنطقة ويتواجد فرع آخر من قبيلة بيت معلا فى منطقة بركة لعلاى . وكان يشكل هذا الفرع جزءاً من اتحاد بنى عامر تحت نظارة دقلل قبل إنفصالها منه ضمن حركة الاصلاح الاجتماعية التى شهدتها المنطقة فى الاربعينات وهى تدين بالاسلام وتتحدث التجرى والبيجه معاً .

بيت دروُ

بيت دروُ هى من اقدم قبائل الحباب فى المنطقة وكانت تسكن حول جبال رورا وذلك قبل ظهور بيت اسجدى وبعد ان زال ملكها وضعفت شوكتها اصبحت هذه القبيلة تخضع لسلطات بيت اسجدى .

بيــت كبــى

وهى الاخرى من اقدم القبائل فى المنطقة وكانت معاصرة لقبيلة بيت درؤ ومجاورة لها فى ديار الحباب الساحلية عند تل ملهقتى MIALHAGTE وبنى اهلها لانفسهم مساكن من الحجارة ويبيضونها بالجير الأبيض وكانوا مثل جيرانهم بيت درؤ يسخرون مرؤوسيهم لتوفير كافة احتياجاتهم . وكان سبب زوال حكمهم على ايدى قبيلة دقدقى التى ورثت اراضيهم ثم دارت الأيام دورتها وزال ملك قبيلة دقدقى نفسها . واضطرت قبيلة كبى فى الاندماج الى قبائل الحباب مثل بقايا درؤ وغيرها .

وتذكر الروايات المحلية بأن بعض جماعات قبيلة كبى اتجهت الى الشمال وسكنوا مع قبيلة ترجللى TRGELI واندمجوا فيها ويقولون ان جدهم هو تقى بن تقدة كما رحل بعضهم الى نهر عطبرة واندمجوا فى قبائل الحفره التى كانت لها السلطة والهيمنه هناك.

بيــت هــدوم

كانت قبيلة بيت هدوم بأقليم الحباب بالساحل وكانت مجاورة لبيت كبى التى كانت تستعين بقبيلة البلين فى قتالها ضد اعداءها حتى اضطرت للرحيل الى جوار بيت بحالاى ثم انضمت فيما بعد الى الحماسين .

عــد حســان

قبيلة عد حسان ويقطنون فى نارو بالساحل الشمالى . وهم من اصول عربية وقدم جدهم من الجزيرة بالحجاز وينتمون الى سلالة الصحابى الجليل حسان ابن

ثابت الانصارى تنتشر هذه القبيلة فى كل من بركة وسمهر بجانب الساحل . وفرع عد عبده من عد حسان يعتبروا من مشايخ بيت اسجدى الحباب ويحظون باحترام وسط قبائل الساحل ويمارسون الرعى والزراعه والتجارة ومعظمهم من الحضر المستقرين . وكانت لهم عمودية مستقلة عن نظارة بيت اسجدى ومن اشهر رجالاتهم عثمان شريف حمد والعمدة محمد نور ابو بكر حجى وشيخ السجادة محمد الحاج على والشيخ عبد الرحمن شريف وكان يسكن منطقة قالابا وكان زعيما دينيا لقبائل الماريا والبلين .

قبيلــة ابو القاســم

وهم يقطنون فى اقليم الساحل الشمالى ومنطقة شعب وجزء منهم يتواجد بأقليم سمهر . وان جدهم الكبير الشيخ ابراهيم ابو القاسم ينتمى الى اشراف القريش وقدم برفقة الشيخ معلم مع دوبعات وكبى من الجزيرة العربية فى الفترة التى شهدت فيه منطقة الحجاز اضطهاد الأمويين للأشراف . وكان اول قدومهم الى اقليم سمهر كما ذكرنا فى الفصل الخاص بـ عد معلم وهى قبيلة مسالمة محبة للخير ولهم نخوة عربية ويحظون بالأحترام والتقدير من القبائل الأخرى . وكانت لهم عموديتهم الخاصة كسائر قبائل الحباب الآخرى ويتحدثون بالتجرى ويدينون بالاسلام .

وهناك قبائل اخرى تشكل جزءاً من سكان قبائل الحباب وتنحدر من قبائل الساهو ويطلق عليهم بيت لعاليت وهم من الاساورتا وقبيلة سيهو من عموم الساهو وكل من القبيلتين كان لها عموديتها وزعامتها كسائر قبائل المنطقة .

اما الآن فقد انتهى النظام القبلى السابق واصبح الجميع يخضع للحكم المركزى لسلطة الاقليم .

قبيلـــة الرشايـــدة

يمثل الرشايدة آخر موجات الهجرة العربية التى يعود تاريخها الى عام ١٨٦٧م وربما كانت هذه الهجرة الوحيدة التى يمكن تحديد تاريخها بدقة بالنسبة لموجة الهجرات العربية التى تعاقبت على إريتريا فى ازمنة مختلفة . ويشكل الرشايدة المجموعة السكانية الوحيدة التى حافظت على لغتها وثقافتها وتحاشت التزاوج مع سائر القبائل والاندماج الحضارى معها . وهم بدو رحل ويملكون ثروة حيوانية كبيرة من الأبل والماعز . وهم جزء من قبائل بنى رشيد الكبيرة والمنتشرة بالمملكة العربية السعودية .

المـــــدن

واهم مدن اقليم الساحل هى نقفة وهى عاصمة الاقليم وأفعبت ونارو وقرورة

مدينـــة نقفـــة :

وهى عاصمة اقليم الساحل الشمالى ، وتتمتع بجو ربيعى معتدل يميل الى البرودة وتاريخها حافل بالاحداث القديمة والحديثة على مر العصور ، حيث شهدت

صراع الحكام وفتوحاتهم فى المنطقة . واول من اسس نقفة هو جد بيت أسجدى ويسجل تاريخها الحديث بملحمة من البطولات وخاصة فى اثناء مقاومة الاحتلال الاثيوبى حيث كانت معقلاً وحصنا منيعاً لمقاتلى الجيش الشعبى لتحرير إريتريا وقد تعرضت نقفة للدمار الشامل ابان حملة الإباده التى كانت تشنها القوات الاثيوبية . شأنها شأن بقية المدن الساحلية فى إريتريا .



منظر عام لمدينة نقفـــه

الفصل الرابع والثلاثون

إقليم سنحيت

الأرض والشعب

ويقع إقليم سنحيت عند الهضبة السفلى التى تتدرج منها التلال الشمالية وأهم التجمعات التى تسكن الإقليم هى قبائل البلين والمنسع والماريا وبيت جوك وتسكن مدينة كرن عاصمة الإقليم مجموعات نازحة تعود أصولها إلى قبائل مختلفة من الأقاليم الإريترية . أما من ناحية نمط المعيشة فالتجمعات التى تسكن الإقليم حضرية فى معظمها وتتبع التجمعات إداريًا مركزية كرن .

قبيلة البلين

قبيلة البلين هى من القبائل الكبيرة فى إقليم سنحيت ولها عدة فروع وتتحدث لهجة خاصة بها بجانب التجرى والتجرينية . ويطلق على بلين اسم البغوص نسبة إلى الاسم القديم للمنطقة والتى تسمى حاليا سنحيت . ومعناها البلاد الجملية وذلك لجمال مناظرها وطيب هوائها الربيعى الدائم .

وتتألف البلين من قبليتين أساسيتين هما بيت طرقى وبيت توقى وهناك قبيلة تنتسب إليهما وهى نقدى التى تنحدر من الهضبة الحبشية .

وبالرغم من أن القبائل الثلاثة تتحدث لهجة واحدة وتربطهم الثقافة والحضارة المشتركة فإن كل منها يعتبر نفسه وحدة منفصلة لها أصولها المستقلة .

بيت طرقى يرون أنهم قدموا من الهضبة الإثيوبية ومن منطقة لاستا وينتسبون إلى قبائل أقو الذى ورد ذكرهم فى غير هذه المكان وتتوزع قبيلة بيت طرقى على خمسة عشر فرع وتنقسم كل عشيرة بدورها إلى عدة تجمعات وتعرف

هى الأخرى باسم (هيسه) ٠

أما بيت طوقى هى إحدى قبائل الحماسين التى اتخذت قرية عدوبنا مسكنًا لها فى البداية وينتمون إلى أصول عربية من أصل قرشي ويقول كنتيباى عبيى ناظر طوقى السابق إنهم قريشيون ومن سلالة أبى جهل . ومن مسكنهم السابق فى عدوبنا توغلوا إلى إقليم سنحيت وسكنوا بجوار أبناء تكليس وتنقسم القبيلة إلى فرعين هما عد حروبه وعد طفح ولكل منهما شيخ مسئول وكانت تتبع النظارة عدة عموديات أشهرها عد قبشا وعد طفح وعد فذ ع وجنقرين وتمرشون وحدنبس وبيت قبرو وسكونا بيت وكان لها شيخ المشايخ يسمى الشوم ٠

مجموعــة بـاب جنقريــن :

أما سكان باب جنقرين الذين كانوا يعيشون مع البلين فقد اعتمدوا لهجتهم وانتسبوا إليهم وظلوا مستقلين سياسيًا حتى ١٩٣٢م عندما ألحقوا لأسباب إدارية إلى بيت طوقى ووضعوا تحت قيادة زعيم هذه القبيلة مع الاحتفاظ بزعيمهم المحلى الذى يحمل لقب الشوم.ويقال أن معظم سكان بابا جنقرين ينتمون إلى قبيلة بيت معلا فى بركة

وبقت البلين حتى بداية القرن التاسع عشر، ظلوا يدينون بالمسيحية حتى دخول المصريين إلى مرتفعات كرن (١٨٦٠ – ١٨٧٦) حيث تحول معظمهم إلى الإسلام كما اعتننقت مجموعة منهم المسيحية الكاثوليكية على أيدى المبشرين الأوربيين ويعتنق قليلون منهم المذهب البروتيستانتى كما توجد أقلية تدين بالأرثوذكسية . ويزاول البلين الزراعة بصورة خاصة ويستقرون فى مستوطنات دائمة ٠

وأما التنظيم السياسى لقبائل البلين فيعكس عاداتهم المتحضره وهو يقوم على أساس المراكز التى تتواجد فيها هذه القبائل . وفى فترةقريبة كانت كل

عشيرة من عشائر بين طرقى وطوقى تمارس حكمها الذاتى بقيادة زعميها شوم أو كنتيباى ٠

وأهم شوم بيت طوقى كان شوم هداد ودركه ثم خلفه ابنه شوم محمد التى كانت أيامه قصيرة بسبب الحروب المتتالية فى أبان حكمه . فى أيام المهدية تولى أمارتهم برمبراس كافل الذى قاوم المهديين وحاربهم، وهم مشهورين بتربية الأبقار والأغنام ومن أشهر أمرائهم الأمير يوسف كافل ، فقد دافع عن كرن واستمات فيها عندما أراد الإيطاليون احتلالها كما قاوم الرأس اللّولا مستفيداً من شدة احتكامات حصونها ومناعتها وانعمت حكومة إريتريا الإيطالية بلقب كنتيباى على عمدتهم ١٩٣٢ م . وبمرور الزمن تحول التنظيم الإدارى على أساس التنظيم الإدارى الإقليمى ٠

المنسـع :

الأرض والشعـب :

تعيش هذه القبيلة شرق منطقة سنحيت وفى منطقة تصل الحدود الادارية بين كرن ومصوع والحماسين وفى نوريت وقلب ٠ ويرجع أصولهم إلى الأمويين وتربطهم صلة النسب مع قبائل الماريا وطروعه وحزو ٠ تنقسم القبيلة إلى فرعيين يضم كل فرع منهما خمسة تجمعات عائلية . هما بيت أبرهى ABREHE وبيت إشحقن٠ وفرعا القبيلة ينحدران من جد واحد ، والمعروف باسم المنسع . ومن حيث السكن يتوزع فرعى القبيلة على منطقتين منفصلتين :

١ – بيت أبرهى فى الشمال ٠

٢ – وبيت إشحقن فى الجنوب ٠

وكانت تسكن بيت أبرهى فى قلب ويشكل بيت أبرهى الفرع البكر وينتخب

الزعيم من أفراد العائلة المنحدرة مباشرة من جدهم الأكبر . وكان يتولى رئاستها كنتيباى عقبازقى بن تسفانكئيل بن أفتاى أبرهى بعد أن آلت عليه من أبناء عمومتهم من عائلة احفروم بن عندلوى التى انتهت رئاستها فى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى بكنتيباى بؤمنت بن تدروس بن إدريس عند لوى . وتسكن بعض عوائلهم فى الشتاء بالقرب من سهول شعب .

بيـــت إشحقـــن :

أما بيت إشحقن فيسكنون فى حمحم واما زعيمهم فكان أكثر إقامته فى قلب نئيش وغالبية سكان القبيلة اعتنقوا الدين الاسلامى وكان ناظرهم كنيتباى أفتاى بن بولاين محمد حسما .

وكان لهم مجلس لشيوخ العشيرة (محبر) وكان بمثابة مجلس القضاء للقبيلة والذى كان يقضى بين الناس فيما يتعلق بقانون الإرث والبيت والأرض حيث ينتقل للآخرين بالوراثة ، أما بئر الماء فلا ينتقل ؛ لأنه من الأملاك العامة فمن يحفر البئر له حق الأفضلية ولكنه لا يحق له منع الأخرين من استعمالها والاستفادة منها .

الماريـــــا

الأرض والشعب

الماريا يعيشون شمال غرب منطقة البلين وأهم مناطقهم همبول ونهر المارايت الذى يكون مع عوبين نهر همبول وينتهى بسلسلة من التلال الناعمة ومن أهم مناطقهم أيضًا العويش . ملتقى نهر اللغو والأوبلة كما يسكنون على سهول ايرا وأروتا تلال ملبسو .

والماريا من القبائل العربية المعروفة بأنتمائها العربى إلى قبائل القريش من بنى أمية وجدهم فرّ مع أبنائه الأربعة من اضطهاد العباسيين بعد زوال دولة

الأمويين إلى شواطئ البحر الأحمر فى إريتريا وأسماء أبنائه الأربعة هى :

١ - ماريو : الذى تنحدر منه قبيلة الماريا .
٢ - ميشو : وتنحدر منه قبيلة المنسـع .
٣ - قربسو : وتنتمى إليه قبيلة حـزو .
٤ - عمرطروع : وهو جد قبيلة طـروعـه .

وهم ينتسبون إلى خالد بن يزيد بن معاوية بن أبى سفيان وتنقسم الماريا إلى قسمين وهما ماريا قيح (الحمراء) وماريا طلام (الزرقاء) . وسبب تسميتهم بالطلام وقيح أن جدهم ماريو تزوج امرأتان من سكان الهضبة فأنجبت الأولى ولداً أحمر اللون فسماه قيح أى الأحمر ، بينما أنجبت الثانيه ابناً أسمر اللون فسماه طليم أى الأسود .

وتسكن الماريا الزرقاء فى الغرب والماريا الحمراء فى الشرق وينقسم كل فرع إلى أربعة تجمعات تدعى (هيسه) تخضع كل منها لسلطة زعيم وراثى ويسمى شوم .

وهذه التجمعات لا تعيش فى مناطق مستقلة عن بعضها البعض بل تتعايش وتختلط فيما بينها .

وللماريا مثل جميع القبائل الإريترية الكبيرة تدخل فى إطارهم قبائل وتجمعات صغيرة بعضهم من السكان الأصليين والبعض ينتمى إلى فروع قبيلة أخرى فأصبحت تحت زعامتهم . والماريا فى الاصل كانوا مسلمين ، واعتنقوا الديانه المسيحية التى كانت سائدة فى الهضبة قبل نزوحهم إلى مناطقهم الحالية . وفى بداية القرن التاسع عشر اعتنقوا دين أجدادهم حيث انتشر الإسلام فى صفوفهم وهم يتحدثون بلهجة التجرى .

واستوطن ماريو واخيه منشو فى بادئ الأمر الهضبة الإريترية وجاوروا قبائل الحماسين التى كانت سبقتهم فى الهجرة من الجزيرة العربية ، واندمجوا فيها واتخذوا من بعضها بطانة وحاشية .

وأما سبب تسمية أولاده بأسماء محلية هى سياسة كان يتبعها الأمويون فى بداية عهدهم بإريتريا لتجنب الأسماء العربية حتى لا يستدل اعداؤهم إلى مناطق تواجدهم ويلاحقونهم للقضاء عليهم . أما بعد استقرار أمورهم وإنتهاء أسباب مخاوفهم فقد استعاد أحفادهم الأسماء العربية حيث يكثر بينهم اسم معاوية ويزيد وهشام وحجاج وغيره من أسماء أجدادهم الأمويين .

وتوفى الشقيقان ماريو ومنشو ودفنا فى منطقة تسمى دور DOOR وتقع بالقرب من وادى شغلى SHAGALE .

وتولى أمرهم ردئى ابن اوديد بن ماريو. RADEY ODDED فأمر جميع أبناء ماريو ومنشو أن يرحلوا معه بأهليهم ومواشيهم فإمتثلوا حتى وصل بهم إلى سهل فسيح بأعلى الجزء الشمالى من رورا وقال لهم اخترت لكم هذا المكان وطنًا لكم لأقامتكم ولأحفادكم من بعدكم .

وتقول الرواية أن ماريو عندما نزل من حماسين بأتجاه رورا ماريا كان يرافقة ١٤ رجلا ، وكان سبعة منهم من قبائل التجرى أما السبعة الآخرين فكانوا من سكان الهضبة الناطقين بالتجرينية وهؤلاء اندمجوا بقبيلة الماريا وأصبحوا جزء منها .

والسبعة الذين من سكان الهضبة كانوا يسمون :

١ - ديقيناى DUGENAI

٢ - جيربيناى JIRBENI

٣ - قاقيناى KAKENAI

٤ – دنكاى DANAKAI

٥ – دلاشاى DALSHAI

٦ – قنداى GINDAI

٧ – قلينقاى QILINYAI

أما السبعة الآخرين الذين هم من قبائل التجرى فكانت اسماؤهم على النحو التالى

١ – لاقيناى LAQENAI

٢ – إندير INDEER

٣ – إندرباى INDEERBAI

٤ – جمريتاى JAMRATAI

٥ – أميراى AMEERAI

٦ – عموتاى EMMOTAI

٧ – سيقوطاى SIQOUTAI

وقد تناسلت وتفرعت ذرية هؤلاء الأربعة عشر مع ذرية الأمويين إلا أن كل عائلة منهم احتفظت بأسمها إلى اليوم ماعدا ذرية أميراى فقد سميت باسم شاكاى .

وبعد أن استقر المقام بشوم ردئى فى رورا وجد نفسه مجاوراً لقبائل الحماسين ولضمان الاستقرار والأمن لعشيرته صاهر زعيم قبيلة بحيلاى فتزوج بنت حشير انفو HASHEER AANFO فرزق منها أربعة أبناء وهم :

١ – إدى جرجيس EDI GARGIS

٢ – نفا جرجيس

٣ – إياس جرجيس

٤ - جرجيس

ثم تزوج امرأه ثانية وهى ابنة شكر بن مفلس بن كنتيباى أبيب من الحباب ورزق منها أربعة أبناء آخرين وهم :

١ - تمبلاى TAMBILLI

٢ - توبرهان TOBIRHAN

٣ - جانكرا JANKARA

٤ - تيدروس

وبهذه الزيجة اطمئنت الماريا من غزو الحماسين وغيرهم ثم توفى شوم ردئى ودفنه بنوه فى رووه ماريا وخلفه على الزعامة ابنه تدروس بإجماع أخوانه السبعة الذين اختاروه لقيادتهم وعاش فى سلام وأمان مع جيرانه ثم خلفه ابنه ردئى بن تدروس وعندما توفى تدروس خلفه ابنه شوم تمبلاى الذى عمّر طويلا حتى أدركته الشيخوخه وبعد وفاته تزعم الماريا الشوم محمود الذى انتشر الإسلام فى عهده حيث أسلمت جميع قبائل الماريا كسائر قبائل المنطقة التى دخلت الإسلام وظلت الزعامة فى سلالة الشوم محمد حتى عهد شوم نور الذى لم يعمر كثيرا بعد توليه الزعامة وبعده انتقلت من هذه الأسرة إلى أبناء عمومتهم حيث تولى الزعامة الشيخ إدريس بن محمد بن همد بن ناشح (نافع) ابن عجيل ، وفى أيامه بدء الاحتلال الإيطالى لإريتريا ، ثم خلفه الشيخ عبد القادر بن أكد بن همد ثم خلفه الشيخ همد بن أرى بن محمد أبو بكر الذى تولى النظارة بعذ وفاة والده .

وعرف أبناء الماريا بالفروسية والشجاعة وفنون القتال وتاريخهم حافل بالبطولات حيث حاربوا الأتراك لسنوات عديدة وانتصروا عليهم . وفى يوليو ١٨٤١م غزو منطقة بركة لمواجهة الأتراك وهزموا القوة التركية بزعامة أحمد باشا الحاكم التركى للإقليم . ومن أشهر أبطالهم فى القتال « أروز » الذى استحق لقب

شوم تقديرا لانتصاراته الدائمة فى الحروب .

ويمارس الماريا الزراعة على نطاق ضيق وتبقى ثروتهم الأساسية هى المواشى من الأبقار والأغنام والماعز والإبل وخاصة عند الماريا الزرقاء ، وتقتصر نزوحاتهم الموسمية سعياً وراء المراعى على حدود مناطقهم القبلية . إلا أن الماريا الزرقاء يستقرون إجمالا قرب حدود أغوردات وينزحون موسمياً إلى وادى بركة الواقع داخل هذه المديرية .

بيـــت جـــوك
الأرض والشعــب

تشكل قبيلة بيت جوك جزء من سكان سنحيت من الناحية الإدارية وهم يقطنون عند تلال عنسبه ومدينتهم الرئيسه هى « وازنتيت » WAZINTET ٠

وهم ينتمون إلى أصول عربية وينحدرون من إحدى بطون القريش وقدموا ضمن الهجرات العربية إلى إريتريا واستقروا فى حماسين ، ثم قدموا إلى هذه المنطقة مع اسجدى مؤسس قبائل الحباب ، وكان جدهم يسمى غابيب روكى واستقربه المقام مع اتباعه حيث يتواجدون الآن . وأسس هذه القبيلة التى سميت فيما بعد بيت جوك (أى بيت جوخ) ٠

وفى بداية عهدهم بالهضبة اعتنقوا الديانه المسيحية السائدة هناك واعتنقوا الدين الإسلامى على أيدى الدعاة المسلمين فى القرن التاسع عشر ٠

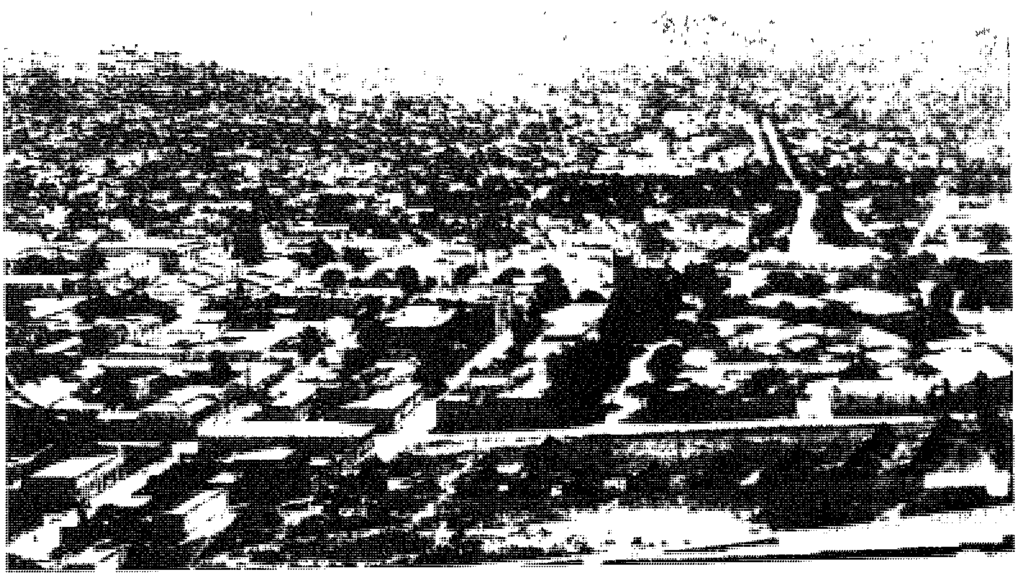
واشتهرت قبيلة بيت جوك بمزاولة الزراعة وتربية المواشى وكما هو الحال مع سائر القبائل الحضرية كان يقوم تنظيمهم السياسى على أساس السلطة الإقليمية وكان زعيمهم يحمل لقب كنتيباى . وتميز أبناء قبيلة بيت جوك بالرغبة فى التعليم ومزاولة التجارة . وقد أنشئوا العديد من المعاهد الدينية فى مدينة وزنتت وكرن ، ومن شخصياتهم المشهورة الشيخ عبد الله أوزور الذى كان رائداً من رواد التعليم ، ومن شخصياتهم الذين لعبوا دوراً قيادياً فى بناء مشروع على قدر الزراعى بلاتاياسن والشيخ عثمان قلايدوس٠

ومن أهم مدن إقليم سنحيت مدينة كرن وهى عاصمة للإقليم ٠ وحلحل وحقات وشعب .

مدينـة كـرن :

وتقع مدينة كرن على ارتفاع ٤٥٠٠ قدم من سطح البحر وجوها معتدل وربيع دائم وكانت على مدى التاريخ بمثابة البوابة الشمالية للهضبة الإريترية ومرتفعات الحبشة . وكرن مدينة تجارية ويقصد سوقها القرويون وسكان البادية من المناطق المجاورة لشراء حاجاتهم من المواد الزراعية والمنتجات الحيوانية وتتصل بخط حديدى وطريق برى بالعاصمة اسمرا يبلغ طوله ٩١ كم كما تتصل بمدينة أغوردات بخط حديدى آخر ٨٥ كم . وكانت ملتقى القوافل التجارية بين مدينة كسلا السودانية ومصوع .

وسكانها كأى مدينة أخرى يشكلون تجمعات وأسر وعوائل قدمت من أقاليم مختلفة جذبهم جوها الربيعى وسوقها التجارى المزدهر كما سكنتها أسر يعود أصلها إلى أصول عربية مختلفة من اليمن والسودان والصومال .



منظر عام لمدينة كـرن

الفصل الخامس والثلاثون

إقليم سمهر (أو البحر الأحمر)

الأرض والشعب

المعروف جغرافيا بالسهل الساحلى ولقد تحدثنا فى السابق عن جغرافية هذا الإقليم فى باب جغرافية إريتريا ٠

ويختلف هذا الإقليم من ناحية التركيبة السكانية عن بقية الأقاليم ، وهو شبيه فى تجمعاته لأقاليم الهضبة حيث يمارس فى مجمله حياة الحضر على الصعيدين الاجتماعى والسياسى عبر مراحل متطورة فى تكوينه السكانى ، مثله مثل المدينة التى تجمع فى سكانها الجميع بروابط عصرية أكثر تحضرا من القبيلة، من الناحية الاقتصادية والسياسية والاجتماعية منضوين تحت مصالح مشتركة تربط بينهم ، باستثناء بعض القبائل التى كانت تحتفظ بالقبيلة ونظمها الاجتماعية كسائر القبائل فى مختلف الأقاليم الإريترية ٠ ومن هنا يتضح لنا حيث يعيش فى هذا الإقليم نوعان متميزان من السكان ٠

القسم الأول التجمع السكانى الذى يسكن فى المدن الهامة ٠ مصوع حرقيقو – حطملو – قندع – إمبيرمى – أم كلو – زولا – أفتا – فرو – عايلت – جمهوت – عسوس – عدشوما ٠

القسم الثانى أبناء القبائل وهم من البدو الرحل ، وتعود أصول سكان الحضر الى الجزيرة العربية واليمن والخليج العربى ، وإلى مهاجرين من السودان والهضبة الإريترية وأحيانا إلى أبناء القبائل الذين تستقر فى مصوع وإلى القرى التى سبق الإشارة إليها . وقد شهدت حركة القادمين من الجزيرة العربية وخاصة من اليمن والحجاز وأصبح يتزايد بإتجاه مصوع حيث نقلوا حضارتهم واهتموا

بالنشاط التجارى والزراعى فى دوقلى ووقيرو منذ القرن السادس عشر .

وأما على صعيد تحول البدو إلى حضر فتجدر الإشارة إلى أن مصوع وحرقيقو وحطملو وإمبيرمى وزولا وافتا وفـرو وقنـدع ودنقلو السفلى والعليـا كما نلاحـظ فى قرى عايليت وجمهوت وعسوس وعدشوما تشكل كل هذه المواقع مراكز كافية لتطوير هذا الاتجاه ونلاحظ فى الماضى أن استهوى سهل السمهر العديد من القبائل والفروع القبلية المتواجدة شمال وغرب إريتريا وهو لايزال إلى اليوم يجذب هذه العناصر فى نزوحاتها الموسمية كما هو معروف كان تاريخ مصوع المضطرب إلى حد ما بسبب الغزوات المتكررة من الإثيوبيين التى كانت تشهدها المنطقة ولقد سبب هذا فى حدوث تنقلات سكانية داخل السهل نفسه ، كما أدت الهجرات من بلاد العرب بالجزيرة فى مختلف العصور وحرية التزاوج بين التجمعات السكانية إلى زيادة تلوين الفسيفساء المتكونه من العناصر العرقية المتنوعة المتواجدة فى السهل ، غير أن هذا التنوع العرقى طفت عليه عوامل توحيد مهمة ناتجة عن العادات وأنماط العيش والتنظيم الاجتماعى والمعتقدات والثقافة فجميع سكان السمهر يدينون بالإسلام ويتحدثون بالتجرى واللغة العربية باستثناء مجموعات صغيرة نازحة من الهضبة الإريترية يدينون بالمسيحية وتعيش المدن الرئيسية من هذا الإقليم مندمج مع السكان ولهجاتهم التجرى بجانب اللغة العربية والتجرينية وقليل منهم يتحدث الساهو والعفرية. وأما سكان السمهر البدو فهم بصورة عامة يتكونون من عدة قبائل وغالبيتها تعود أصولها إلى الجزيرة العربية. والتقسيم القبلى الذى كان سائدا عند كل أو فى التلال الشمالية لاوجود له فى قبائل سمهر وحتى بين الفروع القادمة أصلا من المناطق التى تتمسك بالقبيلة ، فقد تكيف النازحون بسهولة مع نظام المنطقة الجديد الديمقراطى . وتمارس تجمعات سمهر الزراعة بنسب متفاوته خلال أشهر الشتاء بصورة خاصة على طول الانهار التى تصب فى البحر الأحمر ، ويقوم التنظيم السياسى لهذه القبائل على نموذج مشترك

لكل قبيلة بموجب زعيمها أو شيخها المنتخب من بين رجالاتها النافذين والمتقدمين في السن ، وكان يمارس الأثرياء المترفين في مصوع وحرقيقو وحطملو تجارة الجلود والذبدة والؤلؤ والوساطه فى عمليات النقل وتصريف البضائع الأوربية المستوردة وتصدير منتجات إريترية ٠ أما الطبقة الأقل ثراء فكانت تتعايش من ممارسة التجارة المحدودة الصغيرة والنقل بواسطة المراكب الشراعية (سمبوك) ، والعمل على متن السفن التجارية كبحاره والصناعات الناشئة أو الأشغال العامة فى المرفأ، وصيد اللؤلؤ وعرق اللؤلؤ بموجب اتفاق مع أصحاب السنابيك وكان يقوم التبادل التجارى بين سكان عايليت وعسوس وإمبيرمى وجمهوت وزولا المستقرين وللقبائل البدوية على تربية المواشى التى يفضل البدوى العدد فيها على النوعية ٠ ومن هنا يتضح أن همهم الوحيد كان الدوام على زيادة العدد بسرعة دون الاهتمام بتحسين النوع ٠

دور البلـــو فـى إقليـــم سمهـــر

لقد تحدثنا سابقاً عن إمارة بلو فى الفصل السابق وعن أهمية هذه القبيلة وأوضحنا فيه جذورها التاريخية ودورها فى الجزء الغربى من إريتريا عندما كانو حكاما فى منطقة عموم بيجا ، والذى كان يشمل الجزء الغربى من إريتريا وإقليم الساحل وسنحيت وفى إقليم سمهر أنها القبيلة الوحيدة بين تجمعات السمهر التى بنت لنفسها شأنا سياسيا خاصا ولقد أوضحنا أن البلويين كانوا من حكام بنى عامر السابقين ونزحوا إلى السهل الساحلى فى إقليم سمهر بعد أن فقدوا السلطة فى بلادهم وقد أصبحوا هنا من الحضر وإعتمدوا لغة التجرى لغة لهم، وإستقروا فى حرقيقو كعاصمة لهم وفى مصوع وفى قرى حطملو وأم كلو وإمبيرمى وذقا عايليت وعسوس وجمهوت وزولا وأفتا، بل انتشروا فى كل إقليم سمهر كما استقر البعض الآخر منهم كما ذكرنا فى الهضبة الإريترية وأصبحوا بحكم الواقع جزء

من سكان الهضبة الإريترية فى كلا من حماسين وسراى وأكلى غوزاى واعتنقوا الديانه المسيحية هناك، وما زالت آثار إمارة بلو متواجده حتى الان بالقرب من صنعفى تشهد على تاريخ بلو وتجمعاتهم ودورهم فى المنطقة. وفى حرقيقو أسسوا إمارتهم من خلالها كانوا يحكمون إقليم سمهر كما سنرى فيما بعد. وأهم القبائل والأسر التى أسست هذه الإمارة بلو يوسف الذين ينتمى إليه جميع آل بيت حسب الله وهم من أقدم القبائل البلوية فى حرقيقو، ويتفرغون إلى أفخاذ وبيوت وتليهم بلو عامر التى تنتسب إليهم جميع البلويين وتتوزع الى فروع مختلفة وأفخاذ وأسر أصبح لها كيانها الذاتى . ولقد أخذت هذه الأسرة فى الإزدهار والإشتهار دون قبائل بلو الآخرى، فى أعقاب الاحتلال العثمانى لمصوع عام ١٥٥٧ م، عندما عين الاتراك عامر بن على حفيد حمد عامر قنع كأول نائب لباشا مصوع العثمانى، وتشير كتب التاريخ أن السيد حمد بن عامر قنع كان من أبرز الزعامات التى قامت فى حرقيقو قبل احتلال الاتراك ، و كان كبير زعماء بلو عامر وقد حمل والده لقب « سيد » حسب التقاليد العربية أما لقب « قنع » فهو كلمة بالتجرى معناها المتعجرف. وعاش حمد بين سنه ١٦٤٠م ١٧٠٠م فيما يعود تاريخ الاحتلال العثمانى لمصوع إلى سنة ١٥٥٧م، وهنا تروى الرويات المحلية أن السيد حمد عامر قنع وتحت وطأة الخوف من الأتراك العثمانيين فى مصوع، جمع رجاله وأتباعه وأنصاره وعشيرته وثروته وأخلى حرقيقو من الأطفال والنساء وتوجه بهم الى شبه جزيرة بورى، وانسحب جميع الرجال القادرين علي حمل السلاح إلى الجبال المحيطة بحرقيقو لمقاومة قوات الاحتلال التركي التى احتلت مصوع الجزيرة، وظل حمد عامر قنع معارضا للحكم العثمانى فى مصوع، وبقى يتنقل طوال سنوات الحكم التركى من مكان إلى آخر فى بلاد السمهر والدناكل فارضا سلطته وحقوق زعامته حتى انسحب إلى كركونه فى خور باريا حيث توفى بعد بضعة أشهر، وبقى فى خور بريا باكلى غوزاى فريق من أنصاره اعتنق المسيحية يعرفون باسم « جزا

سهرا » أى البيت الآتى من السمهر وهم من أحفاد سيد حمد عامر قنع أما عامر ابن أخيه فأصبح نائبا على حرقيقو واليابسة، فكان عامر على موسى أول نائب من عائلة البلو كرسه الأتراك فى سنة ١٦٩٠ وكانت أدوات تكريسه عباءه من الحرير وسيف مذهب المقبض، وبقى النائب عامر على ثلاثين سنة فى منصبه، وبذلك يكون قد توفى حوالى سنه ١٧٢٠ وفى فترة نيابته سحب العثمانيون قواتهم من مصوع ولم يتركوا فيها إلاّ جهاز الجمارك وعدداً قليلاً من رجال الشرطة وخلف محل الجيش العثمانى مليشيات مؤلفة من الأتراك وعرب وضعت تحت تصرف النائب الذى أصبح هكذا بمثابة أخاذة تابع للباب العالى يرفع بيرقه وينال تكريسه ويأخذ من مداخل الجمارك ما كان يحتاج إليه للصرف على قوات المليشيا التى كانت تحت إمرته وهكذا أكتسبت قبيلة البلو أهميتها السياسية فى عهد الاحتلال العثمانى لمدينة مصوع، عندما تولى كما ذكرنا أحد أبناء عائلات البلو القوية منصب نايب أى (نائب) الحاكم العثمانى ٠ ومع مرور الزمن أصبح هذا المركز وراثيا فى العائلتين اللتين.اقتسمتا دوريا منصب النائب وانقسمت القبيلة نفسها إلى فرعين يتبع كلا منهما إحدى العائلتين ويحمل اسمها بيت حسن نايب وبيت عثمان نايب ٠ وقد حافظ البلو على سلطانهم ودعموه بوضع رجالاتهم فى مراكز القيادة وتكليفهم بجمع الضرائب وايفادهم فى بعثات دينية، وإقامة علاقات تجارية مع التجمعات المتواجدة فى السهل والساحل الشمالى كما تمكنوا من أن يمتد نفوذهم السياسى والاقتصادى حتى إلى الهضبة الإريترية وارتبطوا بعلاقات غير ودية مع الأباطره الإثيوبيين الذين كانو معهم فى صراع دائم في عدم تمكينهم من الاستيلاء على بلادهم فى الشواطئ، وكان على رأس المليشيات قائد يحمل لقب ساردار أى القائد الذى تحول على لسان الناس الى ساردال وأصبحت الكلمة فيما بعد اسما لإحدى فروع عائلة بلو ولا تزال عائلته إلى اليوم معروفة باسم ببت ساردال ٠

ووضع البلو تنظيما فعالا لقبيلتهم واتباعهم وشركائهم من البلو الآخرين

وجندوا كل من يستطيع حمل السلاح من الرجال، على شكل جيش منظم وجعلوا قيادته وراثية فى فرع آخر من هذه القبيلة وأطلق على هذا الزعيم أو القائد للقوات المسلحة لقب كيخيا وحرف إلى كيكيا وأصبح هذا الفرع يعرف باسم بيت كيكيا الذى لا يزال قائما حتى اليوم وكان من أبرز رجالات هذا البيت صالح أحمد كيكيا وإدريس عمر كيكيا وحسن أحمد كيكيا وكانوا من أشهر الوطنيين الأحرار الذين تركوا بصماتهم فى التاريخ الإريترى المعاصر . ومن الفرق التي كان يقودها كيكيا والمعروفه باسم عسكر أبصرت النور قبيلة عد عسكر والتى سنتناولها مع مجموعة القبائل الأخرى فى الإقليم . هذا موجز بسيط عن تاريخ قبيلة بلو فى إقليم سمهر وحرقيقو القصد منه ايضاح الدور التاريخى الذى لعبته هذه القبيلة سواء كان فى عموم إريتريا أو إقليم سمهر كبقية القبائل والأسر التى كانت تحكم فى تلك الفترة فى مختلف الأقاليم الإريترية وما لعبته هذه الأسرة من دور هام ومؤثر فى تطور حركة التاريخ الإريترى المعاصر . وأما اليوم لم يبق لهذه القبيلة سوى اللقب والاعتزاز بالانتماء لهذه القبيلة التى ينتشر أبناؤها فى عموم إريتريا مسلمون كانوا أم مسيحين كلا فى الموقع الذى يعيش فيه .

ويقول صالح ضرار المؤرخ العربى السودانى :

إن أمة بلو كانت أمه عربيية ممتازة استوطنت بلاد البيجا، لحكم سكانها من قبل ظهور الإسلام. ويقول منزجر باشا حكمدار شرق السودان وقنصل دولتى فرنسا وإنجلترا سابقا فى مصوع: « عندما استولى الأتراك فى القرن الخامس عشر وجدوا البلو حكاماً لها »

وبهذه المقدمة نتناول أهم المدن فى هذا الفصل المدن والقبائل والأسر التى كان لها تأثيراتها فى مجريات الأحداث في عموم إقليم سمهر .

معلومــات عامــة عــن مصــوع :

مدينة طوالوت : اسمها الحقيقى هو الطويلة انطلاقا من شكل الجزيرة المستطيل البالغ ١٦٠٠ متر وكلمة « قرار » ليست سوى تحوير الكلمة "غراغر" التى تعنى مجموعة صخور أو اللؤلؤ نسبة لطبقة الأرض شبه الجزيرة « حى الشيخ عبدالقادر » نسبة إلى الولى عبد القادر الجيلانى البغدادى الأصل والذى خلد العثمانيون ذكراه ببناء جامع يحمل اسمه فى شبه الجزيرة فى القرن السابع عشر فى منطقة « قرار » ٠

« الشيخ سعيد » هى جزيرة صغيره مساحتها عشرة هكتارات تبعد حوالى ١٥٠٠م جنوب مصوع بنى فيها قبل حوالى ٥٠٠ سنه جامع صغير على اسم الشيخ سعيد العامودى الولى القادم من حضر موت فحملت اسمه الجزيره ٠

أما الجسر الذى يربط طوالوت بمصوع فقد شيدته الإدارة المصرية بعد سنة١٨٧٠م وأعادت الإدارة الإيطالية ببنائه على طراز أفضل وأما رصيف المرفأ الذى يحيط بالجزء الشمالى من جزيرة مصوع فأقامته الإدارة البريطانية، وحكم الأتراك المدينة من سنة ١٥٥٧م إلى ١٨٦٥م، وتشير كتب التاريخ أن التجمع السكانى فى مصوع يعود إلى القرنين الخامس والسادس الميلادى ٠ على كل فدراسة تاريخ مدينة مصوع لا ينفصل عن تاريخ مدينة حرقيقو وتاريخ عائلة نائب بلو كما يتضح عند دراستنا لمدينة حرقيقو. وأول المجموعات التى سكنت فى عداقه بعد أن جاءته منذ قرن من الزمن بعض العائلات السودانيه لاجئه وهجرت بيوتها التى كانت تقوم قرب جامع كسلا الشهير المسمى بخاتمية فأطلقت هذا الاسم على حى الخاتمية فى عداقا وأما اسم عداقا بعراى يعنى سوق الأبقار فقد كان موجودا قبل قيام القرية، لأنه كان المكان الذى تجرى فيه عمليات بيع وشراء الأبقار المخصصة لمسلخ مصوع وكان يعيش فيها فى ذلك الوقت الحمالون

والبحاره والعمال العاملون في مختلف الأشغال الذين كانو يقصدون مصوع نهاراً ويعودن إلى القرى ليلا وقد انتهى الأمر بحى الخاتمية إلى الاندماج مع سائر أحياء هذه الضاحية السكنية حيث اندمجت بدورها عائلات إريترية من مختلف الطبقات الشعبية مع عائلات عربية من اليمنيين والسودانيين والصوماليين وكان يقيم معهم ممثل نائب أم كلو .

التجـارة فـى مصـوع :

شهدت مدينة مصوع سنه ١٩٠٥ نشاطا فى الحركة التجارية وحركة المبادلات العادية فى الاستثمارات الحكومية وأهم العناصر التى ساهمت فى النشاط التجارى النقاط التالية :

١ - تطور الخط الحديدى

٢ - عودة القوافل مع إثيوبيا والسودان .

٣ - صناعة القطن .

٤ - حركة استيراد المصنوعات القطنية الإيطالية .

٥ - حركة تصدير الحبوب وانتاج تمور الدوم .

ضواحـى مصـوع :

كانت تتألف ضواحى مصوع فى تلك الفترة من القرى التالية :

عداقا بعراى - عيلا قول - عدا فلندا

وتقوم المدينة الأولى على اليابسه عند رأس الجسر الذى يربطها بجزيرة طوالوت وقد أطلق على أحد أحياء هذه المدينة اسم الخاتمية وكانت تشكل عيلا قول ضاحية أخرى من ضواحى مصوع تقع على مسافة ثلاثة أرباع الساعة إلى الغرب من عداقا بعراى وعلى مسافة ربع ساعة فقط من حطملو وعلى ما أعتقد تسمى

اليوم أماترى إضافة إلى الاسم القديم كان يعيش فيها سكان حضر مستقرين ومعظمهم من العرب يشبهون سكان عداقا بعراى ويعود اسم هذه الضاحية إلى بئر « عيلا » حفره قبل ١٠١٣ سنة زعيم عائلة بيت قول ووضعه تحت تصرف الناس ، وفيما بعد ألحقت القرية بسكانها بنائب أم كلو لأسباب إدارية فى تلك الفترة .

عــــدا أفلنـــدا :

كانت تشكل الضاحية الثالثة لمصوع سميت عد أفلندا لأن الجماعه الذين أعطوها اسمهم كانوا يشكلون قاعدتها السكانية لبيع الحليب لأهالى مصوع إضافة إلى الحباب والأفلندا كانت عائلات سودانية من عقيق وكانوا يمارسون بيع الحليب ونقل الماء والعمل فى الملاحة ويمكننا أن نقول أن مدينة حرقيقو وحطملو وأم كلو من ضواحى مصوع .

الديـــــن :

يعتنق سكان مصوع الدين الإسلامى على المذهب الحنفى، كما يوجد العديد من المسلمين الشافعين وهم من القادمين من الساحل العربى، كما ينتمى إلى المذهب المالكى والحنبلى بنى عامر والسودانيين والقبائل التى هاجرت إلى هذه المنطقة ونظرا لعدم وجود قضاه للمذاهب الأخرى فإن شئون أحوالهم الشخصية كانت تعالج بالتشاور مع وجهائهم أو بسؤال قضاة هذه المذاهب فى مناطق أخرى إن كانت الأمور ذات أهمية خاصة . وكان للمراغنة من الخاتمية دور هام ومؤثر فى مصوع وكان هناك قاضى تعينه الحكومة ويعهد إليه المراغنة برئاسة الخلفاء ويعمل كقاضى بدائى ومستشار استئنائى فى الأمور المتعلقة بالاحوال الشخصية للمسلمين فيقوم بكتابة اتفاقيات البيع والشراء التى تتم بين المواطنين ويسلم الصكوك التى يحتفظ بنسخة منها فى مكتبة (المحكمة) وقد عهد إليه هذه المهام

رسميا بموجب مرسوم صادر عن الحاكم بتاريخ ٤ يوليو ١٨٨٨م، ومن أشهر قضائهم فى ذلك الزمان قاضى حسن عثمان خليفة طه والقاضى محمد نور عبد الله سراج وكانت توجد فى مصوع مجموعات صغيرة مسيحية نازحة من الهضبة تعيش بين السكان فى الجزيرة .

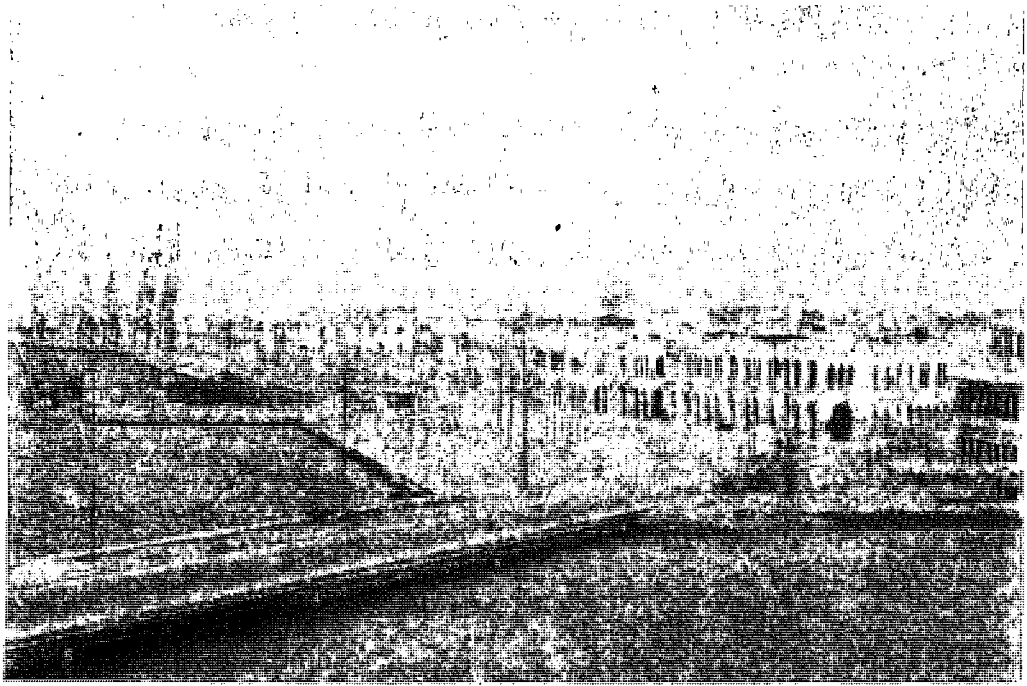
والتجمعات السكانية فى عموم سمهر ومصوع، تختلف التركيبة السكانية فى هذه المدن والإقليم عن بقية سكان إرتيريا حيث ينطبق عليهم سكان الحضر المستقرين، كما أوضحنا فى المقدمة، وسكان مدينة مصوع والقرى المجاورة لها ينطبق عليهم ما ينطبق على سكان المدينة حيث تضم مجموعات سكانية متعددة الأصول والعناصر المختلفة من جميع أبناء سمهر وبعض الأقاليم الأخرى من إريتريا المنحدرة منها، وتنتمى إلى تلك القبائل المجاورة للإقليم بعد أن انسلخت من القبيلة الأم وأخذت تتحول من الطابع القبلى إلى الأسرة أو العائلة والبيوتات فى مراحل متطوره من الزمن، كما نلاحظ هناك أسر عريقة كان لها دور هام فى نمو وتطور هذه المدينة، وتنتمى هذه العائلات إلى أصول عربية من الجزيرة العربية واليمن والخليج العربى قدموا الى هذه المدينة منذ عصور قديمة فى أزمنة مختلفة، كما ذكرنا سلفا عن الهجرات التى شهدها الشاطئ الإريترى. ومن هنا نستطيع أن نقول أن سكان مدينة مصوع والقرى المجاورة لها هم تجمع سكانى خليط متجانس تجمعهم وحدة اللغة التجرى والدين الإسلامى والعادات والتقاليد والمصالح المشتركة فى جميع مرافق الحياة السياسية والاقتصادية، كبقية سكان الأقاليم فى أريتريا. ومن خلال التزاوج والنزوح والمصاهره بين هذه التجمعات خلق مجتمع جديد متجانس ومميز عن بقية الأقاليم حيث لاتربطهم أى صلة بقبائلهم التى نزحو منها سابقا، وأصبحت ذكرى تذكرهم بأصول انتمائهم إلى هذه القبائل قبل انخراطهم فى المجتمع الجديد، وهذه ميزة متطورة فى حياة الشعوب فى المجتمع المتطور والمتحضر .

" مصوع " نبذة تاريخية عن الأرض والسكان "

مصوع من أقدم المدن الإريترية يعود إنشائها إلى قرون عديدة ، القرن العاشر الميلادى على أيدى الجاليات العربية التى وفدت إليها من اليمن بعد إنهيار ميناء أدوليس التاريخى العريق والذى بناه كما تقدم فى غير هذا المكان "البطالسة"٠ وتدل مساجدها العريقة القديمة على تاريخها القديم وعراقتها٠ وهى ميناء إريتريا الرئيسى على البحر الأحمر ٠ وكانت مركزا لعموم المديرية الشرقية بما فى ذلك مديرية دنكاليا ٠ وهى اليوم عاصمة لإقليم سمهر فى حين بقائها كما ظلت منذ إنشائها ميناء إريتريا الأول والرئيسى على البحر الأحمر ٠

وكانت التسمية " مصوع " قاصرة على الجزيرة " رأس مدر " ، ولكن بعد الاحتلال الإيطالي توسعت التسمية لتشمل ضواحى مصوع ، بعد أن تم ربطها بجزيرة " طوالوت " بجسر طوله ٤٠٠ مترا وبجسر آخر طوله ٩٥ مترا ربطها بمدينة " عداقة "٠ وبذلك غدت مصوع نقطة جذب واتصال لعموم ضواحيها بدءاً " بقرار " ، وشيح عبدالقادر ، وجزيرة شيخ سعيد، وضواحى " حطملو " وقرقسم " و " واماترى " و " حرقيقو " ٠

ولابد من التذكير هنا إلى أن " قرقسم " هى تحريف للكلمة " خورجسم " أى نهر الجسم ؛ لأن المحتلين الإيطاليين كانوا يدفنون مناوئيهم من أبناء البلد أحياء فى هذا المكان٠



منظر عام عن مدينة مصـوع

ويعتقد أن إسم " مصوع " مشتق من معناها، ويدل أيضا على تضاريسها فكلمـة " مصوع " تعنى النداء ، ومن يقف حتى يومنا هذا فى شواطئها يمكنه أن ينادى على من يقف قبالته فى الجزيرة . وتقع مصوع على خط الطول الشرقى ٣٩ وعلى الخط ١٥ من خطوط العرض الشمالى . وتعد مصوع من أهم موانئ البحر الأحمر قاطبة . وقد شكلت فى تاريخها القديم نقطة جذب تجارية مهمة لصادرات وواردات مختلف دول العالم، وبخاصة إفريقيا وأسيا ، حتى أطلق عليها الإيطاليين " باب الامبراطورية " . وقد أعطاها موقعها الجغرافى والاقتصادى الهام أهمية كبرى ، فظلت محتفظة بدورها الريادى التجارى لأكثر من ألف عام على أقل تقدير. حيث أن التاريخ الأقدم لم نقف عليه بعد ويحتاج إلى الحفريات

وغيرها، من وسائل رصد التواريخ الغابرة كما عرفت فى الأزمنة القديمة باسم " با ضع ". وعرفت كل مظاهر الحياة العصرية ، فقد تكونت مبانيها من الحجر والأخشاب ، وروعى فى بناء تلك المساكن المناخ الحرارى لسواحل البحر الأحمر . ولذلك نجد بيوتا تحتوى على عدد من النوافذ ، فى محاولة للفوز بأية نسمة تأتى وبخاصة فى فصل الصيف الحار .

ومن معالم مدينة " مصوع " الرئيسية القصر المنيف للحاكم ، والذى بنى فى العهد المصرى ، وكان مقرا للحاكم . وفى فترة الاحتلال الإثيوبى ، تحول إلى قصر للامبراطور الإثيوبى . وبالمدينة عدة مساجد تاريخية قديمة وأهمها جامع أبو حنيفة والشافعى ، وبها أيضا كنيسة القديسة " مريم " .

ولأهمية موقع مصوع الاستراتيجى ، ظلت قبلة لأطماع مختلف القوى الإقليمية والعالمية . وقد ظلت فى صراع مع الغزاة للفوز باستقلالها المحلى ، بعيدا عن سلطات القوى الطامعة . وشهدت علاقاتها بأباطرة إثيوبيا العديد من الصدامات وإن الأباطرة الإثيوبيين ظلوا يرنون إلى شواطئ مصوع الاستراتيجية ، إلا أنهم لم يفلحوا فى السيطرة على " مصوع " وبخاصة وأن سكانها تمحوروا حول سلطة مملكة " البلو " التى تأسست فى القرن الرابع عشر فى حرقيقو . وقد تعاملت هذه السلطة كدولة مع مختلف القوى المحلية والعالمية ، حتى أن الإثيوبيين اضطروا إلى عقد اتفاقيات معها ، اعترافا بسلطتها على مصوع وبالتالى على البحر الأحمر . وذلك قبل ظهور البرتغال كقوة بحرية ومن ثم العثمانيين الأتراك . وقد اشتهرت " مصوع " بالعديد من الأسر الدينية كما نرى فى غير هذ المكان من كتابنا هذا، وتبعا لذلك تحتوى أراضيها على العديد من المقابر والأضرحة لكبار الأولياء والصالحين . ومن أهم تلك المراقد مرقد الشيخ حمّال الأنصارى، والشيخ عبدالقادر الجيلانى ، والسيد درويش جد أسرة " آل باقر " فى حرقيقو .

وقد عرفت " مصوع " الحياة المدنية منذ عصور قديمة ، وانعكس ذلك فى حياة السكان ومعاملاتهم اليومية ، ومن ذلك فقد عرفت المحاكم الشرعية منذ قرون طويلة . وتعتبر محكمة مصوع الشرعية إحدى أهم وأقدم المحاكم الشرعية فى المنطقة . وقد عثر فيها على العديد من الوثائق الهامة ، التى تعود إلى أكثر من ٨ قرون خلت نقلها الإيطاليون إلى متاحفهم التاريخية فى روما . وقد كانت محكمة مصوع الشرعية قبلة لعموم السكان فى مختلف المناطق الإريترية الأخرى الإسلامية .

كما عرفت الازدهار الاقتصادى والتجارة ، وكانت بها ملاحات لاستخراج الملح ، وعدة مصانع كصناعة تعليب الأسماك وطحن السردين وتحويله إلى سماد ، عدا الثروات البحرية الأخرى كالأسماك والكوكيان وغيرها ، والتى تستخرج من مصوع وتصدر إلى مختلف دول العالم ، وتعود على البلاد وأهلها بالأموال ووسائل الحياة الأخرى ، وهو ما انعكس على حياة السكان من رخاء وطمأنينة . ويعد مصنع أسمنت مصوع إحدى القمم الاقتصادية الشامخة لعموم إريتريا .

وقد عانت مصوع من التدمير الشامل ليس فقط لبنائها القومى ، بل تعرضت لقصف وحشى من قِبَل قوات الإحتلال الإثيوبى ، حوَّلها إلى ما يشبه الأطلال ، بعد أن دمر كل مظاهر الحياة فيها . والحق فإن كل المدن والقرى الإريترية شهدت دمارا ، إبَّان العهد الاستعمارى الإثيوبى ، ولم يبق شبر فى أرض إريتريا إلا وأخذ نصيبه من هذا التدمير . ولكن مصوع تعرضت لتخريب أكبر بعد أن صبّ عليها المستعمر جام غضبه فى السنوات الأخيرة ، بعد اشتداد مقاومة الجيش الشعبى لتحرير إريتريا لجنود الاحتلال العسكرى الإثيوبى واستلامه لزمام المبادئة العسكرية والسياسية . وهى مبادئة مكنت الجيش الشعبى من تحرير مدينة مصوع فى فبراير من عام ١٩٩٠م . وكانت مدخلا لتحرير عموم الوطن الذى تحقق فى الرابع والعشرين من مايو من عام ١٩٩١م .

" مصوع الإنسـان والمكـان واللسان "

لا نرى بأسا من التأكيد هنا على أن الذى يربط بين الإريتريين هو بمثابة عقد اجتماعى وثيق ومتين الأساس ، ولم يتكون تحت تأثير الظروف العابرة ، بل تكَّون عبر المساكنة الطويلة ، ومن خلال التزاوج والمصالح المشتركة . وإذا كانت إريتريا عبارة عن متحف للشعوب المختلفة الأصول والجذور واللغات ، أسوة بدول المنطقة التى تكونت شعوبها نتيجة للتزاوجات التاريخية التى تمت على مر العصور بين مختلف الأقوام الحاميين و الساميين و الكوشيين وغيرهم ، فإنَّ مصوع تشكل بدورها " موازييك " تَجَمُّعْ بشرى وثقافى متفاعل رغم تباين أصوله العرقية . ولم تعرف مصوع فى تركيبتها الاجتماعية القبيلة ، بل نجد أن أكبر رابطة هى الأسرة وحتى الأسرة ، الواحدة تنقسم إلى أجزاء فيما لو تباعدت بهم السكنى .

وينحدر سكان مصوع من مختلف الشعوب ، وإن كان معظمهم ينحدر من أصول عربية صريحة فى الجزيرة العربية ، إلا أن هذا الإنحدار لا يلغى أصالتهم فى إريتريا . فبعض الأسر قدمت منذ قرون ، واتخذت إريتريا موطنها الأصلى ودائرة تواجدها العرقى، حتى غدت معلما لمصوع لا يستطيع من أراد أن يؤرخ لهذه المنطقة من إريتريا أن يتجاهلها . وسنذكر بعض سكان جزيرة مصوع :

ويعتقد أن أول المجموعات الأسرية التى استقرت فى جزيرة مصوع هى ، "بيت" "دحلي" وقد قدموا من جزيرة " دحل " و بيت " عباسي " ، والذين قدموا بدورهم من المدينة المنورة ، وبيت باعلوى وهم من اليمن ، وبيت مساوا من مكة . وفى الصفحات التالية نورد ذكرا لبعض الأسر التى تعتبر الأقدم عهداً ، والتى منها تكونت الطبقة الارستقراطية ، إلى حد ما . ولم تقتصر سكنى هذه العوائل على مصوع فقط ، بل امتدوا إلى ضواحى ونواحى مصوع الأخرى كحطملو وأم كلو ، حيث يسمح الطقس هناك بنوم أكثر راحة وأقاموا فيها منازل ريفية واتخذوا منها مرعًى لمواشيهم .

" سكان مصوع " الجزيرة "

(١)

١ بيت أفندى

٢ بيت حيدر ... وينحدرون من القسطنطينية بتركيا ·

٣ بيت سلاجي

(٢)

١ بيت شيخ آدم بركاي ... وينحدرون من تمبين بتجراى ·

(٣)

بيت سام الدين

بيت معشيو

بيت برجاى ... وهم من منطقة سامراء أو سر من رأى بالعراق ·

بيت حجى محبوب

بيت مصطفى

(٤)

بيت كردي ... وينحدرون من حرقيقو ·

(٥)

بيت الصافى ... من الأشراف

بيت باطوق

بيت باحمدون

بيت با مشمش ... وينحدرون من حضرموت ·

بيت باكواسا

بيت بازحم

بيت باحداد	
بيت باحبيشي	
بيت بازهير	وينحدرون من حضرموت ٠
بيت با بعيد	

(٦)

بيت مكى على	
بيت هاشم شلبى	وهم من الأشراف وينحدرون من مكة المكرمة

(٧)

بيت عباسى	من الأشراف وينحدرون من المدينة المنورة ٠

(٨)

بيت نهاري	" من الأشراف "
بيت بانبيلا	
بيت حيدرا	وينحدرون من الحديدة باليمن ٠
بيت كحيل	
بيت عزى أحمد	

(٩)

بيت محجب	من اللحية باليمن ٠
بيت مهرى	من المهرة بحضرموت ٠
بيت سيد أحمد شريف	" وهم من الأشراف " ٠
بيت عبدالله رخيني	من اللحية باليمن ٠

(١٠)

بيت حسن يماني	من زبيد باليمن ٠

(١١)

بيت أب شعوين	من أشراف مكة

(١٢)

بيت حجي

(١٣)

بيت سمبل وينحدرون من جدة بالمملكة العربية السعودية .

بيت لباب

بيت فنجير

بيت سلوطي

بيت هلال

بيت جداوى

بيت كريشا

(١٤)

بيت سيد حيوتى وهم من الأشراف وينحدرون من تريم باليمن

بيت سيد محمد عبده "باعلوي" وهم من الأشراف

بيت سيد جعفر وهم من الأشراف

(١٥)

بيت حنبولى

بيت سكيرا

بيت الغول وينحدرون من مصر .

بيت عنتبلى

بيت سنوسي

(١٦)

بيت ميه وينحدرون من الهند .

بيت خير الدين

(١٧)

بيت بخاري — وينحدرون من بخارى بإيران .

بيت قبلي

(١٩)

بيت دحلي — وينحدرون من دحل بجزيرة دهلك .

(٢٠)

بيت ذكارى — وينحدرون من الساهو "أساورتا" .

(٢١)

عد دمبر — وهم من بلو يوسف .

" أم كلــو وحطملو "

تقع قرية أم كلو على بعد ٧ كيلو متر غربي مصوع ٠ أما حطملو فتبعد عن مدينة مصوع ٤ كيلومتر شمالي غربي مصوع ٠

ويفصل بين القريتين سيل " عويل " والامتدادات الشمالية لتلال " غنفور "٠ وكانت القريتان تشكلان وحدة إدارية تابعة للفرع الرابع من عامر " قنوع " المنتمى لقبائل البلى أو البلو كما تعرف محليا ٠ ويمكن اعتبارهما مثل " حرقيقو " من ضواحى مصوع لأن قسما من سكانهما كان ينتقل يوميا لمصوع للعمل فيها والعودة فى المساء ٠ وأطلق على القرية هذا الاسم " أم كلو " للدلالة على ما كانت تحتضنه القرية للعديد من الأجناس والعائلات الذين يكونون سكان أم كلو ، وذلك فى عهد نائب " حرقيقو " الرابع ، أى فى النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادى ٠

ويروى السكان أن أول بيت أقيم فى القرية كان لإمرأة ، هى ابنة عثمان عامر النائب الرابع لحرقيقو وذلك فى الفترة من ١٧٤١ - ١٧٨١م ، وقد تزوجت بأحد الأشراف من عائلة باعلوى والذى أقام فى مجرى " عويل وتلال " الغنفور " لأسباب صحية ٠ وفيما بعد قصدت المكان عائلات بدوية عديدة من الساحل والسمهر ، وتجمعت حول منزل المرأة مارتْ الذكر ، ليكونوا بذلك نواة لهذه القرية ٠ ومن العائلات التى تسكنها عائلة بيت هاشم٠ ومنذ تلك الفترة شهدت القرية نمواً سكانياً إلى أن تم تدميرها عقب معركة " قرع " المشهورة ٠

وينقسم سكان القريتين إلى قسمين : حضر مستقرون من العائلات الأولى مارت الذكر وبدو رُحَّل من قبائل عدشوما وعد عسكر وقدم سقا ٠ فضلا عن العديد من المزارعين الذين يستقرون بها فى مواسم بعينها من العام طلبًا للمرعى والماء فى أحواض "عويس" و " دبع " وبقيت القريتان حتى عام ١٨٨٨ م تتبعان لنائب

حرقيقو الذى تقدم ذكره ٠

أما اسم " حطملو " فلا يعنيها بقدر ما يعنى نوعاً من أنواع حشائش الصبار الذى كان ينمو بكثرة فى تلك المنطقة ، وبخاصة فى وادى " عويل " ٠

أهم العائلات المستقرة فى حطملو

بيت فاشات	وينحدرون من قبائل المسحليت بإقليم سمهر ٠
بيت كوساي	
بيت هليك	
بيت علي وشي	
بيت حسن بابات	
بيت عامر قولاي	وينحدرون من بلو حرقيقو ٠
بيت صايغ	وينحدرون من الجزيرة العربية (اليمن) ٠
بيت شنيتي	وينحدرون من بلو يوسف بحرقيقو ٠
بيت هولا	وينحدرون من حرقيقو ٠
بيت شلال	وهم من حرقيقو ٠
بيت عدولاي	وينحدرون من زولا ٠
بيت دنكلى	وينحدرون من الدناكل إنكالا ٠
بيت شيخ أدم بركاي	من تمبين بتجراى ٠
بيت منتاي	من أصول عربية ٠
بيت حجى	

بيت أناتي
بيت بشارى — وينحدرون من طاورة
بيت فرجوك

بيت ياقوت — وينحدرون من الشيخ آدم عرقبا .
بيت سرور

بيت يونس — وهم من البلو .
بيت صباح

بيت مني — أساورتا .
بيت نائب عامر — وهم من بلو حرقيقو .

بيت ابكر
وبيت ذر شواي — من قبائل الحباب .

بيت أبو شعرين
بيت الصافي
بيت باعلوي — وهم من قبائل الأشراف
بيت سيد حسن
بيت عباسى

بيت هندى — من أصل هندى .
بيت ميـة

بيت أبي علامة — من أبى عريش .

بيت عندتاليب — من افلندا .

بيت فقى — من أصل عربى بالحجاز .

بيت مسعود — من أصول عربية .

بيت هيجى	وهم من اليمن ٠
بيت الخليفة طه	وهم من أصول سودانية من قبائل دنقلا وشمال السودان٠
بيت حسّان	من أصول عربية وينتمون إلى الصحابى الجليل حسان بن ثابت الأنصارى ٠
بيت شيخ محمد عثمان	وهم من آل شيخ حامد بامبيرمى ٠
بيت هاشم	من الأشراف ٠
بيت عثمان وبيت عامر	من البلو من حرقيقو ٠
بيت نافع	من سمهر ٠
بيت حلو	
بيت كراني	وهم من عتماريام ٠
بيت كرار	من الأسفدة ٠
عد حمدان	وهم من البرامكة قدموا عن طريق مصر من الشام فى عهد الدولة الحمدانية ٠
بيت شهابى	أساورتا
بيت حبونه	أساورتا
عد أمير	من قبائل رسمو المنفرى
بيت أدعواي	من عد عشكر ٠
بيت واريا	من واريا ٠
بيت ذكريا	من طروعة ٠
بيت شيمو	من طروعة ٠

بيت القديناي	من عدشوما ٠
بيت أحمد مرزوق	من طاورة ٠
بيت شيخ محمود	من زولا ٠
بيت درقى	من الساحل الشمالى من ذرية الشيخ أحمد درقى
بيت حباباي	من الحباب
بيت بشير	من حرقيقو (برحتو)

وبقى أن نشير إلى أن حطملو فى وقتنا الحاضر تنقسم إلى قسمين : جزء أعلى وجزء أسفل ، وقد توسعت كثيراً بقسميها بعد أن استقر بها العديد من السكان الذين قدموا من مختلف المناطق الإريترية ، كالحباب الذين قدموا إليها من الساحل ، وغيرهم من شعوب وقبائل إريتريا ٠ وكان هذا فيما مضى ، إلا أن يد المستعمر الإثيوبى امتدت إليها ، فأبادت العديد من سكانها وهجرها أهلها لمناطق إريتريا الأخرى ، أو إلى الخارج براً وبحراً ، ليعيشوا لاجئين بعد أن حول المستعمر الإثيوبى إريتريا إلى جحيم لا يطاق، وفتح مخزون أسلحته ونشره ضد أبناء شعبنا فى هذه المنطقة وغيرها من مدن وقرى إريتريا ٠

وبعد أن استطاع شعبنا أن يصل بنضاله إلى خاتمته الطبيعية فى ٥/٢٤ عام ١٩٩١م بدأ الحنين يعاود أهلها لإعادة إعمارها أسوة بمدن وقرى الوطن الأخرى ٠ ولن يمر وقت طويل إلاّ وقد استعادت حطملو وأماترى ماضيها التليد وسكانها ٠

حرقيـــقو - المكان •• والإنسان

حرقيقو مدينة نموذجية تبعد عن مدينة مصوع ثمان كيلومترات ، إلاّ أنها تنفرد بتاريخ حافل • وهناك من يعتقد أن حرقيقو أقدم من مصوع ، وظلت تمثل مقرا للحاكم الوطنى • وقد عرفت الحياة المدنية والاتصال بالعالم الخارجى من خلال وسائط النقل البحرى ، فأقامت علاقات ثقافية وتجارية مع العديد من البلدان المجاورة لإريتريا • وعرفت باسم حرقيقو ودخنو ، ويعتقد أن الاسم القديم هو " دخنو " وتعريبها "الفيل" بلغة الساهو ، إلاّ أن العوامل الجغرافية والطبيعية للمنطقة لا تتناسب وحياة هذا الحيوان العملاق ، ومثل هذا التنافر يضعف مؤدى التسمية • كما عرفت فى فترة من التاريخ باسم " مندر" وهو تحريف لكلمة بندر العربية والتى تعنى السوق • ومما يقوى هذه الحجة أن حرقيقو كانت عبارة عن سوق فى عموم المنطقة • وهناك رأى آخر للاسم وهو أن " دخنو " اشتقت من كلمة " دوخنى " والتى تعنى المركبة بلغة الدناكل • ويجد مثل هذا التعليل فرصة أكبر للصمود وبخاصة وأن المنطقة بحرية وترتبط حياة أهلها إلى حدود بعيدة بالبحر، ووسائطه ، كالمراكب والأشرعة • إلاّ أن الاسم الأقدم والأعرق هو حرقيقو وقد عرفت به منذ قرون طويلة وذكرها بعض الرحالة فى خرائطهم بهدا الاسم ، وأشادوا بها وبازدهارها منذ الاف السنين ، حيث كانت تعتبر من أهم المدن فى المنطقة ، وتفوق فى أهميتها مصوع• وسبب تسميتها بحرقيقو يعود إلى نشوب حريق فى المنطقة الحرجية المجاورة ، وبذلك يكون الاسم مشتق من كلمة حريق العربية•

وترجح بعض الروايات المحلية أن قبيلة "إدّه" هى أول من اتخذ من حرقيقو سكنًا لهم ، وبذلك يكونون من مؤسسو حرقيقوا وقد جذبت السكان إليها لاعتدال مناخها وتوفر الخضرة فيها ، الشىء الذى أهلها لأن تكون قبلة للعديد من الأفراد والعوائل من مختلف المناطق بداخل إريتريا أو خارجها • ومن أهم التجمعات التى

تمركزت فيها ، عوائل قبائل البلو وعموم آل الشيخ والأشراف وغيرهم من الذين وفدوا من كافة المناطق ، وهو ما سنراه في صفحات كتابنا التالية :

بلــو عامــر

وأهم عائلاتهم ينقسمون إلى عدة فروع وأقسام وبطون كالآتي :

١ – عد حمد أمير ٢ – عد عبد الرسول ٣ – عد أحمد شقراى

٤ – عد سردال ٥ – عد عاقة ٦ – عد ريحانى

٧ عد حمد فكاك ٠

فرع نائب موسى عامر حمد

ومن أبنائه محمد المعروف بلقب كخيا أى كيكيا ، وهو لقب تركى عرف به باعتباره قائدا للمليشيات أو الجيش ويندرج تحت اسم عدكيكيا البيوتات التالية :

١ – عد أحمد قيح ٢ – عد عمر باشا ٣ – عد ربتو

٤ – عد مطرى ٥ – عد هريش

وكلهم من بلو عامر إلا أنهم ليسو من الفرع الذى مارس النيابة ٠ والفرع الذى اضطلع بدور الزعامة ينقسم بدوره إلى ثلاثة أقسام وجميعهم من أبناء عامر على وهم :

١ – بيت نايب حسن عامر ٢ – بيت نايب محمد بن عامر

٣ – بيت عثمان نايب عامر

بيت حســن نايــب عامــر :

وقد انجب ابنًا وهو أحمد ، ومن ذرية أحمد بن حسن عامر٠ وتنحدر منه هذه البيوتات وهى

١ – عد عبد الرحيم نايب ٢ – عد آدم ٣ – عد عبد الكريم نايب
٤ – عد جردمه ٥ – عد نايب يحيى ٦ – عد الأمين
٧ – عد نايب أحمد

بيت نايب محمد بن عامر بن علي :

١ – عد قولاى ٢ – عد قبرى ٣ – حمد شهاب
٤ – عد سحول

بيت عثمان نايب عامر :

١ – عد نايب إدريس ود عثمان ٢ – عد إدريس ود حسن
٣ – عد قشوتاى ٤ – عد عامر ٥ – عد باهو

وهؤلاء جميعا ينتمون إلى بلو عامر فى حرقيقو

فرع بلو يوسف آل حسب الله

١ – عد طرم ٢ – عد عسكرى ٣ – عد مصرى
٤ – عد كراس ٥ – عد كرابو ٦ – عد حسب الله
٧ – عد عمرو ٨ – عد طليم ٩ – عد زبوى
١٠ – عد رجب ١١ – عد أحمد ود عمر ١٢ – عد حسن ود على
١٣ – عد عمر ود أبو بكر ١٤ – عد مدنى ١٥ – عد جميل
١٦ – عد دافلا ١٧ – عد عربى ١٨ – عد شينتى
١٩ – عد حامدوى ٢٠ – عد قرباش ٢١ – عد عبد الرزاق

ذرية فقية محمد آل زبير

وهم فرعان فرع ينتمى إلى بيت شيخ محمود فى حين ينتمى الفرع الآخر إلى عد أب صالح « عد زبير » ·

فرع بيت شيخ محمود :

وهم من ذرية الشيخ سالم بن فقيه محمد

١ – عد فرس	٢ – عد شيخ عمر بفروعهم	٣ – عد بادورى
٤ – عد سراج	٥ – عد شمسي	٦ – عد على شيخ
٧ – عد حجى يوسف	٨ – عد شيخ عمر سالم	٩ – عد على شيخ
١٠ – عد حمد شيخ	١١ – عد منتاى	١٢ – عد عابد
١٣ – عد عمر يحيى	١٤ – عدسعدوى	١٥ – عد شيخ طه
١٦ – عد حمد نافع « حنلى قربو »١٧ –		عد عتر
١٩ – عد حجى إدريس	٢٠ – عد حبيب	٢١– عد حيدرة

فرع عدآب صالح آل زبير :

وهم من ذرية الشيخ صالح بن فقية محمد

١ – عد زبير بفروعهم	٢ – عد معتوق	٣ – عد شيخو
٤ – عد حإلى بفروعهم	٥ – عد حاسبه	٦ – عد عاقبو
٧ – عد عمر ود يوسف	٨ – عد حيدرا	٩ – عد بدهو
١٠ – عد داقوسى	١١ – عد بريراى	

السكان القاطنين فى حرقيقو من بيت توكل :

١ – عد أوبى	٢ – عد عقده	٣ – عد كاكاى
٤ – عد آيم	٥ – عد حجى أحمد ود صالح	
٦ – عد عمر شوم	٧ – عد توكل	٨ – عد شنراي
٩ – عد هريشاى	١٠ – عد أدالا	١١–عد فاقر
١٢ – عد إبراهيم ود على	١٣ – بيت شوم أحمد	
١٤ – عد عبد الله ود حجى عثمان	١٥ –عد عبد الله ود حمد	
١٦ – عد عافه	١٧ – عد حمد ود جابر	١٨ –عد مران
١٩– عد دقى	٢٠ – بيت شيخ طه محمد نور	٢١ – بيت شيخ محمد نور عمر

بيت خليفـــة :

١ – عد أرملى ٢ – عد شاكى ٣ – عد طلول

٤ – عد بارى ٥ – بيت عبد الله خليفة ٦ – بيت على فاقر

قبائل الأشراف المعروفين بالسيد :

١ – عد سيد عثمان ٢ – عد سيد عمر بركه ٣ – عد سيد داود

٤ – عد سيد مدنى ٥ – عد شاويش

وهم من أشراف مكة

عد سيــد درويـــش :

وهم من ذرية السيد درويش من أشراف مكه وينتمون إلى محمد الباقر بن حسين بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه ٠

عد سيــد بـــرج :

وهم من قبائل الأشراف قدموا إلى إريتريا من شمال إفريقيا ٠

ذرية **الشيخ حجى سالم :**

١ – عد سعدو ٢ – عد شكورك ٣ – عد جابره

٤ – عد أحمد ود محمد ٥ – عد دبكر

وكلهم ينحدرون من أصول تركية ٠

القبائل التى تنتمى إلى إده : (ساهو)

١ – عد طيواى ٢ – عد حسينو ٣ – عد تلكى

٤ – عد صديقو ٥ – عد شكانى

عد شيخ حامد ود نافعوتاى وفروعهم :

١ – عد شيخ حامد بن يوسف بن طه ٠

٢ – عد شيخ الأمين بن يوسف بن طه ٠

٣ – عد شيخ ياسين بن يوسف بن طه ٠

٤ – عد محمد نور بن يوسف بن طه .

الأسر التى تنحدر من أصول تركية

١ – عد برحتو ٢ – عد شاويش برحتو
٣ – عد بشير برحتو ٤ – عد خيار برحتو
٥ – عد نجاش برحتو ٦ – عد ديميرى
٧ – عد شرفاى ٨ – عد مشناق

الأسر التى تنتمى إلى قبائل أدفير وعد دانيا :

١ – عد شدم ٢ – عد عند لوى ٣ – عد اللولا
٤ – عد دانيا ٥ – عد قبرى ٦ – عد راقى
٧ – عد حشمه ٨ – عد عطوق

القبائل التى تنتمى إلى فرع أنكاله :

١ – عد عباق ٢ – عد أولياى ٣ – عد هلال
٤ – عد حيش ٥ – عد حموده ٦ – عد دفكلى

بيت شيخ جمبقو : وجدهم

وهو الشيخ آدم باكو أحد المهاجرين السبعة من الصحابه الذين قدمو لنشر الدعوه الإسلامية من الحجاز :

١ – عد جمبقو ٢ – عد شيخ حمد عرقاليه ٣ – عد شيخ ياسين جمبقو.

القبائل التى تنحدر من الساهو منفيرى (رسمو)

١ – عد أنصره ٢ – عد شنقباى ٣ – عد فالول
٤ – عد قبلاى ٥ – عد دينى ٦ – عد أمير

وهم ينحدرون من قبيلة رسمو (منيفرى) .

عد سبى	ينحدرون من قبائل منيفرى (قمة عرى) ٠
عد حرك	ينحدرون من قبائل منيفرى (فقيه حركة) ٠
عد عمريت	من طاوره
عد منسعاى	من منسع ٠
عد حمدان	وهم من البرامكة قدمو عن طريق مصر من الشام فى
عهد	الدوله الحمدانيه ٠
عد خير بخيت	من قبائل سمهر ٠
بيت حجى ود حامد	منيفرى (حقت عرى) ٠
عد شنقباى	من منيفرى رسمو ٠
عد حبيب	وهم من بغداد من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلانى ٠
عد بدير	وهم من بغداد من ذرية الشيخ عبد القادر الجيلانى ٠
عد خليفه عثمان طه	
عد خليفة عثمان	(حجى محمد نورى) وقدموا من نيجر وينتمون
	إلى قبائل قريش العربية بمكة ٠
بيت أحمد ودشوم	من عد معلم ٠
عد منتاى	من رقبات ٠
عد خليل	من أصول سودانيه ٠
عد فقية محمود حاج	من حلنقه ٠
عد سنجور	من إيروب بالهضبة ٠
عد منتاى	
عد ياريبو	من حذو ٠
عد قينو	
عد موسى مقارياى	من بنى عامر ٠

عد حدارو	من الدناكل (داهميلا) ٠
عد صايغ	من الجزيرة العربية باليمن ٠
عد دندن	من الجزيرة العربية باليمن ٠
عد شيخ داود	وهم من مسحليت (من ماريا) ٠
عد طويل	وهم من عد شيخ داود ٠
عد عنداى	من طاوره ٠
عد يوسف فاقر	من طاوره ٠
عد جعلى	وهم من الجعليين بالسودان ٠
عد دينى	وهم من سلاله حسان بن ثابت الانصارى ٠
عد هندقه	
عدوراك	من قبائل بيت أسجدى ٠
عد حمداى	
عد يمنى	ينحدرون من الزبيد باليمن ٠
عد هندى	أصلهم من الهند ٠
عد كردى	وهم من أصول كردية ويعتقد أن قدومهم للمنطقة فى العهد الأيوبى ، أبان الحمله الصليبيه وقد أستقروا فى إريتريا والسودان ومنهم فى السودان الزعيم المعروف عثمان دقنه ٠
عد سمرارعوى	من بيت أسجدى ٠
عد حنبولى	من أصول مصرية ٠
عد لوبينت	
عد يوسفو	أساورته (ليليش عرى) ٠
عد جابره	

عد سعد هاشم	من الأشراف ٠
عد طرم	من قبائل دقدقى ٠
عد حجى فرج	من قبائل دقدقى ٠
عد بُرلى	أساورته (بيت ليليش عرى) ٠
عد حجى عبده	من طروعة (ساهو)٠
عد خليفه أحمدو	طروعه بيت موش (ساهو)٠
عد إنرا على	دبر ملا (ساهو)٠
عد قاضى	من القبائل العربية بالحجاز ٠
عد شيخ أب حامد	من الشيخ أحمد الدرقى ٠
بيت شيخ صالح محمد نور	من بيت توكل
عد افرة	من تروعه
بيت قمحت	من العفر
بيت أحمد محمد ودردر محمد	من العفر (داهميله)
بيت عثمان على	من العفر بلعسوا

وتسكن حرقيقو مجموعات عفرية من مختلف قبائل الدناكل ٠

" نبذة عن قبائل عموم شيخا وعد شيخ حامد وعد معلم "

وقبل أن نخرج من هذا الإطار ، وتقاطعا مع ما ذكرناه بصورة موجزة عن قبائل عد شيخ محمود أو شيخا ، لا أرى بأسا من التأكيد هنا على أن إريتريا هى أول دار للهجرة حيث حباها الله بهذا الشرف وهذه المنة ، قبل أن يأذن لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى المدينة المنورة ، وكان ذلك فى السنة الخامسة من البعثة النبوية الشريفة . ومنذ تلك الإشراقة لهذا الدين فى إريتريا ، ظلَّ الإسلام ناميًا ساميًا ، ودخلته مختلف القبائل والشعوب التى تسكن إريتريا أفواجًا . ومن هنا جاءت عراقتهم فى هذا الدين وبذلك تميز ويتميز الإريتريون عن سائر الشعوب .

وقد عرفت إريتريا العديد من المفكرين والمعلمين والأولياء ، والدعاة إلى الدين وتعليم أصوله من عبادات وفقه وتلاوة للقرآن ولأحاديث الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . من تلك القبائل التى ساهمت فى نشر الدعوة الاسلامية فى إريتريا ، وبعض مناطق الهضبة الحبشية ، تأتى قبائل شيخا ، وهم أحفاد فقيه محمد وعد شيخ حامد وعد معلم وعد درقى وآل شيخ كبيري . وقد لعبت هذه القبائل دورا كبيرا فى نشر الإسلام أولا ، ومن ثَمَّ أقامت العديد من أماكن العبادة ، ودور التعليم لتحفيظ القرآن وتهذيب أخلاق الناس بما يتماشى وتعاليم الأسلام . وانتشرت فى مختلف مناطق إريتريا وتزاوجت مع قبائلها بهدف نشر الإسلام . وكان لطيب معاشرهم واتصافهم بالحكمة ، دورًا كبيرًا فى إقبال الناس على الإسلام . وتحظى هذه القبائل بالاحترام والمودة من كل قبائل إريتريا ، وظلت تلعب دور الوسيط العاقل فى فض العديد من المنازعات التى تحدث بين أفراد القبيلة الواحدة أحيانا ، فى كل مكان من إريتريا . وفى هذه العجالة لا نرى بأسا من ذكر

مجموعتـين من الشيخـا تشكلان عنصرا هاما من عناصر إريتريا عامة ، وسمهـر – حيث موطنهم – الأصلى خاصة وهما :

آل الزبير من ذرية فقى محمد

سيدنا الزبير بن العوام

|

عبدالله

|

ثابت

|

مصعب

|

عبدالله

|

مصعب

|

عبد الملك

|

عبدالرحمن

|

أيوب

|

حسن

|

إبراهيم

|

عمر

|

محمد

|

آدم

|

فقى محمد

وقد جاء فقيه محمد من مكة المكرمة إلى اليمن واستقر به المقام لحين فى زبيد ، يلقى فيها العلوم على الطلاب والراغبين وكان ورعا غزير العلم حتى لقب بالفقى نظراً لفقهه وعلمه وتدينه ٠

وفى القرن الحادى عشر الميلادى توجه إلى إريتريا ، ويمم وجه شطر الجزء الجنوبى من إريتريا وفيما يعرف اليوم باسم دنكاليا ٠ وقد قصد المنطقة بهدف نشر الدين الإسلامى بين قبائلها وشعوبها ، وأسلمت بالفعل على يديه العديد من القبائل بعد أن تزوج من بنت أحد سلاطين المنطقة وأنجب ولدا أسماه عليا ٠ وبعد أن شب ابنه على، قرر الشيخ فقى محمد الرحيل من المنطقة إلى مناطق أخرى من إريتريا ٠ وقد ساء السكان أن يفارقهم شيخهم الذى ألفوه وأحبوه ، إلاَّ أنه قال لهم تركت لكم بديلا عنى وأسمى ولده عليا بالبديل – وبعد أن رحل فقيه محمد كبر ابنه على وأنجب إبراهيم وأصبح شيخا ، وتكاثرت الأسرة لتكون قبيلة معروفة فى تلك المنطقة من إريتريا تعرف باسم " بيدل " وهى تحريف لكلمة بديل التى تقدم ذكرها ٠ وانتشرت قبيلة " بيدل " فى عموم دنكاليا وإقليم تجراى وسلطنة أوسا ٠

أما فقيه محمد فقد استقر به المقام فى بادئ الأمر فى إقليم إكلى غوزاى ، وتحديدا فى منطقة صنعفى، داعياً إلى الإسلام ، وأسلمت على يديه العديد من القبائل فى تلك المنطقة ، وخاصة قبائل المنفرى والأساورتا ٠ وقد تزوج من بنات أحد حكام المنطقة من قبائل المنفرى ورزق منها ببنت أسماها فاطمة ٠ وقد زوجها

لأحد القساوسة المعروفين ويدعى " قش أبرها " وهو من قبائل منفرى وكان قد أسلم على يد فقيه محمد ، وسمى إبراهيم · ورزق إبراهيم من فاطمة بنت فقيه محمد ولداً اسماه فقى حمد · وإليه تنتمى قبيلة فقيه حرك أحد الفروع الرئيسية فى قبيلة منفرى الكثيرة العدد · وبعد أن اطمأن على إسلام القوم وحسن دينهم ، حل عنهم لمواصلة رسالته فى نشر الدعوة الإسلامية فاتجه شرقًا صوب مصوع واستقر فى " دسيت " على بعد ١٥ كلم من مصوع بالقرب من "دوقلى " وكانت دسيت مأهولة بالسكان وخاصة قبيلة دقدقى المعروفة · وقد تزوج عمارة بنت سلطان دقدقى " على ودمعو " وأنجب منها ولدين هما سالم وصالح · وبعد ذلك انتقل إلى منطقة زولا حيث استقر به المقام وطلَّق زوجته عمارة نزولا عند رغبتها ·

ولا تزال هذه القصص معروفة تروى من جيل إلى جيل · ومن الذى تقدم ندرك أن فقيه محمد قد أنجب ثلاث أولاد وبنت هم على وسالم وصالح وفاطمة · وتتواجد ذريته فى منطقة دنكاليا وهم المعروفون باسم بيدل كما تقدم ·

أما ذرية شيخ سالم فتتواجد فى مصوع وزولا وحرقيقو وقندع وعموم سمهر والساحل الشمإلى وكرن وبركة ويعرفون باسم عد شيخ محمود · أما فى الساحل الشمإلى فيعرفون بعد درقى ، نسبة لجدهم الشيخ أحمد درقى ابن الشيخ عمر ابن الشيخ سالم ابن فقيه محمد ، وفى صنعفى تعرف باسم شيخ سالم عري ·

أما ذرية الشيخ صالح والمعروفين بآل الزبير " عد أب صالح " تتواجد فى مصوع وزولا وحرقيقو والمرتفعات الإريترية وتجراى واليهم ينتسب " ال كبيرى " وهم أبناء صالح ابن فقيه محمد · وكل قبائل الشيخا يطلق عليهم آل الزبير من ذرية فقيه محمد ·

وقسم منهم يعرفون باسم " أيتما " وهم أبناء عبدالحى بن صالح بن فقيه محمد . ويوجد قبر الفقيه محمد فى " عالا " المنحدرة من سلسلة جبــال نفــاسيت فى طريق "دقى أمحرى " كما يوجد مزار للشيخ صالح فى دباروا بإقليم سراي بمرتفعات إريتريا، وكنية القبيلة هى الإسلام وتلفظ باللهجة المحلية بشىء من التحريف لتكون " اشلاميش " بدلا من اسلام العربية .

وكذلك لابد أن نشير هنا إلى قبيلة " عد معلم " ، وهى من القبائل العربية التى قدمت من مكة المكرمة ، ويدعى جدهم الكبير شيخ معلم . وقد لعبوا دوراً كبيراً فى نشر تعاليم الدين الإسلامى وأقاموا العديد من الخلاوى القرآنية ودور العبادة . وتنتشر قبيلة عد معلم بصورة خاصة فى الساحل الشمإلى وفى سمهر ومنطقة سنحيت وبركة وغيرها من مناطق إريتريا .

أما قبيلة عد شيخ حامد فهى قبيلة دينية معروفة فى إريتريا ولعبت دورا كبيرا فى نشر الإسلام ، والدفاع عنه والحفاظ عليه وتنتشر فى عموم مناطق إريتريا – إلا أنها تتخذ من قرية أمبيرمي موطنا أساسيا لها وتنتشر فى كل من بركة والساحل الشمإلى . وجميعهم تفرعوا من جدهم الكبير الشيخ حامد ابن أحمد نافعوتاى – ويعرف فرعهم الموجود فى بركة بعد شيخ حامد فى حين يعرفون فى الساحل الشمالى باسم عد شيخ عمار ولديهم زاوية مشهورة فى الساحل تعرف بزقا شيخ . وفيما يلى جدولا يوضح سلالتهم العربية الشريفة .

الشريف حسين

" وهو من أشراف مكة المكرمة "

|

الشريف مولاى

|

الشريف مبارك

|

حُمَّـد

|

عامـر

|

عثمان

|

أحمد

|

نافعوتاى

|

شيخ حامد

وكما يلاحظ القارئ ، فقد ذكرنا الفروع البعيدة والتى قد لا يتسنى لكثيرين معرفتها ، ولم يفتقد التاريخ للأفراد كابراً عن كابر ، كما أنى لم أقصد التعالى بمثل هذا العمل ؛ لأن الناس سواسية أو يجب أن يكونوا كذلك ٠ وإنما قصدت التعريف بجزء من شرائح شعبنا ، وهى قضايا لم ينبرى لها أحد من قبل ٠

قرية أمبيــرمى ووقيــرو

يعتقد أن اسم " أمبيرمى " مشتق من الكلمة العربية أم بيرم أو أم بريم كما درج الأهالى أن يقولوا ٠ وسبب التسمية تعود إلى أن امرأة من المسحليت قد سكنت هذه المنطقة ، وأقام حولها العديد من الأفراد والأسر والقبائل الإريترية الأخرى ، بعد أن كان لتلك المرأة "المسحليتاوية " شرف السكن قبل الآخرين فعرفت هـذه القريـة باسمـها ، وبذلك خلـدت هـذه المرأة من خلال هذه المنطقة من إقليم سمهر ٠

وتقع القرية فى سهل " بورى " الذى يمتد إلى شمال سيل " دسيت " على بعد كيلو(١) من المصب ، وبها مرفأ صغير للسنابيق ٠ وقد توسعت القرية من بعد على يد الشيخ محمد بن على ، حينما قصدها من زولا عبر حرقيقو التى أقام فيها لفترة من الزمن ومعه أحبائه وأنصاره ومريديه ، ليستقروا جميعا فى أمبيرمى ٠ وقد عرفت القرية منذ أن سكنها الشيخ محمد بن على بها وخصصت لهم القرية والسكان منذ القرن الثامن عشر ٠ وبها ضريح ومزار للشيخ محمد بن على المتوفى سنة ١٨٧٧م ٠ وعرفت المنطقة بحولية أى مناسبة تقام مرة كل عام ، تنحر فيها المواشى ، ويلتقى فيها محبو الشيخ وعارفو فضله من مختلف أنحاء إريتريا ٠ ولا يزال أحفاده يقومون بهذه المهمة إلى يومنا هذا ، وخلفه فى الزعامة الروحية حفيده الشيخ عبد القادر بن حامد المتوفى فى أمبيرمى ١٨٩٩م ثم خلفه الشيخ الأمين ابن عبد القادر٠

ويعمل أهل القرية فى الزراعة وتربية المواشى ومرعاهم فى المنطقة الساحلية الواقعة بين الدسيت ولبكا ، وذلك فى الفترة من نوفمبر ومارس من كل عام ٠ وينتقلون بين أبريل وأكتوبر إلى الحوض الأوسط للبكا أو إلى سهل عسوس ٠

وتعتبر وقيرو تابعة وخاضعة لأمبيرمى ، وقد سكنتها قبائل من بعض نواحى سمهر كالمسحليت وبعض القبائل العربية التى انتشرت فى المنطقة بعد قدومها من جدة ويمارسون الزراعة ٠

وسكان أمبيرمى هم :

عد شيخ حامد

|

بيت حدوق — من المسحليت ومن مؤسسو القرية الأوائل ٠

|

عد طلول — بيت خليفة زولا ٠

|

عد قيح — من البلو ٠

|

عد حليبو — من مسحليت ٠

|

عد نصر الدين — وهم من الأفلندا ٠

عد شيخ عجيل

|

بيت حمد عنير — من زولا ٠

بيت شوم على

|

عد عقب — من واريا ٠

عد ديسشياي

|

عد زبير — من آل زبير حرقيقو ٠

|

عد طاورة — من قبيلة عد عشكر ٠

|

بيت حمدان   من مصوع وهم من برامكة الشام قدموا إليها من مصر

|

عد نبـــرا   من جالية وقيرو ٠

|

وعرب من نجد

زولا وآفتـــا ٠٠ الأرض والسكـــان

زولا من المناطق الإريترية الأثرية التأريخية ، وقد سادتها حضارة عريقة ، وعرفت الاتصال بالعالم الخارجى منذ عصور قديمة ٠ وقد عرفت باسم " عذولى " أو " عدولى " و " أدوليس " ، وقد اشتهر بهذا الاسم ميناؤها المعروف ، والذى بناه البطالسة الذين قدموا إليها من مصر ٠

وتقع شمال مصب سيل " حداس " وكانت فى القدم محطة بحرية لأحد المدن غير المتطورة ، وذلك قبل النهضة التى شهدتها " أدوليس " كميناء بحرى عظيم الشأن لعب دوراً ريادياً فى التجارة العالمية فى تلك الفترة ٠ وقد ظلت " زولا " تنعم بالازدهار الاقتصادى لقرون طويلة قبل الميلاد ، إلاَّ أن حضارتها العريقة بادت وحدث تبدل لحياة المنطقة وأهلها ، وذلك منذ القرن الخامس و السادس الميلادى على الأرجح ٠ وقرية "زولا" تقع بالقرب من ميناء أدوليس الشهير فى الجانب الأيمن لنهر " حداس " وعلى بعد عشرين دقيقة من أطلال " أدوليس " ٠

ويسكنها العديد من القبائل الإريترية ، وبخاصة أبناء السمهر وقبائل الساهو وعد شيخ محمود وبيت خليفة وتوكل وبيت قاضى ٠ وتنقسم " زولا " إلى جزءين : "زولا " كبير، و " أفتا " ٠ والغالبية من بيت توكل يسكنون فى أفتا بعد أن انفصلوا عن زعامة بيت خليفة فى زولا ، ليشكلوا بدورهم قيادة خاصة بهم ، ويسكن معهم

بعض من قبائل بلو.

وقد ظلت " زولا " – إبَّان العهد التركى العثمانى والمصرى الخديوى – خاضعة لسلطة مركزية واحدة بزعامة الشيخ محمد زبيبى . وبعد وفاته فى عام ١٩٠٢م انقسمت القبائل الساكنة فى منطقة " زولا " ، وكونت كل مجموعة قبيلة زعامة خاصة بها ؛ وأهم القبائل التى تتخذ من " زولا " سكنا لها هى : بيت شيخ محمود بفروعها المختلفة وأبناء عمومتهم من ذرية سالم ، وكلهم ينضوون تحت زعامة عد شيخ محمود . ومن أهم زعماء المنطقة " زولا " لقبائل "عد شيخ محمود"، فقد كان زعيمهم– إبَّان الاحتلال الإيطإلى– الشيخ محمد حامد محمد يحى ، وبعد الشيخ محمد حامد آلت زعامة قبيلة عد شيخ محمود إلى الشوم محمود حامد . وإلى جانب عد شيخ محمود ، سكن " زولا " بيت خليفة بفروعهم وبطونهم المتعددة بيت برح وبيت انكالا وبيت فالول ، وبيت إبراهيم درماس وبيت على فاقر ، وبيت حمد خليفة ، بيت ابى بكر ، بيت حجى محمد ، بيت حمد على ، بيت عمر شاكى درماس ، بيت على خليفة ، بيت شوم عبدالرحمن وبيت جمبقو. وينحدرون من آدم باكو أحد الصحابة السبعة الذين أرسلهم النبى محمد صلى الله عليه وسلم لنشر الإسلام فى الحبشة .

إلى جانب ما تقدم يسكن زولا بيت قاضى بفروعهم وبطونهم المتعددة وينتشرون فى عموم المنطقة ويوجد قسم منهم فى أرافلى . وحرقيقو وهم ينتمون إلى قبائل عربية من الحجاز ، ومن أبرز قياداتهم شوم عمر وشوم عثمان والزعيم عمر محمد قاضي وكذلك هناك بيت توكل ومن زعمائهم عبدالله شوم الذى خلف والده شوم عمر فى زعامة القبيلة وقد توفى شوم عمر فى عام ١٩١٠م .

وبعد وفاة شوم عبدالله خلفه أحد زعمائهم ، وهو شوم أحمد الذى لقى مصرعه على أيدى قوات الاحتلال الإثيوبى فى " أفتا " .

بقى أن نوضح أننا كنا قد تحدثنا فى الفصل الخاص بقبائل الساهو والأساورتا، وأوضحنا فى ذلك الفصل أن الأساوتا ينقسمون إلى قسمين " العليا " والسفلى . ولذلك نرى لزاما علينا أن نوضح – هنا فى هذا الفصل الخاص بهذا الجزء من سمهر – من يرتبطون ارتباطًا عضويًا بأساورتا السفلى وهم بيت توكل وبيت خليفة وأدفير ، وهذه المجموعات الثلاثة هم إحدى فروع قبائل الأساورتا وينحدرون من عبدالله وجنقار وإدريس ونصر الله . وقد سكنوا فى هذه المنطقة من سمهر ، وتصاهروا مع أهلها ، وأثروا فيها ثقافيا وتأثروا كذلك ويعدون من قومية تجرى ، ولذلك فكل سكان المنطقة يجيدون التجرى والساهو وبالطبع يأتى آل خليفة وبيت قاضى من أوائل الذين يجيدون اللغتين .

وهنا يجدر بنا أن نشير إلى هذه الملاحظة وهى أن أساورته السفلى جدهم الكبير هو عمر أساور لمعه الذى قدم من الجزيرة العربية بمكة وينتمى إلى سلالة على بن أبى طالب رضى الله عنه. وفى سمهر بزولا تزوج عمر أساور من إمرأة بنت شوم وائل حسب ما تروى الرواية المحلية وأنجب منها ثلاثة أولاد وهم :

١- أحمد أيدو ٢- على أوفت ٣- عمر أسد

وأحمد أيدو أنجب أربع أولاد وهم

إدريس وعبدالله ونصرالله وجنقار .

ومن هؤلاء الأربعة تتفرع قبائل أساورته السفلى فى إقليم سمهر

١- إدريس : تنحدر منه قبائل بيت دانيا وادفير .

ويتواجدون فى إقليم سمهر وحرقيقو وضواحيها وفى قندع .

٢- عبدالله : أبناؤه إثنان وهم مريعا ولغو وكلهم دخلو فى الديانة المسيحية ويقطنون فى الهضبة الإريترية .

٣- نصر الله : هو الجد المباشر لبيت توكل وبين خليفة المتواجدين فى زولا

وحرقيقو

وإمبيرمى .

٤- جنقار : أبناؤه يتواجدون فى منطقة درفو فى إقليم حماسين .

ولابد أن نشيـر هنا إلى أن منطقة زولا الآن تتبع إداريا لرئاسة الإقليـم - إقليم سمهر وعاصمته مصوع .

أشهر الشخصيات الوطنية فى مصوع

ومن أشهر الشخصيات الوطنية فى مصوع وضواحيها الذين كانت لهم المواقف التاريخية فى شتى المجالات السياسية والاجتماعية فى منطقة مصوع وضواحيـها حرقيقـو ، حطملو وأمبيرمى يأتى فى مقدمة هؤلاء الزعيم الوطنى البارز.

الباشا صالح أحمـد كيكيـا : والذى شملت خدماته الاجتماعية عموم منطقة سمهر حيث أسس أول مدرسة اهلية فى حرقيقو عام ١٩٤٥ م وقد سبق عصره حيث كان يتمتع بنظرة مستقبلية ثاقبة وكانت المدرسة التى أقامها لكى ينهل فيها العلم كل أبناء المنطقة، وتشمل المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية للبنين ومدرسة آخرى للبنات لنفس المراحل . وتقديراً لأهمية التعليم الصناعى ألحق بالمدرسة أقسام أخرى للتعليم الفنى والمهنى بفروعه المختلفة . كما أقام بها قسم داخلى على نفقته الخاصة للطلبة الوافدين من المناطق البعيدة . وسجل وقفًا عليها عددًا من العقارات فى أديس أبابا فى قلب المدينة ليضمن للمشروع الاستمرارية والاستقلالية .

ومن أياديه البيضاء انشاؤه سدًا فى منطقة فرو على ملتقى نهرى حداس وعالا لرى المزارع فى مناطق زولا وافتا وحديث وذلك فى مكان السد الحإلى . وكان يصرف مجانا الثيران وأدوات الزراعة والحبوب على نفقته لغير المقتدرين كما كان

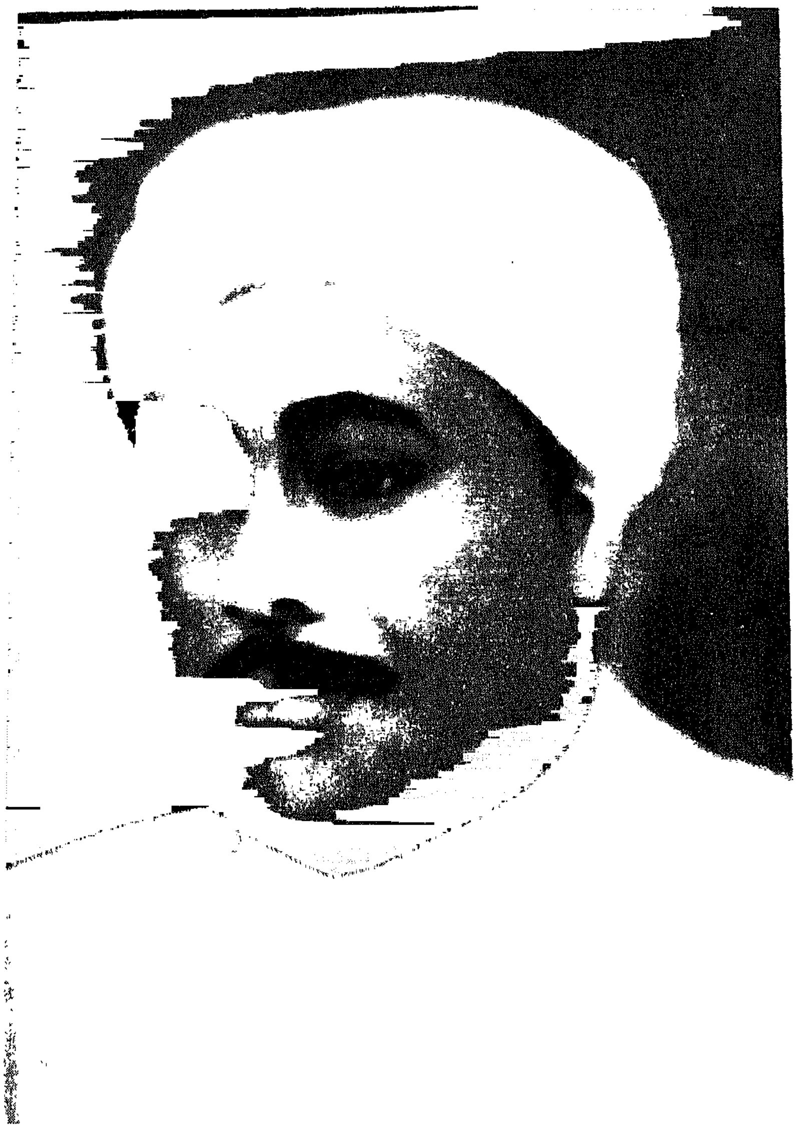
يصرف على الفقراء والعجزة محاصيل أراضيه الخاصة ٠

والباشا كيكيا كان مرجعًا لكثيرين من الزعامات الإريترية وأكثر من ذلك تجسدت فيه روح الوحدة الوطنية إذ لم يكن يفرق بين الإريتريين بسبب انتماءاتهم الدينيه أو الإقليمية حيث كان يقدم مساعداته للجميع وتجسيدا لهذه الروح لم يكتف بالتبرع لبناء الجامع فحسب بل ساهم ايضًا فى بناء أكبر كنيسة وطنية فى العاصمة وهى كنيسة إندماريام والذى لايزال يذكر له حتى الآن ٠

وكان الباشا عزيز النفس ويتحلى بشجاعة فائقة ولم تكن تأخذه فى الحق لومة لائم، ومن إحدى مواقفه المشهورة ، أن السيد تدلا بايرو رئيس الحكومة الإريترية السابق الذى استقال من منصبه تحت الضغوطات الإثيوبية وابعدته إلى أديس أبابا قدم إلى أسمرا لزيارة أسرته ، وبما أنه كان مغضوبًا عليه من السلطات الاستعمارية تجنبه الكثيرون خوفًا من المساءلة ، إلا أن الباشا وضع تحت تصرفه إحدى سياراته الفخمة مع سائقها طوال فترة تواجده فى أسمرا فقد استاء كل من أسفها ولد ميكائيل رئيس الحكومة الذى حل محله ووزير الداخلية زرعوم كفلوم ٠ من إكرام الباشا لتدلا بايرو إلا أنهما لم يجرءا على مواجهته واكتفوا برفع تقرير ضده لسيدهم الامبراطور ٠

وهناك الكثير من مواقف شجاعة وفريده كان يتحلى بها الباشا صالح كيكيا سواء كان خارج البرلمان الإريترى أو داخله مما لا يتسع له المجال فى هذا الحيز ٠

وبعد وفاة الباشا كيكيا ظلت مدارس حرقيقو تقوم بأداء دورها التربوى كما رسم لها مؤسسها تحت إشراف ابن شقيقه السيد إدريس عمر كيكيا والذى يعد من الزعامات الإريترية المثقفة ومن كبار رجال الأعمال الذى نقل أعماله خارج إريتريا عندما تعرض لمضايقة السلطات الاستعمارية الإثيوبية بسبب مواقفة الوطنية ومعارضته الشديدة لضم إريتريا إلى إثيوبيا ٠



الباشا صالح أحمد كيكيـا

وللمدرسة التى أقامها الباشا كيكيا الفضل الكبير فى إخراج أجيال عديدة جيلا بعد جيل ممن كانت لهم إسهامات كبيرة فى الثورة الإريترية ومن أبرزهم الزعيم الإريترى الكبير الشهيد عثمان صالح سبى وكثير من قيادات الثورة الإريتريـة ورجالات الدولـة الحاليين ممن رضعوا الوطنية فى هذه المدرسة النموذجية.

١ - الشيخ حسن إدريس كردى :

وكان من زعماء الرابطة الإسلامية الإريترية وأحد قادة الحركة الوطنية البارزين كما كان مصلحًا اجتماعيًا وقد قام بتحويل الكثير من المرافق من أمواله الخاصه مثل حفر الآبار الإرتوازية وبناء المعاهد الدينية والأوقاف الإسلامية .

٢ - الشيخ حسن الصافى :

وعرف بأهتماماته ومساعداته للفقراء والمساكين والمحتاجين كما ساهم فى بناء المساجد والمعاهد والصرف على طلاب العلم والقائمين على تدريس الطلاب بالمعاهد الدينية بجانب مساهمته فى الأنشطة الوطنية ضمن الحركة الوطنية الإريترية .

٣ - الشيخ إدريس على سليمان :

وكان من أثرياء مدينة مصوع المعروفين كما كان وطنيًا غيورًا ، وقد أسهم بأمواله وإمكانياته فى تطوير الخدمات العامة والأعمال الخيرية وكانت له اياد بيضاء على كثيرين من طلبة العلم .

٤ - **الشيخ صالح حسن نائب :**

وهو من أبرز الشخصيات الوطنية الإريترية ، كما كان من أبرز قيادات الحركة الوطنية وكان من مؤسسى الرابطة الإسلامية ورئيس فروعها فى عموم إقليم سمهر ودنكاليا ومنخفضات أكلى غوازاى كما أصبح ممثلاً للكتلة الاستقلالية بعد اندماج الأحزاب الوطنية فيما بينها . وكان له دوراً أساسى فى شرح الحقائق التاريخية وتفنيد الادعاءات الإثيوبية وزيفها لوفد الأمم المتحدة الذى زار إريتريا للوقوف على آراء أبناء الشعب الإريترى . وكان يساهم بأمواله فى القضايا الوطنية والخدمات الاجتماعية .

٥ - **الناظر محمد نور نائب :**

وكان من أبرز الشخصيات الوطنية كما كان أحد زعماء الحزب الوطنى المؤسسين الذى شكل الكتله الاستقلالية مع الأحزاب الوطنية الأخرى وعرف برجاحة عقله ودوره فى وحدة الأحزاب الوطنية فى كتلة واحدة .

٦ - **الشيخ أحمد عبد القادر بشير :**

هو من مؤسسى الحزب الوطنى الإريترى ومن أصلب الزعامات الإريترية وكان عضواً فى الوفد الإريترى الذى توجه إلى الأمم المتحدة للدفاع عن القضية الوطنية. وكان من أشهر رواد السجون الإثيوبية . إذ تعرض للاعتقالات التعسفية والتعذيب الجسدى والنفسى لعشرات السنوات ولكنه لم يستسلم ولم تضعف عزيمته وظل صامداً وشامخاً شموخ جبل قدم الإريترى حتى وافته المنية فى جدة ودفن فى مكة .

٧ - **السيد محمد عمر قاضى :**

وكان زعيماً بارزاً ومحامياً مشهوراً وقد أسس حزب الرابطة المستقلة مع غيره من النخبة الإريترية وكان رئيساً للحزب . وقد استخدم خبرته القانونية

فى الدفاع عن القضية الإريترية وأول من وضع دراسة قانونية تفند الادعاءات الإثيوبية وذهب إلى الأمم المتحدة وقدم شكوى الشعب الإريترى لمجلس الأمن الدولى فى عام ١٩٥٧ م وقام بتعرية الاستعمار الإثيوبى فى المحافل الدولية وعند عودته إلى أرض الوطن ألقى القبض عليه وحكم عليه بالسجن ١٠ سنوات .

٨ - الشيخ عثمان أحمد هندى :

وهو من أبرز الشخصيات الوطنية الإريترية المعاصره وكان من زعماء الحركة الوطنية وقيادات الرابطة الاسلامية البارزين وعرف بتصدية الشجاع للمخططات الإثيوبية داخل البرلمان الإريترى حتى سمى بضمير الأمة .

٩- الشيخ ياسين باطوق :

وهو من أبرز زعماء الحركة الوطنية فى مصوع وأحد قيادات الرابطة الاسلامية وكان من مثقفى إريتريا القلائل الذين لعبوا دوراً تنويرياً كان له أثره الكبير على الأجيال الجديدة .

١٠- الشيخ محمد على شيخ الأمين :

وكان من قيادات الرابطة الإسلامية ومن أبرز الشخصيات الوطنية ذات التأثير الكبير في عموم المنطقة ، وقد تولى الزعامة الدينية خلفًا لوالده الشيخ الأمين ابن الشيخ عبد القادر فى أمبيرمى . وقد تم اغتياله مع أبنائه وأفراد أسرته وعشرات من سكان قرية امبيرمى على أيدى القوات الإثيوبية عندما تم إحراق القرية بكاملها فى منتصف السبعينات .

وهناك كثيرون من أبناء المنطقة الذين لعبوا دوراً وطنياً بارزاً فى بداية الثورة الإريترية الأمر الذى عرضهم للتعذيب فى سجون إثيوبيا ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر :

المناضل الكبير أحمد الشيخ ابراهيم فرس

عرف أحمد شيخ فرس بشجاعة نادرة إذ كان ينقل المنشورات والسلاح بأنواعه عبر ميناء مصوع بواسطة الباخرة التى كان يعمل فيها رباناً إذ كان أول إريترى يحصل على شهادة أكاديمية من الكلية البحرية الإيطالية لقيادة البواخر فى أعالى البحار بدرجة قبطان ، ومارس العمل البحرى منذ صباه حيث عمل فى عدد من البواخر منذ عام ١٩٤٧م. وهو من القلائل الذين يتمتعون بخبرة واسعة فى المجال البحرى من الإريتريين. ومن أدواره الوطنية المشهورة دوره فى تدبير خروج الزعيم الوطنى الإريترى الشهيد عثمان صالح سبى من عصب إلى ميناء مخاء فى اليمن بواسطة زورق شراعى (السمبوك) وفى عام ١٩٦٢م غادر عصب متسللاً واستقل زورق شراعى ووصل إلى ميناء عدن اليمنى وهناك إلتقى بالزعيمين إدريس محمد آدم وعثمان صالح سبى وطلبا منه مساعدتهما فى شراء أسلحة لإرسالها لمفجر الثورة الإريترية حامد إدريس عواتى ورفاقه. وبالفعل قام بشراء ٥ بندقية إنجليزية ماركة أبو عشرة و٧ مسدسات وكمية من الذخيرة وكانت أول بنادق يحصل عليها الثوار الإريتريون من الخارج . وقد ساهم المناضل أحمد شيخ إبراهيم فرس بالجزء الأكبر من سعرها .

وقد سخر أحمد شيخ فرس خبرته للخدمة الوطنية مجازفًا بحياته ومضحياً بإمتيازاته وغير آبه بمستقبل أسرته مما عرضه للإعتقال والحكم عليه بالسجن عشرون عامًا ، قضى منها عشر سنوات فى المعتقل إلى أن حررته الثورة مع مئات المعتقلين فى عام ١٩٧٥م.

وفور تحرره من السجن واصل نضاله قائداً لباخرة جبهة تحرير إريتريا التى كانت تنقل الأسلحة للثوار إلى الشواطئ الإريترية معرضاً حياته من جديد للخطر ، حيث كانت البواخر الحربية الإثيوبية تجوب مياه البحر الأحمر بحثًا عن الزوارق التابعة للثورة .

وجدير بالذكر فان السيد أحمد شيخ فرس بدأ نضاله الوطنى منذ سن مبكر حيث كان من أبرز شباب الرابطة الإسلامية فى بداية الحركة الوطنية فى الأربعينيات .

وهناك كثيرون غيره ممن لهم أدوار وطنية تستحق ذكرها إلا أننا نكتفى بهذا النموذج والتاريخ لن ينسى كل من ساهم وقدم وضحى وعانى واستبسل من أجل تحقيق الأهداف الوطنية الكبرى عندما يؤرخ للثورة الإريترية فى المستقبل .



المناضل أحمد شيخ فـرس

قبائل أدفيــــر .. المكان واللسان

قبائل أدفير من القبائل الإريترية المعروفة فى إقليم سمهر ، وتنتشر فى معظم أنحاء إقليم سمهر بدءاً من عقمبسا وحتى تخوم الحماسين . ويعتقد أنهم أول من سكن المنطقة ، وخالط وصاهر شعوبها . وقبائلها ويتحدثون التجرى والساهو . ويعتنون بثرواتهم الحيوانية ، ويمارسون الرعى والزراعة وهم قبائل شبه بدوية . ويتواجدون بين سهل " أفتا وزولا " وسهل " ، عالة " ويرحلون مع مواشيهم بين نوفمبر ومارس إلى سهل فطار وقدم "وأيرورى" و "أم أطًّا بقت" على خليج " حرقيقو " . ومن أهم قبائلهم بيت " اللولا " ، بيت " راقى " و "بيت دانيا " والأخيرة كانت تتزعم قبائل " أدفير " ، ويمتون بصلة القربى لبيت خليفة . ومن قبائل أدفير ، بيت يحيى ، بيت عمر على ، بيت سليمان، وتربطهم صلة النسب ببيت حجى محمد " بزولا " . ومن زعماء قبائل أدفير المشهورين الشوم حمد على دانيا ، وكان أول زعيم للقبيلة يمنحه المصريون ، بعد أن شهدت المنطقة صراعات لا نرى داع لإيرادها . وبعد وفاته فى عام ١٩٠٥م خلفه ابنه الشوم على حمد دانيا . وبالطبع فإن مثل هذه الصراعات والإدارات الأهلية الشعبية ، قد انتفت تماما ، بعد أن خضعت عموم البلاد إلى سلطة مركزية وإقليمية ، وتتبع كل قبيلة الإقليم الذى تسكنه .

من أشهر رجالاتهم البارزين الشيخ حاج عثمان اللولة وكان من قيادات الرابطة الإسلامية وكان له دور كبير فى الحركة الوطنية وكان من المناضلين الأحرار الذين قاوموا الإستعمار الإثيوبى وكان من أعضاء جبهة تحرير إريتريا حتى وافته المنية فى مناطق اللاجئين بالسودان .

مدينـــــة قنـــدع

===

مدينة قندع تعتبر المدينة الثانية فى إقليم سمهر · وتلى مصوع من حيث الاتساع والسكان ، وهى مدينة نموذجية تضم قبائل من مختلف مناطق الإقليم · وتعتبر هى الوعاء الأكبر الذى يضم كل قبائل إقليم سمهر بدءً من عد شوما وسكان عايلت وقمهوت ومسحليت وعسوس وقحتيلاي وعدأحا وطروعة وأدفير وغيرها من مناطق الإقليم · ولطقسها الربيعى المعتدل طوال العام شهدت ازدهاراً كبيراً ، وغدت منطقة جذب لقبائل سمهر جميعها · وكونها تقع فى نصف المسافة تقريباً ، بين العاصمة أسمرا ومصوع، فتحظى بفصلين من الأمطار مع سمهر وأسمرا · وكل هذه العوامل الجغرافية تقف بشدة وراء نمو قندع وازدهارها واتساعها · وفضلاً عن قبائل وشعوب سمهر ، ظلت قندع نقطة جذب لسكان مختلف مناطق إريتريا ، وبخاصة الهضبة والساحل وسنحيت · ومن الناحية الإدارية يتبع قندع كل من قحتيلاى ، عداحا ، عدشوما ، عد عسكر ، قدم سقا ، واريا ، طروعة بيت مشيه وجزء من أدفير وقمهوت وعسوس وعايليت ·

عســـوس الأرض والسكـان

==

عسوس إحدى أهم حواضر إقليم سمهر القديمة مع عايليت وقمهوت وأم كلــو· وقد اشتق اسمها كما يعتقد من كلمة " عساس " والتى تعنى باللغة العربية الغبـــار ·

وقد عرفت منذ القدم كواحدة من المناطق التى ظلت مأهولة بالسكان من مختلف القبائل الإريترية · كما اشتهرت بالزراعة والرعى والثروة الحيوانية · ومن

أهم القبائل التى تسكنها قبيلة عد معلم وعد شيخ محمود وعد أبوبكر محمد وعد كيكيا وعد شافع وعد نافع وهم من البنى عامر وعد دقدقى وبيت عثمان أيم وعد باطعـاى من مصـوع وعد فقيه وعد حامد موسى ، ومن قبائل الالمدا ومن قبائل " نبره " ومن عموم قبائل عد شوما وعد أحا، وقد عرفت القرية الحياة الهادئة، وكانوا يختارون زعمائهم بطريقة حرة.

ومن زعمائهم المشهورين شوم أبو بكر محمد ، وهو من قبيلة البلو وشوم عبدالله عبدة من بلو كيكيا وشوم على غنون من عدأحا .

بقى أن نشير إلى أن عسوس شهدت فى القرن الماضى ، (التاسع عشر) ، وصول فوج من قبائل الرشايدة " الزبيدية " ، واستقروا بالقرب من عسوس مع ماشيتهم بزعامة أبى خلف .

جَمَهُوتَ .. أو قمحـــد

==

جمهوت إحدى قرى إقليم سمهر المعروفة والعريقة ، وهى تقع بالقرب من عايليت، مارت الذكر – وتربطها بعايليت ، وغيرها من مناطق الإقليم روابط القربى والمصاهرة والمصالح المشتركة .

واسم جمهوت تدور حوله العديد من التساؤلات ، وتتمخض عنه آراء كثيرة ، لا نرى داعٍ لإيرادها إلاّ أننا سنكتفى بالرأي أو التعليل الذى نراه أقرب إلى الحقيقة . وهو أن كلمة جمهوت هى تحريف لكلمة قمحد الدنكلية ، وتقول بعض الروايات أن رجلا دنكليا يدعى " قمحد " سكن المنطقة ، وسبق الآخرين إليها وعرفت به وعرف هو أيضا بها ، وما يقوى هذا الإفتراض هو أن اسم قمحد من الأسماء المشهورة المعروفة لدى أبناء الدناكل.

ويعتمد أهالي جمهوت على الزراعة والرعي ، وهي كسائر قبائل سكان سمهر، تكونت من عدة قبائل وأسر مختلفة الجذور ·

ويمارس جزء من القبيلة الرعي ، وينتقلون بمواشيهم من أكتوبر لإبريل لأراضي "مالاواي" و " دبرزيت " ، ويعودون من نوفمبر إلى مارس من كل عام إلى قريتهم والمراعي المحيطة بها ·

وتتشكل القبيلة من عدة مجموعات كما ذكرنا من أهمها :

عد ليمان	من بلو ·
عد أيم	
عد حسب الله	من بلو حرقيقو ·
عد شاطر	من بلو حرقيقو
عد باهو	من بلو حرقيقو ·
عد بادوري	من عد شيخ محمود ·
عد جمبقو	من آدم باكو ·
عد شيخ موسى	من أصول عربية
عد حامد أبوبكر	

وقد عرفت القرية أو القبيلة الاختيار الديمقراطي الحر في اختيار زعيم لها كسائر قبائل وتجمعات الإقاليم الأخرى · ومن أهم زعماؤها شوم ليمان من عدليمان ، وشوم يعقوب جابر من عد حسب الله ، وشوم إسماعيل محمد شنكحاي من عد أبوبكر

" عايليت •• الأرض والشعب "

عايلت من القرى المعروفة فى إقليم سمهر وهى قرية عريقة وقديمة ٠ وقد شكلت مـع كـل مـن عسوس وجمهوت وأم كلو حواضراً لإقليم سمهر منذ القدم كما تقول الروايات ٠

واسم " عايليت " مشتق من كلمة عائلة بمعنى الأسرة بالعربية ٠ والحق فإن سكانها الذين توافدوا إليها من مختلف المناطق والقبائل فى إقليم سمهر، كونوا بدورهم حياة خاصة بهم ، وأصبحوا وكأنهم عائلة واحدة تتحملهم الحياه الاجتماعية والمصير المشترك والمصالح الواحدة ٠ ويعود تأسيس هذه القرية إلى فرع من قبيلة بلو من أبناء عامر على، وهم عبدالرسول وعثمان شقراى ولدا عامر على أول نائب لحرقيقو ٠ واستقروا فى هذه المنطقة ليكونوا نواة لتأسيسها ، ويتبع ذلك قدوم العديد من القبائل والأسر من مختلف المناطق وبخاصة حرقيقو ٠

وقد عرفت القبائل حياة الديمقراطية والعدالة ، وكان أبناؤها يمارسون الزراعة ويربون المواشى ويهتمون بها وبخاصة "الإبل " ٠ وقد تعرضت قرية " عايليت " والقرى المجاورة لها إلى التدمير مرتين ؛ كانت الأولى فى عام ١٨٨٨م فى عهد الملك يوحنا الإثيوبى ، ٠ ومرة أخرى أبى التاريخ إلاَّ أن يعيد نفسه ، فأحرقت القرية والقرى المجاورة لها على أيدى قوات الاستعمار الإثيوبى فى عام ١٩٦٧م ٠ وكان سكان عايليت يمارسون الزراعة فى أحواض "شبح " و " شعب " و " متكل أبيت " وسهول "سبارقمه" و "عايليت" ٠

وقد اشتهرت عايليت بخضرة أراضيها وكثرة خيراتها ٠ وهى منطقة زراعية من الممكن أن تلعب دوراً هاماً فى الاقتصاد ، كما بها عيون للمياه المعدنية الدافئة

، وظلت مقصدا للعديد من المواطنين والأجانب بقصد الاستشفاء ٠

وكان نظام الزعامة فيها يتم عن طريق الانتخاب على أن يكون المرشح لمنصب الزعامة ينتمى إلى البلد ويسمى بشوم ٠ وأهم الأسر والعناصر التى تشكل سكان عايليت هم :

عد عبدالرسول

عد عامر ادريس

عد شقراى

عد كيكيا

عد ليمان — من بلو حرقيقو ٠

عد هريش

عد قناد

عد فكاك

عد نوراى

عد شيخ محمد — وهم من عد شيخ محمود بزولا ٠

عد شيخ عمر

عد شنقب

عد فاقر

عدسليمان — وهم من حرقيقو ٠

عدكردي

عد شقير — وهم من طاورا ٠

عد حاطط

عد شيخ آدم ومنهم تنحدر قبيلة الدونا وقسم منهم بجزيرة دسيت .

ومن زعماء عايليت المشهورين شوم عبدالرسول ابن نائب عامر وشوم فكاك عامر وشوم عامر نوراى .

قبيلـة عـد شومـا

==

قبيلة عد شوما من القبائل الإريترية الكبرى ، ومن القبائل الهامة والرئيسية جداً فى منطقة سمهر . وإطلاق كلمة قبيلة على عد شوما ليس بدقيق ، ذلك أن عد شوما هى عبارة عن تجمع لعدة قبائل مختلفة الأصول والجذور ، جمعتهم العوامل الجغرافية فكونوا قبيلة عرفت باسم عد شوما وأصبح لها كيانها الخاص وحياتها المحدودة ، رغم تعدد القبائل التى تتكون منها قبيلة عد شوما . وتتخذ القبيلة – قبيلة عد شوما – من حوإلى عايلت وجمهوت وقندع مقراً لها . كما تنتقل مواشى القبيلة إلى فاقينا ودبر معد وسلمونه . وهى من القبائل المستقرة وتمارس الزراعة فى الوديان الواقعة بين مرتفعات "أونمانى" "وماكتال" "ومصوع" و"غرقرت" .

وقد عرفوا التنظيم الديمقراطى فى اختيار زعماء للقبيلة ، كما أن زعامة القبيلة لم تكن حكراً على شخص بعينه أو على أسرة دون الآخرين ، بل ظلت زعامة الأسرة تتناوبها كل الأسر والمجموعات التى تكون قبيلة عد شوما .

وسبب تسمية القبيلة بهذا الإسم فمؤداه كما تقول الرواية المحلية لأبناء القبيلة يعود إلى امرأة تدعى " شوما " ابنة عمر ملاطى " . وهى من أصل عربى

تزعَّم والدها إحدى فروع قبيلة طاورا فى الساحل ٠ وقد تزوجت " شوما " من أحد رجال قبيلة طاورا ٠ وأنجبت منه ولدين هما حمد وبرح ٠ وقد انفصلت عن زوجها واستقرت فى هذه المنطقة مثار البحث برفقة شقيقاتها ، وهى أول من استقر فى المنطقة تحت حماية عامر على ، نائب حرقيقو ، الذى تزوج من شقيقتها ٠ ومع مرور الزمن ، توافد العديد من الأفراد والمجموعات من قبائل طاورة وغيرهم ، وسكنوا حوإلى " شوما " وبذلك عرفت القبيلة باسم عد شومه وتعريبها آل شوما ٠ وتتكون قبيلة عد شوما من الأسر والمجموعات التالية :

عد كليم	وهم من الالمدا ٠
عد يوسف	وهم من قبيلة الالمدا فرع طاورا ٠
عد ديكن	
عد حمور	
عد أحمد دين	
عد نالا	
عد حفراي	
عد حبلاي	
عد تزادوي	
عد قريبا	من الأساورته ٠
عد إبراهيم عمر	
عد سليتمو	
عد أب عبدو	من الطروعة ٠

عد فوكاد	من بيت جوك ٠
عد قلاتى	من مسحليت ٠
عد كامبها	وهم من الحباب ٠
عد كراي	
عد سعيد	
عد حمد	
عد هلاكى	من عتماريام٠
عد دنديفه	
عد درا	من منسع بيت أشحقن ٠
عد شاقى	من الحماسين ٠

وقد تزعم قبيلة "عد شوما" زعماء عديدون ، ينتمون لمختلف البطون والأصول المتباينة التى تكون قبيلة عد شوما ، نذكر منهم على سبيل المثال شوم عامر يوسف وهو من عد يوسف وشوم حمد حروف وهو من عد ديكن وشوم حامد سعيد من عد يوسف ٠ وآخر زعماء قبيلة عد شوما هو الشيخ سعيد ، وقد قتلته السلطات الاستعمارية الإثيوبية ٠

قبيلة الواريا

قبيلة الواريا من القبائل المعروفة فى إقليم سمهر خاصة وإريتريا عامة ، وتنتشر فى العديد من الأقاليم الإريترية ومن بينها إقليم سمهر ٠ وتنحدر القبيلة من أصول هدندوية كما تقول رواياتهم المحلية ، وينحدرون من الشقيقين فايد - وهو

البكر – وحامد– التإلى – ولدا يعقوب حسن ٠ وهى قبيلة رعوية كانوا يعيشون فى مراعى عايليت وسبار قمة وقمهوت ، وشعب ، من نوفمبر إلى فبراير من كل عام ٠ وتتحدث القبيلة التجرى ، وتختار زعيمها على أساس ديمقراطى ، أسوة بما هو سائد لدى قبائل السمهر الأخرى ٠ وتنقسم قبيلة الواريا إلى خمسة فروع هى : (١) عد فايد (٢) عد حامد ، وهذان الفرعان يضمان المنحدرين مباشرة من المهاجرين الأولين ٠ (٣) عد دستاي ، (٤) عد أقايه ، (٥) عد شوماغلى " ٠

قبيلة عد عشكر

==

عد عشكر من القبائل المعروفة فى سمهر ٠ وهم أصلا نتاج لتجمع مختلف الأصول، جمعتهم ظروف الحياة والمراعى والمصالح المشتركة والسكنى ٠ وَتكْوِيِّن قبيلتهم شبيه إلى حد بعيد بقبيلة " قدم سقا " وينتمون إلى أصول قبلية متعددة من مختلف قبائل السمهر والساهو ٠ وأهم فروع القبيلة هى :

عد نباب عد رقبات	من عد تماريام ٠
عد طاوره	من طاورة ٠
عد قلالا	
عد دنكلى	من جزيرة دسيت ٠
عد خياط عد عقبت	من حماسين ٠
بيت دانيا	من أدفير ٠

عد حمد شكار   من عد شيخ محمود .

عد همبا   من فقى حرك منفرى .

عد أسامة

عد شنفرا   من فروع نصر الله عد أحا .

وقبيلة عد عشكر كانت قبيلة رعوية ، وينتقل أفرادها بين قندع " ونفاسيت " وضوحيهما من إبريل إلى أكتوبر . ثم يرحلون إلى " سبارقمه " من نوفمبر إلى مارس " ونظام زعامة القبيلة كان وراثيا يقتصر على بيت " ذكارى " وهو الفرع الكبير فى آل وتاد الذى قدم من ريعوت .

قبيلــة نبـــــره

===

قبيلة نبرة من قبائل إقليم سمهر المعروفة ، وتتشابه مع العديد من قبائل الإقليم من حيث تعدد أصول المنتمين إليها ، وخضوعها لسلطان العقل فى اختيار زعماء القبيلة. شأنهم فى ذلك شأن عدشوما وغيرهم من القبائل والتجمعات السمهرية التى تناولناها فى الفصول الخاصة بها من مؤلفنا هذا . وتحيا القبيلة حياة البداوة ، ويختارون من هو أهلا للقيادة لزعامة القبيلة . وتنتقل القبيلة مع مواشيها إلى سهل " سبارقمة " من نوفمبر إلى مارس . وابريل وأكتوبر من كل عام . وقسم آخر من القبيلة يقصد جبــال " اربابريــع " و " ماى حنذى " ووادى " قولاى " ، بينما يتوجه قسم آخر من قبيلــة نبـــرة إلـــى وادى " زالوت " الواقع شرقى الطريق طريق أسمرا وهناك فرع من القبيلة استقروا فى قندع واستقرت بعض المجموعات منهم فى منطقة " دمبــزان " و " كارنشيم " فى منطقة عنسبه الوسطى .

وإن كانت قبيلة نبرة رعوية بالدرجة الأولى ، إلا أن مجموعات من القبيلة تمارس الزراعة أيضا وأهم العناصر المكونة لقبيلة نبـره هـى :

كابوتسا	من فروع عدعشكر الثلاثة المتفرعة من على كابو وهى قلاتى + تايئ + حسب الله .
عد عمر إبراهيم	أصلهم من عدعشكر .
عد هيابو	من طروعة بيت سرح .
عد أدم	من أساورتا فقرتو .
عد عمر	من أساورتا فقرتو .
عد هلاسة	من فقى حرك .
عد ناصر عد سليمان	من إدّه .
عد موسى عد حمد	من بُرادوتا .
عد سعيد بيت يوسف	من بلو حرقيقو .
عد سعيد عد دنكلى	من انكالا بورى .
عد سعيد	من لاماذا .
عد حرابسو	من الحماسين .

عد كازين من كرنشيم ٠

عد عمر جابر من دمبزان ٠

عد شيخ إبراهيم من الجزيرة العربية ٠

وأول زعيم لقبيلة نبرة هو شوم حمدزقنو من فقرتو ٠ أما آخر زعيم لهم فهو شوم صالح سعيد من طروعة ٠ وكل ذلك فى العهد الاستعمارى الإيطإلى ٠

قبيلـــة الأفلنـــــدة

==

قبيلة الأفلندة أو العجيلاب كما تعرف أيضا ، وهى من القبائل ذات الصلة بقبائل الهدندوة إلا أنها من القبائل التى يعود أصولها إلى العرب البكريين ٠ وقد عرفت بحبها وعشقها للحرية ٠ وتنقلت فى أماكن كثيرة من إريتريا بين بركة والساحل ٠ واستقر القسم الأكبر منهم فى إقليم سمهر ، وتحديدا فى حوإلى منطقة " شعب " ، ويمارسون الزراعة والرعى ، ويعتنون بثرواتهم الحيوانية ، وقسم منهم استقر به المقام فى حطملو وأمبيرمى٠ وكان فرع نصر الدين وعد عجيل شيخ ، يقيمان فى المراعى الواقعة بين لبكا وسهل شعب ، حيث يمارسون حياة الرعى ، بينما يقيم فرع آخر منهم هو فرع " حباباى " بين نوفمبر ومارس من كل عام فى أراضى " سحاتى " وبين إبريل وأكتوبر فى وادى " عدريو " وفى قندع ٠ وأهم فروع وبطون الأفلندة فى السمهر وهى فى ثلاثة أفرع ٠

فرع نصر الدين ويتكون من الآتى :

بيت موسى محمد

بيت جيامه

بيت مجابل حمد

بيت إدريس عمر

بيت إدريس إبراهيم

ومن زعمائهم شيخ موسى محمد كركور

فرع عجيل شيخ ويتكون بدوره من الآتية :

بيت عبدالله

بيت عبدالقادر

بيت عثمان

بيت شيخ

بيت إدريس

ومن زعمائهم شوم سليمان عبدالله

والفرع الثالث يعرف بفرع حباباى ويضم :

عد حمد حبيب

عد عبدل

عد سلطان

عد حسن

ومن زعمائهم الشوم سليمان محمد

ويتخذون من " جعارات " فى " وقيرو " مقراً لهم ، وقد انخرطوا فى أوجه الحياة المختلفة فى إريتريا عامة والإقليم على وجه الخصوص ٠

قبيلــة طروعـــة

==

قبيلة طروعة من القبائل الإريترية الكبيرة وتنقسم إلى قسمين وهما : بيت موشى ، وبيت سرح ٠

وقد تحدثت فى الفصل الخاص بإقليم الهضبة عنهم بإسهاب ، وأوضحنا أصولهم وفروعهم وهم ينحدرون من أصول عربية أموية من أحفاد يزيد بن معاوية ٠ وتربطهم صلة النسب مع كل من الماريا ، وحزو والمنسع ٠ ولذلك سنقتصر حديثنا فى هذا الفصل عن طروعة بيت " موشى " ٠ وقد عرفت قبيلة بيت موشى النظام الديمقراطى وذلك بأن يتولى كبار السن وعقلاء القبيلة زعامة القبيلة ٠ ويتحدثون لغة الساهو بحكم الروابط المتينة التى تربطهم بالساهو ، ويتحدثون كذلك لغة التجرى بفعل انتمائهم إلى إقليم سمهر وسكناهم وسط قبائله ٠ وينزح أفراد القبيلة مع مواشيهم في مارس حتى أكتوبر إلى سفوح جبل " بيزن " بحثا عن المراعى ٠ كما يقصدون أودية " سارات " و " حقات " و " بابى " والحوض الأعلى : لدماس " ، وينتقلون بين نوفمبر وفبراير إلى مراعى " قندع " و"امباتكلا" و"مارباتو" و"سحايتى " ، ويمارسون الزراعة فى كل من امباتكلا ومراشو " وتربطهم صلات مصاهرة مع قبائل السمهر ، وبخاصة عد شيخ محمود ٠ وظلوا يخضعون لسلطة زعيم واحد رغم اتساع نطاق القبيلة ٠

وأهم فروعهم هى :

بيت محمد عبوسة ٠

بيت ثالثة عبوسة ٠

بيت حامد بارية ٠

بيت أبا عبسو .

بيت شوم حمدقها .

بيت درانكيت طلام .

بيت درانكيت قيح .

بيت قرى .

وتشارك القبيلة المشاطرة والانتماء الإدارى كل من بيت " كابوتا " من عد عشكـر " (على كابو) وبيت " تالاكى زيله " فى الرسانو ، وعد وارتبو وعد بانوو فى الإنكالا .

ومن زعمائهم القدامى المشهورين شوم حسن حمد وشوم إبراهيم عبده ، وكان زعيم القبيلة يتم اختياره من عموم قبائل طروعة بيت موشى ، ليأتى دور الحكومة بعد ذلك، وتصادق على رغباتهم فى الإختيار الحر .

أما اليوم فإن قبائل الطروعة كسائر القبائل الإريترية الأخرى ، تخضع لسلطة مركزية ، ولإقليم سمهر وعاصمته مصوع .

قبيلة مسحليت

===

قبيلة مسحليت من القبائل الإريترية المعروفة ، وإحدى أهم قبائل إقليم سمـهر. ويدل اسمها على المنطقة عموما . فمنطقة سمهر هى منطقة ساحلية ، لوقوعها ضمن شريط البحر الأحمر بمساحة غير بعيدة عن مصوع ميناء إريتريا الأول ، وإسم القبيلة مشتق من كلمة الساحل العربية أو السواحلى لمن يسكنون السواحل . وتتكون قبيلة مسحليت كسائر قبائل السمهر – التى تحدثنا عنها فى

الفصول السابقة – من عدة أصول قبلية وحدت بينهم السكنى والمصالح المشتركة من مرعى وخلافه · وقد تزاوجوا مع بعضهم البعض ، وحلت بينهم قرابة عرقية ومعنوية ، رغم اختلاف أصولهم العرقية وانتمائهم لقبائل متعددة · وقد انعكس انسجامهم على ما شهدوه من استقرار وألفة، وكانوا يختارون زعيمهم المعروف بشوم بطريقة ديمقراطية ، ومن يرونه أهلا لذلك من حيث السن وسداد البصيرة · وهى قبيلة شبه مستقرة وتمارس الزراعة فى حوض وادى " وقيرو " الأدنى · بينما ينتقل رعاة القبيلة إلى أراضى المنسع بالهضبة من ابريل إلى أكتوبر من كل عام طلبًا للمرعى · حيث اختلاف الفصول من منطقة لأخرى من إريتريا رغم قصر المسافات · كما يقصدون الكبا وغفرالله طلبا للمرعى ، وتتكون القبيلة بصورة أساسية من الفروع التالية :

أ	عد على غرة	وهم من حرقيقو ·
ب	عد على بابو	وهم من فقرتو ·
ج	عد بادينقه	من طاورة ·
د	عد عليمو	من الدناكل ·

ومن زعمائهم المشهورين الذين تزعموا القبيلة : الشيخ على هيابو ، والشيخ على صالح · وقد عرفت القبيلة الزعامات القبلية منذ العهد التركى فى ١٨٦٠م ·

وظلوا يتوارثون هذا النظام القبلى ، شأنهم شأن القبائل الأخرى من إقليم سمهر وعموم إريتريا ·

قبائـل عد أحـــا

===

قبائل عد أحا أو عد حا من القبائل الإريترية المعروفة ، وهى من القبائل التى تتخذ من إقليم سمهر مسكنًا لها · وهى تتكون حاليا من تجمع يعود إلى

بطون وأفخاذ لقبائل إريترية عديدة من مختلف الأقاليم الإريترية وبخاصة إقليمى الساحل وسمهر ·

واسم القبيلة مشتق من نمط حياتها كقبيلة شبه رعوية ، وتعنى بتربية المواشى وبخاصة البقر · وعد أحا تعنى بلغة التجرى أصحاب البقر أو ملاك البقر· ويمارس عد أحا حياة البداوة شأن سائر قبائل سمهر ، إلا أن بداوتهم تنحصر فى تنقلهم لقرى بعينها ، ففى الفترة من أكتوبر إلى مارس ينتقلون مع مواشيهم إلى جترا من سهل " عسوس " وإلى وادى " قرقر " و " بيت كوستان " وفى الفترة من إبريل إلى سبتمبر يقصدون مع مواشيهم هضبة المنسع ·

كما يمارسون الزراعة فى الوقت الذى ترعى فيه دوابهم ، ويتخذون من " عسوس " مسكنا لهم ·

وزعيم عد أحا يعرف باسم شوم وكان يتم اختياره بطريقة ديمقراطية من عقال وكبار القرية · وأهم المجموعات التى تشكل عد أحا هم :

عد كاتحا	من أحفاد نصر الله من أصول الأساورتا
عد مقرانى	من المدا ·
عد حمد كراى	من المدا ·
عد حميده	من المدا ·
عد قلاقه	من رقبات ·
عد كوكل	من عد شيخ محمود ·

عد شاطر	من عد عشكر .
عد يعقوب	من منسع بيت أبرهى .
عد سفاف	من الجزيرة العربية .
عد كباشاى	من أفلندا .
عد حموده	من طاورا .

ومن زعمائهم المشهورون شيخ حميده من المدا ، وشيخ حسن سالم من عد سفاف على وشوم على غنوم من كابشاي أفلندا .

" ماى عطـــال ودمـــاس "

===

ماى عطال أو ماى أطال و " دماس " من القرى المشهورة والقديمة فى إقليم سمهر، وقد ازدهرت أبَّان القرون الأربع أو الخمسة الماضية ، وغدت موطنًا للعديد من القبائل الإريترية وبخاصة قبائل إقليم سمهر ۰ ولوقوعها فى الطريق بين مصوع ميناء إريتريا الأول وأسمرا العاصمة شهدت نموًا سكانيًا وحظيت بأهمية تجارية ۰ وتتكون من قبائل مختلفة الأصول ، إلا أنها اتخذت من إطارها الجديد ، وارتبطت مع بعضها البعض بصلات الدم ۰ وهى موطن لقبائل شبه رعوية لامتلاكها لثروة من الماشية وممارستها الزراعة ۰

ولقد تعرضت للإبادة والحرق إبَّان الإحتلال الإثيوبى ولجأ معظم أفرادها إلى مناطق أخرى من إريتريا ۰

ومن زعماءهـا المعروفين شيخ طاهر على كبير ، وهو من إحدى عائلات الحلنقة التى استقرت فى حماسين ثم انتقلت إلى " ماى عطال "۰

" دسيـــــت "

دسيت هى الموطن الأصلى التاريخى القديم لقبائل الدقدقى ، وقد شهدت ازدهارًا سكانيًا كبيرًا ، ودقدقى من القبائل الإريترية العريقة والمخضرمة القديمة ، وهى من قبائل سمهر القديمة ۰ وقد اندثرت دسيت ، وقل شأنها بعد أن شهدت حروبا طاحنة كانت قبيلة دقدقى إحدى قواسمه ۰

وقد انتشرت قبائل الدقدقى فى مناطق كثيرة من إريتريا ، فيوجدون فى الساحل وبركة وكرن وبالطبع سمهر موطنهم الأصلى ۰ ويرتبطون مع قبائل السمهر والأساورتا بصلات لا تنفصم من علاقات الدم والنسب والمصاهرة ۰

" زقـــا سحائـــى "

زقا تعنى باللغة العربية أرض أو بلد أو مركز ، وهى تعريف لكلمة دقى "التقراوية" ، وقد قامت قرية " زقا سحائى " وازدهرت منذ دهور قديمة . وتقول بعض الدراسات أنها سبقت بعض حواضر الإقليم بقرنين . والشىء الذى أسهم فى ازدهارها هو وقوعها فى طريق القوافل القادمة والذاهبة من وإلى مصوع . فعرفت التجارة وعرف أهلها الزراعة وحياة الاستقرار ، وكانت تتكون من العناصر المختلفة من قبائل إريتريا عامة ، والإقليم خاصة شأنها شأن باقى قبائل المنطقة. وقد اقتصرت زعامة القبيلة على فروع من عد معلم .

وأهم العناصر التى تتكون منها " زقا سحائى " هم :

عد شيخ عمر	وهم من عد معلم ومنهم يتم اختيار الزعيم .
عد شيخ اداله	
عد شيخ على فقى	
عد جميل	من بلو حرقيقو .
عد دبوس	من طاورة .
عد راكى	من طروعة بيت موشى .
عد رقبات	من رقبات .

وكان سكانها يعيشون إلى جانب ما تقدم من الرعى ، وينتقلون بمواشيهم من مارس إلى أكتوبر إلى مراعى ود دبع " على مقربة من آبار " تاتا " .

ويمارس البعض الآخر منهم الزراعة فى ود ديع .

ومن زعمائهم شوم عبدالله منتاى من بلو حرقيقو وشوم جابر إبراهيم من عدراكى وشوم أحمد قدر من عد معلم أدالة .

" قبيلة قــدم سقـــا "

====

قبيلة قدم سقا من القبائل المعروفة فى إقليم سمهر ، ويسكنون فى جبل قدم بمصوع · وتعود تسميتهم كما يبدو إلى اسم الجبل الذى يسكنوه ، وتعنى بلغة الساهو من يسكنون جبل قدم · وهم ينتمون إلى مجموعة من القبائل الإريترية ، وإن كان ارتباطهم بالساهو يبدو أقوى وأكبر · وظلوا يحتفظون بعلاقات عمل وتجارة ومصالح مشتركة مع أهل حرقيقو - وكانو يخضعون لسلطة النائب فى حرقيقو - ومع مرور الأيام وتوالى السنوات ، ازداد عددهم وأصبحوا يشكلون رقماً لا يمكن تجاوزه · وكونوا قبيلة عرفت باسم قدم سقا · وتعمل القبيلة فى الرعى وينتقلون من أبريل إلى أكتوبر إلى المراعى " العصا " قرب " قندع " ومندر فازا " و " قدم " أداى " و " عديتا " وسفوح جبال دير دقدقة الشرقية · ويقيم جزء من قدم سقا قرب قندع · وبدءوا فى التخلى عن حياة البداوة والرعى ، ويمارس جزء منهم الزراعة فى سهل " العسا " ، وفى مناطق سهول "سبارقما" الشرقية المعروفة باسم " مالاكيا " ·وقد انضم العديد من الأفراد إلى قبيلة قدم سقا من أصول مختلفة · وأهم فروع قبيلة قدم سقا هى :

بيت سليمان	وهم من الأساوتا ·
بيت عيَّارة	من جماعة شيخ عبده من عد شيخ محمود ·
عد شيخ غرب	من جماعة شيخ محمود من زولا ·
عد حاسو	من منفرى ساهو ·

عد دناكل   من فرع أنكالا ٠

عد عجمى   من إدة ٠

بيت دانيا   من أدفير ٠

وعرفت القبيلة النظم الديمقراطية فى إختيار زعيمهم ، وكان يتم الإختيار من كبار السن وعقلاء القبيلة ٠ واقتصرت زعامة القبيلة على عائلة بيت سليمان ، ومن زعمائها شوم "راقى" وشوم فاناى ابن الشوم جابرا وذلك فى فترة الإحتلال الإيطالى ٠

الفصل السادس والثلاثون
إقليـــم دنكالـــيا
الأرض والشعب

ومعروف جغرافيا بإقليم الساحل الجنوبى ، ويمتد السهل الجنوبى والجنوب الغربى من الإقليم داخل إثيوبيا حتى حدود جيبوتي ، فدنكاليا تشكل البوابة التى من خلالها قدم المهاجرين العرب الأوائل إلى عموم إريتريا كما لاحظنا فى دراستنا عن الخلفية التاريخية للشعب الإريترى ٠

إن دنكاليا لها النصيب الأكبر من هذه النزوحات المتتالية من الجزيرة العربية والتى كانت تفرغ فى إطارها فائض سكانها فى الساحل الشمالى الشرقى لإفريقيا والتى شهدت على الدوام توزيعا عنصريا وجغرافيا مميزا ونزول العرب الساميون أو القحطانيون شمالى زولا ومصوع ومنها توغلوا إلى عمق الهضبة الإريترية وإقليم تيجراى والعرب الكوشيون والعدنانيون والهلالية القدامى والحضارم الذين هاجروا إلى الساحل الدنكلى واستقروا فيه ٠ ولم يطرأ على مر الدهر ما يعكر استمرار هذا المد العربى البطىء كما ذكرنا فى السابق باتجاه السواحل الشرقية للقارة الإفريقية ٠ ولم تنجى دنكاليـــا نفسها ولا الهضبة الإريتريـــة الواقعـــة بين حوض عنسبه والهوامش من هذه الظاهرة ٠

فالعرب ذوى البشرة الخالصة الذين هاجروا إلى الصومال ودنكاليا والذين تنتمى إليهم العناصر الكوشية أو العدنانية فقد فقدوا لون بشرتهم لكنهـم بقوا محتفظين باسم (عدو مرا) فى حين أن سائر العرب الساميين أو القحطانيين الذين نزلوا شمال دنكاليا مع تقاليدهم السبأية واسطورتهم السليمانية قد فقدوا لون بشرتهم هم أيضا ولكنهـم اكتسبوا إسمـا جديـدا حيــث أصبـح يطلــق عليــهم

" عسامرا " . عندما امتزجوا مع السكان الأصليين من أبناء البلاد ومدوهم بالدم الجديد فى دنكاليا وبألوان بشرة جديدة وبلغة جديدة وكأنهم فى بلاد عربية جديدة عادوا كما كانوا فى مسقط رأسهم القديم حيث تحكمهم علاقات العداوة ودفعتهم وطأة المحيط والبيئة للإنصهار مع سكان البلاد الأصليين .

هكذا يبدو التكوين التاريخى للشعب الدنكالى (العفرى) الذى يشكل واحدا من المجموعات العربية الكوشية الحامية ، ونستخلص من هذه المقدمة ما يلى :

١- عسامرا :

وتضم قبيلة دمهيتا بفروعها المختلفة وتقطن أساسا شبه جزيرة بورى وعد ومرسى فاطمة وبرودلى وعكيلو فى الشمال ومنطقة بيرو فى الجنوب .

عدو مرا :

وتضم كل القبائل التى كانت موجودة فى المنطقة قبل سيطرة عسامرا ، ومن قبائل عدومارا ما كان يتمتع بالحكم الذاتى وهم : بلعوسوه ، عدو حامد ، قد يمتو ، بديتوميلا ، العيتو ميلا ، دناكل الهواكل ، وداهميلا فى ارعتا ، وودو وبرهنتو برعولى ، ودناكل بيلول، عيسى ميلا مرعيبا .

وإلى جانب ذلك توجد قبائل ذات الأصل العربى الأكثر حداثة : عد على فى رحيتا وتاجورة وكيلوما . وتتوزع على الدها منتو والديمنيلى والبورهانتو وأنكالا فى عصب وبورى وبيلول وحضارم سادوية ومورعم وكوباء ودونا بورى والبيدل .

وهذه هى مجموعة القبائل الكبيرة والصغيرة التى تتفرع منها القبائل العفرية الأساسية فى إريترية والتى سيأتى تفاصيل ذكرها فيما بعد .

ويقطن الدناكل (العفر) كما أوضحنا الشريط الجنوبى من السهل الساحلى المطل على البحر من شبه جزيرة بورى إلى جنوب مصوع بقليل شمالا إلى بوغاز باب المندب جنوبا بالإضافة إلى الرقعة الصحراوية الواسعة حول هذا الشريط فى إثيوبيا وجيبوتى. وكانوا ينقسمون إلى دناكل الشمال والجنوب وينقسم كل منهم بدوره إلى عدد كبير من القبائل والعشائر ، وكان بعض زعماء قبائلهم يتخذون لأنفسهم لقب السلطان . والعفريين يشكلون الجماعة النموذجية لأبناء السهل وهم ينتمون كغيرهم من سكان الأقاليم الإريترية إلى مجموعة الشعوب الحامية السامية. التنظيم القبلى عندهم يشكل إطارا سياسيا أكثر منه عرقيا مما أتاح لها أن تضم فى صفوفهم خليطا كبيرا من المجموعات العنصرية الأخرى . وقد شكلت وحدة اللغة العفرية ووحدة الدين الإسلامى حيث كلهم يعتنقون الديانة الإسلامية . أما العامل الثانى فهو الخوف الذى عمر قرنين من الزمن من اعتداءات الإثيوبيين المتكررة عليهم أصبح عنصرا مهما جدا فى توحيد هذه المجموعة المختلفة الأصول وتقوية الروابط العفرية فيما بينهم .

وكما بينا فى المقدمة تنقسم الجماعات العفرية إلى طبقتين اجتماعيتين وهما طبقة عسامرا وهى الطبقة الحاكمة وكان يطلق عليهم إسم الرجال الحمر ، والطبقة الثانية وتسمى عدو مرا أى الرجال البيض . وتشير الروايات المحلية بأن جماعة الطبقة الحاكمة (عسامرا) هم الذين وفدوا إلى المنطقة حيث كانت قبلهم جماعة الطبقة الأخرى (عدو مرا) وفرضوا سلطتهم عليها ومهما يكن من أمر أن التقسيمات العرقية والاجتماعية والقبلية متماذجة هنا تختلف عن قبائل أخرى فى الأقاليم الإريترية . بحيث أننا نجد الفرع القبلى فى دمهيتا يضم فى صفوفه عناصر من الطبقة الحاكمة وتوابعهم على السواء دون تميز . أما فرع داهميلا لا يضم سوى العامة الغير مرتبطين بالطبقة الحاكمة مما يجعلهم فى الواقع أسياد

أنفسهم حيث كانوا يتمتعون باستقلالية كاملة . وهنا نلاحظ فأن ضم القبيلة إلى أخرى فى العفر ليس من خلال العرقى ولكن من خلال الإنتماء السياسى للتجمعات وهذا كان نوعا من التطور فى حد ذاته لم نلاحظه فى بقية القبائل الإريترية الأخرى .

كانت الطبقة الحاكمة عند العفريين تمارس ، سلطتين سياسة ، واقتصادية معا ، وتفرض التقاليد أن ينتمى زعماء القبيلة وفروعها وتجمعاتها العائلية إلى طبقة عسامرا وترتبط هذه التقاليد ذاتها بملكية الأرض مما تعطيه امتيازات اقتصادية معينة .

والعفر متجانسون ثقافيا مع غيرهم من الحاميين الشرقيين . وبعد أن استوضحنا عن أصول هذه القبائل والتجمعات السكانية لإقليم دنكاليا يجدر بنا هنا أن نشير إلى التجمعات المهمة فى هذا الإقليم ، وأهمها هى :

١ - دموهيتا :

ينتمى دموهيتا إلى عسامرا ويعود أصلهم إلى العرب من اليمن حيث هاجر جدهم إلى الساحل الإريترى ولقب بـ (حرا الماحس) وتعنى بالعفرية الرجل الذى أصبح تحت الشجرة . أما إسم القبيلة فقد اكتسب نسبه إلى دماهو الواقعة قرب التاجوراء ، وهى أول منطقة فى اليابسة وطأها جدهم وكانت سلطة دموهيتا تمتد إلى كافة مجموعات عدو مرا التى كانت تقيم فى الأماكن التى انتشرت فيها . ويتوزعون على طول الساحل بين بلدة عد وشبه جزيرة بورى ويستغلون مراعى سفوح أرعتا . وأما مراكز استقرارهم والتى كانوا يمارسون منها سلطاتهم على اتباعهم من عدو مرا هى بلدة معدر

وحارينا على الطرف الشرقى من شبه جزيرة بورى وفوق مرسى جيد ودلخ ودلامي وغوروتا ٠

أما عدو مرا التابعين لدموهيتا فلهم مراكز سكنية ثابتة أهمها مدينة طيعو على المرسى الذى يحمل اسمها ٠ وقرى أخرى عديدة ، وكثير منهم يعيشون متنقلين بين مراعى بورى وسفوح ارعته الشرقية ، وسهل بده وراغلى وساحل بحولى وأقفيله وغيرها من المناطق ٠ وتشكل عد الواقعة على المرسى الذى يحمل إسمها ، مركزا سكنيا مهما للداموهيتا وهى تقع ضمن المنطقة التابعة لعصب إداريا ٠

ويمارس الدموهيتا وأتباعهم الزراعة فى منطقة بده الزراعية فى حين أن العديد من سكان قرى بورى الساحلية وعد يمارسون الصيد وسائر النشاطات البحرية ٠ ولهذا تقوم فوارق حضارية عديدة بين أبناء الساحل وأبناء المناطق الداخلية ٠

إمتداد الساحل الذى توزع عليه دموهيتا أدى إلى قيام تجمعات سكنية فى المراعى المفضلة انقسمت بين مشيختين هما مشيخة عد ومشيخة بورى والتى كانت موزعة بين خمسة زعماء ٠

ولد موهيتا أبناء عمومة فى كل من جيبوتى وسلطنة أوسا وإقليم تيجراى الإثيوبى وجميعهم ينحدرون من حرا الماحس جدهم الأكبر وإليهم ينتسب السلطان على مرح السلطان الحالى لعفر إثيوبيا ٠

ومن أشهر زعماء دمهيتا فى القرن العشرين السلطان يس حيشمه الذى تصدى للاستعمار الإيطالى لسنوات عديدة ثم السلطان محمد أحو ابن عمه

الذى تولى السلطة بعد استشهاد السلطان السابق ، وواصل سياسة سلفه فى التصدى للغزو الإيطالى . ومن رجالاتهم أيضا الزعيم الثائر على عطبان كولى حمد الذى قاوم الإيطاليين فى منطقة بورى واعتقله الإيطاليون فى سجن نخره بجرز دهلك ، وتمكن من كسر بوابة السجن الحديدية ولجأ إلى الحدود الإثيوبية وبدأ فى حشد قوة لمهاجمة الإيطاليين إلا أنه مات فى ظروف غامضة وقد لقب بـ (على نخره يقدلى) أى محطم سجن نخره . وأيضا ظهر من نفس الأسرة رغيم آخر يدعى باشاى عثمان بورى وهو الآخر قاوم الإيطاليون ولجأ إلى سلطنة أوسا عند أبناء عمومته فى عهد سلطان يايو ، وتوفى هناك . ومن شخصياتهم التاريخية الشيخ محمد عمبس الذى كان مرجعا فى الأنساب والقوانين العرفية لكل أبناء العفر وكان يقضى فى القضايا الاجتماعية المتعثرة التى تعجز عنها المحاكم وكان حكمه نهائيا . ومن أبرز زعماؤهم التاريخيين فى العصر الحديث الشيخ كفليرى قعص ومن بعده ابنه الشيخ موسى قعص الذى كان من الشخصيات الوطنية البارزة فى الحركة الوطنية وأيضا شوم على عبدالله من فرع عسر محمد وكان يعتبر آخر الشخصيات التاريخية وقد توفى فى أواخر الستينات .

٢ - داهيميلا :

وهم يتواجدون فى الجزء الغربى من بحيرات عصب المالحة وفى منطقة بده ، ويشكلون مجموعة قوية مترابطة وينتمون إلى شعوب عدو مارا المستقلة ، وتعود أصولهم التاريخية إلى الجزيرة العربية . وتقول الرواية أن أصل الداهيميلا يعود إلى شخص يدعى داهيلوم ، ومنه اشتق اسم القبيلة

داهيميلا بمعنى جمعة داهيلوم وهم من عرب اليمن العدنانيين انتقلوا من اليمن إلى مابيلا فى الأراضى التى يتواجد بها اليوم أبناء عمومتهم بدويتا ميلا فى جيبوتى ويقال أن ذريته انتقلت فيما بعد من مابيلا إلى أرعتـه ٠

ويمارس أبناء الداهميلا من النشاط الرعى واستخراج الملح من ملاحة عسا عيلا ويملك القليلون منهم الأبقار بينما تكثر الإبل والماعز فى مراعيهم القليلة العشب ٠ وتكثر قبيلة داهميلا الارتحال وسط مناطقهم ولكنهم لا يبرحونها أبدا وهم شأن سائر العفريين لا يمتلكون الأبل إلا من أجل حليب النوق ٠ أما الجمال التى يستعملونها للتناسل فيأكلون لحمها أو يبيعونها ولا يستغلونها أبدا للنقل ٠ ومن أشهر زعماءهم دجات حموده والذى كان ناظرا لعموم داهميلا وهو من فرع لعقد (عند خضرى) ومن رحجالاتهم البارزين فى العهد الحديث السيد ياسين حموده قمحد من فرع بدى ديرا ٠

٣ - الانكـالا :

انكالا هـى قبيلة عربية الأصل وتنحدر من سلالة حفيد جعفر الطيار ، وهى من أقدم القبائل العربية التى استوطنت دنكاليا وكانت تتوزع سلالتها بين عصب وبيلول ودسيت وتقيم بعض فروعها عند سفوح جبال بورى على شاطئ البحر الأحمر ٠ ويمارس أبناءها أعمال الصيد البحرى وبقية النشاطات البحرية وجزء من القبيلة يقطن جزيرة دهلك وتتميز قبيلة أنكالا بمصاهرتها من قبائل التجرى فى إقليم سمهر حفظوا منذ زمن بعيد استقلالهم الذاتى ولم يخضعوا لنفوذ قبيلة أخرى ٠ وتعتبر مكعنيلى فى خليج أرافلى من مقراتهم الرئيسية بالإضافة إلى مدينة عصب، ومن أشهر

رجالاتهم السيد محمد عمر أكيتو الذى عرف بمواقفه الوطنية فى البرلمان الإريترى ضد المخططات الإثيوبية الهادفة إلى ضم إريتريا إلى إثيوبيا وكذلك الشيخ سراج محمد كامل الذى كان من زعماء الحركة الوطنية الإريترية المنادين باستقلال إريتريا كما كان حاكما لجزر دهلك ومنهم أيضا شوم محمد هلال الذى كان ناظرا لقبيلة أمكالا فى مكعنيلى بشبه جزيزة بورى ٠

٤ - بلعسـوة :

ويقيم بلعسوة فى الأراضى الواقعة بين حوض سيل حارينا عند السفح الغربى لشبه جزيرة بورى ٠ وقبيلة بلعسوة تنحدر من أصل عربى ولذلك تدخل فى إطار عدو مارا وعن قدوم هذه القبيلة تشير الرواية الشائعة بين العفر عن إنتمائها العربى أن أبناء هذه القبيلة قد جاءوا من اليمن إلى جنوب دنكاليا ثم انتقلوا إلى شمالها وأما إسمهم الذى يعنى مجموعة سوة فمرده إلى كون القبيلة المهاجرة قد توقفت فترة فى سهل سوة جنوب غربى عد قبل أن تستقر حيث تتواجد الآن ٠ ولم يعد اليوم فى قرية سوة تلك سوى مجموعة من حضارم عسا حجى وبعض من دامهيتا المستقلين وتنقسم قبيلة بلعسوة إلى قسمين وهى دتاودو وعساودو ٠ ويشكل دتاودو الفرع البكر والفريق الأكثر عددا يتوزع على فرعين هما : بلالتو والعراميسو ويقال أن الزعيم المؤسس لبلعسوة هو شخص يدعى عيرانو جاء من اليمن إلى دنكاليا الجنوبية ومنها إلى بورى برفقة الشيخ آدم الذى تتفرع منه قبيلة الدونه وايرونابا ٠ أما عساودو ويطلق عليهم اسم حاليتا ويتواجدون فى سموتى على ضفاف نهر راغلى ويعيشون مع قبائل حزو ٠

ومن أشهر زعماءهم شوم بلال عبدالله الذى قاوم الإيطاليين وبعد عدة معارك الحق فيها بهم أضرارا كبيرة تمكنوا من أسرة ووضعه فى سجن نخره بجزيرة دهلك وتم اغتياله هناك غدرا وقيل مات مسموما وشوم داود على الذى أصبح أول زعيما لفرع عراميسو .

٥ - حاليتا :

وهـى من قبيلة بلعسوة فرع عساودو وهى تقيم بإقليم سموتى وتنتقل بين سهلى بدا وساموتى ، وانفصلت نهائيا عن الفرع البكر لبلعسوة وشكلت قبيلة حاليتا بزعامة الشيخ محمد راغى ، وتمارس هـذه القبيلة رعى الأبقـار والإبـل كسائر قبائـل بلعســوة .

٦ - قبيلة الحضارم (حضرمو)

وينحدر الحضارم كما يوحى إسمهم من منطقة حضرموت باليمن ويعتقد أنهم ينتمون إلى آخر القبائل العربية التى استقرت فى منطقة دنكاليا وتقول الروايات المحلية أن الزعيم المؤسس لسلالة الحضارم شخص يدعى باسا حامد استقر مع السكان الأصليين وأنجب ثلاثة أبناء وهم :

١ - عمر باسا البكر والملقب بـ دتـا حجى أى الحاج الأسود .

٢ - عمر باسا الثانى وملقب بـ عسـا حجى أى الحاج الأحمر .

٣ - دتا على باسا وهو الإبن الثالث ويعنى على الأسود .

ويسكن فرعى دتـا حجى وعسا حجى فى المنطقة الواقعة بين هضبة بيـرو ومبرا ومناطق سدوحـا عيلا وافمبو وغيرها . أما أبناء دتـا على فقد ارتحلوا

إلى دقعى بإقليم تيجراى وجميعهم يمارسون حياة الرعى .

ومن أشهر زعماءهم السابقين الشيخ على ناخوده .

٧- دونـــا :

قبيلة عربية الأصل قدم جدها الكبير من الحديدة باليمن وكان اسمه الشيخ آدم ولها فرعان وهما فرع الشيخ حازم وفرع الشيخ اسماعيل توزعا بين مصوع وامبيرمى ودسيت وعايلت وخضعا للعائلات التى كانت تسيطر محليا فى هذه النواحى وهم بلو وعد شيخ والدناكل . وأما الفرع الوسيط المعروف بفرع إبراهيم دونا فقد تعايش طويلا مع بلعسوة وارتحل معهم عندما انتقلوا من سوة إلى ارعته ولدى وصول بلعسوة إلى بورى كان دونا قد أصبحوا مجموعة كبيرة العدد فاستقروا بمنطقة ديمو الجبلية ومارسوا حياة الرعى وأصبحوا عدديا مساوين لبلعسوة وبيلالتو ومع ارتفاع عددهم تمكنت قبيلة دونا من تحقيق استقلالها عن بلعسوة فى عام ١٩٠٧ وأصبحت لهم زعامتهم الخاصة . ومن أبرز زعامتهم الشيخ عبدالله أحمد الذى تولى زعامة القبيلة لأول مرة . ومن شخصياتهم الوطنية فى العصر الحديث الشيخ حسن محمد أحمد الذى كان عضوا بارزا فى الرابطة الإسلامية كما كان عضوا فى الأمانة العامة لقوات التحرير الشعبية لجبهة تحرير إريتريا .

٨- الهواكـــل :

وهم ينتمون إلى عدو مرا وهم من مجموعات مختلفة من القبائل الدنكلية حيث استقروا فى جزر هواكل واكتسبوا اسمها وتقع فى جنوب شرقى شبه جزيرة بورى وهم مجموعات من الصيادين وكانوا تابعين لسلطة قبيلة

داموهيتا وحصلوا على حكمهم الذاتى فى عهد الحكم الإيطالى .

٩ - قبيلة البيدال :

يعد أصل هذه القبيلة إلى أصول عربية ، وينحدرون من سلالة الزبير بن العوام وينتمون إلى ذرية (فقيه محمد) وهو جدهم الكبير حيث استقر فى بداية قدومه من اليمن فى دنكاليا وتزوج من بنات أحد زعماء الدناكل وأنجب منها ابنه البكر وسماه عليا وابنه على أنجب إبراهيم ومن إبراهيم تفرعت قبيلة البيدال أو البديل، وتقول الرواية عندما قرر فقيه محمد ترك المنطقة والرحيل لمنطقة أخرى لمواصلة رسالته الدينية تجمع حوله كبار أهل المنطقة قائلين له لمن تتركنا أيها الشيخ الجليل . قال لهم تركت لكم ابنى بديلا عنى ومن هنا أطلق الدناكل اسم بيدل على ابنه وهى تحريف لكلمة البديل . ومن هنا اكتسبت القبيلة اسم بيدل . وتحظى قبيلة بيدال باحترام وتقدير من جانب سائر القبائل الدنكلية ، ومن الناحية الإجتماعية والسياسية ينطبق عليهم ما ينطبق على قبائل الدناكل فى المنطقة وكان لهم زعامتهم المستقلة وهى بجانب إريتريا تنتشر فى جميع المناطق التى يتواجد فيها العفر سواء كان فى إقليم تيجراى أو سلطنة أوسا . ومن أشهر زعاماتهم الشيخ حسين وى عيسى الذى كان ناظرا للقبيلة .

١٠ - قبيلة صومالى الدنكلية (عدو صالح) :

هى مجموعة من أصل صومالى تعيش فى جزيرة باكا فى خليج هواكل وقد بقى الصوماليون زمنا طويلا منذ وصولهم إلى موطنهم الحالى محافظين على روابطهم مع زعامة الفرع الأصلى فى موطنهم الأول من مجرتين

بالصومال ولكن هذه الروابط وهنت بعد أن انصهروا وتزاوجوا مع أبناء الدناكل مما أدى إلى إندماجهم إلى أمة الدناكل التى أصبح لهم فيها مرتبة الفرع القبلى المتمتع بالحكم الذاتى وكانت لهم زعاماتهم ومشيختهم المستقلة كبقية القبائل الدنكلية ٠٠ ومن زعماءهم الشيخ أحمد صالح الذى كان زعيما للقبيلة إبان الحكم الإيطالى ٠

١١ - الشيخه :

هم مجاميع متفرقة وكثير منهم يعود أصلهم إلى سلالات عربية وكانوا من الدعاة والقائمين بنشر الدين الإسلامى فى المنطقة وتطلق على نفسها- إسم قبيلة الشيوخ ولكنهم غير مؤثرين سياسيا حيث يعيشون مبعثرين بين سائر فروع الدناكل وقد ارتبطت بعض فروعهم بدويتى بورى مثل إيرونابا ومعنديتا وأسرتى الشيخ ابراهيم خليل والشيخ عثمان علوى اللتان لعبتا دورا كبيرا فى نشر تعاليم الإسلام فى المنطقة ٠

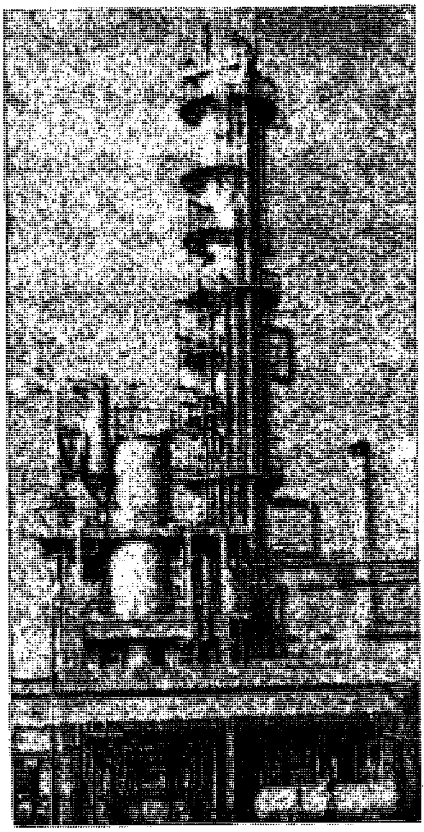
وهناك قبائل عديدة كانت تشكل فى الماضى جزءا من التجمعات الكبيرة إلا أنها أصبحت تشكل الآن تجمعات مستقلة ونذكر منها قبيلة قديمتو وقننتو وأوليتو ومسقدع وأسحكر ونقرتو وغيرهم كثيرون ٠

وأهم مدن دنكاليا : هى عصب وهى عاصمة إقليم دنكاليا ومدينة طيعوا وبيلول ومعدر ٠ ومن قراهم الرئيسية بده وعد وبردولى ومكعنيلى وخارينا ٠

مدينة عصب :

عصب هى عاصمة إقليم دنكاليا وتقع على خط الطول الشرقى ٤٢ وعلى

خط ١٣ من خطوط العرض الشمالية ولا يفصلها عن ساحل شبه الجزيرة العربية سوى ٣٨ ميلا بحريا . والحركة التجارية فى عصب نشطة وتشكل منفذا أساسيا لتصدير وتوريد البضائع من وإلى إثيوبيا . وعصب تعتبر أول مركز احتله الإيطاليون فى أواخر سنة ١٨٦٩م وتوجد بها أضخم مصفاة للنفط يمد إريتريا وإثيوبيا باحتياجاتهما النفطية وفى عصب عدد من ملاحات يستخرج منها الملح .



مصفاة البترول فى عصب

خلاصة القول يشكل الدناكل بصورة عامة مجموعة متجانسة وغالبيتهم من الرعاة البدو ، حيث تتكون ثروتهم مما يملكونه من ثروات من الأبقار والماعز والإبل والأغنام . ويفرض عليهم نمط عيشهم أن يختصروا نزوحاتهم على المناطق التى تتوفر فيه المراعى لمواشيهم ولذلك يقتصر نزوح مالكى الأغنام والأبقار على شبه جزيرة بورى الغنية بالمراعى فى حين أن مالكى الإبل والماعز الذين هم أقل اعتمادا على المرعى الموسمى يذهبون إلى مناطق بعيدة تصل أحيانا إلى أعماق إثيوبيا . ويدينون كلهم بالإسلام ويتحدثون بالعفرية واللغة العربية .

ملحوظـــة

أريد أن أشير إلى بعض النقاط من خلال القوائم التى أوردتها فى هذا الباب من الكتاب عن التجمعات والقبائل والأسر التى يتشكل منها السكان .

أولا : أطلب المعذرة من الذين قد لا يجدون ذكر أسماء قبائلهم أو أسرهم فى هذا الكتاب . وهذا قد يكون نتيجة لقصور فى عدم الإلمام بمعلومات كافية ، أو سقوط بعضها أو وجودها فى مكان غير مكانها الصحيح إن وجدت .

ثانيا : قلة المصادر التى تتحدث عن التركيبة السكانية فى إريتريا ، وقد تكون نادرة فى بعض الأحيان عدا بعض المصادر الأجنبية والعربية وهى غير كافية .

ثالثا : أحب أن أؤكد هنا حقيقة واحدة وهى أن عدم ذكر هذه القبائل والأسر فى الكتاب لا يقلل من قدرها وشرف انتمائها للأقاليم المذكورة بل هى جزء مهم وفعال ومؤثر .

رابعا : كما أن انتقال أسر وقبائل من إقليم إلى آخر للأسباب المتعددة التى شهدتها إريتريا فى أزمنة مختلفة ، كان عاملا من عوامل إعاقتى من إدراجها فى موطنها القديم أو الجديد . ومهما يكن الأمر أتمنى أن أوفق فى حدود المستطاع حتى أصل إلى الحقيقة المرجوة من هذا الكتاب .

خامسا : معظم هذه القوائم المذكورة فى هذا الكتاب عن القبائل والأسر الخاصة بالأقاليم فى إريتريا ، وبالتحديد فيما يتعلق بالتجمعات السكانية معتمدة من مجموعات مختلفة من المراجع الأجنبية والعربية وأهمها كتاب «مفوضية مصوع التركيب السكانى العناصر والقبائل» للمؤلف نايدل ، وكتاب «قبائل الحماسين والحباب» للمؤلف محمد صالح ضرار ، والاعتماد على الرواة والمؤرخين وكبار السن ووجهاء الأقاليم من السكان . وقد تكون صحيحة أو تكون فيها بعض المبالغات والأخطاء نتيجة لعدم توافر المعلومات التى يُستند إليها بشكل موثق . وكذلك «تاريخ الجبرتى» للشيخ عبد الرحمن الجبرتى . و«وثيقة الأنساب» لمفتى الديار الإريترية الشيخ إبراهيم المختار رحمه الله .

الباب السابع

إريتريا من الحكم العثمانى

إلى

الإحتلال الإيطالى

الفصل السابع والثلاثون
إريتريا والحكـــم العثمانـــى

======

شعر الأتراك العثمانيون بتحركات البرتغاليين حينما بدأت سفنهم تجوب شواطئ البحر الأحمر ،فى الوقت الذى امتد النفوذ العثمانى فى الشرق العربى فى مطلع القرن السادس عشر ، وذلك بعد أن فتح السلطان سليم الأول مصر فى عام ١٥١٧م مما جعل لهم اهتماما مباشرا بالدفاع عن البحر الأحمر فى وجه الخطر البرتغالى . وساورهم شك بأن البرتغاليين إذا وطأت أقدامهم فى شواطئ البحر الأحمر يشكلون خطرا يهدد أمن الجزيرة العربية وخاصة " الحرمين الشريفين " وبدءوا بالاتصالات مع أمراء الساحل الإريترى آن ذاك وأعدوا جيشا قويا للقضاء على التحالف البرتغالى الإثيوبى .

وكان الأتراك قد أرسلوا قوة بقيادة سنان باشا دفة سواكن على ساحل البحر الأحمر الغربى ، والتى كانت تمتد إليها حدود مصر فى عهد الدولة المملوكية ، وكان الهدف من ذلك منع البرتغاليين من الاستيلاء عليها وبسط نفوذهم فيها . وكانت فى الماضى سبقتها محاولة من البرتغاليين فى عام ١٥١٣م للاستيلاء على عدن، ولم يلبثوا أن هاجموا زيلع وبربره على الشاطئ الافريقى لخليج عدن ، بدعوة من ملك الحبشة لمساعدته فى القضاء على أمير هرر أحمد بن إبراهيم (جرنج) . ولم يلبثوا أن هاجموا زيلع وبربره على الشاطئ الصومالى ، فأحرقوا الأولى عام ١٥١٧ ونهبوا الثانية فى العام التالى .

وقبل وصول القوات البرتغالية والتركية فى شواطئ البحر الأحمر، كانت

الحبشة تعيش فى سلسلة من الصراعات الدموية بين ملوكها ، وخاصة بعد سقوط مملكة أكسوم ، التى كانت يوما من الأيام محور جذب حضارى ، ومركز تأثير سياسى شمله ما يقارب منطقة القرن الإفريقى جميعها ، بل امتد إلى السودان ، وبعد سقوط أكسوم فى بداية القرن السابع الميلادى ، ظلت أكسوم فى عزلة تامة ، حيث شهدت المنطقة صراعات طويلة كان لها تأثيرها فى مجريات الأحداث فى الحبشة فى تلك الفترة . شهدت أيضا صراعات دينية ، حيث نشأت ممالك إسلامية مستقلة عن بعضها البعض ، ولكنها كانت تدين بالولاء العرفى للدولة العثمانية .

ويرجع أصول هذه الدويلات الإسلامية - التى نشأت فى الحبشة - والتى كان يطلق عليه الإمارات السبع الإسلامية إلى (بنى مخزوم) ،وقد حكمت هذه الأسرة طوال القرن الثالث عشر الميلادى .

وبسبب النزاع بين هذه الإمارات الإسلامية ، استطاع (على بن وتسما) سلطان دولة أفات الإنتصار على سلطان " شوا " عام ١٢٨٥ وبذلك تحول مركز الزعامة الإسلامى إلى أسرة آفات ، والتى كانت يدعى نسبها بعجيل بن أبى طالب.

وهكذا كما تحول مركز الزعامة المسيحية بسبب الصراعات بين أسرة آل " زغواى " والأسرة السلمانية إلى الأمهرا ، وكما اسلفنا الذكر تحول مركز الزعامة الإسلامية ، إلى نزاعات متتالية بين بنو مخزوم وبنو عجيل إلى دولة افات ، وكان كل من الطرفين يعد العدة للمواجهة الكبرى . هكذا شهدت الحبشة قرنا ونصف قرن حروبا صليبية دموية بين الطرفين ، بالإضافة إلى التنافس الذى كان قائما بين الأسر المختلفة لقيادة هذه الصراعات ، وكان له تأثير بالطبع وسلبياته انعكست

على شكل الزعامات وشعوب المنطقة فى الحبشة ، إلى أن جاء " الأمير بن دنجل " ملك الأمهرا – وذلك فى عام ١٥٠٨ إلى ١٥٤٠ – والذى كان يطمع بالتوسع لتكوين امبراطورية ٠ وفى عهده كانت الزعامة الإسلامية الفعلية قد تحولت عن مملكة (عدال) إلى إقليم هرر فى عام ١٥٢٠ بالرغم من أن الولاء والطاعة كان يظهرونه إلى أسرة " ولما " ٠

وأمام تقدم قوات " دنجل " التف المسلمون حول أحمد ابن إبراهيم "الأيسر" الذى بايعوه إماما لهم ، لمواجهة " بن دنجل " ٠

وهكذا بدأت حروب من أقسى ما شهدت الحبشة من الصراع الدينى والإقليمى بين مملكتين ، وكان أحمد بن إبراهيم أحد أبرع المقاتلين فى حروب ذلك الوقت ، وقد استطاع خلال عامين من ١٥٣٠ إلى ١٥٣٢ أن يقضى على قوات دنجل ، وأن يتقدم باتجاه مملكة الأمهرا ، ومن هناك باتجاه " دبرى ليبانوس " حتى وصل إلى مملكة أكسوم التأريخية ، وأصبح اسمه أسطورة فى كل المنطقة يثير الرعب ٠ فكان يسمونه الأمهرا الضارب بالأيسر " قرن " والمسلمون يسمونه صاحب الفتح ٠

وكانت المعارك على أشدها ، كما أحرز الإمام أحمد انتصاراته فى الوقت الذى خلف الأمير " قلوديوس " على عرش أبيه ، وفى نفس الوقت كان الأوروبيون تراودهم ثمة أحلام التطلع نحو البحر الأحمر ، فى بدايته لدى بعض القوى الأوروبية البحرية بالذات البرتغال ، التى كانت قد وضعت يدها على تجارة الهند ، غير أن البرتغال لم تكن قد اطمأنت على امتيازاتها بسبب منافسة تجارة البندقية وتجارة مصر لها على البحر الأحمر ، وزاد الأمر كذلك خطورة حينما تمكن السلطان سليم من احتلال مصر عام ١٥١٧ ٠ وأبدا رغبة فى مساعدة الإمام

ابراهيم الذى كان يبدو منهمكا فى معارك هناك. كل ذلك دفع بحكومة البرتغال لإرسال بعثة لاستطلاع الوضع فى الحبشة ،بعد أن فصلت بعثتها الأولى التى كانت البرتغال قد أرسلتها فى عام ١٥٢٠ ، برئاسة رودريجو دى ليما RODRIG DELIMA حيث عرضت البعثة البرتغالية على الملك بن دنجل مشروعا بمقتضاه تسيطر البرتغال على البحر الأحمر وتشكل حماية للحبشة من أى اعتداء خارجى ، وفشلت البعثة الأولى فى مهامها ولم تصل مع الملك إلى اتفاق فى تلك الفترة .

ولكنها عاودت الكرة من جديد بعد أن تطورت الأمور فى تلك المنطقة ، أمرت بارسال بعثة أخرى فى نفس العام ١٥٢٠ مكونة من قس وكاتب يدعى " فرانسيسكو الفاريزى " حيث هبطت قوة بحرية برتغالية فى العاشر من ابريل سنة ١٥٢٠ فى مصوع ، وكانت مدينة مصوع تخضع لحكم بلو ، ولم تصادف هذه القوة مقاومة تذكر ، لأنها كانت مزودة بأسلحة نارية . وبعد أن استولت الفرق على المدينة، حوّل الأب الفاريزى مسجد مصوع إلى كنيسة لصالح الجنود البرتغاليين ، ودمرت بيت الحاكم البلوى .

وبذلك وجدت الحملة مضايقات مستمرة من المواطنين فى كافة مجالات الحياة اليومية . كما رفض أمير مصوع البلوى إعطاء دليل للبعثة البرتغالية ليواصلوا إلى حدود الحبشة هناك . ولم تتوقف البرتغال من حملاتها إلى الحبشة ، حيث أمر نائب الملك البرتغالى فى الهند " استفام دى فاما " بتهيئة حملة عسكرية إلى إريتريا ، ومنها إلى الحبشة لمساندة الملك " قلاوديوس " ضد الإمام أحمد بن ابراهيم . وبالفعل نزلت الحملة فى مصوع عام ١٥٤١ بقيادة " كريستوفام داقاما" وانضمت إلى قوات الأمهرا خلال عام واحد . وتم تدمير الحملة المساندة والقي القبض على كريستوفام الذى تم اعدامه فى عام ١٥٤٢ على يد قوات الإمام أحمد

وكان الإمام أحمد قد احرز انتصارات متوالية ، واجتاح مملكة الحبشة بأسرها حتى اتصل بامارات الساحل فى مصوع ، وسواكن وإمارة الدجن فى حوض القاش وبركه فى غرب إريتريا ، كما أجرى اتصالاته بالهضبة الإريترية وزعمائها .كما بارك فى تعيين أحد أمرائها حاكما فى الحماسين ٠ واتصل بسلطان الفونج فى سنار فى السودان ٠ وعلى صعيد آخر واصلت البرتغال مساندتها العسكرية لقلايدوس ، فى ٩يوليو ١٥٤٠ وصلت النجدة البرتغالية بقيادة كرستوفر دى جامه – الابن الرابع للمكتشف البرتغالى لطريق رأس الرجاء الصالح فاسكو دى جاما – إلى مصوع وتبلغ القوى ٤٥٠ جنديا مزودا بأسلحة متنوعة ومتطورة فى نفس الوقت ، ثم توغلت القوات إلى الحبشة لمساعدة قلاوديوس حتى تمكنت من إحراز انتصارها الأول على قوات الإمام بالقرب من بحيرة تانه حيث دفن هناك ٠

نتائج تلك الحروب المدمـرة :

ماذا كانت نتائج حرب الهلال والصليب ، وماذا كانت نتائج الصراعات الإقليمية فى إطار الممالك الإسلامية والمماثلة فى الممالك المسيحية فى الحبشة ؟ فكانت تلك الحروب عامل إنهاك للقرن الإفريقى وسبب دمار وتعاسة شعوبها بكامله، حيث أصبح كسيحا متخلفا من جميع النواحى ومثقلا بالجراح حتى الحياة الدافئة فى أوصاله انتابها برودة الموت البطئ ٠ هذه هى النتائج السلبية التى جنتها شعوب تلك المنطقة من الحروب والصراعات الإقليمية والدينية ٠

ويقول المناضل الشهيد عثمان صالح سبى فى كتابه تاريخ إريتريا : " وأيا كانت الدوافع ، فإن الصراعات الداخلية فى الحبشة كان لها نتائج خطيرة ، وترتب عليه حروب دينية امتدت طيلة القرون الثلاثة ، التى تلت وخلّفت آثارا سلبية على طبيعة العلاقات بين أتباع الطائفتين عانت منها البلاد ٠ ووصلت تلك الحروب إلى

ذروتها بتدخل البرتغال والأتراك ٠ وكان سلاطين مصر يتدخلون ، لاصلاح ذات البين بين الولايات الإسلامية ومملكة الحبشة ، مستغلين أحيانا بطريك الاسكندرية للتأثير على ملوك الأمهرا ٠ كما كان ملوك الحبشة يتدخلون لرفع الظلم عن أقباط مصر ، كما حدث فى عهد بعض الخلفاء الفاطميين " ٠

أمراء مصوع وزيلع ودهلك وسواكن يستنجدون بالأتراك :

مع وجود أسباب محلية استوجبت هذا الصراع التاريخى الطويل بين أتباع الطائفتين الإسلامية والمسيحية فى الحبشة ، سواء أن كانت تلك الأسباب تجارية أو دينية أو اقتصادية أو سياسية ، فإن الصراع لم يخل من عوامل خارجية ، فقد كانت كل من البرتغال وتركيا تطمعان فى السيطرة على طرق التجارة فى البحر الأحمر ومد نفوذها على الشاطئ ، ولم يغفل أمراء مصوع ودهلك وزيلع وسواكن عن الاستعانة بالأتراك العثمانيين فى عصر كانت بلغت من التعصب زروتها لطرد البرتغاليين ، فبادروا بالإتصال بالباشا التركى فى زبيد فى اليمن يطلبون نجدته ، كما اتصلوا بتجار أكتسلان الأسبان، وكانوا منافسين ألداء للبرتغاليين ، وكان قد أمد التجار الكتلان إمارات زيلع ومصوع وسواكن بعدد من السفن ، وساعدوهم فى تحسين بناء سفنهم المحلية ٠ ولكن ساعة الحسم لم تأت إلا بعد استكمال الأتراك بناء أسطولهم ٠

وفى عام ١٥٣٨ اتمت الدولة التركية بناء أسطولها فى سوليس وتمكنت من احتلال عدن سنة ١٥٣٨ ، ثم حدثت معارك ضارية بينهم وبين البرتغال فى المحيط الهندى ، وأخيرا ألحق سنان باشا الهزيمة بالأسطول البرتغالى فى موقع بين مصوع وسواكن ، وكان يقوده جون دى كاسترو ، واستولى على مصوع وسواكن ٠

وطرد البرتغاليون من شواطئ البحر الأحمر نهائيا ، وحلت السيادة العثمانية على

طول شواطئ البحر الأحمر ، وكان الأتراك العثمانيون كما سبق أن أشرت ، قد بدءوا ببسط سلطانهم على ملحقات السلطنة فى الحجاز واليمن عقب فتحهم مصر عام ١٥١٧، ثم مدوا سلطانهم إلى سواكن ومصوع ، ووضعت هذه الولاية تحت إشراف والى جده أو باشا الحجاز على أن يعين من جانبه قائمقام على كل من سواكن ومصوع . كما حاول العثمانيون التوغل إلى الحبشة ولكن محاولاتهم باءت بالفشل أكثر من مرة ، وكان الملك اسحاق فى الهضبة الأرتيرية مستقلا بالسلطان فيها مستخدما عاصمة د باروا ، وكانت مقرا لبحر النجاشى أى ملك البحر ، حيث تعاون معهم بالتحالف مع نائب حرقيتو، وكان طموحا يرنو ببصره إلى توسيع ملكه إلى حدود مملكة اكسوم التاريخية ، وكان يهدف إلى تحرير إقليم تجراى من سيطرة الأمهرا الذى كان يعانى منهم الاستبداد ، وتحالف لهذه الغاية مع زعماء تجراى بالإضافة إلى نائب حرقيقو؛ ليتمكن عن طريقه من الوصول إلى الأتراك ، والحصول منهم على أسلحة نارية وفى مقابل ذلك سمح للأتراك ببناء قلعة ومسجد فى عاصمة دباروا ، فأصبح عمليا تحت حمايتهم ، ودخلت فى الحلف الجديد معهم ملكة " مزجة " البلوية التى كانت تحكم حوض القاش ويصل نفوذها إلى إقليم ولقايت فى تجراى ، وكانت تسمى جعبوه كما جاء ذكرها فى موضع آخر عند حديثنا عن مملكة الدجن .

وزحفت القوات المتحالفة إلى هضبة تجراى واحتلت دبرا دامو فى عهد ملك " صرصا دنقل " سنة ١٥٧٨، وهنا انتهت بهزيمة الأتراك وحلفائهم ، وقتل أزدمور باشا كما قتل اسحاق ، والملكة جعيبوه وعدد كبير من جنودهم .

ثم واصل صرصا دنقل زحفه إلى دباروا فدمر القلعة التركية ومسجدها ، كما أباح المدينة للنهب والسلب مما دفع السكان للجوء إلى سواحل إريتريا حيث استضافهم نائب حرقيفو . فى عام ١٥٨٩ واصلت قوات صرصا دنقل إلى حرقيقو التى كانت مقرا لنائب الحامية التركية ، ووقعت فيها معركة دموية عنيفة فى التلال المطلة على المدينة قتل الباشا التركى " كدا ودود " كما قتل أربعة من

أشقاء النائب وعدد كبير من جنودهم ، وانتهت المعركة بعد أن عقدوا الصلح بين الأتراك ونائب حرقيقو والملك صرصا دنقل ، ومنح الهدية تضمنت فرسا عربيا الأصل ، مسرجا بالذهب ، وعادت قواته إلى بلادها .

وهكذا بدأ يضعف النفوذ العثماني على ساحل البحر الأحمر الغربى منذ أواخر الثمانينات من القرن السادس عشر . وكنتيجة بانشغال الدولة العثمانية بجبهات متعددة، وكذلك كانت قد استعانت السلطات التركية منذ قدومها إلى المنطقة بالزعماء المحليين من أسرة بلو ليكون نائبا عنها فى حرقيقو ولمعاونته فى أعمال الحكومة الإدارية فى مصوع ، كما ذكرنا سابقا ، وكان النائب عامر على أول نائب يعين من قبل العثمانيين فى مصوع وسائر إقليم سمهر .

وكان حدود سلطانه يشمل مصوع وحرقيقو والمنطقة المحيطة بها، والممتدة إلى الداخل حتى سفوح الهضبة ، وعلى الساحل إلى مسافة حوالى خمسين ميلا شمال مصوع وجنوبها .

وكانت قد تولت " أسرة النواب " إمارة قبيلة بلو BALAW قبل قدوم الأتراك ، حيث كانوا حكاما للمنطقة . وقد اقتصر سلطان النائب على تحصيل الضرائب والرسوم الجمركية فقط . بل كان موكل إليه أمر القبائل بإقليم سمهر . فتولى فض المنازعات التى تنشب بينها وخصص لكل منها منطقة معينة بالرعى . وعلى هذا النحو غــدا "النائب" هو صاحب السلطة الفعلية فى إقليم السمهر – من خليج عقبة شمالا إلى نواحى زولا جنوبا ، وبذلك كانت سلطة الأتراك اسمية فى هذا الإقليم . ومع أن الأتراك لم يكن لهم سوى نفوذ ضئيل فى سواحل البحر الأحمر الغربى ، وبالرغم من ذلك فقد ظلوا حتى أواخر القرن التاسع عشر متمسكين بحقوق السيادة على هذه المنطقة .

الفصل الثامن والثلاثون

إريتريا والحكم المصرى فى ظل السيادة العثمانية

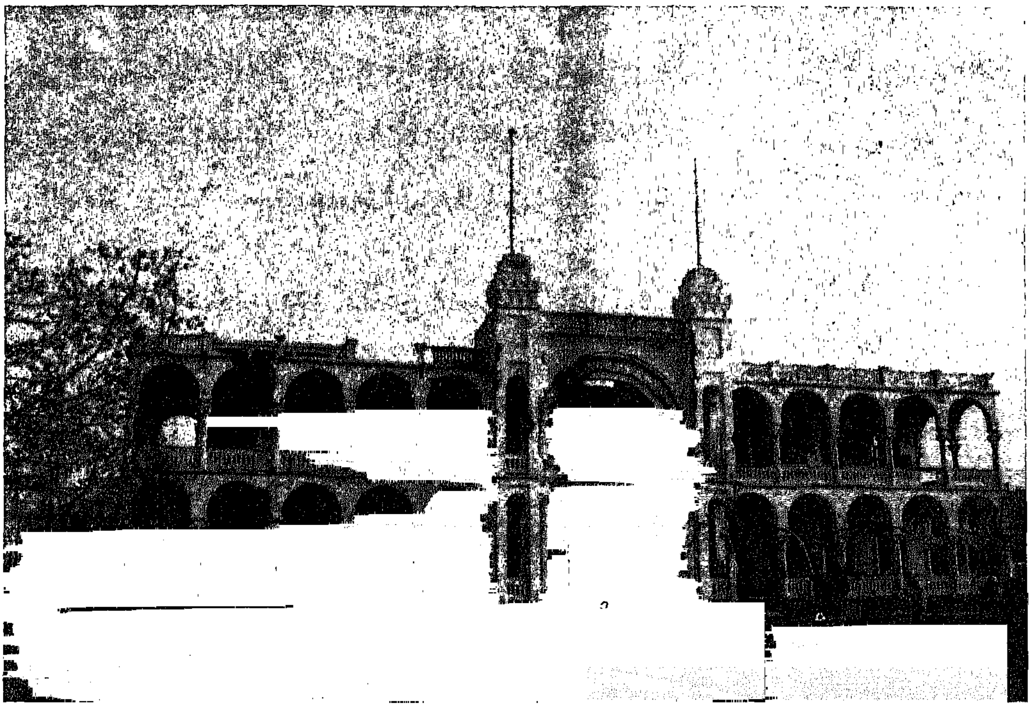
بعد نجاح الحركة الوهابية وسيطرتهم على الحجاز والتى كانت تحت الحكم العثمانى ، كلف الباب العالى والى مصر محمد على باشا لإعادة الحجاز إلى التبعية العثمانية ، وانتصر محمد على على الوهابيين ، وأعاد الجزيرة العربية إلى سلطة الأتراك عام ١٨١٨ .

وأصبح ابراهيم ابن محمد على واليا على الحجاز وجده . ولما كانت ولاية مصوع وسواكن وما يحيط بهما من الأراضى ، فأصبح إبراهيم باشا والى جده وملحقاتها حيث عينه السلطان العثمانى محمود الثانى فى يوليو سنة ١٨٢٠ مكانه فى خدمته . وبهذا أصبح لمصر حق السيادة فى ساحل البحر الأحمر الغربى ، والذى يعتبر ساحل إريتريا جزء منه . وعلى هذا الأساس أرسلت مصر حاكما جديدا على رأس قوة من ٦٠٠ جندى هو عابدين بك ، وحاولت مصر أن تفرض نفوذها فى ظل التبعية العثمانية على الحبشة وسواحل البحر الأحمر الغربية . ولم يمنع مصر من فتح الحبشة سوى تدخل الانجليز والدول الأوروبية ، التى حذرته من عدم التوغل إلى الهضبة الإثيوبية عندما وصلت قواته من جانب شرق السودان حتى سبدرات بأقليم القاش بإريتريا ، وتراجع عن مهاجمة الحبشة واكتفى بارسال قوة احتلت مصوع عام ١٨٢٦ . وكان القصد من ذلك احتلال مصوع التى كانت تحت السيادة العثمانية الاسمية وتابعة لولاية الحجاز . وبذلك يكون احتلالها بمثابة الخطوة الأولى لبسط نفوذ الباشوية المصرية ، حيث كانت سيادتها غير مباشرة واسمية . وعلى أثر حروب محمد على فى بلاد الشام ضد العثمانيون وتدخل الدول الأوروبية لتسوية المسألة المصرية العثمانية ، اضطر والى مصر من

إخلاء جميع ممتلكات الدولة العثمانية من الساحل الإفريقى الغربى · وبذلك عادت ولاية إدارة سواكن ومصوع إلى وضعها السابق تحت الإدارة العثمانية للساحل ككل· ولم يترك فرصة إلا وانتهزوها لإعلان تبعيتهم لهم ، ولكن شهدت هذه الفترة عدة اضطرابات وصراعات وحروب شديدة بين الحكام المحليين والحامية التركية واعتداءات الأثيوبيين من جهة أخرى على شواطئ الساحل ، حتى امتدوا على عموم أراضى سمهر · حدث ذلك بسبب توتر العلاقات بين محمد على والسلطان العثمانى ، مما شجع أباطرة إثيوبيا باعتداءاتهم المتكررة ·

محاولة محمد على ضم ساحل البحر الأحمر الغربى :

فى مارس سنة ١٨٤٧ أرسل محمد على ، إسماعيل حقى أفندى إلى مصوع للاضطلاع بشئون الإدارة فيها ، وأرسل تقريرا بذلك ولمجابهة الاعتداءات الاثيوبية المتكررة على شواطئ إريتريا نتيجة ضعف الحامية العثمانية هناك · ومن ناحية أخرى بعد أن فتحت مصر السودان بعد سقوط سلطنة الفونج ، أصبحت الحدود المصرية السودانية متاخمة لحدود الحبشة ، حيث حدثت اعتداءات من الأحباش على منطقة القلابات الحدودية مما أدى إلى مواجهات بينهم · وحاول محمد على بعد ذلك إقامة علاقات ودية وتجارية مع الحبشة ، إلا أن جهوده فى هذا الأمر لم تفلح ؛ لأن الإثيوبيين استمروا فى شن الغارات على الحدود السودانية عند كسلا والقلابات ، علاوة على ذلك فقد أوى الإثيوبيين الملك (نمير) ملك شندى المسئول عن مقتل إسماعيل بن محمد على فى حملة السودان الأولى عام ١٨٢٢ · بل شجعوه على مهاجمة الأقاليم المصرية بالسودان الشرقى ·



قصر أثرى يعود بناءه لعهد الحكم المصرى

تلك كانت أسباب توتر العلاقات بين مصر وإثيوبيا فى عهد محمد على ، والتى كانت مبعث تفكير حكومة القاهرة فى إرسال حملة من سواكن ومصوع لتأديب الإثيوبيين وإخضاعهم . ومهما يكون من أمر فإن بريطانيا رغم معارضتها لمشروعات محمد على التوسعية فى إثيوبيا وساحل البحر الأحمر الغربى ، فإنها لم تعارض أمام الأمر الواقع لحقوق السيادة العثمانية على هذا الساحل . ولكن مشروعات محمد على من أجل التوسع فى هذه المنطقة صُرِف النظر عنها بعد وفاة

محمد على . وعندما تولى عباس الأول حكم مصر من سنة ١٨٤٨ - ١٨٥٤ ، وكان من رأيه أن البلاد لا تتحمل أعباء وجهدا كبيرا حيث خرجت من صراعها مع الباب العالى منهكة . كما أن بقاء إدارة ميناءى سواكن ومصوع فى يد مصر يكلفها الكثير من الجهد والأموال . فقد استقر رأى عباس على إعادة هذين الميناءين إلى الدولة العثمانية وعلى ذلك فقد أخلت مصر سواكن ومصوع فى أوائل عام ١٨٤٩ وأعادت هذين الميناءين إلى تركيا . إلى جانب ذلك من الأسباب المحلية هناك عوامل أخرى ، وكانت لها تاثيرها أيضا ألا وهى الموقف الأوروبى حتى لا تحتك بهم القيادة فى مصر .

وكانت بريطانيا وفرنسا يؤيدون حق السيادة العثمانية فى هذه المنطقة ، وفى هذه الفترة حدثت اضطرابات واعتداءات من الإثيوبيين بالساحل الإريترى عندما أعلن (تيودروس) ملك الحبشة برنامجه السياسى لتوسيع رقعة الحبشة فى عام ١٨٥٥ . ولكن بريطانيا رفضت مشروعه للتوسع وقاومته ، كما وجدت مقاومة عنيفة من الأهالى فى مصوع وعموم سمهر، حيث فشلت قواته ، فلم تحقق أى شئ يذكر وظلت الأحوال كما هى عليها فى إطار السلطة العثمانية الاسمية والحكم الفعلى لسلطة حكام بلو فى حرقيقو . ولكن بعد أن ولى الخديو إسماعيل حكم مصر فى سنة ١٨٦٣ واتبعت حكومته سياسة نشطة حازمة ووضعت حدا لأطماع الإثيوبيين ودعمت حقوق السيادة العثمانية كخطوة ممهدة لتوسيع الدولة المصرية حتى تصل إلى حدودها الطبيعية ، وهى فى نظرها تمتد من سواحل البحر المتوسط شمالا إلى خط الاستواء ومنابع النيل جنوبا ومن سواحل البحر الأحمر شرقا إلى المحيط الهندى ومن وسط القارة الإفريقية إلى البحيرات الاستوائية .

وفى هذه الفترة كانت قبائل بركة والقاش قد أصبحت ضمن حدود اريتريا

المصرية. كما كانت قبائل الحباب تدفع الضرائب لحاكم مصوع . وعندما حاول القنصل البريطانى التوسط لدى حاكم مصوع للكف عن أخذ الضرائب من هذه القبائل ؛ لأنه كان يرى أن هذه المنطقة لا تتبع للعثمانيين واعتبرت الحكومة العثمانية ذلك (تدخلا) من القنصل البريطانى فى شئونها الداخلية واحتجت عليه رسميا فى عام ١٨٦٣ .

وكانت حكومة مصر تسعى من جانبها لدى الباب العالى فى القسطنطينية كى تتنازل الأخيرة عن قائمقاميتى مصوع وسواكن اللتين كانتا من ملحقات ولايتى الحجاز واليمن ، وفى عام ١٨٦٥ قرر الباب العالى اتباع ميناء مصوع من إشراف حكومة جدة ووضعه تحت حكومة والى مصر مباشرة وأصدر فرمانا بذلك فى مايو سنة ١٨٦٥ منح بموجبه باشا مصر قائمقامتى مصوع وسواكن وملحقاتهما إليه .

ويقول الدكتور رجب حراز فى كتابه " إريتريا الحديثة " : ففى الوقت الذى ولى فيه اسماعيل حكم مصر فى عام ١٨٦٣ ، كانت العلاقات بين إثيوبيا والسلطات التركية فى مصوع أكثر توترا من ذى قبل . لقد كانت مصوع وإقليم سمهر كثمرة يتنازع على قطفها كل من تركيا وإثيوبيا ، غير أن السياسة النشطة الحازمة التى اتبعتها الحكومة المصرية فى ساحل البحر الأحمر الغربى وضعت حدا لأطماع الأحباش فى مصوع واقليم سمهر كما دعمت حقوق السيادة العثمانية، وبالتالى حقوق مصر على الساحل حتى مضيق باب المندب وعلى بلاد الصومال حتى مصب نهر جوبه " .

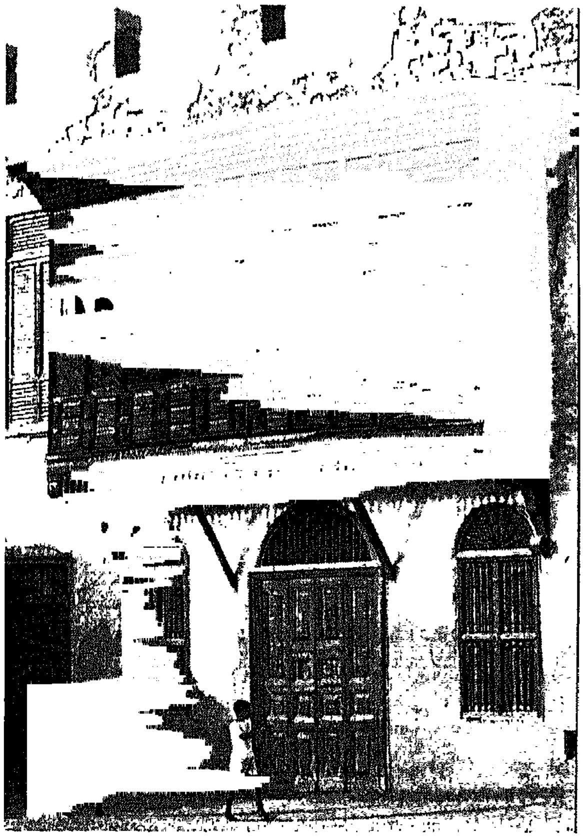
وكلفت الحكومة المصرية جعفر مظهر باشا وكيل حكمدارية السودان ، وقتئذ بتسلمه ميناءى سواكن ومصوع من السلطة التركية . ووصل جعفر باشا فى أغسطس ١٨٦٥ ووضع يده على جزيرة مصوع باسم والى مصر ، وأقام أحمد

ممتاز بك حاكما على مصوع ، وفى مارس ١٨٦٦ ابتاعت الحكومة المصرية شركة إخوان باسترى حقوق ملكية منطقة " عد " فى مقابل مبلغ ٥٨٣٤ جنيها، وبذلك أصبح لها مطلق التصرف تماما على ساحل البحر الأحمر الغربى ٠

استلام إدارة مصوع والعناية بعمرانها :

فى يوم ٢٩ مايو سنة ١٨٦٦ وصلت السفينة المصرية الإبراهيمية مدينة مصوع ، على متنها " حسن رفعت " الذى عينته الحكومة المصرية حاكما على مصوع ، وجرى استلام مصوع وسط احتفال وتلى الفرمان الخديوى بحضور جمهور من الوجهاء والأعيان والقاضى والمفتى وكبار التجار فى المدينة ، فأظهر الجميع سرورهم واغتباطهم بقدوم المصريين ورحبوا بهم ترحيبا شديدا ٠

ولما كانت مصوع قد تهدمت مبانيها ولم يهتم بشئونها الأتراك فى تلك الفترة ، منذ أن أخلتها الإدارة المصرية عام ١٨٤٩ ، إبان الحكم العثمانى آنذاك بدأت الإدارة المصرية الجديـدة الاهتمام والنهوض بمصوع وتوفير سبل العيش بها ، فبدأت بإنشاء مخبز ومطحن ، ولما لم توجد فى البلدة المواد اللازمة للبناء – كالجير والأحجار والأخشاب وغير ذلك – كان الأهالى لا يهتمون بذلك ، فقد أقبلت بكل همة على إعداد لوازم البناء مثل حرق الجير واستحضار الأحجار والأخشاب ، الأمر الذى كان له أثره فى ترميم المبانى الأميرية وإنشاء مبان جديدة ٠ ووفق التقرير الذى رفعه رفعت باشا حاكم مصوع إلى الخديوية المصرية بالقاهرة ، وجاء الرد كالآتى: فى ٢٨ فبراير ١٨٦٧ ارسلت حكومة القاهرة إلى محافظ مصوع تعليمات محددة بشأن الإصلاحات والتنظيمات الجديدة ، والتى تتفق وكرامة الحكومة المصرية فى هذا الموقع الكائن فى طريق سفن بعض الدول العظمـى وركابهـا ، والذى دخل فى حوزة حكومتنا ، وأشاريت هذه التعليمات باتباع ما يلى :



صورة لمبنى أثرى لمدينة مصوع

١ - (أن الموقع الذى أنتم فيه هو ميناء تجارى هام وستزداد أهميته على مر الأيام فيزداد بالطبع عدد الأهالى وتكثر فيه المبانى . وبما أن أهم واجبات الحكومة أن تعمل على عدم مضايقة الأهلين فى أمورهم المعيشية فأول ما يجب الشروع فيه هو توفير الماء العزب الذى هو العنصر الرئيسى فى حياة الإنسان ، وإيجاد الطرق المؤدية لصرفه ، وتوزيعه بسهولة ثم تمهد السبيل لورود المواد الغذائية كالقمح والحبوب الأخرى والسمن واللحم وما إليه ، وتسهيل بيعها وشرائها . ولما كان وجود هذه المواد الضرورية فى داخل

البلدة وأطرافها أدعى للفائدة ، يجب تعريف الأهالى وترغيبهم فى زراعة وغرس الأشجار وتربية المواشى ، وبدلا من بقاء عساكر الأورطة الموجودة عندكم بلا عمل طيلة يومهم ، دعوهم يعملون فى غرس الأشجار وزرع الخضر وما إليها فى أطراف الجهة التى يقيمون فيها أو مكان قريب آخر تصلح تربته للزراعة ، فتكون مزرعتهم هذه أنموذجا يعمل الأهالى على منواله .

وقد أرسلنا لك فى هذه المرة تقاوى بعض الخضر وفى المرة التالية سنبعث لكم بفسائل بعض الأشجار فاعتنوا بزراعتها وغرسها كل الاعتناء) .

٢ - " كلما اتسعت تجارة البلدة كثرت فيها المبانى فإذا ما جعل لهذه المبانى وضع حسن فأنشأوا فى البلدة دارا جميلة للمحافظة وآخرى للجمارك ، وابنى على شاطئ البحر ، بجوار الجمرك ، رصيف لشحن السفن وتفريغها تسهيلا للتجارة ، وأنشئ فيها أيضا مدرسة ومستشفى ، كان لذلك أثره البالغ فى الصحة العمومية والتربية وتسهيل التجارة فى أنظار الناس ، فانتخبوا الموقع التى ستقام فيها المبانى ، أما المستشفى فيجب أن ينشأ فى مكان مناسب بعيد عن البلدة قليلا . ولما كان من الممكن أن تجدوا عندكم ما يلزمكم من المواد والمهمات لهذه المبانى ، كما أن بين عساكر الأورطة الموجودة بمصوع الكثير من الصناع والعمال فضعوا تصميم المبانى المذكورة وأرسلوهاإلينا وباشروا فى تدبير المواد والمهمات اللازمة . إذا كان ثمة حاجة إرسال بعض المواد من هناك اعرضوا علينا حاجيتكم منها حتى نوافيكم بها . فأوصلوا العمل بالنهار وأسعوا بكل ما أوتيتم من جهد لتحقيق تلك المشروعات الخيرية " .

وهكذا يتضح من التقرير الموجه من القيادة المصرية إلى حاكم مصوع ويظهر لنا من هذا النضج والوعى السياسى التى كانت تتمتع به مصر الخديوية ، حتى لا تشعر الأهالى بأنها محتلة كما سبق من قبلها (الأتراك العثمانيين) ، ولذلك يتضح الفرق بين الحكم العثمانى والمصرى فى نظر المواطنين ، وبينما كان الأتراك يواجهون من حين إلى آخر مقاومة من السكان ٠إلا أن الفترة المصرية اتسمت بالإخاء والمحبة من الأهالى ؛ لأن المصريين كانوا يهتمون بأمور حياتهم ومعيشتهم اليومية من أجل رفع مستواهم فى شتى المجالات ٠ والتى كان لها تأثير مباشر على حياتهم اليومية ، كما يتضح من التقرير فى شئون الإدارة ، كما أن مصر كان لها دور فعال فى مواجهة الإثيوبيين الذين ابتليت بهم البلاد من فترة إلى أخرى من اعتداءات وغزوات لبسط سيطرتهم على البحر الأحمر والشواطئ الإريترية ٠ حيث كانت تعانى المدن والقرى التى تطأها قوات الغزو الحبشية من الدمار والتخريب ٠ وهذا عامل آخر مهم جدا حبب المواطنين من مصر ؛ لتوفير الحماية الفعلية من الغزوات الحبشية المتكررة والتى عانت منه البلاد على أمد طويل ٠

ولذلك وضعت الحكومة المصرية حامية مصرية فى مصوع كما أمرت بوضع حامية أخرى فى (عد) ، وأرسلت جعفر مظهر باشا حكمدار السودان للقيام بجولة فى ساحل البحر الأحمر فى يوليو سنة ١٨٦٧ ، وقام بزيارة تفقدية فى كل من مصوع - انفيله وعد وبيلول ورحيتا ، وخصص لشيوخ هذه المدن رواتبا شهريـة٠ وكان جعفر باشا يدعو شيوخ القبائل ويحثهم على الاعتراف بالسيادة المصرية وكان يوزع عليهم الأعلام المصرية حيث الأهالى يحتضنوها كما لو كانت رمزا للإسلام ومظهرا لاتحادهم تحت السيادة المصرية ٠ وتمكن جعفر باشا من إقامة السلام بين السكان وتمكين بيعتهم لمصر وأصبح المشايخ يرفعون البيارق والأعلام المصرية فى مراكزهم ٠ وفى ٨ أكتوبر ١٨٦٧ قدم جعفر باشا تقريرا عن

جولته إلى مصر اهتم فيه بإظهار حقوق مصر التى لا تنازعها فيها واحدة من الدول على الساحل الإفريقى من السويس إلى رأس غرد خوى بجميع جزره القريبة من سواكن ومصوع والسودان ٠

حملة بريطانيا التأديبية على الحبشة وموقف مصر منها :

كان ملك الحبشة تيودروس الثالث نصب نفسه امبراطورا على إثيوبيا فى غندر ، بعد أن قضى على جميع الملوك والأمراء فى غندر ٠ لإعادة مجد الإمبراطورية الحبشية القديمة وتوسيع رقعة دولته بمحاولة الاستيلاء على مصوع ومرتفعات البوقوس والمنسع ، والحباب وغيرها ، إلى جانب محاولة ضم البلاد العربية الواقعة على حدود الحبشة الشمالية حتى سنار ، بل طلب بتسلمه شندى فى الخرطوم ، من حكمدار السودان ١٨٦٢ إلى ١٨٦٥ ٠ فى عام ١٨٦٠ قتل القنصل البريطانى (بلاودن) على أيدى بعض من القبائل الإثيوبية ، فأرسل تيودروس رسالة إلى الملكة فيكتوريا معزيا ومعتذرا بعد أن انتقم من تلك القبيلة ، مشيرا إلى التحالف مع بريطانيا للقضاء على الأتراك الذين يسيطرون على شواطئ البحر الأحمر ٠ والنضال ضدهم ، وأعرب عن خوفه إن هو أرسل وفدا من عنده ، يحمل هداياه التى تعبر عن محبته للملكة أن يلقى الأتراك القبض عليه ، ورجاء الملكة أن تتكفل بسلامة وصوله فى جميع مراحل الطريق ، وابدى رغبته فى أن يتلقى عن طريق القنصل (كاميرون) ردا على كتابه هذا ٠ ولم تعطى بريطانيا أدنى اهتمام لرسالته ؛ لأنها كانت قد دخلت لتوها فى تحالف مع الدولة العثمانية ضد روسيا ، ولذا أهملت الرد عليه مما أثار غضبه ، واتفق ذلك مع رفض الحكومة الفرنسية تأييد خططه العدوانية ضد مصر ٠ وكان تيودروس قد سبق وأن أرسل رسالة إلى فرنسا يطلب منهم رغبته باقامة علاقات صداقة معهم ، مع مبعوث

خاص هو باردل bardel ، فى حالة تأييد فرنسا له عندما يعلن الحرب على المصريين ، ورد وزير خارجية فرنسا على رسالة تيودروس ، فقد كتب فى ٢٤ مارس ١٨٦٣ خطاب باسم الامبراطور نابليون الثالث الى تيودروس ذكره فيه بحماية الامبراطور الفرنسى للمبشرين الكاثوليك فى العالم كله ونصحه بكبح جماح نواياه العدوانية ، قائلا :

" قبل أن تقامر فى الحرب ضد دول مجاورة يجب أن تقدر قوتها وأن تحرص على أن لا تعرض المكاسب التى أحرزتها من قبل للخطر . وذلك بالتورط فى مشروعات خطرة . نحن ندعو الله أن يلهمك حلول مناسبة لصالح الشعوب التى تحكمها " .

وأغضب خطاب وزير الخارجية الفرنسى امبراطور الحبشة ، الذى راح فى بدء الأمر يطعن فى صحته ، بحجة أنه لم يكن مختوما بخاتم نابليون الثالث ، ثم أنه لم يلبس أن قرأ فى ٢٨ سبتمبر ١٨٦٣ هذا الخطاب فى اجتماع عام بحضور القنصل الفرنسى ليجان Legean ، فأعلن أن الامبراطور الفرنسى لم يحترمه ؛ لأنه لم يرد على خطابه بنفسه ، وأخذ يلقى بالاتهامات الكثيرة ضد الفرنسيين ودافع القنصل الفرنسى بقدر المستطاع عن هذه الاتهامات ، ولكن الامبراطور تيودروس أمر بطرده من الاجتماع فورا ، والقى إلى الأرض بخطاب وزير الخارجية الفرنسى ، ليدوسه بقدميه ، ولم يشمل غضب تيودروس من انصراف الدول الأوروبية عن مؤازرته فى مخططاته العدوانية ، القنصل الفرنسى وحده فحسب بل شمل كذلك زميله القنصل الإنجليزى " كاميرون " .

عندما علم تيودروس بأخبار استعدادات المصريين وتأهبهم لغزو الحبشة ، انقض على الإرساليات الأوروبية الموجودة فى غندر ، وكبلها بالأغلال ، ووضعها

فى السجون ، وما أن عاد القنصل البريطانى كاميرون فى سنة ١٨٦٤ إلى الحبشة من السودان ، حتى قبض عليه ووضعه فى السجن مع الآخرين ، ولما أيقنت بريطانيا فشل مساعيها لإطلاق سراح القنصل والرعايا الأوروبيين الآخرين بالسلم. وبذلت بريطانيا بعض المساعى لدى الحكومتين العثمانية والمصرية ، لكى تسمح بمرور قوات الحملة البريطانية عبر الأراضى العثمانية المصرية . وكللت هذه المساعى بالنجاح فوافق الباب العالى على نزول قوات الحملة البريطانية فى زولا بالقرب من مصوع كما وافق إسماعيل على مرور هذه القوات عبر الأراضى المصرية ، - والمقصود بها إريتريا - وكانت الحملة بقيادة اللورد نابير قوامها ٣٢٠٠ جندى ، ٥٥٫٠٠٠ من الدواب و ٤٤ فيلا فى سنة ١٨٦٧ ، وأقامت فى زولا معسكرا ضخما ورصيفين لرسو البواخر. وكان أول رصيف يقام منذ أربعة عشر قرنا بعد زوال أدوليس وإقامة سكة حديد طولها ٣٠ كيلومترا من الساحل حتى مشارف الجبال المحيطة بها ، وكانت أول سكة حديد أقيمت فى إريتريا ، وفى ٧ اكتوبر ١٨٦٧ عرض الخديوى على الحكومة البريطانية أن يتوسط بينها وبين تيودروس حقنا للدماء ، بأن يرسل إلى الآخر رسالة يحضه فيها باطلاق سراح المعتقلين من الأوروبيين ، فوافقت الحكومة البريطنية على اقتراحه ، وأرسل بدوره الخديوى - بتاريخ ٢٢ أكتوبر - رسالة له من إنشاء عبدالله باشا فكرى إلى تيودروس ينصحه فيها ويخوفه فى نفس الوقت من بأس إنجلترا ، وبشجاعتها وقوتها إلا أن تيودروس لم يلتفت إلى هذه الرسالة أيضا .

وكانت حكومة القاهرة فى أثناء ذلك تمد الحملة البريطانية بكل مساعدة ممكنة ، فلم تسمح للبريطانيين بشراء المؤن من مصر ونقل البغال بالسكك الحديدية من الاسكندرية إلى السويس ، فحسب بل وافقت على أن تؤجر لهم بواخر الشركة العزيزية لكى يشحنوا عليها مؤن الحملة ومعداتها من السويس إلى زولا . وفى

أوائل سبتمبر ١٨٦٧ أرسلت إلى حكمدار السودان ومحافظ مصوع بتعليمات مشددة ، بإمداد الجيش البريطانى بكل ما يحتاج إليه من المساعدة ، والتنبيه على مشايخ القبائل وخاصة فى المناطق المجاورة للحدود الإثيوبية بأن يقدموا للحملة جميع المساعدات وأن يسهروا على حماية جنودها ومعداتها من اعتداءات البدو .

على أن هذا الإتجاه الودى لم يمنع حكومة القاهرة من إتخاذ بعض الاجراءات الوقائية لحماية المصالح المصرية فى السودان الشرقى وساحل البحر الأحمر الغربى ، فأرسلت تعزيزات عسكرية إلى سواكن ومصوع ، وعينت فى نوفمبر ١٨٦٧ إسماعيل عبدالقادر باشا محافظا على سواحل إفريقيا الشرقية وكلفت جمال بيك بالابحار بستة بواخر من السويس إلى مصوع وعلى صعيد آخر نجحت الحملة التأديبية فى الحبشة وهزمت جيش تيودروس فى أورجى AROGEE فى العاشر من ابريل ١٨٦٨ . ثم انتحر تيودروس فى مجدالا وأطلق سراح الرعايا الأوروبيين ، ولم تلبث القوة البريطانية أن غادرت الأراضى الحبشية فى أواخر مايو ١٨٦٨ .

نتائج الحملة البريطانية بالنسبة للمصريين والإريتريين :

ومما لاشك فيه أن مصر رغم أنها لم تجن مغنما مباشرا من الحملة البريطانية على الحبشة ، إلا أن هذه الحملة - كما يقول دوان - قد هيأت لمصر ظروفا استطاعت أن تؤكد فيها أمام أعـين بريطانيـا حقـوق سيادتها على الساحل الأفريقى للبحر الأحمر حتى باب المندب . وعلاوة على ذلك فقد دفعت الحملة البريطانية الحكومة المصرية إلى اتباع سياسة أكثر نشاطا عن ذى قبل فى هذا الجزء من إفريقيا ، واقترن ذلك برغبة اسماعيل فى تثبيت حقوق مصر على ساحل الصومال حتى نهر جوبا .

نتائج الحملة على الصعيد الإريترى :

رحب نائب مصوع ومشايخ زولا والقبائل المجاورة بالتعاون مع نابير ، إذ لم يكن تيودروس صديقا لهم على أحسن الأحوال ، بل كانت مواشيهم وممتلكاتهم تتعرض للنهب من أعوانه كلما توغلت إلى الهضبة الإريترية والتجراى فى فصل الصيف ، كما أن الحملة خلقت حالة من تشغيل الأيدى العاملة ، كما وجد نابير التعاون من شعب اريتريا أينما حل ، ففى صنعفى فى الهضبة الأريترية مثلا رحب الأهالى بالحملة دون أن يتعرضوا لها ، ولكنهم اشترطوا ألا تمس استقلالهم وسيادتهم .

وبعد انتصار القوات البريطانية على الحبشة قررت الحكومة المصرية توحيد الأملاك المصرية بالسودان الشرقى بضم إقليم بوغوص أو (سنحيت) ، فجهز قائد القوات المصرية فى مصوع حملة من ١٢٠٠ مقاتل خرج بها من مصوع فى ٢٥ يوليو ١٨٧٢ قاصدا كرن ، فاحتلها وأعلن ضم الإقليم لمصر ، وضم أيضا منطقة عايلت ، وعمل (مينزنجر) بعد أن وصلته الإمدادات على تأسيس حكومة محلية فى كرن وسوى المنازعات بين القبائل وعمل على تقوية قلعة كرن وتوطيد الأمن والنظام فى كل الأقاليم ، كما أرسل سكان حماسين إلى القائد المصرى أثناء فتح كرن رغبتهم فى أن تظللهم الراية المصرية ، وأن تساعدهم القوات المصرية لصد هجمات الغزوات الإثيوبية لأراضيهم . كما أبدى زعماء الدناكل هذه الرغبة .

الحرب المصرية الحبشية ونتائجها :

عندما حاول الإثيوبيين التحرش بالحدود المصرية ، قررت الحكومة الخديوية

فى مصر تجهيز حملة لتأديب الإثيوبيين ومنع تحرشهم بالحدود المصرية ، وقادت هذه الحملة التى تضم ٤٠٠٠ مقاتل ٠ ولكن الحملة لم يحالفها الحظ ، حيث فشلت وقتل قائدها وبعض القوات الآخرين فى ١٨ يناير ١٨٧٥ ٠ وكان سبب هذه الهزيمة حصول الأحباش على المعلومات العسكرية وعن حجم القوات المصرية وعن تحركاتها ، وقد أمد الأحباش بهذه المعلومات القنصل الفرنسى العام فى مصوع والذى كان يتاجر بالأسلحة ويعمل على تسريبها مع الذخائر إلى الأحباش عبر الخطوط المصرية ، وعدم تقدير لحجم القوات الإثيوبية تقديرا سليما فقد كانت القوات الإثيوبية زهاء ثمانية أضعاف القوات المصرية ، كما جهزت مصر الخديوية حملة ثانية بقيادة منيز نجر ، ولكنه قتل قرب بحيرة اسال قبل أن تتحرك الحملة إلى أهدافها إثر غارة من الدناكل والعيسى الصومالية ٠

وجهزت مصر حملة ثالثة بقيادة راتب باشا ، سردار الجيش المصرى ومعه باشا ثالث من أبناء الخديوى ، وكان الضابط الأمريكى لورنج رئيس أركان الحملة فى ٢٥ يناير ١٨٧٦ غادر راتب باشا مصوع فوصل إلى (قرع) التى تبعد عن مصوع ٨٠ ميلا وعن عدوا بالحبشة ٦٠ ميلا فى اقليم تجراى ، وبينما كان المصريون منهمكين بحفر الخنادق وإقامة الاستحكامات ، وبناء قلعة فى قرع ، هاجمهم الأحباش على حين غرة فى ٧ مارس ١٨٧٦ ، والتحم المصريون مع الإثيوبيين فى قتال ضار لمدة يومين تحمل فيها الفريقان خسائر جسيمة . ولكن الإثيوبيين كانت خسارتهم أكثر حتى بلغت ٥٠٠٠ قتيل فى ١٠ مارس ، بخلاف الجرحى الذين فروا هاربين ٠ ولكن المصريين أرغموا الإثيوبيين على التقهقر والإرتداد عن قرع ، وسيطروا على زمام الموقف فيها ٠ مما جعل الامبراطور يوحنا الرابع يرسل إلى راتب باشا فى ١٣ مارس يطلب عقد الهدنة على الفور ، لإقامة سلم دائم بين الجانبين ٠ ولما استجاب راتب باشا لنداء يوحنا انسحب

الأخير إلى عدوا · وفى ١٨ مارس ، وبعد حوالى شهرين انسحب المصريون إلى مصوع، وارسل الملك الإثيوبى وفدا إلى القاهرة للتفاوض فى تسوية النزاع المصرى الإثيوبى ، وتخطيط الحدود بين البلدين ·· ولكن المفاوضات باءت بالفشل ، واحتفظت مصر بعد هذه الحملة بكل الأراضى التى كانت تسيطر عليها ، واضطرت بريطانيا إلى الاعتراف بالسيادة المصرية على ممتلكاتها · وكان التنافس الاستعمارى للسيطرة على ساحل البحر الأحمر الغربى قد بلغ أوج درجة · وحاولت بريطانيا أن تجعل من إيطاليا مخلب قط الذى يحرس أملاكها فشجعتها لاحتلال عصب وساعدتها فى السيطرة على مصوع ·

وبعد أن سقطت مصر الخديوية فى أحضان بريطانيا سنة ١٨٨٢ ، وأصبح الحكم الفعلى بيد بريطانيا ، وأجبرت مصر الخديوية على الانسحاب من مصوع وكرن ومن كل أقاليم اريتريا الأخرى لتقوم إيطاليا باحتلالها عام ١٨٨٥ ·

أهم الإصلاحات الى قامت فى عهد الحكم المصرى :

لقد أشرنا فى حديثنا سابقا بأن المواطنين لم يعتبروا مصر دولة استعمارية أو معادية لبلادهم ، بالعكس كانت نظرتهم لها كدولة شقيقة جاءت لحمايتهم ، ورد الذى فقدوه من جراء ضعف الحكم العثمانى التركى وخاصة المناطق الإسلامية فى إريتريا ، من خور بركه فى الغرب حتى رحيتا فى أقصى الشرق · وربما يعود ذلك الشعور لحاجتهم إلى الحماية من غارات الحبشة بالإضافة إلى العلاقات الدينية التى كانت تربطهم مع مصر ·

وقد أوضحنا أيضا من خلال التقارير والتعليمات التى أرسلتها مصر إلى محافظ مصوع فى ذلك الوقت ، يتضح من ذلك أن مصر قامت بعدد من

الإصلاحات وفى مجالات أوسع اقتصادية كانت أو إدارية أو صحية ٠

فقد اعتنوا بالحالة الصحية بسبب انتشار مرض الأوباء والجدرى فى تلك الفترة ٠ ففى مصوع مثلا أنشأ المصريون مستشفى واعتنوا بالخدمات الصحية كما جلبوا ممرضات للنساء كما بنوا عدة دواوين حكومية ، ولا تزال السراية التى بناها المصريون قائمـة حتـى الآن ٠ وانشـئوا طاحونة وفرن للخبز ووسعوا مرسى مصوع وبنوا فيه الأرصــفة ، وفتحوا مدرسة ابتدائية . كما بنوا مراكزا للشرطة فى المدينة والقرى ، وفى جزيرة دهلك لحفظ الأمن ٠ ونظمت الحكومة المصرية البريد والمواصلات البحرية ، فعينت وابورين ، يرسل أحدهما للإقامة فى ميناء سواكن ، والثانى فى ميناء مصوع لإرسال وتسلم البريد من وإلى مصوع ، ومدت خطوط التلغراف من كسلا إلى مصوع ومنها إلى سواكن ، ثم إلى رأس برانيس ٠ واستخدمت لهذه الغاية أشجار الدوم التى تكثر فى وادى بركة فى غرب اريتريا ، وبنت فى كرن قلعة ومدرسة وديوانا للحكومة ، وبعض المصالح العامة ٠

وفى عام ١٨٧٣ بدأت الحكومة المصرية بمشروع بناء سكة حديد لربط مصوع بكسلا مرورا بكرن ، واحضرت لهذا الغرض الديناميت لقطع أحجار الصوان التى تزخر بها جبال اريتريا ، ولكن المشروع لم يرى النور ، بسبب أحداث السودان ، وتلا ذلك من انهيار الامبراطورية المصرية كما شجعت الإدارة المصرية الزراعة وإقامت فى وادى القاش ومرتفعات كرن ، حيث أدخلت فى البلاد زراعة القطن ، كما شغلت عساكر الأورطة فى مصوع فى غرس الأشجار وزرع الخضر حتى يقتدى بهم الأهالى ، واهتمت بالملاحات فى كلا من عصب ومصوع ٠

كل ذلك كان له تأثيره ونتائجه الإيجابية فى المجتمع الإريترى ، كما سهلوا وصول الطلبة الأريتريين إلى الأزهر بارسال بعثات منهم إلى مصر ، واستمر هذا

الموضوع ، حيث كان الأزهر يستقبل الطلاب الاريتريين على مر العصور دون قيد ولا شرط .

ويقدر عدد الطلاب الذين تعلموا فى مصر منذ عهد الخديوية حتى عهد الرئيس حسنى مبارك بالآلاف ، تخرجوا من مدارس وجامعات مصر ، وحتى يومنا هذا يتلقون العلم والمعرفة فى مدارس وجامعات مصر . وهذا فضل لن ينساه لهم شعبنا .

وأما هدف الخديوية المصرية من بسط سيطرتها على سواحل اريتريا وعموم شمال شرق إفريقيا ، فكان أمنيا واقتصاديا بدرجة أساسية . على كل فإن مصر لم تجن من توسعها الإفريقى شيئا سوى الخسائر المادية الباهرة التى أوقعتها فى ديون .

وأما المناطق التى خضعت تحت الإدارة المصرية فى حوض البحر الأحمر ، كما بينا فقد استفادت كثيرا فى مختلف المجالات المذكورة .

الفصل التاسع والثلاثـون

الاستعمار الإيطالـى فى إريتريـا

====

كان افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية فى سنة ١٨٦٩ من الأسباب التى دفعت إيطاليا التفكير بأن يكون لها وجود فى سواحل البحر الأحمر الغربى ، وكان هذا التفكير يراود جميع الدول الأوروبية بعد ازدياد حفر القناة من أهميته كشريان مائى حيوى يربط بين الشرق والغرب ، وقد كان شق هذه القناة الذى يربط البحر الأبيض بالأحمر مبعث اهتمام الدول الأوروبية وعلى رأسها إيطاليا . وكانت إيطاليا قد بدأت اتصالاتها بالبحر الأحمر وسواحله ، عن طريق المبشرين الذين حاولوا حتى قيام الوحدة الإيطالية إغراء بلادهم – خصوصا مملكة بيد مونت – على الدخول فى علاقات تجارية وسياسية مع البلاد المطلة على ذلك البحر ، ومحاولة الاستفادة من الغزو الذى قد يتيح الفرص لإنشاء مستعمرة هناك . وعندما نجحت الوحدة الإيطالية وتأسست المملكة الإيطالية الحديثة تبنى البارون ريكاسولى Ricasoli والزعيم غريبالدى وبعض كبار الساسة الإيطاليين مشروعا لاحتلال شريط من الأرض على ساحل البحر الأحمر الإفريقى وقدم بالفعل اقتراحا بهذا المشروع إلى مجلس النواب بيتورين للموافقة عليه . كما كان مؤتمر الغرف التجارية بالبندقية قد اقترح بإنشاء مستعمرة إيطالية فى باب المندب فى البر الافريقى . واتصل سابيتو برجل الأعمال رافايلى روباتينو Raffaeler - Rubattino و مدير إدارة شركة روباتينو للملاحة ، وهى من أكبر شركات الملاحة فى إيطاليا وقتئذ ، وكلف رافايلى روباتينو بعلم الحكومة الإيطالية وموافقتها الأب سابتيو بالتوجه إلى البحر الأحمر ، للبحث عن بقعة تصلح لتأسيس

محطة تجارية إيطالية بالقرب من باب المندب ٠ وهى مهمة سرعـان ما قام بها سابيتو ووقع اختيارهما على عصب لانشاء المحطة المطلوبـة٠

وفى ١٥ نوفمبر ١٨٦٩ ابرم سابيتو مع شخصين من مشايخ الدناكل المحليين هما حسن بن أحمد وإبراهيم بن أحمد اتفاقا حصل بموجبه على قطعة أرض تطل على خليج عصب ، وتقع بين جبل جانجا Ganga وراس لوما Luma ، وذلك مقابل مبلغ ٨٢٠٠ ريال نمساوى ، وفى أثناء ذلك كانت الحكومة الإيطالية على اتصال مستمر مع روفايلى روباتينو ، واتفق معه على أن يشترى قطعة أرض المختارة باسمه وبأمواله الخاصة ، على أن يتعهد باستخدامها للمصلحة القومية ، وبعد أن دفع سابيتو المبلغ المذكور أبرم فى ١١ مارس ١٨٧٠ مع المشايخ عبدالله شحيم وحسن بن أحمد وإبراهيم بن أحمد اتفاقا جديدا ، حصل بموجبه على قطعة أرض أخرى على الساحل بين راس لوما وخليج علاله وجبل جانجا ، ورفع فى ١٣ مارس العلم الإيطالى على تلك البقعة فى ساحل خليج عصب ٠

وعندما علم حاكم زيلع بأمر الاتفاقيتين اللتين أبرمهما الإيطاليون مع سلاطين عصب ، أوعز إلى الشيخ برهان محمد سلطان رحيتا بالتوجه إلى عصب للاحتجاج على ما قام به سابيتو وليبلغه أن هذه المنطقة خاضعة للباب العالى كما أن هذه العملية تعتبر تدخل في مصالح مصر وسيادتها فى البحر الأحمر الغربى ٠

وفى تلك الفترة كان النشاط المصري فى ساحل البحر الأحمر الغربى قد بلغ ذروته وبذلت في الوقت الذى نزل فيه الإيطاليين فى عصب - وكان من الضرورى بحث هذا الموقف من جانب مصر حينما بدأ النفوذ الأوروبى ينتشر فى هذه المنطقة والتى كانت جزءا من السيادة المصرية ، وقد بذلت الخديوية كل ما فى وسعها من جهد لصيانة حقوق سيادتها فى تلك المنطقة من القارة الإفريقية ، ولكن

الأطماع الإيطالية ما لبست أن وجدت فى الظروف الاستثنائية التى اجتازتها مصر ، ولاسيما فى أواخر السبعينات من القرن السابع عشر . وقد تمثلت تلك الظروف الاستثنائية فى تزايد تدخل الدول الأوروبية فى شئون الخديوية على أيدى ممثلى الدول السياسيين ، والقناصل من ناحية ثم وكلاء المرابين الدوليين وسماسرتهم من الناحية الأخرى . وعلى الصعيد الداخلى كانت إيطاليا من جانبها تسعى قبل انفراج أزمة العلاقات العثمانية المصرية ، بأن تنهى نزاعها مع مصر حول خليج عصب بصورة تتفق مع أطماعها ، حتى تستطيع أن تمضى قدما فى بسط نفوذها على ساحل البحر الأحمر الغربى ، دون معارضة مصر صاحبة الحقوق المشروعة على هذا الساحل المستمدة من الفرمانات السلطانية ، وضمن هذه العوامل أيضا التقارب الذى حدث بين إيطاليا ومنيليك ملك إثيوبيا فى تلك الفترة . وازدياد نفوذ الوصاية الدولية على مصر ، مما ترتب عليه تقييد سلطة الخديوى إسماعيل وعزله فى النهاية فى يوليو ١٨٧٩ ، ومن جهة أخرى قد شجعت بلا شك إيطاليا لمواصلة نشاطاتها التوسعية فى شرق إفريقيا . وبالرغم من ذلك كله كانت السلطات المصرية قد ابلغت على لسان وزير خارجيتها السيد مصطفى فهمى القنصل البريطانى فى مصر مؤكدة بأن الحكومة المصرية مصممة على عدم التنازل للإيطاليين عن موطئ قدم فى أجزاء من الساحل وكانت الرقعة التى تنازل عنها مشايخ الدناكل لشركة روباتينو على ساحل خليج عصب . بلغ طولها ٣٦ ميلا وتراوح عرضها بين ميلين وستة أميال . وفضلا عن ذلك ، ففى ٢٠ سبتمبر عقد سابيتو " اتفاقا للحماية والصداقة وعلاقات حسن الجوار " مع الشيخ برهان (سلطان) روحيتا تعهد فيه الأخير بأن يكون تابعا لملك إيطاليا .

وهكذا نتج عن ذلك أن إيطاليا كانت تتخذ من نشاط شركة روباتينو ستارا تخفى به أغراضها السياسية والتوسعية فى ساحل البحر الأحمر ، وعن طريق

الغش والخداع تمكنت شركة روباتينو الإيطالية للملاحة شراء ميناء عصب وأصبح لها موطئ قدم دون عناء ، وأن احتلال عصب كان منذ بدايته مشروعا مرتبطا بالحكومة الإيطالية ، وأن اسم شركة روباتينو قد استخدم فقط للتمويه لتغطية مخططات الحكومة الإيطالية . وواصلت إيطاليا نشاطها فى توسيع رقعة الأرض التى تمتلكها ، وفى أغسطس ١٨٨١ ضمت إلى مستعمراتها رحيتا ، بنفس الأساليب التى اتخذتها سابقا . وبذلك أصبحت الأرض طولها ٥٠ ميلا ، ومتوسط عرضها ٥ أميال علاوة على عدة جزر مجاورة . كما قامت إنجلترا وفرنسا بنفس الأسلوب الذى اتبعته ايطاليا بتجاهل أمر الدولة العثمانية والمعروفة صاحبة الشأن ، وشرعت تتحالف مع بعض شيوخ المناطق النائية أو صغار أمرائها وحصلت منهم على صك بالتنازل عن بعض الأماكن التى فى حوزتهم ، وهكذا أصبح الوجود الأوروبى أمرا واقعا ، وذلك نتيجة لضعف الخديوية المصرية التى كانت قد خضعت تحت الوصاية ، وبالرغم من كل ذلك لم تتردد مصر من رفع احتجاجاتها ضد الحكومة الإيطالية فى مناسبات عديدة . ولكن ايطاليا مضت فى توسعها لم تكتف بذلك بل ذهبت إلى أبعد من ذلك .

الموقف على صعيد مصر :

لاشك أن تصفية الثورة العرابية ، وخضوع مصر للاحتلال البريطانى منذ دخول القوات البريطانية القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢ . ثم هيمنة سلطات الاحتلال على شئون البلاد الداخلية والخارجية معا ، قد أتاح لإيطاليا الفرصة لدعم مركزها بمستعمرة عصب ولاحتلال المزيد من الأراضى على ساحل البحر الأحمر ، وأن سنوات ١٨٨٢ – ١٨٨٥ لم تشهد احتلال بريطانيا لمصر فحسب بل كذلك لأجزاء من ساحل البحر الأحمر الغربى حتى سواكن جنوبا . بالإضافة إلى

تأسيس محمية الصومال البريطانى سابقا ، كما شهدت فرنسا توسعا فى الهند الصينية ومدغشقر ، وغزو ممتلكاتها فى " أوبوك " Obuek .

احتلال ساحل البحر الأحمر من بيلول إلى مصوع :

وعند قيام الثورة المهدية تعرض أمن البحر الأحمر للتهديد نتيجة انتشار الثورة المهدية فى السودان الشرقى .

وكانت انجلترا تبدى اهتماما خاصا بساحل البحر الأحمر الغربى ، حيث كانت تخشى بدرجة كبيرة من وقوع موانئ هذا الساحل فى قبضة المهديين ، ولذلك فقد رأت الحكومة الإيطالية أن من الضرورى أن تجس نبض الحكومة البريطانية قبل إقدامها بالتوسع الكامل نحو بيلول ومصوع ، لتوسيع رقعة أملاكها على حساب الأراضى المصرية بساحل البحر الأحمر خصوصا ، وأن احتلال إيطاليا لمصوع سوف يساعد بريطانيا فى محاولة للقضاء على الثورة المهدية من ناحية ، وإيقاف تقدم الفرنسيين الذين كانوا يريدون بسط نفوذهم فى شرق إفريقيا من ناحية أخرى . ولذلك كله طلبت روما من السنيور دى مارتينو قنصلها العام بمصر فى أكتوبر ١٨٨٤ أن يستطلع رأى بارنج (لورد كرومر) القنصل البريطانى العام بالقاهرة حول إمكان إخلاء إيطاليا ، ثغر مصوع ، فرحب بارنج بالفكرة بل صار يستحث الحكومة الإيطالية ، عن سرعة تنفيذها . وجرت اتصالات عدة .



بداية الاحتلال الإيطالى لعصب

ولما علم على رضا باشا محافظ سواحل البحر الأحمر بالاتفاقات التى عقدها سابيتو مع مشايخ الدناكل ، وجه إليه فى ٢٦ ديسمبر ١٨٨٠ احتجاجا باللغة الفرنسية هذا نصه : " إلى جناب مسيو سابيتو ممثل شركة روباتينو . علمت باندهاش أثناء رحلتى بصفتى محافظا لسواحل البحر الأحمر ، أنه بناء على اتفاق عقد منذ عام تقريبا بينكم وبين شيخ قبيلة رحيتا استأجرتم باسم (

شركة روباتينو) جهات واسعة على شاطئ البحر قرب عصب ، وكذا بعض الجزر القريبة من خليج عصب . وبما أنكم لا تجهلون أن كل الساحل حتى (رأس حافون) ملك الحكومة المصرية ، ولا توجد فيه سلطة عليا إلا سلطة الخديوى بلا منازع ، فإن شيخ (رحيتا) ما هو إلا تابع للحكومة ، ومن ثم ليس له أى حق فى التصرف فى أى أراضى من الساحل أو الجزر المجاورة أو خلافه . وأن الواجب والقواعد المعروفة تقتضى بأن تتصلوا مباشرة بالحكومة الخديوية صاحبة الحق فى هذه الجهات . وقد علمت من جهة أخرى أن شيخ عصب لما رغب كتابع للحكومة أن يحضر طرفنا لاستقبالنا على المركب يوم الجمعة ٢٤ ديسمبر لم تقم سيادتكم فقط بمنعه بل أيضا أرسلتم له رسالة تأمرونه بألا يقبل الدعوة المرسلة له بالحضور . ورغم أننا لا نزال نرغب فى أن تكون علاقتنا بالرعايا الأجانب الموجودين داخل حدودنا حسنة ، لكننى لا يمكن أن أتغاضى عن رغبة حكومتى التى لا ترمى إلا أن تحمى أملاكها إلى جانب احتفاظها بعلاقاتها الحسنة مع الدول الصديقة . ولذلك لا يمكن أن أتغاضى عن مثل هذه الأفعال التى تتعارض مع هذه الرغبات ومع مصالح حكومتى المشروعة . فباسم الحكومة المصرية أحتج بشدة على هذه التصرفات الآنفة الذكر . وفى النهاية استطيع أن أؤكد لكم أن الإتفاق السابق بينكم وبين شيخ (رحيتا) الخاص بهذه الأراضى والجزر يعتبر كأنه لم يكن ، وبالمثل فيما يختص بمسألة عصب نفسها)) .

فى هذا المجال من جانب إيطاليا لدى بريطانيا لمعرفة رأيها بالتحديد . وما لبث أن تجلى ترحيب بريطانيا بمشروعات إيطاليا التوسعية بشكل أوضح ، عندما أبلغ لورد جرانفل الكونت نيجرا فى ٢٢ ديسمبر ١٨٨٣ أن " الحكومة المصرية عاجزة عن الاستمرار فى التمسك بكل ساحل البحر الأحمر الإفريقى ، واستمر قائلا أننا ليس لنا الحق ولا ندعى أن لنا حق فى إعطاء شىء لا نملكه ، فإذا شاءت

الحكومة الإيطالية امتلاك بعض الموانى مع وضع المذكورة " زيلع وبيلول ومصوع فإن هذه المسائل بين إيطاليا وتركيا ، ولكن حكومة جلالة الملك ليس لديها أى اعتراضات على احتلال ايطاليا ميناء زيلع وبيلول ومصوع)) ٠

وحينما اطمأنت الحكومة الإيطالية إلى موافقة بريطانيا على مشروعاتها التوسعية على ساحل البحر الأحمر الغربى ٠ صارت تسعى لخلق المبررات التى تسمح لها باحتلال مصوع فانتهزت فرصة مقتل الرحالة الإيطالى " جدستافو بيانكى " الذى لقى مصرعه فى اكتوبر ١٨٨٤ أثناء مروره من بلاد الدناكل لتنفيذ مأربها ٠

وفى ٢٥ يناير ١٨٨٥ احتلت فرقة من رجال البحرية الإيطالية مرسى بيلول الواقع شمال عصب ، وذلك بعد انسحاب الحامية المصرية منه ٠ وفى ٣٠ يناير ١٨٨٥ أبرق السنيور مانشى إلى الكونت كورتى قائلا : " ان حوادث البحر الأحمر اضطرته إلى النظر بعين الاعتبار إلى حالة مصوع ومنه يعرف من مصدر غير مباشر موثوق به أن خديوى مصر أحاط الباب العالى علما منذ بضعة أسابيع بضرورة إخلاء مصوع مثلما أخلى من قبل الأماكن الأخرى الواقعة فى أقصى الجنوب فإذا حدث وأخلت مصر مصوع فإن هذه المنطقة تعصف بها الفوضى وعلى ذلك فإن الحكومة الإيطالية مستعدة لاحتلالها " ٠

احتلال مصوع :

وفى صباح ٥ فبراير ١٨٨٥ وصلت السفينتان " جوناردو " ، و" فسبوتشى " إلى ميناء مصوع ٠ ولقى الإيطاليين معارضة من جانب الضابط المصرى عزت بك وكيل محافظ مصوع وقائد القوات المصرية بها ، الذى احتج احتجاجا شديدا ضد نزول قوات أجنبية فى منطقة تخضع لسيادة الباب العالى ٠ فعمد الأميرال كايمى إلى تسليمه

نسخة بالعربية من منشور أعده القائد الإيطالى لاعلانه على سكان مصوع ، وذلك بقصد التحايل لانزال القوات الإيطالية إلى مصوع دون قتال ، أما ملخص هذا الإعلان فهو كما يلى :

" إلى سكان مصوع ٠٠ قد أمرتنى باحتلال قلعة مصوع ذلك لاحتلال الذى أقوم بتنفيذه اليوم ، إن الراية الإيطالية سوف ترفع بجانب الراية المصرية ٠ كما سيتولى رجـال البحريـة الإيطاليين وجنود الجيش الذين نزلوا إلى مصوع للمحافظة بشدة على النظام٠ ونحن مستعدون لدفع ثمن كل ما نحتاج إليه ونريده ولسوف نحترم عاداتكم ، وديانتكم ، ولن أضع عقبة فى وجه تجارتكم ٠ بل على العكس فإن مجهودى سوف يتجه إلى رواجها ، وإنى أستطيع أن أطمئنكم إلى نوايا الحكومة الإيطالية الطيبة وعلى ذلك فنحن نطمع فى صداقتكم ٠ وأن تستمروا فى أداء أعمالكم التى كنتم تقومون بها وأن تشعروا بالطمأنينة والأمن " ٠

ومن الواضح أن موافقة الحكومة المصرية على احتلال مصوع هو الزعم الذى ذكره منشور كايمى أميرال البحر الإيطالى ، كان بمثابة تمويها وتضليلا لأن الحكومة الخديوية لم توافق أيضا على احتلال إيطاليا لمصوع ، ومن ناحية أخرى جديرة بالذكر أن هذا الإصغاء ينهض دليلا آخر على اعتراف إيطاليا بأن حقوق السيادة المصرية على هذه المنطقة لا تزال قائمة ٠

وكانت الإدارة المصرية فى حالة الضعف ، وخاصة بعد الهزائم التى منيت بها فى حروبها مع المهدية فى السودان والحبشة ، وقد وجد عزت بيك قائد حامية مصوع نفسه مرغما ؛ بسبب قلة عدد القوات التى لديه على السماح للقوات الإيطالية بالنزول فى مصوع وقام الإيطاليون على الفور باحتلال المراكز الاستراتيجية بالجزيرة ورفع العلم الإيطالى إلى جانب الراية المصرية ٠

موقف الحكومة المصرية من احتلال مصوع :

لم تسكت الحكومة المصرية على احتلال إيطاليا لمصوع ، بل بادرت بمجرد أن وصلها خبر الاحتلال الإيطالى لمصوع باحتجاج على تعدى الإيطاليين على حقوق السيادة المصرية على تلك الجزيرة ، فاحتج نوبار باشا فى مذكرة بعث بها إلى دى مارتينـو فى ٩ فبراير ١٨٨٥ على هذا الاحتلال ورفع العلم الإيطالى بجانب الراية المصرية .

واتجهـت الحكومـة الخديوية إلى تركيا مرة أخرى تطلب المعونة منها فى هذه المسألة .

فأبرق الخديوى فى نفس الوقت الذى بعث فيه نوبار باشا باحتجاجه إلى القنصل الإيطالى ، ٩ فبراير إلى الباب العالى يبلغه بنزول الإيطاليين فى مصـوع ، وفى اليوم الخامس من فبراير وبرغم من احتجاج الحاكم المصرى بها ، ويلفت نظر السلطان إلى امتداد الثورة المهدية إلى هذه البقاع وعجز الحكومة المصرية عن مواجهتها ووقوفها مكتوفة اليدين كذلك أمام أى عمل تقوم به ايطاليا . واعتبر الباب العالى نزول الإيطاليين فى مصوع تعديا على حقوق السيادة العثمانية على هذه المنطقة وانتهاكا للفرمانات السلطانية التى تنازلت فيها الحكومة العثمانية عن حقوقها فى تلك الجزيرة للخديوية المصرية ، فراح يحتج لدى حكومة روما على هذا الاحتلال ، وذهب الأتراك فى احتجاجهم إلى حد التهديد باستخدام القوة المحلية لطرد الإيطاليين من مصوع . ولكن سحبت تركيا تهديدها بمجرد أن تدخلت بريطانيا التى حثت الباب العالى بسحب هذا التهديد والاكتفاء بأن يصدر من جانب الحكومة الإيطالية تصريح تعلن فيه أن نزول قواتها فى مصوع لا يعتبر تعديا على حقوق السيادة العثمانية ، وكانت هذه الحقوق اسمية أو شكلية على أنه لم يلبث

موقف ايطاليا أن تغير عند تهيؤه للمضى فى تنفيذ مشروعاتهم التوسعية الاستعمارية فى شرق إفريقيا ، فبادروا إلى سحب هذا الاعتراف فاعلنت حكومة فرنشسكو كريسبى ، فى ٢٥ يوليو ١٨٨٨ ، تأسيس السيادة الإيطالية على مصوع بدعوى أن اخلاء السودان وسحب القوات المصرية منه إنما هو بمثابة تخلى مصر عن حقوق سيادتها فى هذه البقاع فتغدو مصوع ملكا مباحا ، يحق لإيطاليا احتلالها وفرض سياستها عليها .

ويقول الزعيم الإريترى الكبير عثمان صالح سبى فى كتابه من تاريخ إريتريا فى هذا الموضوع قائلا :

" وكان مجتمع مصوع التجارى الذى كان يتحكم بمصير المنطقة يعنى زوال الوجود الاسمى للإدارة المصرية ، التى لم يكن بمقدورها حتى الحفاظ على ممتلكات السكان وأرواحهم من غارات الحبش الأمر الذى دفع عددا من الفرسان ابرزهم آدم محمد بيك من أسرة النائب البلوية الحاكمة إلى التصدى لغارات الحبش والرد عليها الصاع صاعين ، مما سجلته ذاكرة المواطنين شعرا ونثرا بالتجرى " .

ويقول الأستاذ فوشيل : " ان الإيطاليين قد استقروا فى مصوع ، إلا أن وسائل الحجج التى استندوا إليها لتبرير احتلالهم لا يمكن اقرارها " وكانت ايطاليا قد وقعت الاتفاق مع سلطان أوسا فى ١٥ مارس ١٨٨٣ عقده انطونللى مع سلطان محمد حنفرى Hanafary ، زعيم الدناكل بالداخل ، وقد وطدت هذه المعاهدة التجارية دعائم النفوذ الإيطالى ، وفرضت فى بلاده نوعا من الحماية عليها فنصت المادة الثالثة من الإتفاق على، أن يضمن السلطان العفرى سلامة القوافل الإيطالية المارة بأوسا بين عصب شرقا وبين مملكة شوا غربا .

ووافق السلطان فى المادة الرابعة على اعفاء القوافل الإيطالية من المكوس

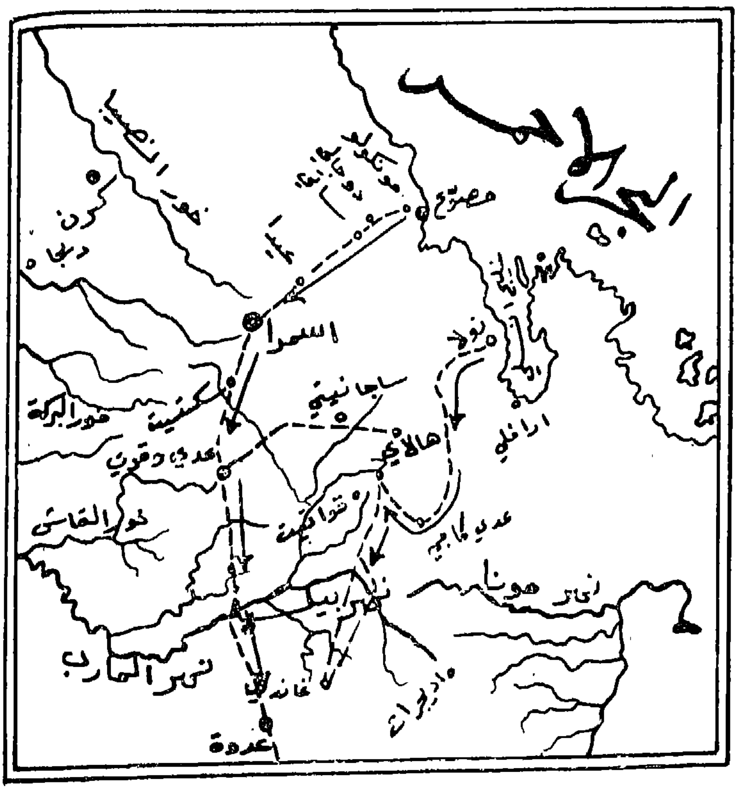
والضرائب ، سواء كانت هذه القوافل الوافدة من عصب أو المتجهة إليها ثم قَبل السلطان فى المادة الخامسة أن يتنازل للحكومة الإيطالية عن منطقة ابلس Ablis لكى تقيم عليها محطة تجارية إيطالية ، واجازت المادة السابعة للرعاية الإيطاليين ان يتنقلوا كيفما شاءوا فى جميع المناطق التابعة لسلطان أوسا ، وأن تتولى السلطات القنصلية الايطالية اتباع السلطان .

كما عقد انتونللى فى ٢١ مايو ١٨٨١ مع منيليك عاهل شوا معاهدة صداقة وتجارة من ١٨ مادة ، كفلت للإيطاليين تثبيت دعائم مستعمرتهم فى عصب على الساحل بتوفير سبل الاتصال التجارى بينها وبين المناطق الداخلية الغنية ، ولاسيما مملكة شوا الإثيوبية، ومن جهة أخرى أظهرت هذه المعاهدة بجلاء أنه كان لإيطاليا أطماع سياسية فى الحبشة ذاتها بأن ايطاليا بجانب اهتمامها بتوفير مقومات بقاء مستعمرة عصب وازدهارها ، لم تغفل أمر التطلع ببسط نفوذها فى الحبشة وتمهيد السبيل لفرض سيطرتها على هذه البلاد ، فاستطاعت من ثم إقناع منيليك بالتسليم . فقد نصت المادة الأولى من هذه المعاهدة على أن السلام الدائم والصداقة الوطيدة سوف تكونان رائدة العلاقات بين صاحب الجلالة ملك إيطاليا وبين صاحب الجلالة نجاشى شوا .

التوسع الإيطالى إلى داخل العمق الأريترى :

وهكذا نجد إيطاليا قد عقدت معاهدة جديدة مع سلطان أوسا فى ١٨٨٨ ، استكملت بها تعزيز مستعمرة عصب ، كما انتزعت منه اعترافا بتبعية كل ساحل الدناكل من انفيلا إلى رأس دميرا لايطاليا . وفى نفس الوقت اتجهت إلى التوغل فى الأراضى الساحلية التى تلى مصوع ، فزحفت إلى الداخل فاستولت على أم كلو وحطملو ، كما أبحرت سفينة " سبلوراتورى " من عدن إلى مصوع فى صباح ١٠ ابريل سنة ١٨٨٥ غادرت هذه السفينة الإيطالية ميناء مصوع ، وعلى ظهرها

بعض القوات الإيطالية بقيادة الكلونيل " سالت " ، وأبحرت جنوبا صوب خليج زولا وأدوليس فى ظهر هذا اليوم سفينة فى ١٠ أبريل وصلت إلى أرافلى ، حيث نزل الجنود الإيطاليون على الفور إلى الميناء ، وقاموا برفع الراية الإيطالية إلى جانب الراية المصرية على قلعة أرافلى بالرغم من احتجاج الضابط المصرى نجيب عثمان قائد الحامية المصرية ، وفى صباح اليوم التالى طرد الإيطاليين الحامية المصرية من أرافلى ، وكانت القوات الإيطالية حينئذ قد شرعت فى الزحف إلى شاطئ البحر الأحمر الغربى ، من مصوع شمالا إلى عصب جنوبا ، فاحتلت بالإضافة إلى أرافلى وحرقيقو وزولا ومعدر وعد وجزر الهواكل .



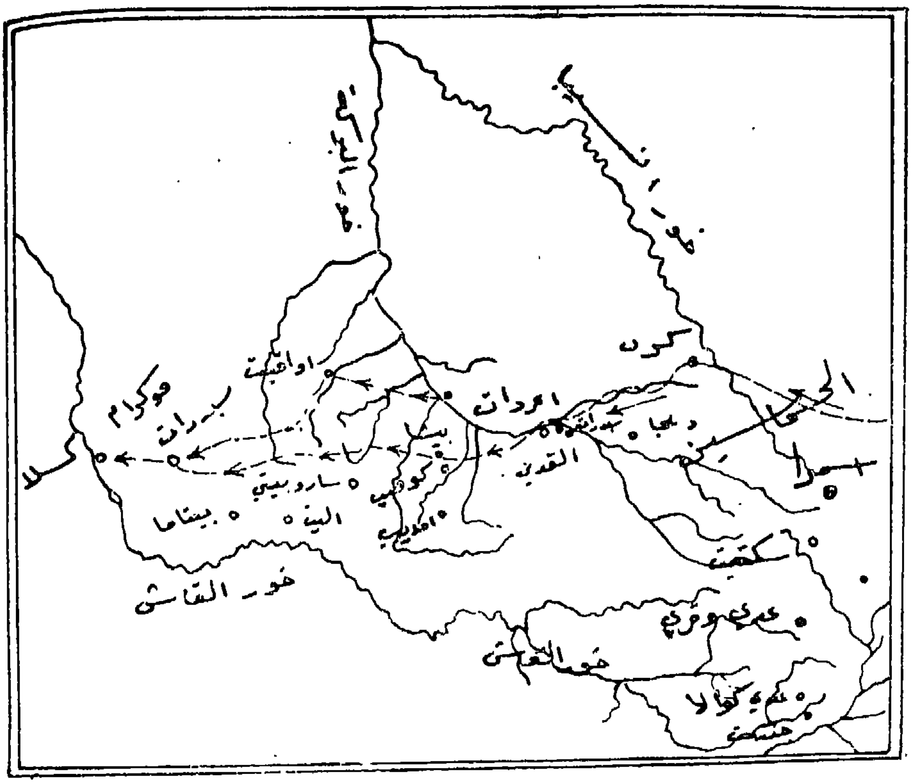
التوسع الإيطالى داخل إريتريا

في هذا الوقت رأت الحكومة الإيطالية ضرورة ازالة كل أثر للسيادة المصرية على مصوع ، فبادرت بإرسال مذكرة إلى قنصلها العام فى مصر يذكر فيه رغبة الحكومة الإيطالية فى ضرورة انسحاب عزت بيك قائد حامية مصوع وبقية أفراد الحامية المصرية فى الجزيرة ٠ ولما لم تستجب الحكومة المصرية لهذه الرغبة بدأ الإيطاليون تنفيذ مشيئتهم بالقوة ٠

وكان فى نوفمبر ١٨٨٥ قد تسلم الجنرال جينى قيادة القوات الإيطالية فى مصوع، كما تولى أيضا تصريف الشئون المدنية والعسكرية بها ٠ بعد أن كانت هذه المسئولية موزعة بين الجنرال سليتا والأميرال كاليمى ، وفق التعليمات الصريحة التى تلقاها من ايطاليا ، تطالبه بضرورة التخلص من الحامية المصرية وقائدهـــا ، بغية إتمام احتلال ايطاليا العسكرية لهذه المنطقة ، فأرغم فعلا فى ٢ ديسمبر ١٨٨٥ ، بطرد الحامية المصرية وبمغادرة مصوع على ظهر إحدى السفن الإيطالية التى نقلتهم إلى السويس ومنها إلى مصر ٠ وبهذا انتهى الوجود المصرى تماما من المنطقة ٠ وبعد مراسلات واتصالات مع بريطانيا ، لتثبيت الحدود على الشاطئ الغربى من البحر الأحمر فى الساحل الشمالى ، فبعث ساشبيرى برسالة إلى الكونت كورتى سفير إيطاليا فى لندن أبلغه فيها موافقة الحكومة البريطانية على امتداد مراقبة إيطاليا على ساحل البحر الأحمر الغربى من مصوع جنوبا إلى راس قصار شمالا ، وفى ٢٩ مايو زحف الماجور دى مايو على كرن بأربعة فرق من الجنود الإيطاليين ، وبطارية جبلية وفرق وطنية ٠ وفى ٢يونيو ١٨٨٩ سقطت كرن فى أيدى القوات الإيطالية ورفع العلم الإيطالى على قلعتها ٠ وفى ٣ اغسطس ١٨٨٩ أيضا تمكن الماجور دى مايو من احتلال اسمرا واستولى على قرع ، وفى ١٧ اغسطس ١٨٨٩ احتل اقليم سراى وأكلى عوزاى : و فى ٢ مايو ١٨٨٩ عقدت إيطاليا معاهدة " أوتشيالى " مع الحبشة ، واعترف منليك فى المادة الثالثة بامتداد النفوذ الإيطالى إلى حدود إقليم أكلى غوزاى

وحماسين ، ولم يكن هذان الإقليمان تابعين له ، بل كانت العلاقة متوترة وفى نزاع دائم بما فيه إقليم سراى ٠

ورسمت الحدود بين إيطاليا والحبشة بصورة تدخل فى نطاقها المناطق الواقعة على الضفة اليمنى لنهر المأرب ومدينتى كرن وأسمرا ، وبعد أن أكمل الإيطاليون توسعاتهم نحو كل أقاليم إريتريا كان من الضرورى توحيد هذه الممتلكات من ساحل البحر الأحمر وشمال إثيوبيا فى مستعمرة واحدة يديرها مسئول إيطالى ، لتدعيم الحقوق الإيطالية ٠ وهذا ما سنتناوله فى هذا الجانب من البحث ٠



التوسع الإيطالى فى غرب إريتريا

تأسيس مستعمرة إريتريا :

وفى أول يناير ١٨٨٩ أصدر ملك ايطاليا همبرت الأول مرسوما بتأسيس مستعمرة إريتريا ، وذلك بعد أن تم توحيد كافة الأقاليم الأريترية المختلفة من البحر الأحمر حتى الهضبة الأريترية ، والجزء الغربى من إريتريا ٠ وعينت الحكومة الإيطالية الجنرال " آوريرو " حاكما عاما لإريتريا وسميت البلاد باسم إريتريا - احياء للتسمية الرومانية القديمة كما ذكرنا سابقا - وقبل أن نتناول التقسيم الإدارى لإريتريا والدور الذى قام به الإيطاليون فى إريتريا واتفاقات الحدود ، يجدر بنا أن نشير هنا إلى جملة الحوادث التى شهدتها المنطقة من صراعات المهديين ، والحرب الإيطالية الأثيوبية والصراع بين الممالك الإثيوبية بعضهم البعض ، والصراع من أجل السيطرة على الساحل الإريترى ، وانعكاسات هذه الحروب على الشعب الإريترى ٠ كل ذلك دفعنا لتناول هذا الموضوع بإيجاز ، لاتاحة الفرصة للقراء لربط التاريخ الإريترى الحديث والمعاصر مع التاريخ القديم وموقف ملوك إثيوبيا وحكامها من الاستعمار الإيطالى لإريتريا ٠

استغلال ايطاليا الصراع الذى كان قائما بين ملوك الحبشة :

من دوقللى إلى عدوا :

صراع من أجل السيطرة على أريتريا :

حاولت إيطاليا أن تستفيد من التنافس الذى كان قائما بين الامبراطور (يوحنا) امبراطور إثيوبيا ، وكان من إقليم تيجراى ، ومنيليك ، ملك إقليم شوا (إذ كانت الحبشة ممالك صغيرة لكل منها ملك ، وكلهم يخضعون للامبراطور - ملك الملوك) ٠ وكان منيليك يطمح لانتزاع عرش ملك الملوك لنفسه ، ففى ٢١ مايو

(أيار) ١٨٨٣ عقد المبعوث الإيطالى كونت أنتونللى معاهدة صداقة مع منليك فى عاصمته (أنكوبر) تكونت من ١٨ مادة ، وبموجبها وطد الإيطاليون دعائم نفوذهم على شوا ٠ وعزز الإيطاليون هذه المعاهدة بمعاهدة أخرى أبرمت فى نابولى فى أول أكتوبر ١٨٨٩، ووقعها جريسبى عن ملك ايطاليا ومكنن - والد هيلاسيلاسى - عن منليك ، ملك شوا - وفى هذه المعاهدة يعترف منليك بسيادة ملك إيطاليا على إريتريا ٠ كما وافق الإيطاليون على اقراض منليك ٤ ملايين فرنك بضمان إيرادات جمارك هرر ، وفى حالة عدم السداد تصبح كل مقاطعة هرر ملكا لإيطاليا ٠ وكان منليك قد غزا هرر واستولى عليها بعد أن هزم جيشها بقيادة الأمير عبدالله بن محمد بن عبدالشكور فى معركة (شلنقو) عام ١٨٨٧ ، وضمها إلى أملاكه بعد صراع بينها ،وبين مملكة الحبشة استمر أكثر من ستة قرون ٠ وقد جلا المصريون عن هرر قبلها بعامين فقط ٠

الصراع فى أريتريا لمواجهة ايطاليا :

وساء الامبراطور يوحنا أن يتصل الإيطاليون بمنافسه منليك الثانى ، صاحب شوا ، فوجه رأس الولا - وكان حاكما لإقليم تيجراى ، ويتمتع بظل من النفوذ على الهضبة الإريترية بعد أن غدر بأقوى حكامها ، رأس ولد ميكائيل ، وسلمه أسيرا للامبراطور يوحنا - وجهه إلى سهول (سمهر) الإريترية لمحاربة الإيطاليين قبل أن يتوغلوا إلى مملكته ، كما فعل المصريون من قبلهم ٠ فاصطدم بحملة إيطالية فى (دوقلى) على بعد ٢٥ كيلومترا غربى مصوع وتمكن من القضاء عليها وقتل أكثر من ٥٠٠ من رجالها وبينهم بعض المليشيات من عساكر نائب مصوع ، الذى رأى فى الحملة الإثيوبية استمرارا لحملات النهب القديمة على مناطق (سمهر وبركة والحباب) ، وخاصة أن رأس الولا نفسه كان يقوم بهذه

الغارات للنهب والسلب ، ويجد المقاومة العنيفة من سكانها . وقد اشتهر آدم محمد بك وهو من أسرة النواب الحاكمة بغاراته المعاكسة لغارات رأس الولا حتى لم تسلم منه أماكن العبادة مثل دير دبر بيزن ، عندما أغارت قوات رأس الولا على ضريح الشيخ محمد بن على فى أمبيرمى مستعينا بقبائل الساهو والمليشيات الأخرى .

ويقول الزعيم الإريترى عثمان صالح ، معلقا على هذا الجانب قائلا :
" والواقع أن غارات الإريتريين بعضهم على بعض - وكان هذا أمرا مألوفا فى الجزيرة العربية وفى مناطق عديدة من العالم - لم تنته إلا بعد أن بسط الإيطاليون سلطانهم على الجميع وأوقفوا الغارات التى كانت تتبادلها المناطق والقبائل والأديان المختلفة ، سعيا وراء سلطان أو مغنم . واشتهر فى هذه الفترة عدد من الفرسان أمثال (هروب) و (قناد) و (محمد نور نائب أبا طبس) الذين عبروا عن بطولاتهم بالشعر بلغة التجرى التى عرفت بخصوبتها وكثرة مفرداتها ، وكان هؤلاء مثل الفئة التى عرفت فى الجزيرة العربية قبل الإسلام بصعاليك العرب ، الذين كانوا فرسانا خرجوا عن قبائلهم وجعلوا همهم الانتصار للمظلوم ، يأخذون الحق من الظالم بقوة أيديهم . ينهبون ويسلبون كلما رأوا ذلك ضروريا ومفيدا " .

لم يواصل رأس الولا زحفه نحو مصوع ، بل اكتفى بالانتصار الذى حققه ، ولا يعود ذلك إلى قوة الحامية الإيطالية فى مصوع بقدر ما يعود إلى تدخل الانجليز ، الذين كانوا عقدوا حلفا مع الامبراطور يوحنا لمساعدتهم فى حروبهم ضد الدولة المهدية فى السودان ، وهى الحروب التى كان يخوضها الانجليز باسم حكومة مصر (الدمية) . وكان الإيطاليون حليفا آخرا لبريطانيا ضد المهدية ، ولم يكن من مصلحة بريطانيا ، والحالة هذه أن يتصاعد النزاع بين حلفائها ، فأرادت أن توجه جهود الاثنين نحو محاربة قوات المهدية التى كانت متوغلة فى غرب

إريتريا . وهزمت فى النهاية على أيدى رأس الولا والإيطاليين ، فى مشارف كرن ، وواصل الإيطاليون زحفهم حتى انتزعوا كسلا من الحكومة المهدية .

وبسبب اختلاف الولاء للطرق الصوفية ، فقد حارب الإريتريون فى المنطقة الغربية ضد القوات المهدية ، فى وقت كانت المنطقة تتبع إداريا لمديرية (التاكا) السودانية إبان الحكم المصرى . ويعود ذلك إلى ولاء السكان للطريقة الختمية التى كان ينكر زعماؤها مهدية المهدى من الناحية الدينية ، ويعارضونه سياسيا ويعلنون ولاءهم للخديوية المصرية .

وعرف سكان القدين والبنى عامر بتعصبهم للختمية وقاتلوا القوات المهدية قتالا مريرا قاسيا ، ليس هذا فحسب ، بل شنوا عليها حربا " عقائدية " .

لم تف بريطانيا بوعدها للأمبراطور يوحنا بتمكينه من استلام مصوع وكرن ، وكانت خاضعة للحكم المصرى بعد أن خضعت مصر نفسها للحكم البريطانى . وفضلت تشجيع الإيطاليون على احتلالها ، للحد من تعاظم النفوذ الفرنسى فى البحر الأحمر . وقتل يوحنا على أيدى المهديين فى معركة (المتمة) المشهورة فى ٢٩ مارس ١٨٨٩ .

كانت المقاومة الإريترية تعرقل فى الوقت نفسه مشاريع إيطاليا التوسعية . واشتهر دجياش بهتا حقوس ، حاكم سقنيتى فى أكلى غوزاى فى الهضبة الأريترية بمقاومته البطولية حتى استشهد . كما برز زعماء آخرون .

وأراد الإيطاليين استعمال سياسة فرق تَسُد ، لإضعاف نفوذ الزعماء الإريتريين . فسلموا إدارة جمارك مصوع لكنتيباى حامد – زعيم منطقة الحباب – بعد أن انتزعوها من أصحابها التقليديين أسرة النائب التى كان يمثلها النائب

إدريـــس ، الذى يصفه فرناندو دى مارتينى ، الحاكم العام الإيطالى فى مذكراته بـ (العاجز المتكبر) . لكن هذا الأسلوب لم ينجح ونفت السلطات الإيطالية كنتيباى حامد إلى عصب ، وخلد منفاه شعرا جميلا بالتجرى ، كما انتقل كنتيباى محمود بكامـــل عشيرتـــه من الحباب إلى منطقة طوكر، واحتمى بالإدارة البريطانية (السودان الانجليزى – المصرى) بعد أن اختلف مع الإيطاليين ورفض الخضوع لإدارتهم .

معركة عدوا وقصاص منيليك من الأريتريين :

استمر الإيطاليون فى مساعيهم لبسط نفوذهم على كل أقاليم الحبشة . فأهدت إيطاليا إلى منيليك مزيدا جديدا من الأسلحة مقداره ٣٨٠٠٠ بندقية و ٢٨ مدفعا ، وعقدت معه فى مايو ١٨٨٩ معاهدة عرفت بمعاهدة (أوتشيالى) ، بموجبها فهمت إيطاليا أن الحبشة أصبحت تحت حماية إيطاليا .

وأدى الاختلاف فى تفسير المادة ١٧ من هذه المعاهدة إلى حرب (عدوا) الشهيرة بين الحبشة وإيطاليا . وكان النص الإيطالى لهذه المادة يقول : " يجب على الحبشة أن تكون اتصالاتها مع الدول الأخرى عن طريق إيطاليا " ، بينما النـص الأمهرى يـقول : " يمكن للحبشة أن تتصل بالدول الأخرى عن طريق إيطاليا "، ورفض منيليك التفسير الإيطالى وألغاها . وكانت الحرب .

جمع الإيطاليون شمل قواتهم وبدأوا الزحف إلى تلال (عدوا) فى تيجراى بجيش يبلغ تعداده ٢٧٠٠٠ جندى تحت قيادة الجنرال باراتيرى (Barateire) الذى حارب من قبل المهدية فى غرب إريتريا واستولى على كسلا ، وكان نحو عشرة آلاف منهم إريتريون ، جنّد معظمهم عن طريق الإجبار .

ولم تكن للإيطاليين خرائط واضحة عن منطقة القتال ، وكانوا يعتمدون على الدليل الإريترى (أرعدوم) الذى كان على صلة بمنيليك كراهية للاستعمار الإيطالى. فما كان منه أن أوردهم موقعا جعل قوات منيليك تحيط بهم من كل جانب . وكانت مذبحة للجيش الإيطالى إذ بلغت خسائره ١٢٠٠٠ قتيل وجريح ، ثلثهم إريتريون و ٧٠٠٠ أسير و ٣٢٠ مدفعا وكميات كبيرة من الذخيرة وجميع معدات المعسكر .

وتصرف منيليك تجاه الأسرى بوحشية ، إذ خصى الإيطاليون منهم ، وقطع أرجل وأيدى الأريتريين من خلاف (اليد اليمنى والرجل اليسرى) ، الأمر الذى زاد من المرارات التاريخية وعمق العداوات بين إريتريا والحبشة ، وكان القطع يتم بالسكاكين والفئوس العادية ، من دون أن يتبعه دواء ، إلا ما كان من غمس موضع البتر فى زيت يغلى لوقف النزيف – وقد مات معظم الأسرى تحت وطأة هذا التشويه الوحشى .

وقد حقق منيليك نصرا ساحقا على الإيطليين ، لكنه لم يحاول ملاحقة فلول الجيش الإيطالى وطردهم من إريتريا ، بل انتهت هذه المعركة الفاصلة بمعاهدة وقعها الطرفان فى أديس أبابا فى ٢٦ أكتوبر ١٨٩٦ ، اعترف فيها منيليك بحق إيطاليا فى البقاء فى إريتريا . وفضل استثمار نصره ماديا ، فاستلم من إيطاليا مبالغ مالية طائلة .

معاهدة تخطيط الحدود الإريترية السودانية :

وقد مرت الحدود الأرتيرية السودانية بعدة مراحل بين عام ١٨٩١ – ١٩٠٤ على الوجه التالى :

١ – اتفاقية ١٥ ابريل ١٨٩١ بين ايطاليا وبريطانيا لتعيين الحدود من رأس

قصار إلى النيل الأزرق ٠

٢ – ولم يلبث أن عقد اتفاقا بين الحكومتين الإيطالية والمصرية ، لتخطيط الحدود بين خور بركة والبحر الأحمر ، وقد وقع هذا الاتفاق فى القاهرة سردار الجيش المصرى السير هربرت كتشنر وهو إنجليزى بتاريخ ٢٥ يونيو ١٨٩٥ ، كما أمضاه فى اسمرا حاكم إريتريا الجنرال إدريتى باراتيرى بتاريخ ٧ يوليو ١٨٩٥ ٠

٣ – اتفاقية ٧ ديسمبر ١٨٩٨ بين إيطاليا ومصر لتخطيط الحدود الشمالية ٠

٤ – اتفاق آخر فى يوليو ١٨٩٩ فى سبدرات بشأن تخطيط الحدود بين السودان المصرى وإريتريا ٠

٥ – اتفاق ١٦ ابريل لتخطيط الحدود من سبدرات إلى تودلك ٠

٦ – على أن خط الحدود بين إريتريا والسودان المحدد بموجب اتفاق ١٦ أبريل ١٩٠١ ، بين السودان المصرى الإنجليزى وإريتريا – لم يلبث أن تعدل بموجب مذكرة ملحقة ٠

٧ – اتفاقية بمعاهدة ١٥ مايو ١٩٠٢ بين بريطانيا وإثيوبيا لتخطيط الحدود بين السودان وإثيوبيا ٠

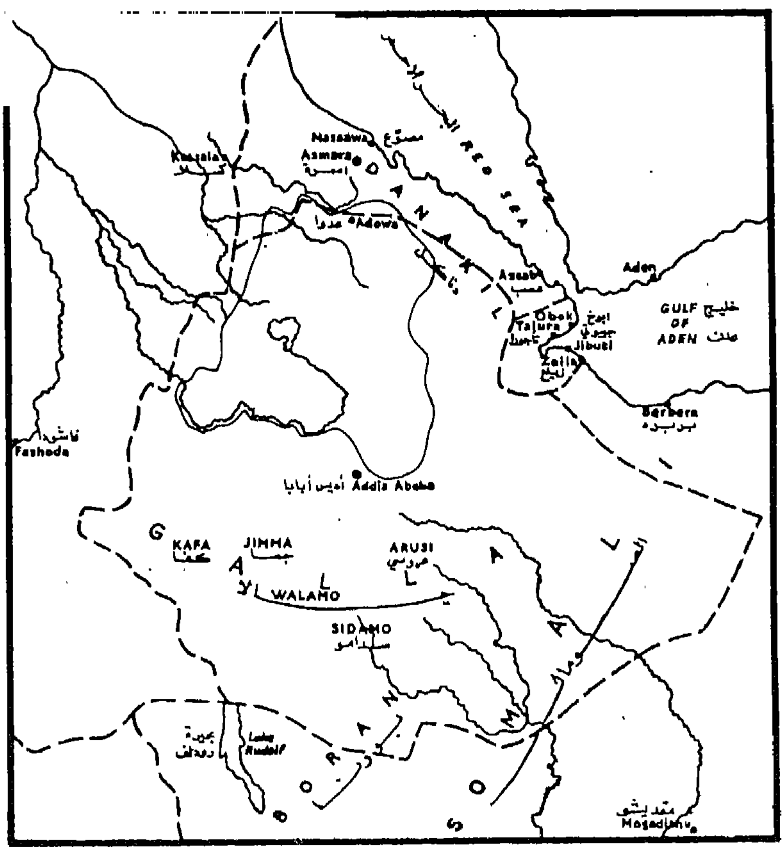
٨ – اتفاق تصحيح الحدود بين إريتريا والسودان فى ١٨ فبراير ١٩٠٣ ٠

٩ – التوقيع على اتفاقية تصحيح الحدود بين إريتريا والسودان فى ١٩ يناير ١٩٠٤ ٠

وهكذا نلاحظ أن اتفاقية الحدود بين السودان وإريتريا مرت بتسعة مراحل حتى استقرت بحدودها النهائية حاليا ٠

اتفاقية الحدود بين إريتريا وإثيوبيا :

وفـــى ١٠ يوليو ١٩٠٠ أمضى امبراطور اثيوبيا(منيليك الثانى) والكابــتن (فيدريكو تشيكو دي كولا) ممثل إيطاليا فى إثيوبيا فى اديس أبابا ، معاهدة بين إيطاليا وإثيوبيـا، لتخطيط الحدود بين إريتريا والحبشة ، واتفق الطرفان المتعاقدان بموجب المادة الأولى من هذه المعاهدة على أن يكون خط تومات – تودلك – مأرب – بيلسيا – موتا ، هو خط الحدود بين إريتريا وإثيوبيا .



خريطة إثيوبيا قبل التوسع حتى القرن التاسع عشر

على أن خط الحدود الأخير بين إريتريا وإثيوبيا لم يلبث أن تعدل بموجب " المذكرة" الملحقة بمعاهدة ١٥ مايو ١٩٠٢ بين بريطانيا وإيطاليا وإثيوبيا ، فنصت المادة الأولى من هذه المذكرة على أن " يسير خط الحدود بين إريتريا وإثيوبيا ، من ملتقى خور أم حجر مع نهر سيتيت ، متتبعا مجرى الأخير (سيتيت) حتى التقائه مع نهر " مايتيب " . ثم يذهب خط الحدود مع مجرى مايتيب ، تاركا جبل " لاكا تاكورا " أو " آلاتاكورا " داخل إريتريا حتى التقاء نهر المأرب مع نهر " ماى امبسا " . إن خط الحدود بين ملتقى سيتيت ومايتيب ، وملتقى المأرب وماى امبسا ، سوف يترك تحديده لمندوبين من الإيطاليين والأحباش ، على أن تبقى قبيلة كوناما داخل الأراضى الإريترية .

وفى ١٦ مايو ١٩٠٨ ، أمضى منيليك الثانى وممثل الحكومة الإيطالية فى أديس أبابا ، جيزبى كولى دى فيليزانو (معاهدة بين إيطاليا وإثيوبيا لتخطيط الحدود بين مستعمرة إريتريا الإيطالية وأقاليم الأمبراطورية الإثيوبية . فنصت المادة الأولى من هذه المعاهدة على أن يسير خط الحدود بين مستعمرة إريتريا واقليم تيجراى من أقصى نقطة شرقى نهر مونا فى الاتجاه الجنوبى الشرقى ، فى خط موازى للساحل وعلى مسافة ٦٠ كيلومترا منـه ، حتى يتقابل مع حدود الأملاك الفرنسية فى الصومال " .

وبذلك تكون حدود مستعمرة إريتريا قد استقرت نهائيا من ناحية السودان المصرى الانجليزى والامبراطورية الإثيوبية .

الإدارة المدنية لمستعمرة إريتريا فى ظل الحكم الإيطالى :

كما أشرنا فى السابق ، وبعد ابرام معاهدة أوتشيالى وتوحيد مستعمرة

إريتريا ، بادر الإيطاليون باعلان التنظيم الإدارى للمدنية بمرسوم .

وقد نص المرسوم على أن يكون للمستعمرة ميزانية وإدارة مستقلان بذاتيهما، وأن يتولى القيادة العامة والإدارة حاكم عسكرى ومدنى ، أى له سلطات عسكرية ومدنية فى الوقت نفسه ، وأن يخضع هذا الحاكم لوزير الخارجية الإيطالية فى كل ما يخص الإدارة المدنية فى المستعمرة ، ولوزير الحربية فى كل ما يخص المسائل العسكرية ، ولوزير البحرية فى كل ما يخص المسائل البحرية . يعاون هذا الحاكم فى ممارسة مهام وظائفه ثلاثة من المستشارين المدنيين ، أحدهم للشئون الداخلية ، والثانى للشئون المالية والأشغال العامة والثالث للشئون الزراعية والتجارية ، ويقوم الملك بتعيينهم بناء على ترشيح وزير الخارجية ، بشرط أن يكونوا من الإيطاليين ، ولا يمارسون التجارة .

ويتولى المستشار المخصص للشئون الداخلية تصريف أمور الإدارة المدنية والعدالة والشرطة والأمن العام والإشراف على المنشآت العامة ومراقبة رجال الشرطة المنوط بهم ملاحظة الأمور الصحية ، والإشراف على السجون وغيرها من أماكن الحجز أو النفى ، بالإضافة إلى تصريف شئون المستعمرة الخارجية مع السلطات التابعة للحكومات الأجنبية التى لديها ممتلكات على ساحل البحر الأحمر أو خليج عدن .

ويتولى المستشار المخصص للشئون المالية والأشغال العامة ، تصريف المسائل الخاصة بالإدارة المالية والجمارك والمكوس والضرائب المختلفة والأشغال العامة والأعمال المتعلقة بالطرق والعناية بالموانى والمنشآت البحرية ، والإشراف على الشواطئ والمنارات والبريد والتلغراف والسكك الحديدية والخزينة الحكومية .

ويتولى المستشار المخصص للشئون الزراعية والتجارية تصريف المسائل الخاصة بالأراضى الملكية العامة والعناية بالزراعة والتجارة والعمل على تنشيطها وازدهارها ، والإشراف على طرق القوافل والمرور عبر أراضى القبائل المختلفة والعلاقات بين الأهالى الوطنيين ورؤوسهم داخل المستعمرة وخارجها ، والإشراف على الذين انتخبوا فى وظائف السلاطين والنواب والشيوخ والقضاة وتصريف الشئون السياسية مع إثيوبيا ٠

ويؤلف المستشارون الثلاثة مع الحاكم مجلس حكومة المستعمرة ، ويكون الفصل فى المسائل المعروضة على المجلس بأغلبية الأصوات ، وفى حالة تعادل الأصوات يرجح الجانب الذى يكون فيه صوت الحاكم ٠ أما فى المسائل الخطيرة المتعلقة بالسياسة أو الإدارة ، فإن الحاكم يستطيع أن يؤخر الفصل فيها ويعرضها على وزير الخارجية لاصدار قرار بشأنها ٠

وقسمت إريتريا من الناحية الإدارية إلى ست مديريات Commissariati هى الحماسين (ومركزها الرئيسى أسمرا) والمنخفضات الشرقية (ومركزها الرئيسى مصوع) وأكلى غوزاى (ومركزها الرئيسى عدي قيح Adi Caieh) وسراى (ومركزها الرئيسى عدى وقرى Adi Ugri) والمنخفضات الغربية (ومركزها الرئيسى أغردات)٠ وقسمت كل مديرية إلى عدد من المحافظات ، وكل محافظة إلى عدد من المراكز ٠

وفى داخل المراكز الإدارية ، خضعت مناطق المدن والقبائل لأشكال مختلفة من التنظيم الإدارى ٠ ولكن كقاعدة عامة ، كانت المدن مقسمة إلى أحياء خاصة بالأوروبيين ومعظمهم من الإيطاليين وأخرى خاصة بالوطنيين ٠ وتولى الإشراف على الأحياء الأوروبية مجالس بلدية إيطالية ، على حين تولى الإشراف على الأحياء

الوطنية مشايخ معينين من قبل الإدارة الإيطالية ويتسلمون منها مرتباتهم . أما المناطق القبلية ، أى كل إريتريا باستثناء المرتفعات ، فكان يشرف عليها إداريا مشايخ فقط ، وكان هؤلاء يعينون كذلك من قبل الإدارة الإيطالية ويتسلمون منها مرتباتهم أيضا . وكان كل شيخ مسئولا أمام الإدارة عن قبيلة معينة .

وفضلا عن ذلك ، فقد أنشئت فى إريتريا ثلاث محاكم مدنية : واحدة فى مصوع ، وأخرى فى كرن ، وثالثة فى أسمرا . وكان الأوروبيون يحاكمون طبقا لأحكام القانون الإيطالى ، والمسلمون طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية ، والمسيحيون طبقا لأحكام القوانين والعادات والتقاليد الإريترية .

وكان أول حاكم عام لإريتريا هو الجنرال أوريرو Orero الذى خلف بلدسيرا فى القيادة العامة بمصوع ، وجاء بعده الجنرال أنطونيو جندولفى Antonio Gandolfi - فالجنرال أورستى باراتيرى Oreste Baratieri الذى ظل يشغل منصبه حتى مارس ١٨٩٦ .

سياسة إيطاليا الاستعمارية فى أريتريا :

قامت سياسة ايطاليا الاستعمارية فى إريتريا على أربعة مبادئ عامة :

١ – ضمان استتباب أمن المستعمرة وتنظيمها .

٢ – تطوير المستعمرة وتنميتها لتلائم الاستيطان الإيطالى .

٣ – استغلال موارد المستعمرة الطبيعية كالزراعية والحيوانية والمعدنية واتخاذ إريتريا سوقا لتصريف المصنوعات الإيطالية .

٤ – تجهيز المستعمرة كقاعدة للانقضاض منها على الأراضى الافريقية المجاورة

وأما الجهاز الإدارى الذى اعدته لتنفيذ تلك السياسة فقد نما ببطء ثم خطا بخطوات سريعة أواخر العهد الفاشيستى ، وتربع على رأس الجهاز الإدارى الحاكم الايطالى فى قصره بمصوع حتى عام ١٩٠٠ ثم بعد ذلك فى أسمره . وأشهر حكام إريتريا فى العهد الإريترى فردناندو مارتينى Ferdinando - Martini الذى تولى منصبه لتسع سنوات ، ابتداء من ١٨٩٨ . وهناك عدد آخر من حكام إريتريا الإيطاليين لايقلون عن مارتينى شهرة مثل سلفا جوراجى Salva Goraggi ، ودى مارتينو Demartino وتشرينا فيرونى Cerrina - Ferroni ودكتور جسباريني Gasparini وهو أول حاكم فى العهد الفاشيستى . وكان يتولى الحكم فى الأهمية القائد العام للقوات الإيطالية فى المستعمرة ثم سكرتيرها العام .

لقد قامت السياسة الإيطالية على تسخير الإنسان الأريترى فى أغراضها العسكرية . وقد قام الإيطاليون بنهب الخيرات الزراعية والمعدنية وساقوا الإريتريين بالقوة إلى ميادين القتال ، فذهب عشرات الألوف قتلا وأسرا ، كما عمل الإيطاليون على تعميق الخلاف الدينى والعرقى والقبلى وخلق التفرقة بكل مظاهرها، واستخدموا التمييز العنصرى فقسموا المدينة الإريترية إلى أحياء أوروبية وأحياء وطنية . ومنعوا الوطنيين من ركوب الأتوبيسات العامة وحافلات الدرجة الأولى للسكك الحديدية وبعض النوادى والمدارس ، واعتبر الإيطاليون أنفسهم الأسياد ومن حقهم أن يستمتعوا ويتنعموا بخيرات البلاد . ومن واجب الإرتيريين توفير هذه الخيرات وعليهم أن يكدوا ويكدحوا لانتاج المواد الخام الرخيصة اللازمة للصناعة الإيطالية ، وأن يشتغلوا فى المشروعات الإيطالية بأجور زهيـــدة.

وأما فى ميدان التعليم فإن الفرص التعليمية التى أتاحتها إيطاليا للإريتريين كانت ضئيلة للغاية . وإن صرفت جهودها إلى الدعاية والتبشير ومحاربة الثقافة

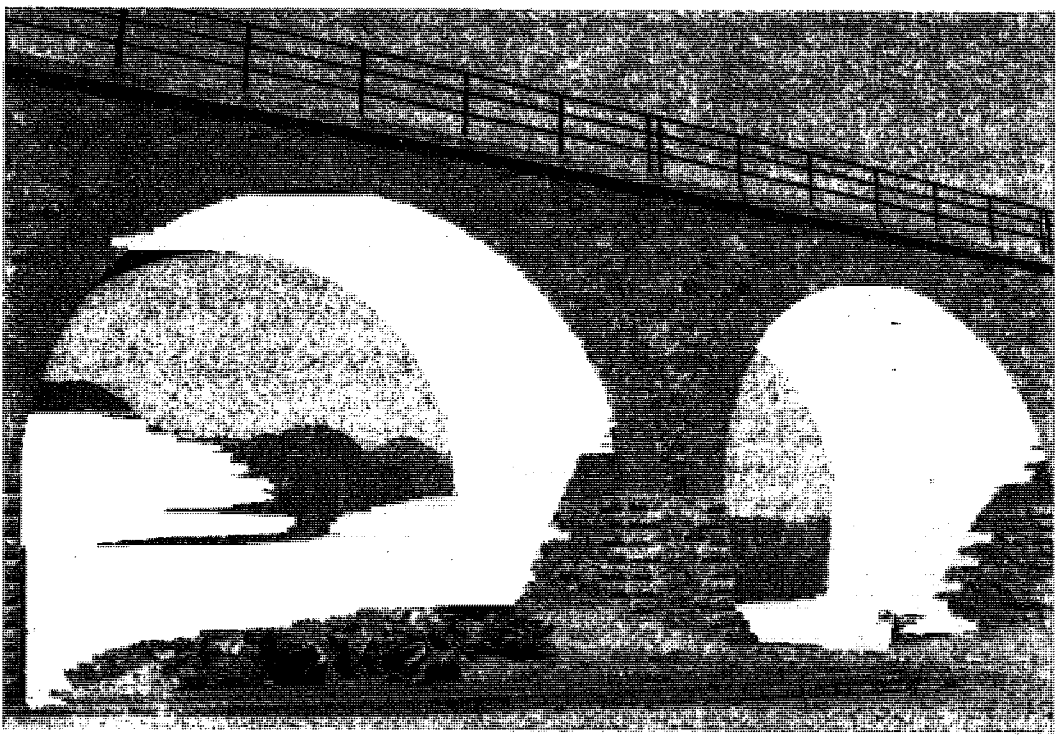
العربية والتجرينية . وحاولت أن تفرض اللغة الإيطالية ، وفشلت فى نقل الثقافة الإيطالية إلى الشعب الإريترى .

ولم تكن الإيطالية سوى لغة دارجة اضطر الأهالى إلى استخدامها لقضاء مصالحهم مع الإيطاليين . وحتى نهاية العهد الإيطالى لم يكن فى إريتريا كلها سوى ٢٤ مدرسة ابتدائية . وكان مستوى التعليم فيها منخفضا ومناهجه محدودة ، وحسب ما جاء فى الإرشادات السرية التى وجهها السنيور فستا Festa ، مدير التعليم بإريتريا عام ١٩٣٨ إلى نظار المدارس الإيطاليين ، فإن الهدف الأساسى من التعليم الابتدائى حتى السنة الرابعة " أن يتكلم الطالب الإريترى اللغة الإيطالية بمستوى مرضى ، وأن يعرف العمليات الحسابية الأربع فى حدود معينة ، وأن يكون داعيا مقتنعا بمبادئ علم الصحة .

وأما عن التاريخ فعليه أن يعرف فقط أسماء أولئك الذين جعلوا ايطاليا عظيمة ، ويقول جون جنتر أنه عندما جاء البريطانيون إلى إريتريا لم يجدوا فى البلاد كلها خريجا واحدا من أى جامعةٍ من الجامعات كما أن الطلبة الإريتريين الذين تلقوا تعليما مدرسيا عاليا لم يتجاوزوا اثنى عشر طالبا فقط . وحتى المراكز الطبية كانت مخصصة للإيطاليين المقيمين فى المستعمرة . وحطم الإيطاليون القيم الأخلاقية ونشروا الدعارة والانحلال والبارات ، حتى يوهمون السذج بأن هذه الأشياء هى المدنية والتقدم ، هذه هى قصة الحضارة الإيطالية فى إريتريا .

ولكن فى بعض المجالات وإنصافا للحقيقة لابد من ذكرها والتى نجحوا فيها وحتى هذا اليوم واستفادت منها البلاد ، وهو الاهتمام بانشاء شبكة واسعة من الطرق ولاشك أن أعظم ما قام به الإيطاليون فى أريتريا هو مد السكك الحديدية وشق الطرق والمواصلات البرية وبخاصة طرق السيارات التى ربطت المدن الأريترية بعضها ببعض والتى وصفت بأنها عمل هندسى رائع وفضلا عن ذلك فقد أدخل

الإيطاليون فى إريتريا بعض المحاصيل الزاعية كالبن والموز والتبغ والألياف النباتية وأنشأوا بضع محطات للتجارب والاختبارات الزراعية ، وأيما كان الأمر عندما قامت الحرب العالمية الثانية خسرت ايطاليا الحرب واستولى الحلفاء على أريتريا عام ١٩٤١ واستسلمت آخر الحاميات الإيطالية فى غندر فى سنة ١٩٤٢ وبذلك خرجت ايطاليا نهائيا من إريتريا ولكن وقعت إريتريا تحت الإدارة البريطانيـــة ، وظلـت أريتريا خاضعة تحت الانتداب البريطانى مدة أحد عشر عاما . من ١٩٤٠ - ١٩٥٢ وفى خلال هذه المدة كانت تفرض نفسها على الحلفاء والأمم المتحدة . وهذا ما سنتناوله فى بحثنا القادم من هذا الفصل .



صورة لسكك حديد إريتريا

خلاصة الاستعمار الإيطالى :

نحن ننتقل إلى مرحلة جديدة من الاستعمار الإيطالى إلى الانتداب البريطانى لابد من ذكر بعض الملاحظات خلال مرحلة الاستعمار الإيطالى لإريتريا بصفة عامة . والتى عانى منها الشعب الإريترى من جراء السياسة الإيطالية الاستعمارية التعسفية .

ونوردها على الشكل التالى :

أولا : إن الاستعمار الإيطالى لإريتريا استقر بعد مقاومة عنيفة من جانب الشعب الإريترى واستمرت خمس سنوات حتى عام ١٨٩٠ - وخضع الشعب الأريترى تحت وطأة الاستعمار لمدة ستين عاما . عانى فيها من الظلم والاستبداد والوحشية من الإيطاليين وكان نصيبه الفقر والمرض والجهل كما سيق الشباب الإريترى مرغما إلى ساحات القتال من أجل تحقيق أطماع الفاشيستيين ، فراح معظم أبناء إريتريا ضحايا لهذه الحروب والفتوحات سواء كانت فى الصومال أو إثيوبيا، وليبيا ودفع الشعب الثمن غاليا .

ثانيا : معاهدة ايطاليا مع منيليك فى ١٨٩٩ :

فى هذه المعاهدة يعترف منيليك امبراطور إثيوبيا بأن إريتريا لم تكن جزء من إثيوبيا ولم تخضع يوما من الأيام لسلطانه . فشجع إيطاليا بل دعاها لاحتلالها فى الوقت الذى لم تكن فيه لهذه الأمبراطورية أى سلطة على إريتريا ولم تكن جزءا من بلاده. وكان غرض الامبراطور من ابرام هذه المعاهدة هو إيجاد نفوذ إيطالى فى المناطق المتاخمة من الشمال لبلاده ، حتى يستطيع بذلك أن يقاوم النفوذ الفرنسى والبريطانى من امبراطوريته .. وهكذا استخدم الامبراطور الإثيوبى إريتريا كسلعة يساوم بها الدول الأوربية .

الفصل الأربعون

إريتريا تحت الانتداب البريطاني

١٩٤٢ - ١٩٥٢

==

لقد شهدنا من خلال تتبعنا لدراسة بحثنا السابق عن الأطماع الأوروبية فى افريقيا عموما وشرقها خصوصا ، وكانت إريتريا بحكم موقعها الجغرافى مطمع كثير من الدول الكبرى قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها .

وبعد أقل من السنة من إعلان إيطاليا الحرب على إنجلترا ، كانت امبراطورية موسولينى فى إفريقيا الشرقية قد تهاوت تحت وطأة هزيمة سريعة ، من ضربات الحلفاء، فاحتلت قوات الحلفاء إريتريا فى عام ١٩٤١ ، ولما هُزمت إيطاليا في الحرب تنازلت عن إريتريا وفق معاهدة لوكسمبورج مع تأجيل الحل النهائى لمشكلة إريتريا ، ولكن البحث يدور بين الحلفاء حول مصيرها ، واستقر الرأى أن تتسلم بريطانيا مقاليد الحكم فى إريتريا لفترة انتقالية يقرر بعدها شعب إريتريا مصيره ، وأصبح البريجادير " لونكرك " مديرا لشئون إريتريا ، واعتمدت فى حفظ الأمن على قوة من الشرطة أفرادها الوطنيين الإريتريون وبعض السودانيين .ووجدت بريطانيا فى إريتريا أثناء الحرب قاعدة حربية مثالية ، وركزت فيها كثيرا من قواتها ومستودعاتها ، وأما نظام الحكم يختلف عن ايطاليا لأن السلطة الانجليزية ترتكز على القوانين الدولية التى كانت تشكل سياسة احتلال أرض العدو أيام الحرب ، وكانت السلطة الإيطالية فى إريتريا قد وجدت لتحكم المستعمرة ، فى حين أن السلطة الانجليزية كانت مؤقتة الطابع يتوقف مدى بقائها

على مصير الحرب ، وبعدها على شروط اتفاقية السلام .

ولذلك نجد كثير من الاختلاف بين ايطاليا والحكومة البريطانية فى كيفية حكم المستعمرة ، فإنهم كانوا مرغمين على التقيد بشروط اتفاقية لاهاى عام ١٩٠٧ ، والتى تمنع تغيير المؤسسات والقوانين القائمة فى البلد المحتل أثناء الحرب إلا لضرورات عسكرية أو انسانية .

وفى عام ١٩٤٩ انتقلت مسئولية المستعمرة الإيطالية المحتلة إلى وزارة الخارجية البريطانية ، وألغى منصب الضابط الأعلى للشئون المدنية باستثناء الشرطة التى تم فيها التعديل ، فأما نظام المناطق فأبقاه الإنجليز على ما كان عليه تحت الإدارة الإيطالية .

وكان الإيطاليون كما ذكرنا قد قسموا البلاد إلى سبعة مناطق ادارية معروفة باسم كوميسارياتى أى مفوضيات وهى :

حماسين - وأكلى غوزاى - وسراى - وكرن - وأغوردات - ومصوع - وعصب - وكانت منطقتا مصوع وعصب دومجتا سنة ١٩٤٣ ، تحت اسم ادارة البحر الأحمر ، وكذلك أغوردات وكرن فى سنة ١٩٤٧ تحت اسم المنطقة الغربية . وكانت هذه المحافظات مقسمة بدورها إلى دوائر ومراكز ، لم ينشئ الإيطاليون نظاما للحكم المحلى بالمعنى المعروف ، ولكنهم انشئوا البلديات فى المدن السبعة الكبرى - وأما الانجليز فقد ألغوا البلديات فى مختلف أنحاء البلاد بحجة عجزها المالى ، وضمت إلى الإدارات المركزية ما عدا أكبر مدينتين فى إريتريا اسمرا ومصوع ، وكانت تطبق فى إريتريا أيام الحكم الإيطالى أربعة قوانين وهى :

١ - الجزاء الإيطالى : الذى كان يمثل كافة سكان إريتريا .

٢ – القانون المدنى الإيطالى : الذى يشمل كل القضايا المدنية التي يكون أحد اطرافها إيطاليا ٠

٣ – قانون الشريعة : التى تشمل القضايا المدنية ويكون أطرافها من المسلمين ٠

٤ – قانون العرف الإريترى : الذى كان يشمل القضايا المدنية المتعلقة بالإريتريين ٠

السلطة القضائية الجزائية فى إريتريا :

كانت السلطة القضائية الجزائية تقوم على خمسة محاكم :

أولا : " ابل دوجود يتشه دبلا كولونيا " أو قاضى المستعمرة وهذه المحكمة تنظر فى كل القضايا المرتبطة بالأوروبيين ٠

ثانيا : محاكم " الكوميسارى " والرزيدانتى ، وهذه المحاكم كانت تنظر فى القضايا الجزائية العادية المتعلقة بالإريتريين ومسائل المواطنين غير الأوروبيين ٠

ثالثا : " محكمة الكوميساريا " ٠

رابعا : محكمة تريبوناله ٠

خامسا : كوميسارياتو التى كانت تنظر بالقضايا المتعلقة بغير الأوروبيين

القضـــاء المدنـــى :

القضاء المدنى تقاسمته عدة سلطات ، وكان يحق للحاكم العام فقط الفصل فى الخلافات الجماعية التى كانت تقع بين القرى أو عائلات إريتريا ٠ وأما الخلافات المدنية بين ديانة واحدة ومجتمع واحد فكانت من صلاحيات زعماء القرية والعائلات ، يعملون كقضاة الدرجة الأولى ، وكان زعماء القبائل وحكام الدوائر

يمثلون قضاة الاستئناف ٠ والكوميسارى أو الرزنداتى فيمثلون القضاء الأعلى ، وأما الخلافات بين الأفراد الأوروبيين من الديانات المختلفة والمجتمعات العائلية المختلفة ، فكانت من ضمن صلاحيات الكوميسارى والرزندانتى ، والخلافات بين الإريتريين المسلمين كانت ضمن صلاحيات المحاكم الدينية الإسلامية ٠ وأما الخلافات المدنية مع الأوروبيين فكانت تابعة لمحاكم المستعمرة ، وتستأنف أحكامها أمام محكمة استئناف إفريقيا الشرقية الإيطالية ٠ وأما استئناف قضايا الأرتيريين ما عدا تلك الواقعة من سلطة المحاكم الشرعية التى كانت فصلاحيات محكمة استئناف شرعية ٠ فكان يتم أمام الحاكم الإدارى مباشرة ٠

فى سنة ١٩٤٩ انشأت بريطانيا المحكمة البريطانية تمثل صلاحياتها كافة القضايا الجزائية الواقعة ضمن نطاق القانون البريطانى والإيطالى على حد سواء٠

وبعد ذلك أنشئت محاكم محلية اشتملت على أعضاء من الوجهاء والزعماء الأرتيريين ٠ مهمتها النظر فى القضايا المدنية التى كانت تقع تحت صلاحيات الكوميسارىوالرزنداتى ٠

قبل الاحتلال البريطانى لم يكن يوجد فى إريتريا سوى أربعة وعشرون مدرسة ابتدائية كما ذكرنا سابقا ، فالتطور السياسى فى عهد البريطانيين اقتضى عن حاجة الإريتريين للعلم ولذلك شيدوا بعض الأبنية التربوية وفتح عدد قليل من المدارس بمساعدة القليل من المعلمين جىء بهم من السودان ومن الإريتريين المثقفين ٠ ثم زاد عدد المدرسين والمعلمين حتى أمكن انشاء دار المعلمين سنة ١٩٤٣ ، كما جىء بكتب مدرسية من مصر والسودان . ثم تم اعداد طبع كتب باللغة التجرينية ، وفى عام ١٩٥٠ كانت الإدارة البريطانية قد تمكنت من بناء

مدرسة ثانوية واحدة وستة وخمسين مدرسة ابتدائية · وأثار التطور الثقافى حماسا كبيرا فى أوساط الإريتريين فكان الأهالى على استعداد للقيام بالتضحيات من أجل إرسال أولادهم إلى المدارس ، كما أنشأت معاهد لتعليم اللغة الانجليزية فى أسمرا أولا ثم فى سائر المدن الإريترية · وكان المجلس الثقافى البريطانى يلعب دورا نشطا فى هذا المجال حيث انشأ مكتبة زودت بالكتب والمنشورات والمجلات الانجليزية ، كما نظمت وزارة الاعلام تسهيلات ثقافية وتربوية للإريتريين وعمدت إلى نشر صحف أسبوعية باللغتين التجرينية والعربية ·

المجـــال الصحـى :

وفى المجال الصحى حرصت الإدارة البريطانية على أن يتقيد المواطن الإريترى على أتم وجه ، من خدمات جهاز الصحة ، بالإضافة إلى سبعة مستشفيات وثلاثة وستون مستوصفا ، وكانت تجهيزاتها متخصصة أصلا لخدمة الأوروبيين عامة ، بالإضافة إلى ذلك أنشئت أيضا اثنين وثلاثون مستوصفا جديدا فى كافة مناطق إريتريا ·وفى المدن أنشأت جهازا جديدا خاصا بالنظافة وجندت وحدات خاصة لمحاربة الملاريا فى الأماكن المعروفة وخاصة فى المنخفضات· وأخيرا أنشأت تسعة مستوصفات لمعالجة أمراض الأطفال برعاية (الجمعية الإريترية للعناية بالطفولة) · وهى مؤسسة شبه رسمية كانت قد أنشئت سنة ١٩٤٣ ، كما الغت قانون التمييز العنصرى وأنشأت مجالس ومحاكم محلية وأوصلت عددا قليلا من الإريتريين إلى مناصب إدارية مسئولة وأوجدت جهازا تربويا بسيطا ووجهت الصحة بحيث أمنت فائدة أكبر للإريتريين ·

كانت اصلاحات البريطانيين متواضعة ، وبالرغم من ذلك كانت تشكل ثورة بحد ذاتها إذ لأول مرة منذ عرفت الاستعمار الإيطالى يشارك الشعب فى إدارة شئون بلاده ·

هذه هى الأعمال التى قامت بها الإدارة البريطانية خلال الفترة الوجيزة التى مكثتها فى إريتريا فى المجال الصحى والتعليمى والاجتماعى ٠

وأما المجال السياسى فسنتناوله مع بحثنا فى نمو الحركة الوطنية فى إريتريا ٠٠ وأما فى المجال الاقتصادى عانت البلاد فى فترة حالة من الركود الاقتصادى نتيجة ظروف الحرب العالمية الثانية التى مرت بها البلاد ، وانتشار البطالة نتيجة تسريح أعداد كبيرة ممن كانواجنودا فى الجيش الإيطالى ٠ ولكن الجماهير الإريترية بدأت تعود إلى استصلاح أراضيها التى هجرتها فى عهد الاحتلال الإيطالى فانتعشت الزراعة كما ساهمت الخبرةالإيطالية فى بناء بعض الصناعات الاستهلاكية والمزارع المتخصصة بالمحاصيل النقدية للتصدير ٠

نمـو الحركـة الوطنيـة فـى إريتريـا :

كانت هذه الفترة مرحلة دقيقة وخطيرة فى نفس الوقت بالنسبة للشعب الإريترى ، حيث كان يتطلع إلى الاستقلال وحقه فى تقرير مصيره ، وهى نفس الفترة التى شهدت فيها عودة هيلى سلاسى إلى إثيوبيا بمساعدة الإنجليز ٠ وأعلن فيها الحرب على إيطاليا والمانيا وحاول أن يستغل الظروف بضم أسلاب إيطاليا " إريتريا والصومال " إلى مملكته التوسعية ، مستخدما كل الوسائل الرخيصة التى تمكنه من تحقيق أطماعه ، كما تدل جميع الوثائق التاريخية ، وأن كلا من بريطانيا وأمريكا كانتا وراء مطالبة هيلى سلاسى بإريتريا ، كما تدل تصرفات الإدارة البريطانية فى إريتريا فى ذلك الوقت ، كما أن بريطانيا حينما اضفت رعايتها على هيلى سلاسى أيام لجوئه قد وعدته باعادته إلى عرش الحبشة ، بل مساندته فى ترسيخ حكمه التوسعى ٠ وفى هذه الفترة كانت قد نشـأت بوادر نمـو الحركة الوطنية فى متابعة مصير إريتريا ، حيث ظهرت نشاطات وطنيـــــة ٠

بالرغم من سوء الإدارة البريطانية ومؤامراتها ضد الشعب الإريترى خلال فترة تقرير المصير وعمليات القهر والتزييف التى مارستها إثيوبيا بالرغم من كل ذلك فإن مرحلة تقرير المصير تتضمن صفحات مشرقة ومواقف مجيدة للحركة الوطنية الإريترية . كانت قيادات الحركة الوطنية تعى تماما جسامة المسئولية التى أمامها وتعرف أبعاد التحديات التى تواجهها كما تدرك تماما سلبيات الواقع الإريترى وتناقضاته خاصة التناقض الطائفى حيث يقسم الإريتريون إلى مسلمين ومسيحيين بصورة متساوية تقريبا لذا فإن السلاح الفعال الذى لجأ إليه قادة الحركة الوطنية الإريترية منذ البداية كان سلاح " الوحدة " لتجاوز الإنقسام الداخلى من جهة ولمواجهة التحديات الخارجية من جهة ثانيـــة .

وفى عام ١٩٣٨ تأسست أول جمعية وطنية من المثقفين الإريتريين فى أسمرا ، وأطلقوا عليها (محبر فقرى هجر) أى جمعية حب الوطن ، وكانت تضم الإريتريين بمختلف طوائفهم وأقاليمهم .

لقد كان المؤسسون اثنا عشر شخصا ستة منهم مسلمون وستة مسيحيون تعاهدوا فيما بينهم للعمل معا لخدمة قضايا الوطن دونما تمييز ، وكان السيد ولد آب ولدى مريام من أبرز مؤسسيها .

وعلى الرغم من الصعوبات السياسية والاجتماعية استطاعت الجمعية أن تحقق نجاحات ملموسة خاصة فى مجال إلغاء الحواجز المصطنعة بين المسلمين والمسيحيين .

وتأكيدا لعزمهم قرورا إلغاء مشكلة ما كان يسمى بذبيحة المسلم وذبيحة المسيحى بالنسبة إلى اللحم ، بأن أكلوا وليمتين إحداهما فى منزل المسلم وكان المرحوم المصلح الاجتماعى والثرى المعروف صالح أحمد كيكيا ، والثانية فى منزل

مسيحى .

وركزت هذه الجمعية اهتمامها بالاصلاحات الاجتماعية والثقافية ، وكان من بين منجزاتها الغاء قانون التمييز العنصرى الإيطالى بالتعاون مع الإدارة البريطانية ،عام ١٩٤٣ ، وتشجيع الحركة التعليمية والثقافية وتشجيع وحدة الشعب الإريترى ، بمختلف طوائفه ، ولم تكن هذه الحركة الوطنية الناشئة التى كانت تفتقر إلى التجربة بمنأى عن المؤامرات البريطانية الإثيوبية ، فقد كانت إثيوبيا تطمع فى ضم إريتريا إليها وفقا لأحلامها التوسعية ، وكانت الإدارة البريطانية تسير فى نفس الإتجاه .

وفى نفس الوقت كانت اثيوبيا ترسل عملاءها إلى إريتريا منذ الاحتلال البريطانى ومعهم الأموال ، وكانت تتصل ببعض رجال الكنيسة والمشايخ للدعاية لأهدافها التوسعية بضم إريتريا اليها .

وأما المخابرات البريطانية فكانت تدبر المكائد التى تثير العداوات الدينية لتحول دون وحدة الشعب الإريترى فى مطالبته بالاستقلال ، وتجلت هذه المكائد فى مذبحة أسمرا البشعة التى قتل فيها نحو خمسين مواطنا مسيحيا بأيدى فرقة من القوات السودانية التابعة للجيش البريطانى ، والتى كانت ترابط فى أسمرا بسبب مقتل أحد الجنود السودانيين فى البار وهو مخمورا .

وقد أدرك الشعب الإريترى أن المذبحة كانت من تدبير المخابرات البريطنية لتعميق الخلافات بين المواطنين الإريتريين ، وتكريس الانقسام لتعزيز مخططاتها بتمزيق وحدة التراب الإريترى .

وقد طوق زعماء الطائفتين هذه الفتنة بأن اعتبروا القتلى شهداء الوطن فى

موكب من المسلمين والمسيحيين ، يتقدمهم المفتى والبطريك ووضعوا أكاليل الزهور على قبور الضحايا معا . ولم تتوقف مكائد إثيوبيا ضد الشعب الإريترى واطماعها لابتلاعه كما فعلت من قبل لبعض الأقاليم التى كانت تتبع لجيرانها ومحاولاتها مع الدول الكبرى حول تجزئة الوطن الإريترى ، وتمزيق وحدته وكيانه المستقل ، بدأت تزداد يوما بعد يوم .

فشل اجتماع بيت جرجيس :

فى عام ١٩٤٦ عقد اجتماعا فى بيت جرجيس من الطائفتين للنظر فى مصير إريتريا ، وهو اجتماع ضم زعماء جمعية حب الوطن ، ولكن إثيوبيا كعادتها كانت بالمرصاد لإفشال هذا الاجتماع حتى لا يتوصل المجتمعين إلى شىء يتعارض مع طموحات إثيوبيا ، وجاء الفشل بالتدخل الإثيوبى عن طريق عملائها فقد أحاطت المجتمعين بعناصرها الإرهابية حاملة مختلف أنواع الأسلحة من مسدسات وقنابل يدوية وسيوف وسكاكين وعصى .

وكانت قد أفلحت مساعى إثيوبيا من خلال ضابط ارتباطها الكولونيل نقا هيلى سلاسى فى خلق حزبا سياسيا مواليا لإثيوبيا باسم (حزب الاتحاد مع إثيوبيا) أى اندنت قاعدته العريضة من المسيحيين وعدد قليل من المسلمين . وعندما علم أنصار هذا الحزب بالاجتماع الذى تم فى بيت جرجيس ، توجه أنصار هذا الاتحاد بتحريض من نقا هيلى سلاسى للاجتماع ووجه هؤلاء إنذارا إلى المجتمعين ، وكان من بينهم زعيم حزبها "جبر مسقل " بارتكاب مجزرة ما لم ينصرف المجتمعون فورا دون عرض مقترحاتهم بإقرار صيغة تدعو إلى الاستقلال .

فانصرف الحاضرون خشية من ارتكاب مجزرة فيما بينهم قد تعيق وحدتهم وتمزق صفوفهم ، وخرجوا من الاجتماع تصحبهم خيبة الأمل حقنا للدماء وحتى لا يتسببوا فى مجزرة أخرى هم فى غنى عنها .

وبرز فى هذه الفترة السيد تدلا بايرو سكرتيرا عاما لحزب الاتحاد بدلا من جبرمسقل ، ويقول السيد ولدى آب ولدى مريام معلقا على هذا الاجتماع باعتباره كان أحد الحاضرين قائلا : " لو لم تتدخل اثيوبيا فى اجتماع بيت جرجيس لضمنا وحدة الشعب الإريترى واستقلاله وعلاقة حسن الجوار مع إثيوبيا ولما حدثت الحروب الطاحنة التى دامت أكثر من ثلاثين عاما التى عانى منها الشعبين الإريترى والإثيوبى " .

وبعد فشل الاجتماع وبروز تأسيس حزب الاتحاد الموالى لإثيوبيا، عقد زعماء المسلمين اجتماعا لهم فى كرن فى ديسمبر ١٩٤٦ للتفكير فى تأسيس حزب لهم يناهض حزب الاتحاد . وفى سنة ١٩٤٧ عقد مؤتمر عام لهم انبثق عنه تأسيس حزب الرابطة الإسلامية الإريترية . وحدد الحزب الجديد أهدافه بالاستقلال التام والحفاظ على وحدة التراب الإريترى ، وأعلنوا موقفهم أيضا من رفض مشروع التقسيم البريطانى وأدانوه لأنه يتعارض مع وحدة الشعب الإريترى وكيانه المميز ، على أنه لم يرفض الحزب الوصايا الدولية لمدة محددة أقصاها عشر سنوات ، إذا ما رأى أن الشعب يحتاج إلى فترة تأهيلية للاستقلال وفى حالة الوصاية فضل حزب الرابطة أن يكون الإشراف لبريطانيا طمعا فى كسب تأييدها وتجنبا للاضطراب الذى ينشأ من جراء تغيير الإدارة المشرفة ولاسيما أن بريطانيا كانت تشرف على إدارة إريتريا آن ذاك ، وسوف نتناول أهداف كل حزب من هذه الأحزاب فى حينها .

ويقول الشهيد الزعيم الإريترى عثمان صالح سبى فى كتابه تاريخ إريتريا معلقا على هذا الموضوع قائلا " استقل أنصار حزب الاتحاد مع إثيوبيا اقتراح حزب الرابطة الاسلامية بتفضيل الإشراف البريطانى ، ليطعنوا فى الرابطة كصنيعة بريطانية ، كما اتهم البعض منهم علاقة الرابطة بمشاريع التقسيم البريطاني، مشيرين إلى أن الاسم نفسه أوحت به بريطانيا ونقلته من شبه القارة الهندية التى مزقتها على أساس طائفى إلى جمهوريتين الهند وباكستان ، واعتبروا اختيار كرن مقرا للحزب ، بدلا من أسمرا العاصمة ، دلالة على قبول مشروع التقسيم " ٠

كان هذا اتهام حزب الاتحاد الموالى لإثيوبيا للرابطة الإسلامية ، ولكن يجدر بنا أن نورد هذه الملاحظة ، والتى لم ينتبه لها أنصار حزب الاتحاد وهى : اشتراك كل مسلمى إريتريا بما فيهم مسلموا الهضبة والمناطق الشرقية ، والتى كانت ستئول إلى إثيوبيا فى حالة نجاح مشروع التقسيم البريطانى ودحض هذه المزاعم عمليا اتهامات انصار الاتحاد إلى حزب الرابطة ، بالإضافة إلى ذلك ، فإن بريطانيا قد وقفت أمام هيئة الأمم المتحدة ضد أهداف الرابطة الإسلامية وعرضت مشروعها الرامى إلى تقسيم البلاد مما اقامه دليلا آخر على صدق نوايا الرابطة فى دعوتها للاستقلال الوطنى ، وعدم ارتباطها بأية مخططات أجنبية ، وقد اعتبره البعض بعد تأسيس حزب الرابطة الإسلامية وحزب الاتحاد الموالى لإثيوبيا ، وكان ذلك انقسام طائفى بين الشعب الإريترى ، تروجه أبواق المخابرات البريطانية والإثيوبية ، وهذا غير صحيح لأن الانقسام لم يكن طائفيا بصفة حادة لأن مطلب الرابطة كان الاستقلال التام لإريتريا ، كما أن حزب الاتحاد بجانب جزء من المسيحيين كان يضم عدد من المسلمين يؤمنون بأهداف الاتحاد ٠ كما كانت هناك تأسست أحزاب أخرى صغيرة تدحض هذا الرأى ، ومن هذه الأحزاب :

الحزب التقدمي الحر بزعامة " راس تسما " وهو من الأسرة الحاكمة القديمة فى أكلى غوزاى ، وكان أعضاؤه كلهم مسيحيين ، وكانوا يطالبون بالاستقلال التام لإريتريا .

وقد تحالف هذا الحزب وستة أحزاب أخرى ، هى :

حزب إريتريا الجديدة ، الجمعية الإريترية الإيطالية ، حزب المحاربين القدماء، حزب المثقفين ، حزب إريتريا المستقلة ، الحزب الوطنى . كل هذه الأحزاب كانت قائمة ولكن كانت تضم أبناء من الطائفتين ، وتكويناتهم يطغى عليها الجانب القومى وبالتحالف مع حزب الرابطة الإسلامية عام ١٩٤٩ شكلوا الكتلة الاستقلالية الإريترية مع احتفاظ الأحزاب بكياناتها القديمة ، ولم تكن هذه الأحزاب الصغيرة بمعزل عن تأييد القوى الأجنبية لها . فقد كانت ايطاليا تمول معظم الأحزاب الصغيرة كما كانت إثيوبيا تمول حزب الاتحاد وتدعمه سياسيا وماديا ، ولقد تحالفت الأحزاب الموالية لإيطاليا مع الرابطة عندما أيدت إيطاليا دعوة الاستقلال . وكانت إيطاليا تطمح أن تجنى من وراء تأييدها للاستقلال بعض الفوائد الاقتصادية والاستراتيجية ، خاصة وكان لها جاليات كبيرة فى إريتريا كانت تتحكم باقتصاد البلاد فى مجال الصناعة والزراعة والتصدير والتوريد ، وكان أفرادها يعارضون فى نفس الوقت الهجمات والاغتيالات التى كان يمارسها حزب الاتحاد .

وكان الحزب الوطنى ينحصر نشاطه فى مصوع ، ويضم عددا من موظفى الحكومة البريطانية ، ومن أبرز زعمائه محمد نور حسن النائب الذى عين فيما بعد وزيرا للشئون الاجتماعية فى حكومة إريتريا ، والسيد أحمد عبدالقادر بشير والذى كان من الزعماء الوطنيين الأحرار .

وشهدت الأعوام الستة من سنة ١٩٤٦ - ١٩٥٢ صراعات سياسية حادة وأنشأت الأحزاب السياسية صحفها الخاصة وأهمها جريدة الاتحاد ، وجريدة صوت الرابطة الإسلامية ، جريدة الاتحاد والتقدم ، وجريدة الوحدة ، ومجلة المنارة الأسبوعية ، وكانت كلها تصدر بالعربية والتجرينية ، وأصبحت منبرا للأقلام الناشئة تتبارى لتأييد وجهة نظر معينة أو معارضتها باسلوب ما ، بعد الكبت الإيطالى الجاسم خلال ستين عاما على البلاد . انفجر الشعب يعبر عن مشاعره وآرائه بمختلف الوسائل . كالمظاهرات والمنشورات والصحف والندوات والمحاضرات وأحيانا العنف اذا اقتضت الحاجة .

وهى فترة بحق اتسمت بالحيوية والنشاط نتيجة إباحة الحريات العامة من قبل السلطات البريطانية . فتعتبر الفترة ما بين ١٩٤١ - ١٩٥٢ بمثابة مرحلة النضال السلمى حاول فيها الشعب الإريترى تحقيق مطالبه المشروعة فى الحرية بالوسائل السلمية .

دور إثيوبيا فى فترة حق تقرير المصير :

وفى سنة ١٩٤٤ كانت قد قامت إثيوبيا باتفاق مسبق مع بريطانيا كما ذكرنا ، واجهات سياسية موالية لها فى إريتريا ، فأنشأت حزب الاتحاد الذى ضم داخل تنظيماته كوادر اللإرهابيين المختصين بارتكاب جرائم القتل واغتيال العناصر الوطنية فى إريتريا باسم " الشفتة " وبدأت هذه العصابات بسلسلة من الاغتيالات وعلى رأسها رئيس الكتلة الاستقلالية وزعيم الرابطة الشهيد عبدالقادر محمد صالح كبيرى ، الذى اغتيل فى نفس اليوم الذى تقرر فيه سفره إلى نيويورك لحضور اجتماعات الأمم المتحدة . وذلك لإشعال نار الفتنة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين ، ولكن الشعب الإريترى أدرك هذا المخطط . فواجهوه جميعا

بالصبر والمثابرة لعدم اتاحة الفرص لهذه الفتنة المدبرة من جانب المخابرات الإثيوبية والبريطانية . بالإضافة إلى ذلك اغتالت واحد وعشرين من زعماء الكتلة الاستقلالية منذ عام ١٩٤٨ ، وكذلك أغارت هذه العصابات على المزارع ومناجم الذهب ، فاتلفتها ونهبت عددا كبيرا من الماشية ونقلتها إلى اثيوبيا .

ويقول ترفاسكى السكرتير السياسى للإدارة البريطانية : " إن اثيوبيا كانت تمنح الإرهابيين علنا حق اللجوء إلى مقاطعة (عدى أبو) فى تيجراى فى اثيوبيا ، لأنها كانت تـرى أن الإرهاب فى فلسطين حقق لليهود ما كان يستحيل عليهم تحقيقه بالطرق السلمية " المرجع كتاب سير كندى ترفاسكى " إريتريا مستعمرة فى فترة الإنتقال " . ولم تكتفى الحكومة الإثيوبية بتنظيم أعمال الإرهاب بل استخدمت الدين أيضا كوسيلة لتحقيق مطامعها الاستعمارية ، وكانت هذه الأساليب الإرهابية والفوضوية تطبق فى إريتريا بمباركة الإدارة البريطانية التى كانت تشرف على الانتداب .

وعلى الصعيد المحلى كما أشرنا فى السابق كانت قد ظهرت فى إريتريا عدة أحزاب ومنظمات سياسية لابد من الإشارة إليها بالتوسع حتى نستخلص من خلال برنامج كل حزب الموقف العام الذى يشمل رأى الأغلبية والتى كانت تنادى بالاستقلال فى البلاد فى تلك الفترة . هذا لا يمكن الوصول إليه إلا من خلال بحثنا لكل حزب أهدافه ومنطلقاته .

أولا - حزب الوحـدة الإريتريـة الإثيوبيـة أو الاتحـاد :

وكان سكرتيره العام السيد تدل بايرو ، وقد أسس هذا الحزب كما اسلفنا فى أبريل ١٩٤١ ، واتخذ مقره أسمرا وكان برنامجه يدعو للوحدة الغير مشروطة

مع إثيوبيا ، ويعارض معارضة مطلقة عودة الحكم الإيطالى ، ويرفض الوصايا الأجنبية بما فيه التقسيم ، والحزب كان مؤيد من جانب الحكومة الإثيوبية ورجال الدين المسيحيين فى إريتريا وعلى رأسهم الأب مرقص بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية فى إريتريا . والذى بدأ فى أواخر ١٩٤٣ تقريبا يجمع توقيعات من الشعب ملتمسا يطالب بالوحدة الفورية مع اثيوبيـــا .

وجدير بالذكر بعد إقرار الفيدرالية ، أصبح معظم أعضائه ضد ممارسات الحكومة الإثيوبية الهادف إلى اذابة الكيان الإريترى وعلى رأسهم سكرتيره العام السيد تدلا بايرو الذى عين أول رئيس للحكومة فى بداية الفيدالية ثم انضم إلى جبهة تحرير إريتريا فى عام ١٩٦٦ حيث اصبح عضوا فى المجلس الأعلى للجبهة

ثانيا - الرابطـــة الإسلاميـــة :

تأسس حزب الرابطة الإسلامية فى الرابع من ديسمبر ١٩٤٦ فى كرن بعد سلسلة من الاجتماعات والمؤتمرات ، انبثقت عنه قيادة سياسية للحزب برئاسة السيد محمد أبوبكر بن عثمان الميرغنى زعيم الطائفة الختمية فى إريتريا . على حين تولى الزعيم الشهيد إبراهيم سلطان على منصب السكرتير العام للرابطة . واتخذت مقرها كرن ، بعد أن فتحت عدة فروع ومكاتب فى عواصم الأقاليم الإريترية المختلفة . وكان برنامج الرابطة يدعو لوحدة إريتريا أولا ثم الاستقلال التام .

وإذا لم يتحقق الاستقلال لإريتريا فورا ، فالوصايا البريطانية لمدة عشرة سنوات ، وكانت ترفض مشروع التقسيم الذى تبنته بريطانيا – وكانت تعارض بشدة الوحدة مع إثيوبيـا .

ثالثا - الحزب التقدمى الحــــر :

وتشكل هذا الحزب فى فبراير ١٩٤٧ واتخذ مقره أكلى غوزاى وجعل مدنية عدى قيـح مقرا له ، وكان مؤسسه السيد رأس تسما اسبروم ، وكان برنامجه يدعو لوحدة إريتريا ويعارض الوحدة مع أثوبيا بشدة ، بل كان يقاوم هذه الفكرة وكان يطالب باستقلال إريتريا تحــت إشراف الأمم المتحدة . وكان يعارض مشروع التقسيم البريطانـى، وحليفا استراتيجيا للرابطة الإسلامية . واندمج معها فى الكتلة الاستقلالية . وفى حين كانت قاعدة الرابطة من المسلمين كانت معظم قاعدة الحزب التقدمى من المسيحيين وكان رئيسه " دجزماشى ابرهاتسما " .

رابعا - الحــزب الوطنــى :

تشكل هذا الحزب فى أبريل ١٩٤٧ واتخذ مقره مصوع . وكان أعضاؤه يتكون بعضهم من العناصر المنشقة من الرابطة الإسلامية والبعض الآخر من الوطنيين الأحرار ، ومن أبرز زعمائه السيدان محمد نور حسن نائب ، وأحمد عبدالقادر بشير ، وكان برنامج الحزب يدعو إلى وحدة إريتريا والوصاية البريطانية لمدة عشر سنوات . يتبعها استقلال إريتريا التام ورفضها القاطع للتقسيم بالرغم من العلاقة التى كانت تربطه ببريطانيا .

خامسا - رابطــة المحاربـين القدماء الإريتريــين :

وقد تأسست فى أبريل ١٩٤٧ وكانت تتألف من الجنود الإريتريين السابقين سواء من المسلمين والمسيحيين ، ولم يكن لها أغراض سياسية فى البداية ، ولكن أغلبية أعضائها كانوا يطالبون بالوصاية الإيطالية وكانوا مدعومين من ايطاليا .

سادسا - الحزب الموالى لإيطاليا " برو ايطاليا " :

تشكل هذا الحزب فى سبتمبر ١٩٤٧ بتأييد ودعم من إيطاليا واتخذ مقره أسمرا . وكان برنامجه الحزبى يدعو إلى وحدة إريتريا بوضعها تحت الوصاية الإيطالية ، والتى نادى إلى الاستقلال التام لإرتيريا فى أقصى فترة ممكنة ، وكان يرفض الوحدة مع إثيوبيا بشدة ومشروع التقسيم البريطانى أيضا . وتشكل مع الرابطة الإسلامية فى إطار الكتلة الاستقلالية .

سابعا - الرابطة الإيطالية الإريترية :

وكانت تضم الإيطاليين الذين ولدوا فى إريتريا والذين عاشوا هناك لفترة طويلة فضلا عن المولودين من الزوجات الوطنيات للإيطاليين . وكذلك أمهات المولودين ، وكانت الرابطة تطالب بالوصاية الإيطالية ، وإذا تعذر هذا الحل فالاستقلال الفورى لإريتريا ، وحماية حكومة تختارها الدول الأربعة الكبرى أو هيئة الأمم المتحدة فى فترة الإنتقال إلى حين اعلان الاستقلال .

ثامنا : حزب إريتريا المستقلة :

كان يتزعم هذا الحزب السيد ولد آب ولد ماريام ، وكان ينادى باستقلال إريتريا ويعارض التقسيم والوحدة مع إثيوبيا وكانت مبادئه أقرب إلى الرابطة الإسلامية والحزب التقدمى الحر .

وانضم إلى الكتلة الاستقلالية التى كانت تضم الأحزاب الوطنية وأصبح رئيسه السيد ولد آب ولد ماريام نائبا للسيد إبراهيم سلطان فى الكتلة الإستقلالية .

تاسعا : اللجنة الممثلة للإيطاليين فى إريتريا :

وكان مقرها أسمرا ، وكانت تزعم أنها تمثل جميع الإيطاليين فى إريتريا وتسهر على حماية مصالحهم المعنوية والمادية فى إريتريا وكانت تؤيد الوصاية الإيطالية على إريتريا غير المجزأة .

عاشـرا - الأحزاب السياسية الإيطالية :

وكانـت هنـاك أحزاب سياسية ايطاليـة كان لها فروع معترف بها رسميا فى إريتريا ، وهى الحزب الشيوعى الإيطالى ، والحزب الاشتراكى، والحزب الليبرالى ، والحزب الجمهورى ، والحزب الديمقراطى المسيحى الإيطالى ، وحزب العمال الديموقراطى، وحزب العمال الاشتراكى . وكانت جميعها تؤيد الوصاية الإيطالية على إريتريا غير مجزأة ..

هذه هى الأحزاب والقوة السياسية التى تشكلت فى إريتريا فى أثناء فترة حق تقرير المصير وكان لها اسهاماتها للوصول إلى حل للقضية الإريترية أثناء مناقشتها فى الأمم المتحدة .

وإذا استخلصنا مجملا - باستثناء حزب الاتحاد - جميع الأحزاب والقوة السياسية الأخرى كانت تطالب بالاستقلال التام لإريتريا ، وأن تقرر الوصاية لمدة عشرة سنوات بين ايطاليا وبريطانيا .. وبالرغم من هذا الإجماع حول استقلال إريتريا من الشعب الإريترى ربط باتحاد فيدرالى مع إثيوبيا دون إرادة شعبها والذى سنتناوله فى حديثنا القادم من هذا البحث .

وكما شاهدنا إلى جانب هذه الأحزاب التى تطالب بعضها كالاتحاد للوحدة

مع إثيوبيا ، والبعض الآخر للاستقلال أو الوصاية البريطانية أو الإيطالية ، كانت السلطات البريطانية سواء فى إريتريا أو السودان ترى أن أفضل حل للمسألة الإريترية ، هو تقسيم البلاد بين إثيوبيا والسودان ، وهو المشروع الذى رفض بالإجماع من كل الأطراف والقوى السياسية المختلفة ولكن حتى اكتوبر ١٩٤٧ لم يكن مجلس وزراء خارجية الدول الأربعة الكبرى قد وصل إلى حل بشأن المستعمرات الإيطالية السابقة وإزاء تضارب آراء ووجهات نظر الدول الأربعة الكبرى بشأن مصير إريتريا ٠

دور الحركة الوطنية وانجازاتها التاريخية :

لم تتوقف إثيوبيا ولا بريطانيا من عدائهم ومؤامراتهم ضد الشعبالإريترى حيث كان يقلقها نشاطات الرابطة الإسلامية والحزب التقدمى الحر ، وقد بدأت بالفعل ضد الحزبين بمؤامرات انتهت بشق صفوف الرابطة الإسلامية وانشقاق كل من الحزب الوطنى الإسلامى بمصوع وحزب الرابطة للمديرية الغربية بقيادة على موسى ردأى عن التنظيم الأم ٠ كما تعرض الحزب التقدمى الحر كذلك إلى تخريب وانشقاق من داخلة ٠ ولكن الحزبان لم يستسلما للضغوطات والتهديدات بل واجه ذلك كله بخلق جبهة عريضة ضمت الرابطة الإسلامية والحزب التقدمى الحر ، ثم انضمت إليهما تجمعات وأحزاب أخرى ٠ وبالنتيجة تكونت الكتلة الاستقلالية والتى حددت أهدافها بالدعوة إلى الاستقلال التام مع احتفاظ كل حزب بكيانه الخاص كما أشرنا سابقا ٠ وبذلك استطاعت الحركة الوطنية أن تحقق منجزات تاريخية إذا أخذنا بعين الاعتبار حجم القوى المضادة الخارجية التى كانت تواجهها وعلى رأسها إثيوبيا وبريطانيا خلال الفترة الزمنية الوجيزة من ١٩٤٦ - ١٩٥٢م والتى ناضلت خلالها الحركة الوطنية بالإضافة إلى التعقيدات الدولية التى صاحبت القضية الإريترية والتى تباينت مواقفها وفق مصالحها

العليا . وعليه نلخص أهم منجـزات الحركة الوطنية الإريترية فى تلك الفترة ، حتى نقف عندها ونستفــيد من تجاربهــا – سلبــا كان أم إيجابا – كمرحلة تاريخية مرت من نضال شعبنا الوطنى :

أولا : حافظت على إريتريا أرضا وشعبا وكانت تنادى دائما بأن إريتريا غير قابلة للتجزئة وأن ثمار ذلك التحرك يمثل الوعى والنضج المبكر للوحدة الوطنية ، كهدف من أهداف النضال الوطنى الإريترى كانت لنتائجه العملية فى تغذية الوعى الوطنى وتفجير الكفاح المسلح عام ١٩٦١م بعد أن يأس الشعب الإريترى عن كل المحاولات السلمية .

ثانيا : واجهت الحركة الوطنية الإريترية مؤامرات إثيوبيا وتهديداتها ولم تتردد تلك القيادات فى تقديم التضحيات تمسكا بمبادئها فى سبيل الاستقلال التام لإريتريا ولعل استشهاد الزعيم الوطنى عبدالقادر كبيرى على يد عصابات إثيوبيا قبل سفره إلى الأمم المتحدة خير دليل على ما كانت تواجهه قيادات الحركة الوطنية من الإرهاب .

ثالثا : نجحت الحركة الوطنية فى إعطاء الصراع الإريترى الإثيوبى طابعا دوليا ، الأمر الذى أزعج إثيوبيا دوما لأنها ضمت إريتريا من جانب واحد وبطرق ملتوية ودون إرادة شعبها . وكان هذا الضم منافيا لمبادىء وميثاق الأمم المتحدة وكان لصوت إريتريا من خلال الحركة الوطنية فى أروقة الأمم المتحدة حيث سجلت القضية فى محاضر الهيئات الدولية واحتلت مكانا فى أرشيف الجمعية العامة للأمم المتحدة ، إبان حق تقرير المصير – حيث واصل جيلنا النضال وهو جيل المعاناة والصمود والتصدى لينفض الغبار عن تلك الملفات وأن يعيد الهيئة الدولية إلى وعيها وموقفها الطبيعى إلى

جانب حقوق الشعوب المغلوبة على أمرها من خلال تبنيه الكفاح المسلح عام ١٩٦١م عملا بما أخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة وتحقق الحلم ونال شعبنا حريته واستقلاله ٠

رابعا : بالرغم من أن الحركة الوطنية الإريترية لم تنجح فى تحقيق شعارها الأساسى الاستقلال إلا أنها وبعد تطبيق القرار الفيدرالى لم تستسلم وناضلت للحفاظ على حقوق الإريتريين التى أقرها المشروع الفيدالى ، وهكذا دخلت الحركة الوطنية مرحلة جديدة فى نضالها ضد إثيوبيا وعملائها وواجهت قياداتها السجن والاغتيال والتشريد٠

وعليه فقد بدأت مرحلة جديدة تتطلب وجود أشكال جديدة للنضال ووسائل عمل تتناسب وطبيعة التحدى مما أدى إلى بعض زعماء الحركة الوطنية بالهجرة إلى خارج إريتريا لمواصلة نضالهم ضد السيطرة الإثيوبية ٠ وكان أبرزها ولد آب ولد ماريام وإبراهيم سلطان وإدريس محمد آدم وغيرهم لجأوا إلى القاهرة حيث بدءوا من هناك نضالهم سواء كان عبر الإذاعات والصحف وتقديم مذكرات إلى الأمم المتحدة لكشف وتعرية إثيوبيا فى خرقها للقرار الفيدرالى الذى أقرته الأمم المتحدة ٠

خامسا : فى إطار تحقيق الوحدة الوطنية كانت للحركة الوطنية الإريترية مبادرات وأساليب أثبتت فاعليتها وعكست وعيا كاملا بالمشاكل التى تواجه الشعب الإريترى وخاصة بعد فشل جمعية حب الوطن والتى كانت لها مبادرات رائعة سبقت تاريخ الحركة الوطنية واتفق الحزبان ، الرابطة الإسلامية والتقدمى الحر على العمل ، كل فى قواعده وكسب مؤيدين من الطائفتين لبرنامجهما وهو الاستقلال التام ، وبالفعل كان لهذا الموقف أكثر الأمور التى ازعجت إثيوبيا

وجود حزب الوحدة " اندنت " من أرضيته وأسلحته الطائفية التى حاول استخدامها وفى مرحلة لاحقة شكل الحزبان الإطار الذى تحققت فيه الكتلة الاستقلالية وكانت فى صياغتها وأهدافها وعلاقاتها الداخلية نموذجا للجبهة الوطنية العريضة التى تستند إلى برنامج الحد الأدنى مع احتفاظ كل حزب باستقلاليته التنظيمية . وهكذا كان دور الحركة الوطنية فى الماضى نبراسا نهتدى به لبناء المستقبل والحاضر بعد الانجاز العظيم الذى حققه شعبنا بانتصار ثورته المسلحة وأعلان دولته المستقلة فى ربوع كامل أرضه ووطنه .

الباب الثامن

إريتريا الحديثة

الفصل الحادى والأربعون
قضية إريتريا والأمم المتحدة فى فترة
حـق تقرير المصيـر

كان مستقبل المستعمرات الإيطالية السابقة فى إفريقيا من بين مشاكل مابعد الحرب التى كانت موضوع خلاف كبير وأخذ ورد . وقد بحثت هذه المشكلة بادىء ذى بدء بحثاً وافياً فى مؤتمر الصلح الذى انعقد فى باريس فى شهر فبراير من عام ١٩٤٧ ، حينما تنازلت ايطاليا عن جميع حقوقها فى السيادة على ليبيا وإريتريا والصومال .

وقد نصت المادة ٢٣ من معاهدة الصلح على أن المصير النهائى لهذه البلاد ، يجب أن يقرر بعمل مشترك من جانب "الدول الأربع العظمى" وهى ، فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ، على أن يتم ذلك فى خلال سنة من وضع المعاهدة، أى حتى الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٤٨ . أما إذا عجزت هذه الدول عن الوصول إلى اتفاق بصددها ، فإن المشكلة ترفع إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة .

وقد عرضت المسألة على الجمعية العامة فى دورتها الثالثة بوصفها من المواضيع التى تضمنها جدول الأعمال لحل قضية المستعمرات الإيطالية السابقة وهو الموضوع الذى اقترحت فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى عرضه عليها . ولم تكن قضية إريتريا سوى جزء من المشكلة ولكنها كانت اعسرها واكثرها تعقيداً .

وقد أكد ممثلو الدول الثمانى والخمسين الذين اجتمعوا حول مائدة المؤتمر فى ليك سكس ، الأهمية البالغة للوصول إلى حل شامل لهذه المشكلة التى يتعلق بها مستقبل أكثر من ثلاثة ملايين نسمة فى إفريقيا ، وكذلك العوامل الاقتصادية والاستراتيجية القائمة فى منطقة تمتد من البحر الأبيض المتوسط إلى خليج عدن .

وقد قدمت عدة مقترحات ، على أنه بعد إنقضاء شهر على المداولات والمناقشات الشاملة الطويلة ، لم يسفر عنها أى حل بشأن هذه المناطق ، ولم يسع الجمعية العامة إلا أن تقرر بأغلبية ساحقة ، تأجيل النظر فى أمرها إلى الدورة الرابعة التى عقدت فى خريف عام ١٩٤٩ . وقد جاء هذا القرار عقب رفض توصيات معينة ، تقدمت بها اللجنة السياسية ، تقضى فيما يتعلق بإريتريا ، بوجوب اندماجها فى إثيوبيا ، باستثناء المديرية الغربية ، مع تقديم ضمانات معينة لحماية الأقليات ، وامتيازات بلدية خاصة لمدينتى أسمرا ومصوع .

بحث المشكلة خلال الدورة الرابعة :

ولما قامت الجمعية العامة ببحث القضية للمرة الثانية فى أكتوبر عام ١٩٤٩ تمخضت المناقشات والمداولات عن مقترحات جديدة ، ولكن فى الوقت الذى بدأت فيه الاقتراحات الخاصة بليبيا والصومال توضع على نحو ظاهر المعالم ، دلت مشكلة إريتريا مرة أخرى على أنها لا تزال أصعب وأكثر تعقيداً مما كانت عليه . واعترف الجميع بما يعترض بحث هذه القضية من مصاعب لاختلاف الأجناس وسوء الحالة الاقتصادية فيها ونجم عن ذلك أن تعارضت آراء الوفود بشأن الحلول المقترحة لها .

ولكن سرعان ما لاحت بارقة أمل ، وهى أن أى حل لمشكلة إريتريا يجب أن

ينظر فيه بعين الاعتبار إلى مطالب إثيوبيا ، وهى القطر الصغير الذى كان لتاريخه والآلام التى عاناها ما حدا الأمم المتحدة أن تحوطه برعاية خاصة . وقد قال هكتور ماكنيل ، ممثل المملكة المتحدة : " إننا مدينون لإثيوبيا من الناحية الأدبية ، فهى البلد التى تعرضت لأول هجوم فاشى" . وقد تبين الاتجاه فى أثناء بحث المشكلة بأنه يجب على أى حال أن تمنح إثيوبيا منفذاً على البحر الأحمر .

وقدم عدد من الدول الأعضاء ، ومن بينها الدول الأربع الكبرى ، **مقترحات واضحة المعالم كما يلى :-**

فقد **اقترح الاتحاد السوفيتى** بصفة رسمية أنه يجب أن تظفر إريتريا باستقلالها فى مدة خمس سنين ، مع إقامة هيئة وصاية تعينها الأمم المتحدة عليها خلال فترة الانتقال . ويقضى هذا الاقتراح أيضاً بأنه يجبَ على إريتريا أن تتنازل لإثيوبيا عن ممر إلى البحر بواسطة ميناء عصب .

أما المملكة المتحدة فقد عرضت إقتراحاً مختلفاً عن ذلك تمام الاختلاف ، إذ تمسكت بوجوب ضم ولايات إريتريا الشرقية والوسطى إلى إثيوبيا ، مع ضمانات للأقلية الإيطالية وغيرها من الأقليات ، وامتيازات بلدية لمدينتى أسمرا ومصوع . وكانت المملكة المتحدة ترى وجوب إدماج الولايات الغربية للسودان المتاخم لها ، لاعتبارات عنصرية وجغرافية ودينية . ولكنها كانت على استعداد لقبول أى اقتراح صالح آخر .

وأما الولايات المتحدة ، فقد وافقت على اقتراح بريطانيا بشأن إدماج الولايات الغربية بالسودان ، بيد أنها رغبت فى ادماج البقية الباقية من المقاطعة بإثيوبيا . وقد عبرت الولايات المتحدة عن اعتقادها الراسخ بأن أغلبية يعتد بها من

شعب إريتريا ترغب فى الاتحاد مع إثيوبيا مؤكدة بهذا الصدد أهمية الروابط الثقافية والاجتماعية التى تجمع بين البلدين .

وقد حبذت فرنسا أى حل يراعى مسألة إرضاء إثيوبيا من الناحية الإقليمية، وكذلك رغبات شعب إريتريا ، ومن ضمنه الأقلية الإيطالية .

وقد تضاربت آراء الوفود الأخرى وانقسمت فيما بينها .. فمنها من رأى منح إريتريا الاستقلال التام ، ومنها من قال بوضعها تحت نظام الوصاية ، واقترح فريق تقسيمها بحيث ينضم قسم منها إلى إثيوبيا والقسم الآخر يصبح منطقة خاضعة لنظام الوصاية .**أما مصر بصفتها إحدى دول الشرق الأوسط** التى يعنيها مصير جارتها بصفة مباشرة ، فقد أيدت أى حل من شأنه أن يراعى رغبات شعب إريتريا ومطالب إثيوبيا ، فى حين أيد عدد من وفود دول أمريكا اللاتينية تأييداً قوياً وضعها تحت نظام الوصاية الشامل تمهيداً لنيلها استقلالها العاجل .

مطالب إثيوبيا وايطاليا :

وقد لعبت إثيوبيا ، بواسطة (اكليلو هبتى وولد) ، وزير خارجيتها ، دوراً هاماً ذا أثر فعال فى المناقشات التى دارت فى الجمعية العامة . إذ قال فى معرض الحديث عن إريتريا إنها كانت عبارة عن جزء متمم لإثيوبيا منذ آلاف السنين وكان سكان الهضاب الشرقية ، تربطهم بإثيوبيا أواصر الدين والعادات والتقاليد . وعلاوة على ذلك ، فإن ستة وتسعين فى المائة من سكان إقليم أسمرا الذى أحرز تقدماً ذا شأن من الناحية الثقافية ، يرغبون فى الاتحاد مع إثيوبيا . ولم تكن إريتريا قط دولة مستقلة ولن يكون فى وسعها ، أن تقيم لها كياناً اقتصادياً مستقلاً

، فإن موارد ثروتها ودخلها الضئيل لايؤهلانها للنهوض بمشروعات الانشاء والإصلاح .

ورد السيد اكليلو على القائلين بمنحها الاستقلال فقال : " إن أية محاولة لإقامة دولة مستقلة فى إريتريا يعنى أن سبعين فى المائة من سكانها سيصبحون خاضعين لأقلية تقيم فى الولايات الغربية . علاوة على مايحل بالبلاد من اضطراب من التدخل الأجنبى الذى سيؤدى ذلك اليه ، وما ينجم عنها من إثارة القلاقل والفوضى فى جميع أنحاء شرق إفريقيا .

ورد الكونت كارلو سفورزا ، وزير خارجية إيطاليا حينئذ ، وهو الذى اشترك أيضاً فى المداولات ، فنادى باستقلال إريتريا . وقال ان شعب إريتريا قد برهن على النضج والوعى القومى ، وإنه عاقد العزم على أن يقيم الدليل على ذلك فى الميدان الدولى .

مطالب إريتريـــا :

وكان لشعب إريتريا أيضاً نصيب فى هذه المناقشات . إذ توجه ممثلو الهيئات السياسية فيها إلى ليك سكسس وأدلوا بأقوال من المنبر العالمى امتازت ببلاغة الأسلوب . ولكن آراءهم ووجهات نظرهم زادات فى تعقيد الأمور . ذلك أنه بينما طالب ممثلان منهم بالاتحاد العاجل مع إثيوبيا ، طالب الممثلان الآخران بمنحها الاستقلال التام .

وقد أقام الناطقون بلسان الرابطة الإسلامية المستقلة وحزب إريتريا الاتحادى مطالبهم الخاصة بالاتحاد مع إثيوبيا وسكان شرق إريتريا وساحل الدناكل كما أثيرت أيضاً الروابط الروحية والاقتصادية واللغوية ، كأسباب قوية

تقتضى هذا الاتحاد .

ومن ناحية أخرى ، رفض ممثلو الكتلة الإريترية المطالبة بالاستقلال كما رفضت لجنة الايطاليين فى إريتريا المطالب الخاصة بالاتحاد بحجة أنها مبنية على أسس مصطنعة ، وطالبوا بالاستقلال التام وتمسكوا بأن إثيوبيا تفتقر إلى المقدرة والكفاءة التى تخو لها للقيام بالمهمة الصعبة الخاصة بالإشراف الإدارى على إريتريا التى أكدوا أنها تتمتع بقسط من الحضارة أوفر مما حصلت عليها جارتها الكبرى .

وقد بحثت إحدى اللجان الفرعية الخاصة التى شكلتها اللجنة السياسية التابعة للجمعية العامة ، هذه الآراء ووجهات النظر المتضاربة بعناية تامة ، وقدمت تقريراً للجمعية العامة ضمنته توصيات معينة .

مشــــروع قــرار متــعدد النواحــى :

وبعد أسبوعين من المناقشات والدراسة برزت نقطتان هامتان ، وهما أن إريتريا لايمكن أن يقوم لها كيان اقتصادى بعينه ، وأن سكانها متعددو الأجناس ، لهم ثقافاتهم المختلفة وامانيهم المتباينة .

وفى منتصف شهر نوفمبر تبين للجمعية أنه لا يمكن الوصول إلى قرار نهائى فى تلك الدورة . وفى الحادى والعشرين من الشهر ذاته ، قررت الجمعية العامة بناء على مشروع قرار متعدد النواحى ، خاص بإريتريا والصومال إنه من الضرورى القيام ببحث أوفى للقضية الإريترية . ولذلك استقر الرأى على إيفاد بعثة تحقيق للوقوف على رغبات شعب إريتريا على نحو واف واقتراح أنجح الوسائل لتحقيق

رفاهية البلاد وتقدمها .

وقد تألفت هذه اللجنة من أعضاء يمثلون بورما وجواتيمالا والنرويج وباكستان واتحاد جنوب إفريقيا وهى تمثل عدة مناطق من الناحية الجغرافية .

وقد صدرت التعليمات لها بدراسة المشكلة عن كثب ورفع تقرير للامين العام فى غضون مدة غايتها ١٤ يونيو عام ١٩٥٠ . وكان من المقرر أن تبحث الجمعية العامة هذه المسألة بصفة نهائية فى دورتها الخامسة المنعقدة فى عام ١٩٥٠ .

وكان يتعين على اللجنة أن تتحقق من آراء الهيئات العنصرية والدينية والسياسية المختلفة ، ومدى كفايتها . استعدادها للحكم الذاتى ، مع مراعاة مصالح السلم والأمن في شرق إفريقيا ،**وكذلك حقوق إثيوبيا ومطالبها**وخاصة حاجتها إلى منفذ على البحر .

وكانت نتيجة التصويت فى الجمعية العامة ٤٧ صوتاً مؤيداً ضد خمسة أصوات وامتناع ستة . فدل ذلك على ما يشبه الإجماع على وجوب معاودة البحث والدراسة الدقيقة إذ أن الوصول إلى حل للمشكلة الإريترية الدقيقة ليس من الأمور الهينة .

اللجنة تطوف بإريتريا :

وغادرت اللجنة الخماسية نيويورك إلى شرق إفريقيا فى الثامن والعشرين من شهر يناير عام ١٩٥٠ ، ومكثت حوالى ثلاثة أشهر فى إريتريا ، حيث قامت بزيارة إثيوبيا لإجراء مباحثات مع ولاة الأمور فيها كما أنها فى خلال رحلتها أجرت مشاورات مع الموظفين الحكوميين فى كل من القاهرة وروما . وكانت اللجنة اثناء

طوافها بليبيا تقسم نفسها فى بعض الأحيان إلى فريقين رئيسيين . وتمكنت من الطواف بالبلاد من أقصاها إلى أقصاها وكانت وسائل السفر والمواصلات فى الغالب صعبة ، حتى أن أعضاء اللجنة قاموا ببعض أسفارهم وتنقلاتهم فى الأقاليم المتأخرة على ظهور البغال .

وقد عقدت اللجنة الاجتماعات المحلية واستمعت إلى آراء ووجهات نظر جميع عناصر الشعب . وفى بعض الأمكنة رحب الالوف من الناس باعضاء اللجنة وحيوهم بالعزف على الآلات الموسيقية البدائية . وحين كانت تصل الأنباء تزف بشرى زيارة "رجال الأمم المتحدة" كان ذلك مثار اهتمام عظيم .وكان القرويون يلوحون بالأعلام الحمراء والخضراء للاحزاب المنتمية لجبهة الاستقلال الإريترية ، فى حين كانت بعض الفئات تلوح بالأعلام الخضراء والصفراء والحمراء التى تدل على تأييدها للاتحاد مع إثيوبيا .

ودلت الرحلات التى قامت بها البعثة فى داخل البلاد على أن الجماعات العنصرية المختلفة منقسمة سياسياً . فبعضها يرغب فى إنشاء اتحاد عاجل مع إثيوبيا ، والبعض الآخر يحبذ اتحاداً جزئياً معها ، والفئة الثالثة تطالب بالاستقلال التام .

وقد تضمن التقرير الذى رفعته اللجنة إلى الأمين العام فى الثامن والعشرين من شهر يونيه عام ١٩٥٠ هذه الآراء المختلفة ، ونظراً لعجز أعضاء اللجنة عن الوصول إلى حل واحد ، فقد تقدموا بثلاثة إقتراحات مختلفة .

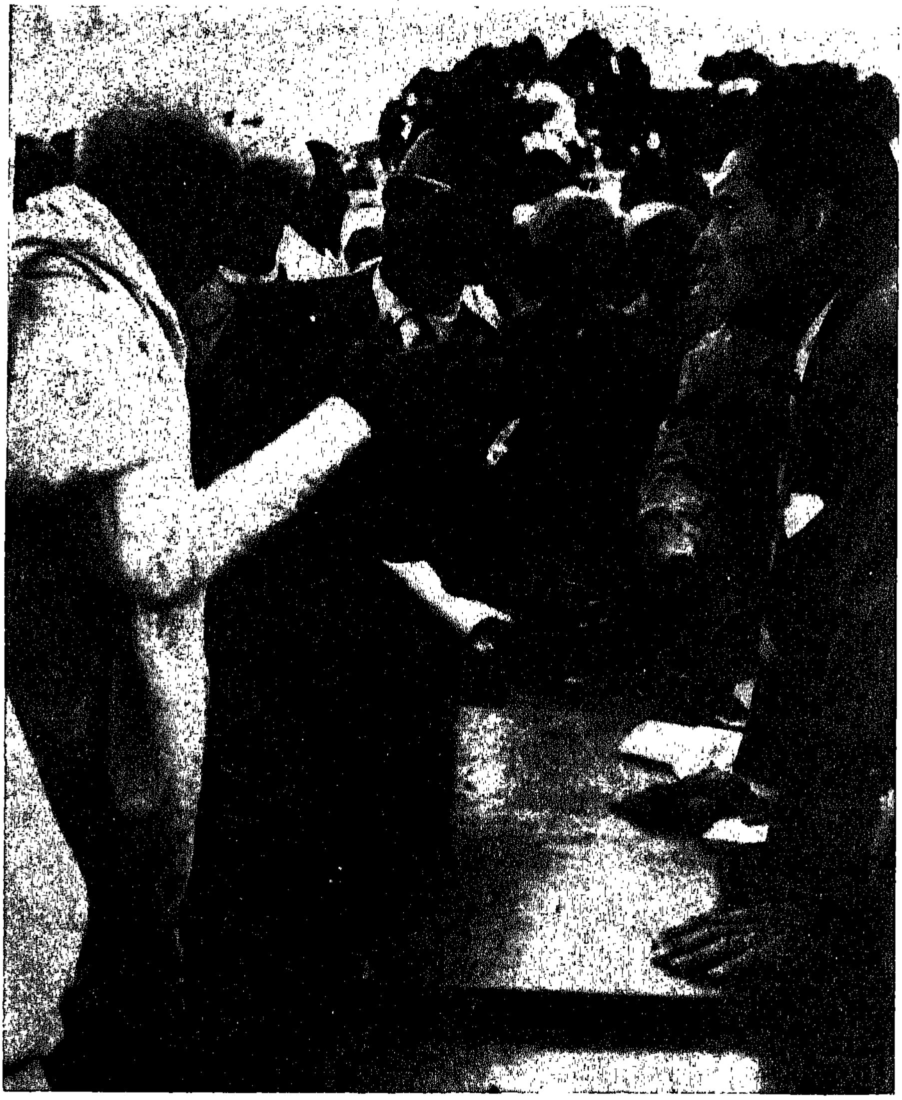


الإريتريون يرحبون ببعثة الأمم المتحدة

١ - أنه يجب إقامة الوحدة بين إريتريا وإثيوبيا تحت سيادة التاج الإثيوبى .

٢ - أنه يجب إعادة توحيد جميع مقاطعات البلاد مع إثيوبيا باستثناء الولايه على أن تظل هذه الولاية تحت الإدارة البريطانية لمدة محددة من الزمن .

٣ - وضعها تحت الوصاية تمهيداً لمنح إريتريا الاستقلال التام .



ممثل الأمم المتحدة يستمع إلى آراء المواطنين الإريتريين

وقد قدم الاقتراح الأول وفدا بورما وجنوب إفريقيا فى اللجنة ، والثانى قدمه الوفد النرويجى ، والثالث جواتيمالا وباكستان . وكان لتقديم هذه المقترحات ما أوجد وجوهاً مختلفة لهذه المسألة . فمثلاً ، اعتبرت النرويج أن ادماج إريتريا

بإثيوبيا هو الحل المرضى الوحيد والمقبول وان هذا الحل يجب أن يسرى من حيث المبدأ على جميع البلاد . أما بورما فقد تقدمت بخمسة عشر شرطاً مفصلاً لارشاد الجمعية العامة لوضع مشروع إتحادى لإريتريا .

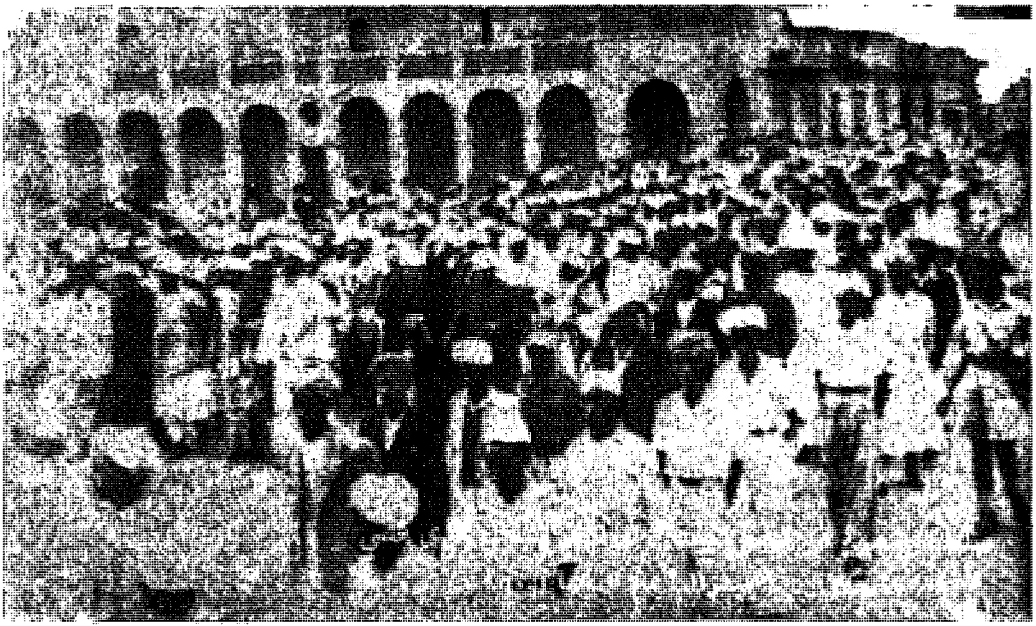
الجمعية العامة تقــر المشروع الاتحــادى :

وفى أواخر صيف عام ١٩٥٠ ، بحثت اللجنة المؤقتة أو "الجمعية الصغرى" تقرير لجنة التحقيق . ولم تنته اللجنة إلى نتائج محددة ، مع أن أغلبية اعضائها اعتبرت الاتحاد بين إريتريا وإثيوبيا أحسن حل لأيجاد تسوية مرضية للجميع .

وللمرة الثانية ، ناقشت الجمعية العامة ، فى دورتها الخامسة ، هذه المسألة بصورة مفصلة . وقد نال مشروع الوحدة – على أساس المقترحات التى تقدمت بها بورما وجنوب إفريقيا – أعظم نصيب من التأييد . وقدمت أربع عشرة أمة مشروع قرار يتضمن هذه المقترحات .

ولما اعتبر مشروع القرار هذا بمثابة "حل وسط" أقرته الجمعية بصفة نهائية بأغلبية ٤٦ صوتاً ضد ١٠ أصوات وامتناع أربعة عن التصويت .

وقبل أن تقر الجمعية مشروع الاتحاد ، رفضت المقترحات التى تقدمت بها كل من بولندا وروسيا الخاصة بمنح إريتريا الاستقلال والجلاء العاجل لقوات الاحتلال البريطانية .



مظاهرات شعبية فى أسمرا ضد القرار الفيدرالى عام ١٩٥٠

ويقضى هذا القرار باشراك شعب إريتريا فى الحكومة الاتحادية بنسبة عدد سكان إريتريا لعدد سكان إثيوبيا ، كما يقضى بأن يتمتع جميع المقيمين فى إريتريا ، دون أى تمييز من ناحية الجنسية أو العنصر أو اللغة أو الدين أو الجنس ، بحقوق الانسان والحريات الأساسية ، وكذلك بالمساواة أمام القانون وحرية الرأى ، والحماية من الاعتقال أو الحبس التعسفى وغيرها من الحقوق المبينة فى القرار .

١ – تأليف حكومة إريترية وإعداد دستور لها يكون نافذ المفعول خلال فترة أقصاها الخامس عشر من شهر سبتمبر عام ١٩٥٢ .

٢ – على المملكة المتحدة ، بصفتها السلطة القائمة بالإدارة ، أن تعمل أثناء فترة الانتقال بإجراء مشاورات مع مندوب الأمم المتحدة الذى تعينه الجمعية العامة على تنظيم إدارة إريترية فى أسرع وقت ممكن وتشكيل جمعية نيابية يختارها شعب إريتريا .

٣ – على مندوب الأمم المتحدة أن يعد ، عقب مشاورات مع السلطة القائمة بالإدارة وحكومة إثيوبيا وشعب إريتريا ، مشروع دستور لإريتريا لرفعه إلى الجمعية الإريترية .

٤ – يصبح قانون الاتحاد نافذ المفعول ، ويجب أن تنقل إدارة الحكم إلى السلطات ذات الشأن ، بعد أن يبرم الامبراطور قانون الاتحاد ، وبعد أن يقر مندوب الأمم المتحدة الدستور الإريترى وموافقة الجمعية الإريترية عليه وإقرار أمبراطور إثيوبيا له .

قـــرار فريـــــد :

كان قرار الجمعية العامة الخاصة بإريتريا فريدا فى تاريخ الأمم المتحدة فلأول مرة تقوم الجمعية العامة بتعيين مندوب لتكفل تنفيذاً أحد قراراتها دون أى مساعدة من مجلس الدول الأعضاء ، ولأول مرة أيضاً تقوم الجمعية بوضع نظام أساسى للاتحاد ، وكذلك وضع المبادىء التى يجب أن يقوم عليها الدستور الخاص بإحدى الدولتين يتألف منها الأتحاد .

وكانت السلطة المخولة لمندوب الأمم المتحدة مزدوجة ، فقد طلب اليه إعداد مشروع

دستور ومساعدة جمعية إريتريا النيابية فى دراسة المشروع .

وبعد الموافقة على هذا القرار بأيام قليلة ، عين الدكتور ادوارد انزى ماتينزو (بوليفيا) مندوباً للأمم المتحدة فى إريتريا . ومهمته الرئيسية ، كما نص عليها قرار الجمعية العامة ، تنحصر فى اعداد دستور لإريتريا من شأنه أن يضع الأسس التى ستقوم عليها مستقبلاً دولة إريتريا المتمتعة بالحكم الذاتى والمتحدة مع إثيوبيا تحت سيادة التاج الإثيوبى .



مجلس الأمن يستمع إلى تقرير عن إريتريا

الشروط التى تضمنهـا القرار :

والشروط الرئيسية التى تضمنها القرار هى :

أ - أن تؤلف إريتريا وحدة متمتعة بالحكم الذاتى ومتحدة مع الحبشة تحت سيادة التاج الإثيوبى .

ب - لحكومة إريتريا ان تمارس السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية فى الشئون الداخلية ومن بينها الاحتفاظ بقوات بوليسها الداخلى .

جـ - ويدخل فى حدود اختصاص الحكومة الاتحادية الأخرى شئون الدفاع والشئون الخارجية وكل مايتصل بالنقد والمال والتجارة الخارجية والداخلية والمواصلات بين جميع أجزاء الاتحاد ، وضمان سلامة الاتحاد ، وفرض ضرائب متماثلة فى جميع أنحائـــــه .

د - على الاتحاد أن يؤلف منطقة جمركية واحدة دون أى حواجز لنقل البضائع والانتقال الداخلى للاشخاص بحرية تامة .

هـ - أن يجتمع المجلس الامبراطورى الاتحادى الذى يتألف من ممثلين عن إثيوبيا وإريتريا ، بنسبة متساوية مرة كل سنة لتقديم المشورة بصدد الشئون العامة للاتحاد . كما خول سلطات حقيقية لاتخاذ أى إجراء بمقتضى ذلك القرار ، إذ كان من بين ماعهد اليه ، إقرار دستور إريتريا والموافقة على أية مفاوضات لوضع أساس اتحاد جمركى مؤقت بين إريتريا وإثيوبيا ، ومن ناحية أخرى ، فقد طلب اليه ابداء رأيه بصدد تنفيذ القرار فى النواحى التى لاتقع فى نطاق اختصاصه .

وفضلاً عن ذلك ، فقد ضمن القرار لشعب إريتريا حق تقرير المصير ، إذ

كان يقضى بأن يتضمن الدستور نصوصاً بصدد إقرار قانون الاتحاد الذى يتضمن القرار والمصادقة عليه ، نيابة عن شعب إثيوبيا . ويكفل القرار الحق ذاته لشعب إثيوبيا ، إذ ينص على أنه يجب أن يصبح قانون الاتحاد ودستور إريتريا نافذى المفعول بعد أن يصادق أمبراطور إثيوبيا عليهما .

ومن الجلى أن معونة جميع من يهمهم الأمر القائمة على أساس الرضى التام، كانت أمراً جوهرياً لانجاز المهمة التى عهدت بها الجمعية العامة إلى الدكتور أنزى ماتينزو.

تمهيد السبيل للاتحاد - أعمال مندوب الأمم المتحدة فى إريتريا :

وفى الثانى عشر من شهر فبراير ، أنشأ الدكتور أنزى ماتينزو ، بمساعدة هيئة صغيرة من الموظفين ، مقر رئاسته فى أسمرا ، عاصمة إريتريا . ووجه إذ ذاك رسالة إلى شعب إريتريا استحثه فيها على إبداء المعونة الصادقة له حتى يتسنى بذلك إقرار مصالح إريتريا وتحقيق رغبات الأمم المتحدة .

وكانت مهمته الأولى أن يقوم بتفسير قرار الجمعية العامة وتوضيحه لشعب إريتريا والظفر بتأييده لمشروع الاتحاد . ولهذا السبب ، قام عقب وصوله إلى إريتريا ، بزيارة لجميع أنحاء البلاد ، وكان يرمى من وراء هذه الجولة التى استغرقت اكثر من أحد عشر أسبوعاً ، إلى غرضين :

أولاً – أن يقف على أحوال البلاد وشعبها وأمانيها بطريق مباشر .

ثانياً – وأن يقوم بتفسير قرار الجمعية وتوضيحه للمهمة التى اضطلع بها .

ونتيجه لهذه الجولة ، اقتنع المندوب بأنه قد أفهم شعب إريتريا المعنى الذى تنطوى عليه توصيات الأمم المتحدة وبث فيه الشعور بتبعاته فى المستقبل والضرورة

القصوى لان يكون للشعب رأيا سليماً فيما يتصل برغباته بشأن الدستور الذى كان سيوضع للبلاد .

مشكلـــة الأمـــــن :

كانت تسود إريتريا فى أوائل عام ١٩٥١ ، حالة من الفوضى والاضطراب والاخلال بالأمن بسبب انتشار قطع الطرق والسطو فى طول البلاد وعرضها ، كانت تعرف فى تلك البلاد "بعصابات الشفتا " . وكانت أعمال الشفتا أول الأمر ذات هدف سياسى ثم غلب عليها طابع الإجرام فيما بعد .

ولجرائم السطو وقطع الطرق ، تاريخ طويل أشاع الرعب والفوضى لاسيما فى المناطق الوعرة البعيدة عن العمران .

وكان مندوب الأمم المتحدة لم يكن فى وسعه إجراء مشاورات مع الشعب بشأن وضع الدستور فى مثل هذه الظروف . لذلك أرجئت المباحثات التى كان مقرراً أن تجرى فى شهر مايو عام ١٩٥١ إلى أن تستقر الأمور فى إريتريا ويستتب الأمن .

وفى تلك الأثناء ، ناشد المندوب الشعب أن يتعاون مع الإدارة البريطانية على إعادة الأمن والاستقرار إلى نصابهما . وفى شهر يونيه ، أعلنت الإدارة العفو العام ، مصحوباً بإنذار يقضى باتخاذ إجراءات حاسمة ورادعة لمعاقبة من تسول لهم أنفسهم من أفراد عصابات الشفتا ، مواصلة أعمال السلب وقطع الطرق .

وكان نتيجة ذلك أن استسلم نحو تسعين فى المائة من رجال عصابات الشفتا خلال فترة الأسابيع الستة التى تلت إصدار العفو ، واندمجوا فى حياة البلاد

العادية .

هذا ، وقد استقبل الشعب قرار الإدارة الخاص بالعفو ، عن جميع مرتكبى الجرائم فى الماضى -**حتى جرائم القتل - بارتياح بالغ** ، ومما لاشك فيه أنه مهد السبيل لانشاء الاتحاد .

المشـــــاورات :

فى أوائل شهر يوليه عام ١٩٥١ ، بدأت المرحلة الاستطلاعية من مهمة مندوب الأمم المتحدة ، وهى إجراء مشاورات مباشرة مع الشعب بشأن وضع الدستور . ولكن قبل أن يبدأ المندوب جولته الثانية فى جميع أنحاء البلاد ، عقد اجتماعاً فى أسمرا حضره ممثلو السلطات الدينية والمدنية والزعماء السياسيون والشخصيات البارزة ورجال الصحافة . وقدم خلال هذا الاجتماع نبذة تاريخية لقضية إريتريا ، كما عرض صورة مبدئية لمشروع الدستور المزمع وضعه . وشمل هذا العرض التاريخى كتيب طبع باللغتين العربية والتجرينية ووزع على نطاق واسع قبل البدء فى المشاورات .

وكان المندوب خلال محادثاته مع ممثلى الشعب يستطلع آراءهم بشأن عدة أمور من بينها هل يجب إنشاء مجلس واحد أم مجلسين للبرلمان الإريترى ، وممن يجب أن تتألف السلطة التنفيذية وكيف يتم اختيار القائمين بها ، وهل يجب أن تجرى الانتخابات وفقاً لنظام الاقتراع العام ، وإذا عقد الإجماع على ذلك ، فكيف ينبغى القيام بهذا الإجراء دون انتهاك التقاليد المرعية للبلاد وماهى اللغات التى يجب اعتبارها رسمية ، وهل يجب أن يكون للبلاد علم خاص .

وكانت هذه المسائل وغيرها من المشاكل بمثابة الأمور الرئيسية التى ستدور

حولها المشاورات . وقد انتهج المندوب خطة واحدة ، فكان يفتتح كل اجتماع بالأدلاء ببيان موجز عن قرار "الأمم المتحدة" الخاص بإريتريا ، مبينا النقط البارزة فيه . ثم يطلب بيانات كتابية فضلاً عن المحادثات الشفوية التى تدور خلال الاجتماعات ، حتى يتسنى له التعقيب على مضمونها .

الشعب يعبر عن آرائه :

وخلال المباحثات التى أجراها المندوب فى جميع أنحاء البلاد ، اتصل بزعماء القبائل وشيوخ القرى والشخصيات السياسية والدينية البارزة وزعماء الأقليات والفلاحين، وسكان المدن . وقد أتيحت الفرصة لكل فرد من أفراد القبائل وإن لم يكن من ذوى المكانة فى عشيرته ، أن يعبر عن آرائه على النحو الذى يروقه .

وحضر الاجتماعات العامة عشرات الألوف من السكان . وساد النظام جميع هذه الاجتماعات التى تمت دون حاجة أو ضرورة لأى إشراف من جانب أولى الشأن.

وكانت أبواب مكتب الأمم المتحدة فى أسمرا مفتوحة على مصراعيها لجميع افراد الشعب وقد أدرك أبناء إريتريا أن ميثاق الأمم المتحدة قد تضمن احترام مبادئ المساواة للجميع دون تمييز أو تفرقة من ناحية العنصر والعقيدة والدين . وسرعان ما نالوا الثقة بانفسهم ، وبمستقبل بلادهم .

وسيتلاشى رويدا رويدا على مر الأيام ، الصراع بين الأهداف المتضاربة للفئتين التى تنادى أحداهما بالاستقلال التام ، بينما تطالب الأخرى بالاتحاد مع إثيوبيا ، فيحل محله التفاهم التام والترحيب بالحل الذى تضمنه قرار الجمعية العامة – وهو اقامة نظام اتحادى مع حكم ذاتى لإريتريا .

وفى منتصف شهر أكتوبر عام ١٩٥١ ، اقتنع المندوب بأن شعب إريتريا سيقبل مشروع الاتحاد . وقد ذكر أنه على إثر المباحثات التى أجراها ووقوفه على جميع وجهات النظر تبين له : " أن شعب إريتريا قد أكد قبوله لمبدأ الحكم الذاتى المحلى وانه قد ابدى احتراماً عظيماً لسلطة امبراطور إثيوبيا بصفته الرئيس الأعلى للدولة الاتحادية ، وأنه يأمل فى أن يجرى تطبيق حقوق الإنسان والحريات الاساسية على نطاق أوسع ، وأن هناك رغبة عامة فى وجوب حماية الدستور للتقاليد واللغات والعقائد الدينية لجميع الطوائف والقبائل . كما اعترف بالمبدأ القائل بأنه يجب أن تستمر الطوائف الأجنبية فى المساهمة فى تقدم إريتريا الاقتصادى ، مع تقديم ضمانات قانونية لحماية مصالحها وممتلكاتها " .

وتم كذلك الاعتراف بحق الأجانب فى أن يستمروا – تحت اشراف سلطات إريتريا وتوجيهها – فى تعاونهم مع إدارة البلاد للافادة من خبرتهم ومؤهلاتهم الفنية .

وعلاوة على المشاورات التى أجراها المندوب مع الشعب ، فقد عقد مباحثات مع بريطانيا بصفتها السلطة القائمة بالإدارة ، ومع زعماء الحكومة الإثيوبية فى أديس أبابا . وكان من شأن هذه المحادثات ان تم انشاء علاقات قوامها الود والثقة المتبادلة ، الأمر الذى ساعد على تسوية المسائل الخاصة بمشروع الدستور وغيرها من المسائل ذات الطابع الفنى ، فى جو يسوده الوئام .

وبذلك أصبح الجو ممهدا لإنجاز مشروع الدستور .

استشـــارة الخبـراء فى القانــون :

وفى شهر نوفمبر عام ١٩٥١ ، سافر مندوب الأمم المتحدة إلى چنيف ، حيث عقد سلسلة من المؤتمرات مع هيئة من خبراء القانون الدوليين الذين اختيروا لخبراتهم الواسعة فى القانون الدستورى والدولى . وقدم لهذه الهيئة سجلاً كاملاً لجميع المشاورات التى أجراها ، فقامت بدراستها بعناية فائقة ثم ابدى هؤلاء الخبراء آراءهم بشأن النصوص المختلفة لمشروع الدستور فأعيد النظر فيها طبقاً للآراء التى أدلوا بها .

فمثلاً جرى بحث احتمال نشوب خلاف بشأن الاختصاص بين الحكومة الاتحادية وحكومة إريتريا ، ورأى الخبراء إنشاء محكمة اتحادية عليا تمارس السلطة التشريعية الأصلية والاستئنافية فى جميع المسائل المتعلقة بتفسير قانون الاتحاد .

وثمة مسألة أخرى كانت موضوع جدال وأخذ ورد ، وهى هل لأمبراطور إثيوبيا أن يعين ممثلاً له فى إريتريا يمارس سلطات رسمية أم لا . وقد ردت هيئة الخبراء أنه طبقاً لشرط القرار الذى اصدرته الجمعية العامة ، فان مندوب الأمم المتحدة لايستطيع أن يرفض إضافة مادة إلى الدستور فى هذا الصدد .

وأثير سؤال آخر هو ، هل لحكومة إريتريا أن تتقدم بطلب إلى الأمم المتحدة بشأن مدها بالمعونة الفنية ، وقد رأت هيئة الخبراء القانونيين على أن لحكومة إريتريا الحق فى ذلك بشرط أن يكون الطلب قاصراً على المسائل الداخلية فى نطاق اختصاصها ، وان يقدم عن طريق الحكومة الاتحادية .

هذا ، وقد جاءت تقارير وآراء هيئة الخبراء القانونيين مؤيدة لوجهات نظر الدكتور انزى ماتينزو الذى ابدى ارتياحه بشأن تفسير الخبراء لمشروع الدستور . وقد عاد مندوب الأمم المتحدة – بعد الانتهاء من مهمته فى چنيف – إلى مقر رئاسته فى أسمرا ، ودعا فى اواخر شهر فبراير عام ١٩٥٢ الى عقد اجتماع عام يمثل جميع عناصر الشعب ، وقدم فيه تحليلاً مبدئياً لمشروع الدستور وتفسيرات مفصلة للأمور المختلفة ذات الأهمية الخاصة .

الانتخابات فى إريتريا :

اجريت فى يومى ٢٥ و ٢٦ مارس من عام ١٩٥٢ ، أول انتخابات ديموقراطية فى إريتريا لإنشاء جمعية نيابية إريترية . وقد جرى الاقتراع فى جو ساده النظام والهدو التام . أما النظام الذى جرت الانتخابات وفقاً له فهو نظام الانتخاب المباشر العام للذكور فى منطقتى أسمرا ومصوع الرئيسيتين ، كما اتبع نظام الانتخاب غير المباشر ذى الدرجتين فيما عدا هاتين المنطقتين ، ووفقاً لهذا النظام كانت تتولى القبائل ، طبقاً لنسبتها العددية اختيار ممثلين لها فى لجان انتخابية كانت تقوم بإنتخاب من يمثلها فى المجلس النيابى .

التعليق على القرار الفيدرالى من قبل المندوبين :

هذه الأقوال تمثل آراء بعض الدول فى القرار الفيدرالى الذى فرض على الشعب الإريترى . وكانت ردود الفعل على القرار كثيرة نقدم ثلاثه منها : –

١ – مندوب الأرجنتين :

وصف القرار بأنه رجعى وقال : " ان كل شخص يميل إلى الأعتراف بحقوق

إثيوبيا واحترامها ، ولكن ذلك لايعني الموافقه على أن توضع تحت السيادة الإثيوبية أراضي وسكان يقاومون هذا الضم" .

٢ - مندوب باكستان :

قال ليس هناك حالات عامة أو مهمة بين سكان إريتريا وسكان اثيوبيا تبرر هذا الاتحاد .

٣ - تعليق الاتحاد السوفياتي على القرار الفيديرالي :

علق مندوب الاتحاد السوفياتي وهو يعرب عن آرائه النهائية حول هذا القرار: (إن مشروع الاتحاد يعتبر زواجاً كاثوليكيا ضد إرادة أحد الطرفين ، وإنه زواج لايسمح بالطلاق . وذكر أن كثيراً من الوفود أعربوا عن تأييدهم للاستقلال ولم يختلفوا إلا بالنسبة إلى الوسائل وفترات الانتظار) .

وأعربت الكتلة الاستقلالية عن معارضتها للقرار في بادىء الأمر ، ولكن اضطراب حالة الأمن في إريتريا وضغوط الإدارة البريطانية بشتى الوسائل ، جعلها تقبل به على مضض . وعقدت الأحزاب السياسية كلها اجتماعاً للمصالحه في سينما أمبيرو في أسمرا ، وقررت العمل بصدق وإخلاص على تطبيق القرار الفيديرالي .

وهكذا ربطت إريتريا على رغم معارضة غالبية شعبها بالأمبراطورية الإثيوبية لتحقيق المطامع الأمبريالية للولايات المتحدة الأمريكية التي قبضت ثمن اقتراحها على شكل معاهدات أميركية - إثيوبية ، بموجبها أقامت القواعد العسكرية في الأراضي والشواطىء الإريترية .

وأجريت الانتخابات للجمعية التمثيلية الإريترية (البرلمان) فى ٢٥ و ٢٦ مارس (آذار) من عام ١٩٥٢ . وهى أول انتخابات تتم فى إريتريا وكانت النتائج كما يلى :

حزب الاتحاد مع أثيوبيا وحزب الاتحاد الحر	٣٢
الجبهة الديموقراطية والمستقلة (الرابطة الإسلامية وأحزاب الكتلة الاستقلالية الأخرى)	١٩
الرابطة الإسلامية للمديرية الغربية	١٥
الحزب الوطنى	١
الرابطة الإسلامية المستقلة	١
المجموع	٦٨

وكان الانكليز على عادتهم فى العمل بمبدأ (فرق تَسُد) قد خلقوا من زعماء العشائر الموالين لهم بزعامة على موسى راداى ما سموه بحزب الرابطة الإسلامية للمديرية الغربية وكانت عناصره صنائع بريطانية ، تطالب بتقسيم البلاد وفق المشروع البريطانى. وتمكن الانكليز من إدخال تلك العناصر عن طريق نظام الانتخابات غير المباشرة إلى البرلمان الجديد . وبذلك أصبح راداى زعيماً لكتلة تألفت من ١٥ نائباً . وبتحالف هذه المجموعة المصلحية مع انصار حزب الاتحاد مع اثيوبيا تمكنت الإدارة البريطانيه والحكومة الاثيوبية من إكمال الطبخه يساعدهم فى ذلك مندوب الأمم المتحدة الذى استسلم للمطالب الإثيوبية حتى أنه لم يقبل باقتراح حزب الكتله الاستقلاليه بإقامة مكتب مراقبه تابع للأمم المتحدة فى اريتريا لضمان صيانه النظام الفيدرالى .

انعقــاد الجمعيــة التشريعيــة :

وقد انعقدت الجمعية التشريعية الإريترية ، لأول مرة فى الثامن والعشرين من شهر أبريل ، وبعد خمسة أيام قدم مندوب الأمم المتحدة بصفة رسمية مشروع القرار - مكتوباً باللغات العربية والتجرينية والانجليزية - كما قام بتقديم بيان موجز عنه للاعضاء .

النقط الرئيسيــة للدستــور :

ومما قاله المندوب أن الدستور ينص على اقامة نظام "شبه رئاسى" يتم بمقتضاه انتخاب رئيس الهيئة التنفيذية خلال فترة الحكم بواسطة هيئة تشريعية مؤلفة من مجلس واحد . وهى ذاتها يجرى انتخابها حسب النظام السالف الذكر .

وللرئيس ان يمارس السلطة التنفيذية ، وليس مسئولا من الناحية السياسية أمام الجمعية . وقد شرح الدكتور انزى ماتينزو هذه النصوص للجمعية بقوله " إن انتخاب الرئيس بصورة مباشرة من الشعب قد يكون مثارا لصراع سياسى خطير من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، فإنه ربما أدى إلى قيام نظام برلمانى قد ينجم عنه اضطراب خطير فى السلطة التنفيذية . أما محاسبة الرئيس بسبب سوء استخدامه السلطة ، فينص الدستور على تخويلها الحق - بأغلبية ثلثى الأصوات - فى محاكمته ومناقشته الحساب أو انتهاك حرمة الدستور ، وفى هذه الحالة يحاكم امام محكمة عليا لها السلطة فى اقصائه عن منصبه .

وأضاف الدكتور انزى ماتينزو إلى ذلك قوله : " إن هناك احتياطات أخرى ضد سوء استخدام السلطة التنفيذية وهى : (تشكيل لجنة انتخابية مستقلة عليا

تعينها المحكمة العليا بحيث تكون مسئولة عن ضمان حرية الانتخاب وممارسة الحقوق الديموقراطية وتشكيل لجنة لشئون الموظفين وميزانية سنوية منتظمة تشمل جميع الإيرادات والمصروفات وتعيين مراقب عام مستقل للمحاسبة) .

أما الهيئة القضائيه فيعينها رئيس السلطة التنفيذية وفقاً لما يعرضه عليه رئيس الجمعية ، الذى تقوم لجنة مؤلفة من رئيس المحكمة العليا وقاضيين بعرض قائمة من المرشحين عليه فيوصى باثنين من المرشحين لكل منصب . وقال الدكتور ماتينزو : إن هذا الإجراء قد اتخذ لابعاد هذه التعيينات عن الميدان السياسى . وينص الدستور على أن يكون لحكومة إريتريا الحق فى ممارسة السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائيه فى المسائل التى لاتقع فى نطاق اختصاص الحكومة الاتحادية ، كما نص على ذلك قرار الجمعية العامة .

ويتناول الدستور فى اسهاب وضع نائب امبراطور الحبشة وتحديد سلطاته وله ان يمارس حقوقاً رسمية معينة . كما يقتضى الدستور بحماية مركز الاجانب المقيمين فى إريتريا .

وختم مندوب الأمم المتحدة بيانه بقوله :

" إننى مقتنع بأن مساهمة الطوائف الاجنبية - إذا كانت متمشية مع قرار الأمم المتحدة - شرط أساسى لتحقيق التقدم والرفاهية للجميع ويجب ألا يعقب منح الحكم الذاتى حركة مناهضة للاجانب . وان مستقبل تقدم المدنية مرهون إلى حد بعيد بالتعاون بين البلاد المتخلفة والمتقدمة على السواء" .

وقال : " إن حكومة إريتريا التى سترث شبكة واسعة النطاق من الطرق

العامة ، والمرافئ العصرية ، وخطوط السكك الحديدية والمحطات الكهربائية اقدر من أى بلد آخر على الحكم بصحة هذه الحقيقة" .

هذا ، وقد تأجلت الجمعية النيابية إلى الثانى عشر من شهر مايو حتى ي للأعضاء الوقت الكافى لدراسة مشروع الدستور ، وفى الرابع عشر من شهر ، عام ١٩٥٢ ، أقرت الجمعية بالإجماع قانون الاتحاد ، اذ كان يجب الموافقة لاقرار الدستور بصفة نهائية .

دراســـــة الجمعيـــــة للدستور :

وقد درست الجمعية خلال الشهرين التاليين كل مادة من مواد الدستور عناية . وكان مندوب الأمم المتحدة – عند تلاوة كل مادة – يدلى بتعقيب يفسر ويقدم النصح والمشورة كلما اقتضى الأمر ذلك .

ونص الدستور الإريترى على انشاء شكل ديمقراطى من الحكم الذى ي وصفه شبه رئاسى وتضمنت المادة الأولى تعهداً من جانب الشعب الإريترى لا نصوص القانون الفيديرالى ونص الدستور كذلك على ضمانات للمؤسسات الثق وأديان سكان اريتريا ولغاتهم وأقر الدستور العربيه والتجرينية لغتين رسم لاريتريا .

ونص الدستور على أن يكون لإريتريا مجلس تشريعى لايقل عدد اعض عن ٥٠ عضواً ولا يزيد عددهم عن ٧٠ عضواً يتم انتخابهم لمدة تبلغ أربع سن بواسطة الانتخابات المباشرة وغير المباشرة . ويقر المجلس القوانين والميزان وينتخب الرئيس ويشرف على نشاطه ويتولى محاسب عام ينتخبه المجلس ، وي مستقلاً عن الرئيس ويلخص التقارير عن الحسابات السنوية .

ونص الدستور على أن لممثل الأمبراطور الحق فى المطالبة بإعادة النظر فى مشروعات القوانين الإريترية إذا رأى أنها تعتدى على المسئولية الدولية للاتحاد .

ويجوز للمجلس بعد تلقيه مثل هذا الطلب أن يقر مشروع القانون بأغلبية ثلثى الأصوات بعد دراسته .

وتكون لإريتريا حسب الدستور هيئتها التشريعية المستقلة . والسلطة القضائية تمارسها محكمة عليا يتضمن اختصاصها النزاعات المتعلقة بدستورية القوانين . ويمكن تعديل الدستور بأغلبية ثلاثة أرباع الجمعية ، ولا يمكن تقديم تعديلات لاتتمشى مع القانــون الفيدرالى . وتصبح هـذه التعديلات نافذة المفعول بعد أن يصدق عليها الامبراطور .

وفى ١١ أغسطس (آب) ١٩٥٢ صادق الأمبراطور الإثيوبى على الدستور الإريترى. وفى ١١ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٢ صادق على القانون الفيدرالى فى حفل أقيم فى أديس أبابا ، وتـم بذلك دخول القرار الفيدرالــى حيز التنفيذ . وأعطـى تعهداً باحـترام الفيدرالية.

وفى ٢٨ أغسطس (آب) ١٩٥٢ انتخبت الجمعية التمثيلية الإريترية تدلاً بايرو، السكرتير العام لحزب الاتحاد مع إثيوبيا ، رئيساً للهيئة التنفيذية (مجلس الوزراء) بعد أن استبعد مرشح الكتلة الاستقلالية : صالح حنيت ، (لعدم بلوغ السن القانونية ، وقد عينته إثيوبيا فيما بعد سفيراً لها !!) ، وانتخبت على موسى راداى (السكرتير العام لحزب التقسيم) رئيساً للجمعية التمثيلية . واستبعدت الكتلة الاستقلالية عن السلطة .



الامبراطور الإثيوبى يوقع وثيقة الاتحاد بين إريتريا وإثيوبيا

وفى ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٢ سلمت الإدارة البريطانية السلطة رسمياً إلى الحكومتين الإريترية والإثيوبية . ورفع العلم الإريترى الذى صممته الجمعية الإريترية ، وهو مؤلف من أرضية زرقاء اللون إشارة إلى البحر الأحمر الذى اكتسبت منه إريتريا اسمها ، وفى الوسط إكليل من زهور غصن زيتون ، يرمى إلى

الزيتون البرى الذى ينبت بكثرة فى الهضبة الإريترية . وهو على كل حال يشبه علم الأمم المتحدة ، بل أنه من تصميم مندوب الأمم المتحدة بعد أن أختلف أعضاء البرلمان على شكل العلم . كما رفع إلى جانبه العلم الإثيوبى .

وتضاربت مشاعر الإريتريين حول هذه المناسبة ، فأنصار الاستقلال اعتبروا إعلان الاتحاد وقيام حكومة محلية ، هزيمة لنضالهم ، بينما اعتبره أنصار الاتحاد نصف نصر . ولكن الأيام برهنت أن الاتحاد كان كارثة على الجميع ، وخاصة على صانعيه الذين جازتهم الحكومة الإثيوبية جزاء سنمار وقذفت ببعض زعمائهم فى نهاية المطاف فى السجون ، حتى لم يسلم من هذا المصير زعيم حزب الاتحاد - تدلا بايرو - الذى انتهى به الأمر إلى لاجئ سياسى فى السويد . فالغدر شيمة تلازم حكام الأمهرا الإثيوبيين فى عهود تاريخهم كلها .

واستهل تطبيق الاتحاد بما يدعو إلى التشاؤم . ففى الخامس عشر من أغسطس (آب) ١٩٥٢ أى قبل أن يقرر الامبراطور القانون الفيديرالى ، وقبل انتقال السلطات إلى الحكومة الإريترية ، سلمت الإدارة البريطانية جميع الممتلكات الإريترية إلى الحكومة الإثيوبية ، واستولى الجيش الإثيوبى على المطارات والموانىء والبرق والبريد والسكك الحديدية وكل وسائل المواصلات والمبانى الحكومية، ولم يترك للحكومة الإريترية ما يمكن أن تؤسس منه دولتها . وهكذا نشأت حكومة إريترية محتضرة منذ ميلادها .

وفى ١٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٥٢ ألقى مندوب الأمم المتحدة تقريره النهائى أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، أعلن فيه انتهاء مهمته فى تطبيق الاتحاد الفيدرالى بين إريتريا وإثيوبيا . وصادقت الجمعية العامة على التقرير دون

أدنى نقاش .

وأكد مندوب الأمم المتحدة الثقة التى أبدتها الأمم المتحدة فى الحكومة الإثيوبية ، وقال أنها اضطلعت بمسئوليات جسيمة ، وخاصة فى الحقل الدولى ، ومن أهمها صيانة سلامة وحدة أراضى الاتحاد التى قد تهدد اما بحركة انفصالية واما بالضم إلى اثيوبيا .

ولكن هذه الثقة لم تكن فى موضعها . فقد عطل قرار الاتحاد عشية تنفيذه ، وبات حبراً على ورق ، وقامت إثيوبيا ذاتها بالضم بدلاً من صيانة الاتحاد .

الفصل الثانـــى والأربعـون

من أرشيف الأمم المتحدة

مذكـرة
وفـدي الباكستـان وغـواتيمالا
إلى الأمم المتحدة

(نص المذكرة التى قدمها وفدا الباكستان وغواتيمالا فى لجنة التحقيق لإريتريا التابعة للأمم المتحدة فى ١٩٥٠/٦/٨)

الوضع السياسى العام فى إريتريا

قبل أن تصل إريتريا ، علمت اللجنة من مصادر عديدة أن الوضع السياسى فى القطر متأزم للغاية ، وأن عدة انفجارات واغتيالات قد وقعت خلال العام أو العامين السابقين ٠

وأثناء إقامتها باسمرا ، تناهى إلى علم اللجنة بكل أسف عن وقوع العديد من الاغتيالات والمداهمات فى الطرق الرئيسية ، وجرائم الحرق المتعمد وغيرها من أعمال العنف التى كان ضحاياها أنصار الكتلة الاستقلالية والمعمرين الإيطاليين ، وامتدت محاولات قتل الإيطاليين وغيرهم خلال فترة إقامة اللجنة فى إريتريا ، وبعد مغادرتها لها إلى جنيف ٠

اختلال الأمن فى اسمرا من ٢١ إلى ٢٣ فبراير ١٩٥٠ :

وفى ٢١ فبراير علمت اللجنة بالصراع الدموى الرهيب الذى وقع بين المسلمين والمسيحيين فى مدينة أسمرا ، نتيجة لإلقاء قنبلة بالقرب من مركز (حزب الاتحاد) على موكب جنائزى ، ضم رفاة أحد المسلمين المعارضين للاتحاد مع إثيوبيا والذى اغتيل فى يوم سابق بيد عصابات (الشفتا) [١] وكلمة الشفتا فى إريتريا تعنى الإرهاب السياسى

---

(١) يود وفد الباكستان إضافة ما يلى : أن المعلومات المستقاة من الإدارة البريطانية من حين لآخر تؤكد بأن عصابات " الشفتا " تركز هجماتها على الأشخاص المعارضين للاتحاد مع اثيوبيا ٠ ومن المعلومات البديهية فى " إريتريا أن تلك العصابات تلتجىء إلى مديرية (التجراى) الإثيوبية كلما طاردتها قوات الأمن الإريترية ، وأنها تتلقى هناك العلاج ووسائل الراحة ٠ وقد تفضلت الإدارة البريطانية على أعضاء اللجنة بتقارير سرية تتعلق بنشاطات الشفتا ٠ وهذه التقارير التى لا يمكن إعلانها بالنظر إلى سريتها تدل بوضوح بأن معظم هذه العصابات قادمة إلى إريتريا من إثيوبيا وأن جرحاها يعالجون بالمستشفيات الاثيوبية ٠ وقد قدم حزب الكتلة الاستقلالية قائمة ضخمة بالجرائم السياسية التى ارتكبتها تلك العصابات ولم تصل إلى علم اللجنة أية معلومات تفيد بمحاولة اثيوبيا لقمع هذه العصابات فى داخل المناطق الاثيوبية ، بل أن تصريح وزير الخارجية الاثيوبى يؤكد اتساع نطاق الإرهاب فى إريتريا ، ما لم يتم حل القضية وفقا لما يعتبره رغبة الأغلبية ٠

ودام هذا الصراع المسلح ثلاثة أيام وأسفر عن مقتل ما يزيد عن ٥٠ شخصا بجانب أعداد كبيرة من الجرحى ٠

أمانى ورفاه السكان :

وجدت اللجنة الأحزاب السياسية التالية ممثلة لثلاث اتجاهات سياسية مختلفة بالنظر لمستقبل إريتريا :

أ - الأحزاب التى تطالب بالاستقلال الكامل للقطر كله :

الرابطة الإسلامية ٠

الحزب التقدمى الحر ٠

حزب إريتريا الجديدة٠

الجمعية الإريترية الإيطالية ٠

حزب المحاربين القدماء٠

حزب المثقفين ٠

الحزب الوطنى ٠

حزب إريتريا المستقلة ٠

ب - الأحزاب المطالبة بالاتحاد مع إثيوبيا :

حزب الاتحاد٠

حزب الاتحاد الحر٠

حزب إريتريا المستقلة المتحدة مع اثيوبيا ٠

حزب الرابطة الإسلامية المستقلة (مصوع)

ج - الأحزاب الداعية إلى استقلال المديرية الغربية بعد فترة وصاية بريطانيــة:

الرابطة الاسلامية للمديرية الغربية ·

لقد تجمعت الأحزاب المطالبة بالاستقلال فى كتلة اطلق عليها اسم (الكتلة الاستقلالية) مع الاحتفاظ بشخصيتها القديمة·

ومن العسيرالتأكد من صحة التقديرات العددية للأحزاب المختلفة ، إذ إن زعماء تلك الأحزاب قدموا للجنة أرقاما تتضح فيها المبالغة ·

ولقد عقدت اللجنة اجتماعات فى عدة أماكن من إريتريا بقصد التأكد من رغبات الشعب الإريترى فيما يتعلق بمصير وطنهم · وتمت هذه الاجتماعات فى أماكن أعدت خصيصا لذلك ، ولكنها لا تبعد عن بعض إلا عدة كيلومترات ، مما لم يتح للجنة مجالا للإبلاغ عن وصولها مقدما بوقت كاف · وعموما ، كان يظهر فى تلك التجمعات نفس الأشخاص ، بما فيهم المتحدثون باسم الأحزاب المختلفة · كذلك لوحظ أن ممثلى الأحزاب الذين كانوا يدلون بتصريحاتهم أمام اللجنة كانوا يرددون أجوبة متشابهة مما يبين إعدادها الدقيق المسبق · وعندما كانت توجه الأسئلة للجمهور المحتشد كانت الإجابات مختلطة وغير واضحة · ولوحظ أيضا فى الاجتماعات المعقودة فى المرتفعات الإريترية ، حيث يكثر أنصار حزب الاتحاد ، أن التنظيمات كانت أشبه بعرض عسكرى، إذ كان يلبس عدد كبير منهم أزياء رسمية ، تحمل شارات مميزة خلافا لأوامر الإدارة البريطانية ، التى كانت تمنع لبس الأزياء الرسمية فى مثل هذه المناسبات · وكان واضحا أن دعوة الإتحاد تتمتع بعطف السلطة الحاكمة فى تلك المناطق ·

استمعت اللجنة إلى اتهامات ، تشير إلى أن الكثيرين من المسيحيين حرموا

من حقوقهم الكنسية ، بسبب اختلافهم مع الدعوة السياسية لحزب الاتحاد ٠وفى تجمعات حزب الاتحاد كان مظهر القسيسين حاملين شارات الكنيسة شيئا مألوفا ٠ ومن الجلى أن رجال الدين كانوا يستخدمون نفوذهم للتأثير على الجماهير ٠ وشكا بعض القسيسين والرهبان من تهديدات رئيس اساقفة الكنيسة الأرثوذكسية باعلان حرمانهم من حقوقهم الكنسية ما لم يذعنوا لآراء حزب الاتحاد ٠

إن الإرهاب الذى نشأ فى إريتريا ، بهدف دفع الناس إلى تأييد اتجاه سياسى معين هو من العوامل فى تجمع الناس حول حزب معين ٠ وقد تعرض بعض الأشخاص الذين عارضوا الاتحاد إلى هجمات فى أرواحهم وممتلكاتهم ، كما أجبر آخرون على تأييد الأحزاب المنادية بالاتحاد ٠ وهوجم زعماء سياسيون بارزون ينادون بالاستقلال ومن بينهم السيد ولد آب ولد ماريام الذى تعرضت حياته لأربع محاولات اغتيال ٠ إن هذه التصرفات الإجرامية تحول دون معرفة الآراء الحقيقية لأنصار الاتحاد الذين لا يمكن التأكد من أن اعتناقهم لهذا المعتقد السياسى تم فى جو خال من التهديد ٠

وفى هذه الحالة ، فإن المعتقد السياسى لمعظم المواطنين الذين يؤيدون الاتحاد لا يمكن إلا أن ينظر إليه بارتياب ، وبخاصة أذا أخذنا بعين الاعتبار تخلف الوعى السياسى بين غالبية السكان الذى هو أمر مألوف فى البلدان المستعمرة وحيث تعيش قطاعات كبيرة من الشعب كرقيق الأرض ٠

أجرت اللجنة أحاديثا عديدة مع ممثلى مختلف الجماعات سواء فى داخل أسمرا أو فى غيرها من مناطق إريتريا ، ومن أجل هذه الغاية قامت اللجنة برحلات عبر آلاف الكيلومترات ، وجاهدت فى حدود طاقتها ، للتأكد من رغبات المواطنين فيما يتعلق بالمسائل الجوهرية التالية :

أ - استقلال القطر ٠

ب - وضع القطر تحت وصاية ٠

ج - ضم القطر كليا إلى إثيوبيا ٠

د - تقسيم القطر بضم الجزء الشرقى منه إلى إثيوبيا ، والجزء الغربى إلى السودان ٠

إن الأغلبية الساحقة من السكان فى المنخفضات الغربية والشرقية ومجموعات أخرى فى المرتفعات متباينة الأهمية ، تدعو للاستقلال الفورى، كما تحبذ هذه الأغلبية وضع القطر تحت وصاية دولية بإشراف الأمم المتحدة المباشر إذا ما اعتبر الاستقلال الفورى سابقا لأوانه ، بالنظر لعدم توفر المؤهلات الكافية.

إن دعوة ضم إريتريا إلى اثيوبيا تجد تأييدا قويا فى المديريات الواقعة فى المرتفعات الإريترية ، وإن المظاهرات التى قامت هناك تدل على تأييد الأغلبية لهذا الحل ٠ أما الحل الرامى إلى تجزئة إريتريا بين إثيوبيا والسودان فيقابل برفض شبه إجماعى ٠ وهناك حزب سياسى واحد ، هو حزب الرابطة الإسلامية للمديرية الغربية ، يطالب بوضع المديرية تحت الوصاية البريطانية بهدف استقلالها مستقبلا ، وحتى هذه المجموعة عبرت عن معارضتها لالحاق المديرية الغربية بالسودان ٠

ان مشاهداتنا تؤدى إلى الاستنتاج بضرورة الحفاظ على وحدة القطر ٠ فمناطق المرتفعات والمنخفضات ترتبط ببعضها بشبكة مواصلات تعتبر وحدة لا تتجزأ ٠ وقد طرحت فكرة ضم مديريات حماسين وأكلى قوزاى وسراى والبحر الأحمر ، إلى إثيوبيا وضم المديرية الغربية إلى السودان ، غير أننا لم نجد مبررا معقولا لتجزئة إريتريا ، فهذا الحل يتعارض مع رغبات السكان ، علاوة على

أضراره الاقتصادية ولا ينسجم مع مقررات ميثاق الأمم المتحدة · وفى اعتقادنا أن فصل المديرية الغربية عن بقية أجزاء إريتريا يفتت وحدة السكان المسلمين كما أنه يضع سكان مديرية البحر الأحمر الذين يناوئون بشدة وضراوة الإتحاد مع إثيوبيا تحت رحمة اثيوبيا · لذلك فإن وحدة القطر الإريترى ، ضرورة حتمية من أجل احراز رفاه السكان وسعادتهم ، وأن أى حل للمشكلة الإريترية ينبغى أن ينظر إليها كقضية واحدة وأن يستهدف وحدة إريتريا ·

طالبت الرابطة الإسلامية للمديرية الغربية والتي لا تتمتع إلا بتأييد ضئيل جدا حتى فى نطاق مديريتها الوحيدة ، بوضع المديرية الغربية تحت وصاية هيئة الأمم المتحدة، بغض النظر عن الحل الذى يتخذ لبقية أجزاء إريتريا · إن مديرية غربية مستقلة لا تملك طرق المواصلات إلى البحر ، نظرا لأن خط السكة الحديدية الوحيد الذى يربطها بميناء مصوع يمر عبر المرتفعات الإريترية · فلا ريب أن مثل هذا الاقتراح لا يحقق مصلحة القطر ويتنافى مع رغبة غالبية السكان وسكان تلك المديرية بصفة خاصة ·

أن عدة أحزاب افصحت عن رغبتها فى ضم إريتريا إلى اثيوبيا ، وأهمها حزب الاتحاد ·

ذكرنا سلفا مساهمة الكنيسة القبطية فى دعوة الاتحاد ، وكذلك الدور الذى لعبه الارهاب لتعزيز هذا الاتجاه ·

هناك بعض العلائق بين سكان الهضبة الإريترية وبين إحدى المديريات الإثيوبية ، وهى (التجراى) ، فيتحدث سكان هذا الجزء من إريتريا وسكان (تجراى) ، لغة التجرينية · غير أن هذه العلاقة بين جزء من إريتريا ، وجزء من إثيوبيا لا يعد مبررا كافيا لضم إريتريا إلى إثيوبيا ، فهذه اللغة ليست سائدة فى

كافة أنحاء إثيوبيا ولا هى باللغة الرسمية للدولة الإثيوبية • وعدا ذلك فليست هناك علائق عامة بين إريتريا واثيوبيا ، بل خلافا لذلك فإن السكان يكنون العداء والارتياب نحو اثيوبيا •

إن جملة المبررات الاقتصادية والتاريخية والعنصرية التى سيقت لصالح ضم إريتريا إلى إثيوبيا ، ليست كافيا لتحبذ لدى الأمم المتحدة هذا الحل ، ولسنا مقتنعين بأن الأغلبية من السكان يريدون هذا الحل ، أو أنه هو الحل الأوفق لسعادة ورفاه الإريتريين •

خلال جولتنا فى كافة أنحاء إريتريا شاهدنا تجمعات جماهيرية ضخمة تعبر عن معارضتها لضم القطر إلى اثيوبيا وتطالب بالاستقلال ، وأن الشجاعة والإصرار اللذين عبرا بهما عن شعورهم ، رغم الأخطار المترتبة على ذلك لهما من المشاهدة المؤثرة • وليس هناك من شك أن غالبية سكان المنخفضات الشرقية والغربية ، يؤيدون بحماس بالغ الاستقلال ويعارضون بشدة مطلب الاتحاد أو التقسيم • وقد قابلنا فى كافة أنحاء إريتريا مجموعات تؤيد الاستقلال ، وبخاصة فى صفوف المسلمين ، ولكن كان جليا أن مركز ثقلهم هو المناطق المنخفضة •

من حق كافة الشعوب أن تعيش حرة ، وأن الإريتريين يجب أن يتمتعوا بحقهم فى الاستقلال ، حيث أن الأغلبية من السكان ينادون به ، وليست هناك أسباب قضائية تبرر إجراء آخر ، كما لا يوجد تحت الوضع الراهن سبب يدعو لغير هذا الحل • ولا يعنى الاستقلال ابعاد إمكانية اتخاذ إجراءات تالية يتخذها الشعب الإريترى مستقبلا بطرق ديمقراطية ، لربط بلاده بإثيوبيا على شكل اتحاد كنفدرالى أو فدرالى أو حتى اندماج غير مشروط عندما يصبح ذلك رغبة شعبية صادقة • غير أن الوقت الحاضر ليس هو بالظرف الملائم لربط مصير أمة بأخرى

مسبقا وبشكل قطعى ، بينما غالبية كبيرة من السكان تعارض هذا الحل وتطالب بالاستقلال .

لقد شاهدنا أيضا أن إريتريا وهى تملك حاليا أشخاصا مؤهلين ، ولكنها ليست بحد الاكتفاء الذاتى لتولى إدارة القطر فوريا . ولذا فإن من الضرورى إعطاء الشعب الإريترى فترة تأهيل تسبق الاستقلال ، ويتحقق فيها تطور اقتصادى وسياسى واجتماعى وثقافى يكفل الطمأنينة للشعب مستقبلا .

إن ميثاق الأمم المتحدة قد أمن نظام الوصاية لمثل هذه الحالات . فالمادة (٨١) تقرر أن السلطة التي تمارس إدارة الأقاليم الواقعة تحت الوصاية يمكن أن تكون دولة واحدة أو أكثر ، أو تكون منظمة الأمم المتحدة ذاتها . وتوافق الكتلة الاستقلاليــة علــى فترة وصاية محددة زمنيا ، وتحت الإشراف المباشر للأمم المتحــدة . وتعارض بشكل عام الوصاية تحت إشراف دولة واحدة . أما جماعة أنصار الاتحاد فيطالبون بالاتحاد الفورى مع إثيوبيا ، ولذلك فإن موضوع الوصاية لم يكن ذا أهمية بالنسبة لهم .

وبالنظر إلى المصاعب المترتبة من جراء القاء مسئولية الوصاية على عاتق دولة واحدة أو مجموعة دول بالنسبة لقضية إريتريا على وجه الخصوص ، فإننا نرى أن أفضل السبل هو أن تأخذ الأمم المتحدة مسئولية إدارة إريتريا بصفة مباشرة .

الأقليــــة الإيطاليــــة :

لقد تأثرنا بالأعمال التى قام بها الإيطاليون ولا يزالون يقومون بها فى القطر . إن شبكة المواصلات الرائعة والموانى وكافة الخدمات العامة هى بصفة

أساسية نتاج الخبرة والمهارة الايطالية · ويمتلك الإيطاليون ويديورن كافا
الهامة مثل مصنع الكبريت والزراير والزجاج والألياف والخمور والخزف
الكهرباء ·

كذلك تمثل المزارع الايطالية وحظائر تربية الماشية نموذجا للكفاء
فى بلد متخلف ·

وتدار المناجم تحت إشراف الخبراء الإيطاليين ، وقد هجر معظم
انعدام الأمن والاستقرار · وهذه المشاريع البناءة تشغل أيادى عاملة كثير
اعتبار مدينتى اسمرا ومصوع مدنا إيطالية وبدون السكان الإيطاليين
للانهيار · وقد شاهدت اللجنة الحالة المحزنة التى آلت إليها مدينة (دقى
التى تبدو الآن مهجورة تماما بعد أن غادرها معظم السكان الإيطاليين ·

ان استمرار مساهمة الإيطاليين المستوطنين أمر حيوى ، من أجل
على الحياة الاقتصادية فى المدن الرئيسية الإريترية وفى القطر كله · ومع
هم من مواليد إريتريا ولا يعرفون لهم وطنا آخر ويستحقون الحماية تحت
يبعث فى نفوسهم الاطمئنان · وهم يشعرون أن إريتريا المستقلة يمكن أن
السلم والازدهار ، ولذلك فإن الاستقلال من وجهة نظر هذه الأقلية الهامة ه
حل ممكن لإريتريا ، ويؤكدون ثقتهم فى مقدرة إريتريا الاقتصادية ويحذ
الأضرار الجسيمة التى تسببها تجزئة إريتريا ·

الأمن والسلم فى شرق أفريقيا :

يوصى قرار الجمعية العامة رقم ٢٨٩ (٤) أن تأخذ اللجنة فى عين
مصلحة السلم والأمن فى شرق افريقيا عند التحرى عن المشكلة الإريترية ·

لقد تردد مرارا أن احتمال العدوان الخارجى هو من الدوافع الأساسية التى تبرر بها إثيوبيا وجوب سيطرتها على إريتريا ٠ ولكنه اتضح للجنة أن مثل هذا الاحتمال لا وجود له ٠ فالبلاد المجاورة ، مثل السودان ، والبلدان الواقعة بالجانب الآخر من البحر الأحمر ، والأقاليم المجاورة الأخرى المستعمرة بفرنسا وايطاليا والصومال الإيطالى السابق ، الواقع حاليا تحت نظام الوصاية الدولية وإشراف الأمم المتحدة ، كلها لا تشكل خطرا عدوانيا على اثيوبيا خاصة وعلى أمن المنطقة عامة ٠

إن نظام الوصاية تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة هو أفضل ضمان للأمن الداخلى وللسلم العالمى فى منطقة شرق أفريقيا ٠ فالمجموعات البشرية الرئيسية فى المنطقة يمكن أن تعيش جنبا إلى جنب كما عاشت كذلك قرونا طويلة ، وتشعر الأقليات أيضا أنها ستعيش فى أمن تحت نظام الوصاية أو الاستقلال ٠ ويؤكد المسلمون الأغلبية وتوافقهم فى ذلك الأقلية الايطالية بأنهم لن يسعدوا تحت أى وضع اتحادى مع إثيوبيا ، وقد عبروا عن آرائهم بجلاء لا غموض فيه ٠

إن إريتريا المستقلة وهى بالطبع لن تكون بأى حال من الأحوال حصنا عسكريا قويا ، ليست قوة مهددة لأمن اثيوبيا وسلامتها ٠

أما احتمال غزو خارجى من قِبَل قوة أجنبية على إفريقيا ، فهناك الضمانات العالمية بواسطة هيئة الأمم المتحدة ، وإذا عطلت ظروف سيئة لسبب أو آخر هذا الضمان العالمى فإن سيطرة اثيوبيا على إريتريا لن يحميها من هذا الغزو الخارجى ولن يؤمن سلامتها ٠

إن العكس هو الصحيح ، فدمج إريتريا كليا أو جزئيا إلى إثيوبيا ، وتجزئتها

وضم جزء منها إلى السودان دون رغبة غالبية سكانها سيؤدى إلى نزاع داخلى مستمر ، وإلى إجراءات قمع بوليسية وإلى اضطهاد سياسى يمكن أن يتسع ليخلق حالة من عدم الاستقرار فى داخل إثيوبيا ذاتها وفى شرق افريقيا كلها .

الحالــة الاقتصاديــة فــى إريتريــا :

إن موضوع قدرة إريتريا الاقتصادية واحتمالات تطويرها ، كان من المواضيع الرئيسية التى نوقشت باهتمام بالغ ، والتى استخدمت فى نفس الوقت كسلاح سياسي لتأييد وجهة نظر معينة أو أخرى بالنسبة للحلول المقدمة للمشكلة .

فالذين يطالبون بالاتحاد مع اثيوبيا بالغوا فى اندفاع عاطفى فى إعطاء صورة قاتمة للوضع الاقتصادى فى إريتريا فى محاولة لبرهنة عجز إريتريا الاقتصادى وعدم قدرتها على الاكتفاء الذاتى حاضرا ومستقبلا . ومن جهة أخرى، فإن دعاة الاستقلال بالغوا أيضا وباندفاع عاطفى فى قدرة إريتريا الاقتصادية واحتمالات تطويرها مستقبلا فى فترة وجيزة .

وكلا الرأيين يتسمان بالمبالغة وبالتالى لا يطابقان الواقع .

ومع ذلك فإن هناك اليوم حقيقة لا تنكر وهى أنه لا يوجد قطر فى العالم يمكن اعتباره مستقلا اقتصاديا . إذ أن فكرة التداخل الاقتصادى حلت محل فكرة الاكتفاء الذاتى القديمة .

ومن وجهة أخرى فمن العسير بل ومن الخطأ الحكم على قدرة إريتريا الاقتصادية على ضوء الوضع الراهن فقط دون الأخذ بعين الاعتبار بأن هذه الوضعية هى نتيجة ظروف غير عادية .

فعندما بدأت الحرب العالمية الثانية كانت إريتريا تتمتع بحالة اقتصادية منتعشة وبنمو نشاطات زراعية وصناعية وتعدينية هامة ٠ ومع أن ظروف الحرب قد جلبت صناعات جديدة فى الحياة الاقتصادية فى إريتريا ، ولكنها فى نفس الوقت أعاقت نمو الاقتصاد الناشئ ، يضاف إلى ذلك عامل آخر لا يقل أهمية وهو أن الوضع الراهن لم يحقق شيئًا لتطوير الاقتصاد ، بل حدث العكس ٠ وعلى سبيل المثال ، فإن مشاريع مزدهرة مثل مشروع زراعة القطن قد هُجِـر ، كما أغلقت أو حطمت مناجم الذهب الهامة ، وعوق التطور المطرد لزراعة التبغ ونباتات أخرى ٠ وكانت كل هذه الأعمال نتيجة لإجراءات إدارية ، يضاف إليها لسوء الحظ العوامل الحاسمة التالية : (أ) المصير المجهول الذى ينتظر إريتريا ، (ب) القلاقل السياسية المتعلقة بمصير إريتريا (ج) النشاطات الارهابية وانعدام الأمن التام للأموال والأرواح مما أدى إلى خراب المشاريع الزراعية والصناعية الهامة وعوق المواصلات ونتج عنه اضطرابات فى سائر أنحاء القطر، (د) مغادرة الإيطاليين المستمرة وباعداد كبيرة نتيجة للأسباب المذكورة فى الفقرة (ج) اعلاه ٠

يكفى أن نذكر للدلالة على هجران المشاريع الزراعية مشروع زراعة البن الذى كان يبشر فى عام ١٩٤٠ بانتاج يسد الحاجة المحلية ويفيض للتصدير ٠ وقد تدهور الانتاج حتى أصبح الانتاج الحالى أقل من ثلث انتاج عام ١٩٤٠ ، هذا دون ذكر الغرس الجديد الذى كان قد وصل طور الانتاج لو نال الرعاية اللازمة ٠

ويضاف إلى كل ذلك عامل آخر هو انعدام القروض الائتمانية للمشاريع الزراعية والصناعية والتجارية مما عوق التطور الاقتصادى ٠ ان الدور الحيوى الذى تؤديه القروض فى حياة الأمم الاقتصادية حتى المتقدمة منها حقيقة لا تقبل الجدل ٠

يلاحظ أيضا أن الدولة التى تحكم إريتريا حاليا عمدت إلى خنق الاقتصاد الإريترى ، أملا فى أن يزيد تضعضع الحالة الاقتصادية من فرض نجاح مخططاتها السياسية التى تستهدف دمج جزء من إريتريا إلى ممتلكاتها .

إن أى تقييم لقدرة إريتريا الاقتصادية فى الوقت الراهن سيعكس صورة خاطئة للوضع ويؤدى إلى استنتاج خاطئ لامكانيات إريتريا مستقبلا ما لم تؤخذ فى عين الاعتبار الظروف والعوامل الشاذة التى ذكرت اعلاه .

ان معظم المعلومات التى وصلت إلى علم اللجنة عن الحالة الاقتصادية فى إريتريا، مستقاة من الإدارة البريطانية التى ترمى بجلاء إلى تأييد موقف سياسى معين لحل المشكلة الإريترية .

وعلى ضوء الأوضاع الشاذة الحاضرة فإن الحالة الاقتصادية فى إريتريا ليست سيئة فقط ، بل أنها تتدهور بصفة مستمرة ، وأنها لن تتغير ما لم تحل المشكلة الإريترية .

ومن الواضح أن الأحوال المناخية فى القطر ، ليست بالمثالية لتطوير مشاريع اقتصادية كبيرة . فالأمطار قليلة نسبيا ، وفى بعض المناطق غير كافية للزرع . وليس هناك نهر دائم الجريان باستثناء نهر (سيتيت) الذى يكون خطا فاصلا بين حدود إريتريا وإثيوبيا فى بعض المناطق . ومع ذلك فإن أراضى إريتريا ليست رديئة بصفة عامة ، وبالنظر إلى طبوغرافية البلاد ، فهناك امكانيات كبيرة لخزن مياه الأمطار وتنظيم الرى بوسائل اقتصادية ناجحة . كما يمكن أيضا تنظيم الرى بواسطة فتح قنوات للسيول الموسمية الكثيرة ، وقد جربت هذه الوسائل قبل الحرب العالمية الثانية واعطت مردودا ناجحا .

وهكذا فعلى الرغم من صعوبة تنفيذ مشاريع تحقق زيادة نسبة الأمطار عن طريق التشجير مثلا فى الوقت الراهن ، هناك إمكانية خزن مياه الأمطار وتنظيم الرى من السيول الموسمية مما يوسع رقعة الأراضى المزروعة ويزيد محصول الحبوب ليغطى العجز الحالي البالغ سدس الاستهلاك ويفيض للتصدير ٠

وأهم محصولات إريتريا الزراعية هى الحبوب والألياف النباتية والبن والتبغ والقطن والحمضيات والفواكه الاستوائية وغيرها ٠ وإريتريا هى من الأماكن النادرة فى العالم التى تنبت فيها أشجار الدوم التى يستعمل جوزها فى صناعة الزراير والكحول وزيت الصابون وعلف الماشية ٠ وتحتوى قشرة الجوز على حامض التنيك بكميات تجارية تفيد فى دباغة الجلود ، كما تستعمل القشرة الخارجية للوقود ٠ وتصنع الحبال المتينة من أوراق تلك الأشجار كما تدخل فى صناعة الورق ٠

وتعتبر تربية الماشية من مصادر الثروة الرئيسية فى إريتريا ، بالنظر إلى إنتاجها الجيد من اللحوم والألبان والجلود ٠ ويتأثر هذا الإنتاج بقلة الأمطار فى بعض الأحيان ، فتضطر الماشية إلى الرحيل مرتين فى العام (صيفا وشتاء) بحثا عن المراعى الخصيبة٠ ولا شك أن أى إجراء يتخذ لخزن مياه الأمطار فى مناطق رعوية ثابتة سيوفر على الماشية رحلتهاالمضنية وسيزيد من انتاجها ٠ إن الثروة الحيوانية فى إريتريا هى مصدر شعبى للدخل ، إذ أن الرعى وتملك الماشية حرفة تمارسها جماهير كبيرة من الإريتريين ، وليست بملكيات اقطاعية متمركزة على قلة من الناس ٠

إن احصائيات الإنتاج الزراعى الحالية ليست لها القيمة الحقيقية للإحصائيات العادية ، إذ أن إريتريا تعيش فى وضعية شاذة أسلفنا الإشارة إليـــها٠

وأما عن الثروة المعدنية فى إريتريا ، فإن حقيقة واحدة أساسية يمكن تأكيدها وهى عدم وجود المعلومات الوافية التى تساعد على تكوين رأى متكامل حول كمية وقيمة الثروة المعدنية ٠

ومن الحقائق المعروفة جيدا وجود الذهب فى المناطق المنخفضة والمرتفعة ٠ وقد وصل الإنتاج فى عام ١٩٤٠ (١٧٠٠٠) أقية ، وكان قد بدأ آنذاك فى الارتفاع ، غير أن معظم المناجم أغلقت بعد ذلك ونقلت آلاتها وتوقف الإنتاج لسنوات عديدة ٠ وتأثر تعدين الذهب بالنشاطات الإرهابية وانعدام الأمن مما خفض الإنتاج فى عام ١٩٤٩ إلى ٢٨٠٠ أقية فقط ٠

وهناك أيضا الحديد والنحاس والنيكل والميكا وأحجار الفتيل (اسبستوس) ومعادن أخرى ٠ وقد عثر على آثار المنجنيز والمغنيسيوم والتيتانيوم (عنصر معدنى قاتم اللون) ومعدن الكروم للصباغة ، غير أن المعلومات المتوفرة عنها ضئيلة للغاية ٠ وقد قيل فى بعض الحالات أن نوعية المعدن غير جيدة كما هو الحال فى النيكل مثلا أو أن موقعه بعيد عن طرق المواصلات ٠

هناك أيضا الملح المعدنى والصودا والبوتاس والكاولين (صلصال نقى يصنع منه الفخار) والفلسبار (نوع من المعادن المتبلرة) وتستعمل فى الصناعات المحلية٠ كما توجد كمية ضخمة من الرخام ٠ ومع أنه لا يبدو وجود للفحم إلا أنه عثر على (جلنايت) وهى مادة خشبية تدل على وجود الفحم ٠

ومن المعلوم أن الإيطاليين أجروا فى نهاية حكمهم تنقيبا عن البترول فى جزيرة (دهلك) ، شرقى مدينة مصوع ٠ غير أن ظروف الحرب حالت دون إكمال البحث ولم نعثر على تقارير نتائج التنقيب ٠ ومن ناحية أخرى تأكد وجود رواسب

من العهد الميوسيني فى الشمال الشرقى من مصوع ، وهى من علامات وجود البترول ، ولكن لم يجر التنقيب فى المنطقة .

وعلى ضوء هذه المعلومات ، فإننا لا نستطيع أن نقول أن إريتريا غنية بالمعادن ، كما لا نستطيع أن نقول أنها فقيرة ، إذ لا توجد أبحاث كافية يمكن أن نقرر على ضوئها حكما قاطعا . ولكن حقيقة واحدة يمكن تأكيدها ذلك أن التعدين لا يزال ميدانا مفتوحا للبحث والتنقيب .

وتمتلك إريتريا عدة مئات من الكيلومترات من الساحل وأرخبيلا هاما فى البحر الأحمر الذى يعتبر أحد البحار الغنية فى العالم . ويعد صيد السمك والثروات البحرية مجالا ضخما للاقتصاد الإريترى . وتوجد حاليا بعض المصانع التى تعتمد على الثروات البحرية مثل مصانع تعبئة الأسماك وزيوت السمك والأصداف واللآلئ والمرجان ، مع احتمالات ضخمة لتوسيعها وإنمائها .

وتشتمل إريتريا جغرافيا على منطقتين متباينتين : الأراضى المرتفعة التى تقع فيها مديريات حماسين وسراى وأكلي غوزاي ، والمنخفضات الشرقية والغربية. وتعتبر المنطقتان مما تكمل احداهما الأخرى اقتصاديا وذلك بتباين نباتاتهما وحيواناتهما ومواردهما المعدنية ، وباختلاف المناخ والفصول ، وما يتيحه ذلك من تسهيلات لهجرات الماشية الصيفية والشتوية . ومما يجدر الإشارة إليه أن المنطقتين مرتبطتان ارتباطا وثيقا بشبكة رائعة من طرق المواصلات .

وتمتلك إريتريا جملة من الصناعات الهامة ذات الإنتاج الجيد والأنواع المتعددة مثل الصناعات الكيميائية واللحوم المحفوظة والسمن والجبن والأسماك المعلبة والبيرة وأنواع الخمور والكحول وصناعة الزجاج والأوانى الصينية والكبريت

والورق والأدوية ودباغة الجلود ومنتوجاتها وصناعة الزراير وصناعة الحبال والأكياس وصناعة الزيوت المتنوعة والألبان · وتصدر معظم هذه المنتوجات الصناعية إلى الخارج · كما أن هناك صناعات أخرى تستهلك محليا مثل الصابون والعطور والسجاير والأسمنت وغيرها .

وتستخدم معظم هذه المصانع مواد محلية · كما توجد بعض الصناعات التي تستخدم مواد مستوردة ؛ مثل صناعة الدقيق التى بلغت الكمية المصدرة منها فى عام ١٩٤٨ أكثر من مليون كيلوجرام بقيمة تزيد عن ٧٦٠٠٠ جنيه .

إن الصناعات الإريترية ليست مصطنعة كما ادعى فى بعض الأحيان ، ولا تعتمد على رخص الأيدى العاملة ، بل هى صناعات قائمة على أسس راسخة ، وإن جودة انتاجها يمنحها أسواقا رائجة فى البلاد المجاورة مثل السودان وإثيوبيا والبلدان الواقعة فى الجانب الآخر من البحر الأحمر · وتصدر كمية منها وبخاصة الزراير وحبال الألياف النباتية والأسماك المعلبة إلى أوربا ، أما الملح فله سوق رائجة فى الشرق الأقصى وعلى الأخص الهند واليابان .

إننا لا نرى مبررا للشك فى نجاح وتطور وازدهار هذه الصناعات مستقبلا ، إذا ما استقر الوضع فى إريتريا · بعد أن استطاعت أن تنتعش ، حتى وسط الظروف العصيبة التى تمر بها إريتريا حاليا والمشار إليها سالفا .

ومن الصناعات التى تجدر الإشارة إليها بالنظر لأهميتها فى مختلف مجالات الحياة الإقتصادية فى إريتريا ، هى صناعة الكهرباء ، وقد بذلت جهود جبارة لتطوير القوى الهيدرومائية ، وأعدت سلفا المشاريع لذلك غير أن ظروف الحرب العالمية الثانية وما تلاها من أحداث سيئة فى إريتريا ، قد عوق تنفيذها الذى لو تم

لأغنى إريتريا من الوقود البترولى المستورد حاليا لتسيير مصانع الكهرباء ٠

وليس هناك سبب للاعتقاد بأن الأسواق الخارجية سوف تغلق فى وجه الصناعات الإريترية ، فهى جيدة وبعضها مثل الزراير والألياف النباتية لا تواجه منافسة خارجية قوية ٠ كما لا يمكن القول أن إريتريا قطر صغير وفقير وأن أسواقها لا تتسع لمنتوجاتها ٠ فالإريتريون وعددهم أكثر من مليون نسمة يمكنهم أن يرفعوا من مستوى معيشتهم وبالتالى يزيدون من طاقتهم الاستهلاكية وبخاصة من المواد الغذائية والصابون وزيوت الطعام والكبريت ٠ ولا يمكن القول مثلا أن مصنع الكبريت سوف لن يستطيع الاستمرار لأنه يعتمد على أخشاب اللبين (فربيون) ، التى هى فى طريقها إلى الانقراض بسبب قطعها المستمر ، إذ يمكن استعمال أوراق الكرتون عوضا عنها لصنع علب وأعواد الكبريت ، وأن المواد الخام لصنع هذه الأوراق متوفرة فى إريتريا بكميات ضخمة ، كما يمكن أيضا صناعة الأعواد الكبريتية من الخيوط القطنية المغلفة بزيت القطران (بارافين) ٠

وتتمتع إريتريا بشبكة رائعة من طرق المواصلات ، كما شرحنا ذلك فى غير هذا المكان ٠ ولكن وسائل النقل قد تأثرت بالأوضاع الشاذة التى يعانيها القطر ٠

وعلى الرغم من منع السلطات لاستعمال سيارات اللوارى فى نقل البضائع وجعل النقل بالسكك الحديدية إجباريا ، فإن السكك الحديدية تعانى عجزا سنويا قدره (٢٥٠٠٠) جنيه ٠ غير أن هذا العجز يعود بالدرجة الأولى إلى الحالة الشاذة السائدة فى إريتريا ، وإلى الإرهاب الذى شل معظم مجالات الاقتصاد الإريترى ٠

وتعتبر حركة الترانزيت للبضائع الصادرة والواردة من وإلى إثيوبيا عبر موانئ إريتريا ، من العوامل الهامة فى الاقتصاد الإريترى ٠

وهناك دون ريب من الروابط الاقتصادية المتينة بين إريتريا وإثيوبيا ، ليس فقط بالنظر إلى حاجة إثيوبيا لاستعمال الموانئ الإريترية من حركة تجارة الترانزيت ، بل أيضا بالنظر إلى الأسواق المشتركة لمنتوجات البلدين . وتسد اثيوبيا حاليا معظم كميات العجز فى حاجة إريتريا من الحبوب والتى تبلغ سدس الاستهلاك وتستورد مقابلها بعض المصنوعات الإريترية . ومن جهة أخرى تستورد بعض المصانع الإريترية مثل مصانع الزيوت مواد خام من إثيوبيا . وتقوم إريتريا أيضا بعمليات تكرير لبعض المنتوجات الإثيوبية ، ومنتوجات الجزيرة العربية وتعيد تصديرها إلى الخارج .

وتستحق هذه الروابط الاقتصادية القائمة بين إريتريا وإثيوبيا العناية الفائقة كعقد لاتفاقيات الملائمة التى تحقق تعاونا وثيقا يؤدى فى النهاية إلى وحدة اقتصادية مثمرة بين البلدين .

ويجدر أن نشير هنا إلى أن تجارة اثيوبيا الخارجية لا يمكن انفاذها بصفة كلية عبر إحدى الموانئ الإريترية . فإن المنتوجات الصادرة والواردة من وإلى المنطقة الشمالية من إثيوبيا تمر طبيعيا عبر ميناء مصوع ، بينما المنتوجات الصادرة والواردة من وإلى أديس أبابا ومناطق إثيوبيا الوسطى والجنوبية تمر عبر ميناءى جيبوتى بالصومال الفرنسى وعصب فى إريتريا . ولذلك فإن ميناء عصب هو أنسب ميناء لتجارة اثيوبيا الخارجية لمنطقة (دسى) .

إن حركة الترانزيت للبضائع المارة عبر الموانئ الإريترية إلى اثيوبيا أضخم بكثير من البضائع التى غايتها النهائية إريتريا .

ان موقع إريتريا الجغرافى الملائم من وجهة النظر التجارية ينبغى أن يؤخذ

بعين الاعتبار ، فإريتريا تقع بالقرب من مراكز تجارية هامة مثل بورت سودان وجيبوتى وعدن والحديدة وجدة ، وتمر بها خطوط بحرية هامة كالتى تربط المحيط الهندى وبلدان الشرق الأقصى بالبحر الأبيض المتوسط وأوربا عبر البحر الأحمر . ويتمتع ميناءاها بمرافئ عصرية ذات إمكانيات كافية تؤهلها لاحتلال مركز تجارى بارز ، سواء لمواجهة متطلبات الخطوط البحرية المارة عبر البحر الأحمر أو لنفاذ صادرات وواردات المناطق الداخلية الغنية .

إن هذا الموقع الملائم يمكن أن يفيد كثيرا فى تطوير الاقتصاد الإريترى ، وذلك بإقامة موانئ حرة فى مصوع وعصب تجتذب كميات ضخمة من البضائع إلى هذين الميناءين ، وتسهل تبادلا تجاريا واسعا ، وتوسع أيضا تجارة إثيوبيا الخارجية .

وتعانى إريتريا - كسائر البلدان الخاضعة للنظام الاستعمارى - عجزا فى ميزانها التجارى ، فمعدل صادراتها تبلغ ١٫٦٠٠٫٠٠٠ جنيها بينما تبلغ وارداتها نحو ٣٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيها . غير أنه ينبغى أن نؤكد هنا أن هذه الأرقام تمثل الوضعية الشاذة التى تعيشها إريتريا ، والتى فى ظلها تستورد إريتريا على سبيل المثال ٥٠٠ طن من البن بمبلغ ٧٥٫٠٠٠ جنيها بينما فى مقدورها إنتاج البن بكمية تسد الاستهلاك المحلى وتفيض للتصدير كما يجدر الإشارة إلى أنه نتيجة للسياسة الاستعمارية فإن واردات إريتريا تخضع لقيود معينة ولا يسمح لها التفاوض بحرية عن متطلباتها من الواردات من الأسواق التى هى أكثر ملائمة ، إذ أن السلطات لا تسمح بالاستيراد إلا من بلدان معينة ، وهذا بالطبع نادرا ما يحقق أرخص الأسعار أو أقرب الأماكن للنقل .

واوضحت الغرفة التجارية الإريترية أن العجز فى الميزان التجارى أقل بكثير

مما يبدو فى الاحصائية التى لم تتضمن الدخل غير المنظور ، واشارت إلى أمثلة حية لهذا الدخل منها (أ) دخل تجارة الترانزيت (٢٥٫٥٥٠ جنيها) ، (ب) دخل المواصلات البرية (٣٤٫٠٠٠ جنيها) ، (ج) شحنات بحرية وأجرة المسافرين (٢٧٫٦٠٠ جنيها) ، (د) بوليصة التأمينات للنقل مسحوبة فى إريتريا (٥٫٠٠٠ جنيها) ، (هـ) شحنات جوية (١٢٫١٨٧ جنيها) ، (و) دخل السياحة وحركات الأجانب (٢٠٫٠٠٠ جنيها) ، (ز) ضرائب الرسو للبواخر والطائرات (١٢٫٢٢٥ جنيها) • ويضاف إلى ذلك دخل الحوالات النقدية التى يرسلها المهاجرون الإريتريون إلى ذويهم • وتصل الغرفة التجارية إلى الاستنتاج بوجود مداخيل عديدة غير منظورة تصل نحو (١٤٠٫٠٠٠ جنيها) ، ويجب تنقيصها من ميزان العجز التجارى •

ومن المهم أن نؤكد أن هذا العجز فى الميزان التجارى وفى الميزانية السنوية للقطر، يعود أيضا بشكل جزئى إلى العوامل التالية : (أ) انعدام القروض المصرفية لتطوير الزراعة والصناعة والتجارة انعداما كليا • (ب) القصور فى أنظمة الضرائب السارية حاليا ، (ج) النظام الجمركى الحالى الذى يميل إلى توجيه التجارة من وإلى بلدان معينة ويعانى نقصا فى نواح عديدة ، (د) افتقار التنظيم الجيد فى الموانئ الذى يؤمن سرعة العمل ويزيد حجم التجارة ، (هـ) سياسة المواصلات التى تستهدف فقط حل مشكلة تسيير الخط الحديدى ، (و) استحالة اجراء مفاوضات لعقد معاهدات تجارية مع بلدان أخرى تحت وطأة الظروف الحالية • زيادة على ذلك أن المرء يستطيع أن يلاحظ دون بذل جهد أن بضائع أجنبية أقل جودة من المنتوجات الإريترية سمح لها بالدخول إلى إريتريا، ومن ذلك شاهدنا علب كبريت مستوردة من الهند واتحاد جنوب افريقيا وسمنا مستوردا من أستراليا •

كذلك تعانى ميزانية الدخل والصرف العادية للإدارة عجزا يبلغ (٤٠٠ر٠٠٠ جنيها) من كامل الميزانية البالغة (٢ر٨٠٠ر٠٠٠ جنيها) ، وإريتريا فى ذلك لا تختلف عن سائر البلدان الخاضعة للحكم الاستعمارى • ويجب التأكد هنا أن جزءا كبيرا من الميزانية الإريترية مخصص للشرطة والسجون إذ يبلغ مخصصهما (٤٠٠ر٠٠٠ جنيها) والزراعة (٥٦ر٠٠٠ جنيها) • وتزيد هذه الحقيقة أهمية عندما نعلم أن الإدارة الحالية على الرغم من ضخامة ميزانية الشرطة بالنسبة للميزانية العامة لإريتريا لم تكن قادرة على صيانة الأمن والنظام فى القطر •

من السهل القضاء على العجز فى الميزانية إذا ما عادت الأمور إلى حالتها الطبيعية وتمتع القطر بالطمأنينة والاستقرار • فزيادة النشاطات الاقتصادية العادية يمكن أن تسد العجز مع إقامة إدارة أقل تكاليف من الإدارة الاستعمارية الحالية وإعادة النظر فى أنظمة الضرائب وتعديلها ، والغاء الاعفاءات الجائرة كالتى تقرر حاليا أن يدفع موظفو الإدارة البريطانيون فى إريتريا ضرائبهم فى لندن بينما يتقاضون مرتباتهم من ميزانية إريتريا الضئيلة •

ختاما أن إريتريا فى مقدورها أن تحقق فى ظل ظروف عادية ،حالة من الرخاء الاقتصادى يؤهلها لحياة يسودها التقدم والازدهار والكرامة ، وأن تزيد من دخلها القومى بدرجة لا تزيل معها العجز فى الميزانية فحسب ، بل وتواجه احتياجات سكانها الماسة فى الشؤون الاجتماعية والتعليمية والزراعية ، وأن تحسن بصفة مطردة حياة المجتمع الإريترى ، وذلك بالمساعدة الفنية التى ستقدمها الوكالات المختصة للأمم المتحدة •

خاتمـــــــة

==

نعتقد أن الحل الأفضل لمستقبل إريتريا هو الاستقلال . ولكننا في الوقت ذاته نعتقد أن الاستقلال لا يمكن تحقيقه فورا ؛ لذلك فإن رفاه إريتريا يمكن تحقيقه بوضعها تحت الوصاية المباشرة للأمم المتحدة لفترة أقصاها عشرة أعوام ، تنال بعدها استقلالها الـــتام .

أن ميثاق الأمم المتحدة قد هيأ لبعض الأقطار ، التي لها وضعية معينة نظام الوصاية بهدف تطويرها إلى مرتبة الاستقلال الذاتي أو الاستقلال التام ، وتدخل في هذه الوضعية الأقطار التي انتزعت من الدول العدوة نتيجة للحرب العالمية الثانية.

ومن أجل ذلك توصي الجمعية العامة :

(١) أن تصبح إريتريا في إطار حدودها الحالية دولة مستقلة ذات سيادة .

(٢) أن هذا الاستقلال يصبح نافذ المفعول بعد فترة وصاية لمدة عشر سنوات تبدأ من التاريخ الذي تصادق فيه الجمعية العامة على هذه التوصية .

(٣) توضع إريتريا في الفترة المذكورة في الفقرة (٢) تحت نظام الوصاية الدولية وتشرف الأمم المتحدة اشرافا مباشرا على إدارة إريتريا .

(٤) أن الحاكم الإداري الذي سيباشر سلطة الحكم نيابة عن الأمم المتحدة تعينه الجمعية العامة ويساعده مجلس استشاري يتألف من ممثلي الدول التالية :

- الولايات المتحدة الأمريكية (بالنظر إلى مساهمتها في برامج تطوير

لأقطار المتخلفة ، وبالنظر لاهتمامها بمصير البلدان المستعمرة) .

- اثيوبيا وايطاليا بالنظر إلى مصالحهما المعروفة .
- قطر اسلامى (بالنظر إلى مصالح السكان المسلمين ولضمان مبدأ التقسيم الجغرافى .
- قطر من أمريكا اللاتينية (بالنظر إلى مراعاة مبدأ البلدان المستعمرة)

كذلك يتضمن المجلس الاستشارى ثلاثة ممثلين للسكان المسلمين والمسيحيين والأقليات لضمان تمثيل السكان كلهم .

تعقد اتفاقيات اقتصادية بين إريتريا واثيوبيا بهدف تسهيل حركة التجارة وإيجاد وحدة اقتصادية بين القطرين مستقبلا .

تقام مناطق حرة فى مينائى مصوع وعصب لتسهيل التبادل التجارى وحركات الشحن والاستفادة من المواقع الخاصة للمينائين اللذين يتمتعان بموقع استراتيجى .

تبعث الأمم المتحدة بعثة من الخبراء يمثلون وكالاتها المختصة المتعددة بهدف القيام بدراسة وافية لتطوير القطر على أسس فنية .

تقوم الإدارة الحالية بكافة الإجراءات اللازمة لنقل السلطة إلى الحاكم الإدارى المعين من قبل الأمم المتحدة وزيادة على ذلك تقترح :

أ - أن تنشئ هيئة اليونسكو التابعة للأمم المتحدة جامعة فى أسمرا يستفيد من موقعها المناسب أبناء الأقطار المجاورة الذين ليست لهم مراكز علمية عالية علاوة على أبناء إريتريا .

ب - عند وصول تقرير بعثة الخبراء المقترحة أعلاه ، تتخذ الأمم المتحدة الخطوات الضرورية لتمويل المشاريع الإنمائية المقدمة من بعثة الخبراء

الفصل الثالث والأربعون

بداية الاستعمار الإثيوبى وانتكاسة القرار الفيدرالى

اثيوبيا تنتهك قرار الاتحاد الفيدرالى ، وكان قرار الاتحاد الفيدرالى مبنياً على مبدأين أساسيين :-

١- سيادة الحكومة الإريترية فى جميع الامور المحلية والداخليه سيادة تامه مع تحديد واضح لصلاحيات كل من الحكومة الاريترية والحكومة الاتحادية.

٢- نظام ديمقراطى للحكم فى اريتريا بجميع متطلباته ، احترام الحقوق الانسانيه والحريات الأساسيه وحكم الشعب بالشعب.

ولكن أثيوبيا كعادتها تجاهلت هذين المبدأين.

والحقيقة ان ما حدث فى إريتريا إنما كان سلسلة طويلة من التناقضات والألاعيب السياسية ، فبمقتضى قرار الأمم المتحدة أقيمت الحكومة الإريتريه، ولكن صلاحيتها وسلطاتها اغتصبت على يدى ممثل الامبراطور الذى مارس صلاحياته بواسطة جيش الاحتلال الإثيوبى ، وأعلن الدستور الإرتيرى شكليا ولكن الدستور الإثيوبى والقوانين الإثيوبية هى التى كانت سارية المفعول فى الواقع. ومن هنا فان قرار الامم المتحدة لم يكن الا حروفا ميته وحبرا على ورق، ولم يصب الحقوق الانسانيه للشعب الإرتيرى الا المحو والتعطيل.

استعرضنا فى الحلقات الماضية الاهداف والدوافع التى ادت الى اتخاذ الامم

المتحدة للقرار الفدرالي، ثم الانحرافات التى ارتكبها مندوب الأمم المتحدة بالتواطئ مع الحكومة الإثيوبية عند تفسير القرار وتطبيقه. ونستعرض فى هذه الحلقة والحلقات التاليه نقض الحكومة الإثيوبيه لقرار الأمم المتحدة بصفة تدريجية.

بدأ هذا النقض بالاستيلاء على كافة الممتلكات الإرتيرية قبل أن يدخل القرار الفيدرالى حيز التنفيذ، وقبل أن تؤلف الحكومة الإرتيرية بمدة شهر كامل. ففى ٢١أغسطس ١٩٥٢. سلمت الإدارة البريطانية المتواطئة جميع الممتلكات الإريترية إلى الحكومة الإثيوبية، وأصبحت الحكومة الإثيوبية بذلك تسيطر على المرافق الحيوية فى إريتريا كالمطارات والموانئ والبرق والبريد وسكك الحديد وكافة المواصلات والمبانى والمنشآت الحكومية وجردت إريتريا بهذه المؤامرة من جميع مقومات الدولة الحيوية.

ويعتبر هذا الاجراء مناقضا لقرارات الامم المتحدة. فعندما ناقشت الجمعية العمومية للأمم المتحدة فى جلستها المعقوده فى ١٩٥٢/١/٢٩ مصير ممتلكات الحكومة الايطالية السابقة فى إريتريا، قررت نقل ملكية الممتلكات الإيطالية فى إريتريا الى الحكومة الإريترية، وذلك بمقتضى المعاهدة المعقودة بين الحلفاء والحكومة الإيطالية فى باريس فى ١٩٤٧/١١/١٠.

وقد ارتفعت الاحتجاجات الصارخه من البرلمان الإريترى الذى كان يناقش آنذاك تأسيس الحكومة الإريترية، ومن الاحزاب السياسية ومن كافة طوائف الشعب ضد هذا التواطئ الإثيوبى البريطانى، غير أن المتآمرين تجاهلوا صيحات الشعب

الإريترى العادلة ونفذوا مؤامراتهم بالقوة. وسيطر الجيش الإثيوبى على المرافق الإريترية الهامة، وتحول الاتحاد قبيل تنفيذه الى احتلال عسكرى وسيطرة استبدادية.

ولاضعاف مركز إريتريا الاقتصادى، وبالتالى مركزها السياسى تواطأت الإدارة البريطانية كذلك مع الحكومة الإثيوبية فى تأخير تنفيذ الفقرات ٩ ، ١١ ، ١٤ ، من قرار الامم المتحدة، القاضية بإقامة وحدة جمركية مع إثيوبيا لحماية الجهاز الاقتصادى الإريترى فى الاتحاد الفيدرالى، مما ادى بدوره الى الحاق الضرر الفادح بالاقتصاد الإريترى، وارتفعت الأسعار على نحو متواصل نتيجة لارتفاع التعريفه الجمركيه حتى نشبت الازمة الاقتصادية فى البـــلاد.

جاء فى الفقرة ٥ من القرار الفيدرالى ما يلى : (يجتمع المجلس الفيدرالى الامبراطورى المؤلف من ممثلين إريتريين وممثلين إثيوبيين متساوين فى العدد، مرة واحدة في السنه على الأقل، ويبدى رأيه فى شئون الاتحاد المشتركة المشار اليها فى الفقرة ٣ أعلاه. هذه الشئون المشتركة المشار اليها فى الفقرة ٣ تتناول شئون الدفاع والخارجية، والماليه.

وبموجب هذا النص القانونى، حتم القرار صراحة أن يتكون المجلس الفيدرالى من عدد متساو من الإريتريين والإثيوبيين بالرغم من أن عدد سكان إثيوبيا هو تقريبا ستة أضعاف سكان إريتريا ، وذلك باعتبار أن إريتريا وإثيوبيا ولايتين متساويتين فى الاتحاد. وبمقتضى هذه الفقرة من قرار الامم المتحدة فإن المجلس

الفدرالى كان هو صلة الوصل الوحيدة بين الحكومة الإريترية والحكومة الإثيوبية. وقد ماطل الامبراطور الإثيوبى فى تأسيس هذا المجلس حتى لا يشاركه فى السلطة وهو الذى تعود السلطة المطلقة بلا منازع أو رقيب، وأخيرا اضطر تحت الضغط الإريترى أن يسمى الامبراطور خمسة أعضاء إثيوبيين ، وانتخب البرلمان الإريترى خمسة أعضاء إريتريين ، وتألف المجلس بذلك من عشرة أعضاء. ولكن تأليف المجلس شيء وتمكينه من العمل شيء آخر.

اجتمع المجلس فى أديس أبابا، ولكن لم يتمكن من أن يناقش او يبحث أى شأن من شئون الاتحاد، بل إن جميع تقارير الاعضاء الإريتريين الخمسه كان نصيبها الرفض نظراً الى أن الاعضاء الإثيوبيين لم يكن لهم حق فى مناقشة أى شأن من الشئون ، لان نظام الحكم الاوتقراطى الرجعى فى إثيوبيا لا يسمح لأى مواطن إثيوبى حتى ولو كان رئيساً للوزراء أن يرفع أية مقترحات إلى صاحب الجلالة ، ولا بمناقشة قوانين صادرة عن جلالته الا متى أصدر جلالته أوامره بذلك. وفى هذه الحالة التى نحن بصددها لم يصدر جلالته امره بمناقشة النظام الفيدرالى. وعندئذ تركزت اعمال المجلس الفدرالى ومهامه فى يد ممثل الامبراطور فى إريتريا الذى أخذ يدير كافة شئون إريتريا بطرق بعيدة عن القانون.

أمضى أعضاء المجلس الفدرالى الإريتريون أربعة أشهر في أديس أبابا، ثم عادوا حيث قدموا تقريرهم إلى البرلمان واعتبر الدكتاتور الصغير ممثل الامبراطور المدعو بتودد اندلكاتشو ماساى هذا التقرير اتهاما لحكومته، واقال بطريقة غير

قانونية أعضاء المجلس الإريتريين. وقضى على هذا المجلس قبل أن يمارس أيا من اختصاصاتهومسئولياته.

فى شهر مايو ١٩٥٣ شكلت الحكومة الإريترية لجنة ماليه من وزير الماليه الإريترى والمراقب العام، وثلاثة آخرين من الحكومة الإريترية، وشكلت الحكومة الإثيوبية ممثليها فى اللجنه من نائب ووزير المالية الإثيوبى واربعة ممثلين آخرين. وقد أمرت هذه اللجنة بدراسة الحالة المالية وتنظيم الجمارك وسائر الشئون الاتحادية كالمواصلات والهاتف والبرق والبريد والموانئ والمطارات والممتلكات الإريترية التى سلمتها الادارة البريطانيه الى الحكومة الإثيوبية فى ١٥ أغسطس ١٩٥٢.

وكانت السنة المالية فى إريتريا تبدأ في اليوم الأول من يوليو. ولما كان رئيس الادارة البريطانية فى إريتريا مضطرا الى أن يسلم السلطات الى الحكومة الإريترية فى سبتمبر فقد كان عليه أن يعد ميزانية عامة لإريتريا فى شهر سبتمبر.

وهكذا وجدت الحكومة الإريترية الجديدة نفسها أمام مشكلة توفير الأموال فى فترة قصيرة ملحة. وكحل مؤقت طلبت الإدارة البريطانية من الحكومة الإثيوبية قرضاً بمبلغ ٦٨١٠٠٠ جنيه استرلينى (٤٥٠٠٠٠٠ دولار إثيوبى) من حصتها فى الفترة الواقعة بين سبتمبر ونوفمبر ١٩٥٢ كان المستر بانث، المنتدب من الإدارة البريطانية لمساعدة مندوب الامم المتحدة فى تأليف الحكومة الإريترية متواجدا فى إريتريا. وقد قدم المستر بانث تقريرا إلى الحكومة الإريترية مسجلا فيه تدخلات الحكومة الإثيوبية الفاضحة وتناقضاتها التامة.

وغضب ممثل الامبراطور الإثيوبى لهذا التقرير، ورفض مناقشة الجوانب القانونية التى تضمنها، فتحول التقرير إلى حبر على ورق.

وبالنظر لاستمرار الاعتداءات الإثيوبيه ضد القرار الفيدرالى والحكم الذاتى الإريترى والحريات العامة، وتجاهل الحكومة الإثيوبية لشكاوى الشعب الإريترى، عقدت جميع الاحزاب المؤيدة لقرار الأمم المتحدة مؤتمراً عاما في أكتوبر ١٩٥٣ لبحث الموقف وبعث المؤتمر إلى الأمين العام للأمم المتحدة فى ١٢/١٠/١٩٥٣ ببرقية تحت رقم ٥٨٤٦٥ ثم أردفها ببرقية إلى الامبراطور الإثيوبى تحت رقم ٥٨٤٦٦ أرسلت نسخه منها إلى وزير الخارجية الإثيوبية. وفى هاتين البرقيتين عبر أعضاء المؤتمر عن عظيم قلقهم للوضع الخطير فى إريتريا، وأسفوا للنتائج المشئومة التى لا مفر من ان تنجم عنه. وفوق ذلك طالبوا الامم المتحدة ان ترسل لجنة أخرى لدرس الحالة عن كثب.

ولكن الذى يؤسف له أن الامبراطور الإثيوبى والأمم المتحدة لم يعيرا الطلب الإريترى أذنا صاغية، فتدهور الوضع وافتضح امره.

احتجاجات من داخل البرلمان الإريترى

فى صبيحة يوم ٢٢ مايو عام ١٩٥٤ شرعت الجمعية الإريترية فجأة فى مناقشة موضوع الأسس الفيدرالية والحكم الذاتى الإريترى وذلك عندما أعلن رئيس الجمعية فتح باب المناقشة حول الخطاب الذى ألقاه رئيس الحكومة الإريترية وبالتحديد حول النقطة التى كانت تتعلق بتكوين لجنة بقصد الاتصال بالحكومة

الإريترية لمعرفة كل ما قد تفعله لتحقيق وتطبيق الفدرالية ونحن هنا ننقل نص حديث احد نواب الأمة الإريترية، ذلك الحديث الذى نشر فى جريدة (صوت إريتريا) في عددها رقم ٤٠ بتاريخ ١٩٥٤/٥/٢٨ الصادرة باسمرا عاصمة إريتريا، قال النائب بالحرف الواحد ما يلى:

(تستنكر هذه الجمعية فعل السلطة الفيدرالية فى محاولتها لإفساد أمانة الأعضاء الإريتريين الذى ينوبون عن الشعب وكذا أمانة موظفى الحكومة الإريترية تجاه نص وروح قرار هيئة الأمم المتحدة الصادر فى ٢ ديسمبر ١٩٥٠م وتدخلها بصورة مستمرة فى شئون إريتريا ومهامها الداخلية ملحقة بذلك ضررا كبيرا السلطة الإريترية ومسببه عقبات فى سبيل حسن سير الحكومة الإريترية هذا وأن الجمعية تأمر أيضا أن يحاط صاحب الجلالة الامبراطور الرئيس الأعلى للفيدرالية علما بمجريات الأمور ، حتى يتسنى له أن يفكر فى اتخاذ الخطوات التى يعتبرها ممكنة ضمانا للتمسك بالقرار وإذا لم تر الجمعية اتخاذ الاجراءات اللازمة فى هذا الصدد فى ظرف عشرين يوما فانها أى الجمعية تأمر الحكومة الإريترية لكى ترفع هذا الاقتراح الى الامم المتحدة فى الجوانب التى أسلسلها لكم كالآتى :-

١- أن الواجبات النيابيه والحقوق الوطنية ومراعاة الإنسانيه تجبرنا بأن نكون متعصبين للغاية فى المطالبة بحقوقنا وحمايتها .

ونحن نواب الأمة الإريترية نعلم جميعا جيدا بأن لنا حقوقا دستورية - تمكننا الاشتراك فى جميع العناصر والهيئات للحكومة الفدرالية سواء

أكان ذلك فى القسم القضائى أو التشريعى أو التنفيذى وحينما أقول القسم التنفيذى أقصد بذلك الدفاع والشئون الخارجية والعملة والمالية والمواصلات والتجارة بين البلدين. ونحن مع علمنا بأننا محرومون الى هذا اليوم من حقوقنا هذه استحسنا أن نصبر ولم نقدم أى طلب رسمى إلى صاحب الجلالة الامبراطور.

ولقد دل سكوتنا هذا على نسياننا التام للقسم الذى أيدناه لنحترم وندافع ونصون ونحافظ على حقوقنا ومصالحنا وكرامتنا.

أما نحن بسكوتنا هذا إزاء كل هذه الحوادث وعدم مطالبتنا الحصول على حقوقنا كاملة غير ناقصة : برهنا للعالم على أننا بالمهمة الملقاه على عاتقنا، وغير أكفاء للأمانه الملقاه علينا. والحقيقة ايها الأعضاء بعكس ذلك. اذ أننا لم نكن أغبياء ولا غير أكفاء إطلاقا بل مع علمنا واستنكارنا لكل ما حدث كنا نلتزم جانب السكوت فى انتظار ما سوف يفعله جلالة الامبراطور بصفته الرئيس الأعلى للفدرالية مؤملين منه أن يجعل الأمور تجرى فى مجراها بحل المشاكل بطريقة عادية ومضبوطه. ولكن بدلا من أن نرى مثل ذلك رأينا طول الانتظار وهدم حقوقنا يوما بعد يوم بطريقة مستمرة ومنظمة وان من يتسامح في حقوق بلاده ويظهر الضعف ولو للمرة الواحدة فانه يبقى أبد الدهر مزعزع العقيدة سقيم الوجدان.

٢- حوادث عصب والتدخلات فى شئون العمال الداخلية من جانب القوات المسلحة الإثيوبية بإطلاق النار على أفراد الشعب وازهاق أرواحهم سدى.

٣- الحوادث التى وقعت فى مصوع كنتيجة لتدخلات السلطات الفيدرالية فى أمور تذاكر العمال حتى كان نتيجة ذلك أن تقاتل الإريتريون مع بعضهم البعض.

٤- فرض الضرائب والرسوم على منتجات الملح رغم أن هذه المنتجات ضمن المنتجات الداخلية الإريترية.

٥- الحكم الصادر ضد الحكومة الإريترية من المحكمة التى تدعى بالمحكمة الفيدرالية والتى - بعملها هذا بعد أن تدخلت فى شئون إريتريا الداخلية - طبقت غرامة عشرات الآلاف من الدولارات على الحكومة الإريترية. بالرغم من أن هذه المحكمة لم يكن معترفا بها ولم يكن تأسيسها فى إريتريا مقبولا لامن الحكومة الإريترية ولا من الجمعية الإريترية.

٦- عدم المصادقة على القرار الذى اتخذته الجمعية الإريترية بخصوص تسجيل الاجانب المقيمين فى إريتريا وتطبيق أمور مخالفة لذلك بالاجبار.

٧- احتكار مواصلات إريتريا الداخلية والعقار المستحقة لها بدون سماح قانون من الحكومة والجمعية الإريترية.

٨- تهديد نواب الشعب الإريترى بواسطة الجريدة المسماه (إثيوبيا) التى أصبحت لسان حال السلطات الفيدرالية.

كانت تلك صرخة اطلقها احد نواب الشعب الإريتري في داخل البرلمان، وكانت هذه الصيحة المدوية تمثل رأي الشعب الإريترى بكامله.

وفى مطلع عام ١٩٥٤ عندما زار الامبراطور الإثيوبى إريتريا للمرة الثانية. وهناك تلقى سيلا من العرائض والشكاوى من جميع الأوساط والمنظمات تطلب من إثيوبيا أن ترخى قبضتها على إريتريا بغية إعادة الوضع السياسى إلى حالته الطبيعية، وللقضاء على الازمة الاقتصادية التى نشبت نتيجة لفرض ضرائب باهظة على الإريتريين المحرومين من موارد بلادهم الخصبة. وجدير بنا ان نذكر ايضا بان هذه الضرائب الثقيلة انما فرضت قسرا لتغطية النقص الحاصل فى الدخل نتيجة انكار إثيوبيا على إريتريا حصتها المشروعه من دخل الحكومة الفدرالية كالجمارك والمواصلات وغيرها. لكن الامبراطور الإثيوبى عملا باعتقاده الخاطئ بحل مشاكل الشعوب التى يستعمرها عن طريق الرشاوى والإحسان المفتعل اعلن اعفاء الإريتريين من ضرائب تلك السنة. وزعم انه دفعها من جيبه الخاص. ولم يعدل شيئا من سياسته القسرية ازاء إريتريا لا اقتصاديا ولا سياسيا، مع ان الشعب الإريترى لم يطلب منه ان يعفيه من الضرائب او ان يدفعها عنه، بل جل ماطلبه منه اعادة حقوقه إليه.

ودهشت الحكومة الإثيوبية وقلقت عندما رأت أنصار حزب (اندنت) السابقين الذين كانوا يطالبون بدمج إريتريا الى إثيوبيا أيام الكفاح السياسى قد انقلبوا بعد ان ذاقوا تجربة الحكم الإثيوبى الرهيب سنة واحدة الى دعاة للاستقلال.

ان ذاقوا تجربة الحكم الإثيوبى الرهيب سنة واحدة الى دعاة للاستقلال .

ولذلك لجأت إثيوبيا الى سلاحها القديم - سلاح الدين.

فألفت حزبا سياسيا صغيرا كان اعضاؤه كلهم من رجال الدين.

ووضعت هذا الحزب تحت رئاسة القس ديمطروس جبر مسقل الذى فرضته إثيوبيا أيضا فى منصب نائب رئيس البرلمان الإريترى، ليمارس بصفته المزدوجه كرجل دين ونائب رئيس البرلمان، نفوذا دينيا وسياسيا لدفع جزء من الشعب الإريترى الى قبول الاندماج إلى إثيوبيا. ولكن هذا الحزب الذى كان يفتقر الى اية دعامة فكرية او سياسية سرعان ما فشل، ولم يلق التأييد من جماهير الشعب الإريترى وطلائعه المثقفه.

وفى تلك الأثناء لجأت إثيوبيا الى سياستها التقليدية الثانية وهى إثارة الإرهاب. فأنشأت عصابات الشفتا في عام ١٩٥٤ كى تزرع الرعب والنهب والسلب بين المواطنين الذين يطالبون بحقوق بلادهم. وعالج رئيس الحكومة الإريترية آنذاك السيد تدلا بايرو أمر هذه العصابات بإعادة تنظيم الشرطة وتقسيمها إلى أربع قيادات كبرى تحت قواد إريتريين الذين قضوا بالفعل على نشاط هذه العصابات الإرهابية المأجورة ونجحوا فى نشر الامن والنظام.

وعندئذ شكى ممثل الامبراطور بتودد اندلكاتشو ماساى الى سيده هيلا سلاسى ضد هذا الإجراء الذى قضى على سلاح إثيوبيا الإرهابى، وبناء على ذلك استدعى الامبراطور رئيس الوزراء الإريترى إلى أديس أبابا وأمره بالغاء تنظيماته

للبوليس وبعزل ضباط البوليس الإريتريين الذين يعملون لاستتباب الأمن والنظام. واضطر رئيس الوزراء الإريترى تحت تهديد تدخل الجيش الإثيوبى - ان ينفذ أوامر الامبراطور الإثيوبى، وألغى التنظيمات الجديدة للبوليس. ونتيجة لذلك وجد الإرهابيون الإثيوبيون السبل مفتوحه أمامهم لمارسة الإرهاب ضد المواطنين الإريتريين الأحرار دون أن يخشوا طائلة القانون، وشل الإرهاب حرية الأحزاب السياسية المستقلة، وحرمها من حرية العمل.

نظرا للاعتداءات الإثيوبيه المتعاقبه التى بيناها فى الحلقات السابقة والتى استهدفت القضاء على الكيان الإريترى وبعد أن أدرك البرلمان الإريترى إخفاق رئيس الوزراء الإريترى فى اقناع الامبراطور الإثيوبي بأن يقوم علاقاته مع إريتريا ويصححها حسب قرار الامم المتحدة، أصدر البرلمان فى جلسته الثلاثين بتاريخ ٢٢/٥/١٩٥٤ بأغلبية ساحقة قرار طلب فيه من رئيس الوزاراء الإريترى ان ينذر الحكومة الإثيوبيه بوجوب إعطاء الضمانات اللازمة لسيادة الدستور الإريترى، ولتطبيق قرار الامم المتحدة والمرسوم الذى اقره الامبراطور والمذكور في الفقرة ١٣ من القرار الفدرالى. واضاف قرار البرلمان إلى ذلك أنه إذا فشل رئيس الوزراء الإريترى فى أن يحصل خلال عشرين يوما على وعد من الحكومة الإثيوبيه بالتعاون المخلص فى تطبيق قرار الامم المتحدة فان على رئيس الوزراء الإريترى عندئذ أن يطلب إلى الأمم المتحدة أن تتدخل فوراً.

وحضر هذه الجلسة رجال الصحافة المحليون والدوليون ومراسلو وكالات

الأنباء، كما حضرها المستر ألبرت ريد ، مندوب الامم المتحدة لدى القضاء الإريترى الذى انشأته الامم المتحـــدة.

وقد استبد الغضب بممثل الامبراطور الإثيوبى لدى تسليم نسخه من قرار البرلمان إلى مندوب الأمم المتحدة. ولدى نشره فى الصحف المحلية والأجنبيه. واتخذ ممثل الامبراطور تدابير زجرية مخالفة كل المخالفة للمبادئ الديمقراطية وقرار الأمم المتحدة. وعندما شعر أعضاء البرلمان أن موجة الارهاب كانت تشتد يوما عن يوم وأن الخطر كان يتهدد السلطات الحكومية الإريترية وعلى رأسها رئيس الوزراء وبعد مضى مهلة العشرين يوما أصدر أعضاء البرلمان ملحقا لقرارهم وسلموه بتاريخ ١٠/٦/١٩٥٤ إلى مندوب الامم المتحدة ليسلمه بدوره إلى الامين العام للأمم المتحدة.

وفى تلك الظروف اجتمع البرلمان الإريترى فى دورته رقم ٣٢٨ واصدر قرارا باغلبية ٣٠ صوتا ضد ١٠ أصوات وأبرقوا برقية برقم ٤٤٩٣ إلى الامبراطور يطلبون وضع حد لاعتداءات إثيوبيا. وجوابا على هذه البرقية قال ممثل الامبراطور أن أعضاء البرلمان لم يكونوا يمثلون غالبية المجلس، وأن قرارهم لذلك لا عبرة له. ثم استمر فى سياسته الارهابية حتى اسقطت الحكومة الإريترية الاولى التى كان يترأسها السيد تدلا بايرو.

فى أغسطس ١٩٥٥ قدم رئيس الوزراء الإريترى ، السيد تدلا بايرو ، الذى كان يحاول الحفاظ على استقلال إريتريا الذاتى، استقالته تحت ضغط وتهديد الامبراطور الإثيوبى الذى استدعاه إلى أديس أبابا ووجه إليه تهمة العمل من أجل

استقلال إريتريا. وخلا الجو بذلك لممثل الامبراطور، الدكتاتور بتودد اندلكاتشو ماساى، فعين نائبه، اسفها ولد ميكائيل، رئيسا للوزارة الإريترية عن طريق البرلمان الصورى، ووجه اسفها الضربة الاخيرة لاستقلال إريتريا الذاتى.

وكان أسفها ولد ميكائيل عميلا للحكومة الإيطالية الاستعمارية، ودخل إثيوبيا فى عام ١٩٣٦، مع الجيوش الإيطالية الغازية، ولما اعادت القوات البريطانية الامبراطور الإثيوبى الى عرشه، اظهر اسفها استعدادا لخدمة الامبراطور فى مجاله المعروف نظير دفع ثمن خدمته له.

ورحب به الامبراطور الذى يحيط نفسه دائما بالعملاء والجواسيس، وعينه رئيسا لجماعة من الإريتريين المقيمين بأديس أبابا الذين أطلق عليهم اسم حزب ضم إريتريا إلى إثيوبيا، وأمده بالمال الوفير لشراء ضعاف النفوس وكسب تأييدهم. وكان أسفها وعصابته يستخدمون فى تلك الفترة الواقعه بين عامى ١٩٤٤ و ١٩٥٢ أساليب لا أخلاقية وجرائم وحشية واغتيال العناصر الوطنية فى ظروف سرية وغامضه.

وعندما تحقق لإثيوبيا حلمها الاستعمارى بالسيطرة على إريتريا فى عام ١٩٥٢، عينه الامبراطور نائبا لممثله فى إريتريا فأنشأ شبكة ضخمة للجاسوسية. ثم عينه فى عام ١٩٥٥ رئيسا للحكومة الإريترية ثمنا لخدماته المخلصة. وبتولى أسفها لرئاسة الوزارة الإريترية، ازداد الارهاب بشكل لامثيل له، ومنعت من العمل جميع الأحزاب السياسية.

وصاغ أسفها نظام إريتريا الداخلى فى قالب النظام الاقطاعى الإثيوبى، وأنشأ مجموعات من البرجوازيين العملاء المرتزقة الذى يفتقرون الى العلم بغية كسب عمالتهم واتخاذهم واجهات سياسية لخداع الرأى العام بهم، واضطهد هؤلاء العملاء العمال والمزارعين الإريتريين واستغلوهم أبشع استغلال تحت حماية الجيش الإثيوبى. وأنشأ أسفها قانون الطوارئ رقم ١ لعام ١٩٥٥ وأباح به لنفسه سلطة اعتقال أى مواطن إريترى وسجنه بدون محاكمة لفترة تمتد من ٣ أشهر إلى ١٨ شهرا. وبكلمة واحدة كان حكم أسفها صورة صادقة لحكم سيده الامبراطور الإثيوبى، حكم الغاب والارهاب والسجن والجوع والتقتيل.

فى أغسطس ١٩٥٥ استطاعت كتلة النواب الاحرار فى البرلمان الإريترى- رغم قلتها العددية - أن تفرض على السلطات الاستعمارية الإثيوبية رأيها عن طريق الضغط الشعبى الهائل بتعيين أحد اعضائها البارزين وهو السيد إدريس محمد آدم، رئيسا للبرلمان الإريترى، بعد أن ابعدت الرئيس السابق، على موسى رادآى الذى كان ذيلا للسلطات الإثيوبية. وحاولت كتلة النواب الاحرار، يدعمها الرئيس الوطنى الحر أن تحقق تطبيق قانون الانتخاب الدستورى لإريتريا. فطلبوا فى ١٩٥٦/٨/١٥ في جلسة للبرلمان مناقشة الانتخابات المقبلة وسن قوانين ضرورية ملحقة بقانون الانتخاب الذى وضعه المستشارون القانونيون لمندوب الأمم المتحدة. ولكن الحكومة الإثيوبية نجحت عن طريق عملائها فى إبطال هذا القانون الديمقراطى الذى كان مطابقا للدستور ولقرار الأمم المتحدة والذى كان يعهد

بالإشراف على الانتخابات إلى لجنة تؤلفها المحكمة الإريترية العليا لضمان حرية الانتخابات ونزاهتها، كما هو وارد في الفقرات ١٦ و ١٧ و ٢٠ و ٣٥ من الدستور الإريترى المستمدة من الفقرتين ٧ و ١٢ من قرار الأمم المتحدة. كما ينص هذا القانون على اجراء الانتخابات بطريقة مباشرة تبيح لكل مواطن حق الادلاء بصوته عن طريق اقتراع سرى، كما هو معروف فى كافة أنحاء العالم.

ونجحت إثيوبيا عن طريق عملائها فى البرلمان الإريترى الصورى الذى تم تعيينهم بواسطة الادارة البريطانية فى عام ١٩٥٢ عن طريق انتخابات غير مباشرة من زعماء القبائل والدين الموالين بحكم مصالحهم للسلطات الحاكمة، نجحت فى إقرار المنشور رقم ١٢١ الذى كانت تطبقه الادارة البريطانية عندما كانت إريتريا مستعمرة، وانهى مفعوله بموجب الفقرة ١٣ من قرار الأمم المتحدة وهذا القانون البريطانى يجعل الإشراف على الانتخابات فى يد السلطة التنفيذية، اى فى يد أسفها، رئيس الوزراء العميل، كما ينص أيضا على اجراء الانتخابات بطريقة غير مباشرة، أى بالتعيين من زعماء القبائل والدين الذين هم موظفو السلطة التنفيذية وأدواتها الطيعة، ومن ثم ترتب على ذلك اقامة برلمان صورى معين بواسطة الحكومة الإثيوبية من موظفيها وعملائها الذين يخدمون مصالحها التوسعية في إريتريا. وهذا النوع من البرلمان مألوف في كثير من البلدان المستعمرة، تقيمها السلطات الاستعمارية لتكون ستارا يخفى تسلطها وإرهابها، ويضفى على عدوانها الاستعمارى طابعا من الدستورية الشكلية !!

وقد تقدم أبناء الشعب الإريترى بعريضة إلى المحكمة الإريترية العليا التى كان يترأسها آنذاك شخص عرف بالنزاهه واحترام القانون، يطلبون حكم المحكمة فى قانونية اعادة الحكومة للقرار البريطانى رقم ١٢١ للانتخابات. وأصدرت المحكمة حكمها القاضى بعدم قانونية الاعلان رقم ١٢١ لتناقضه مع الدستور وبأن الانتخابات يجب ان تجرى باشراف لجنة عليا تؤلفها المحكمة العليا طبقاً للفقرة ٤٥ من الدستور. ثم وجهت المحكمة العليا اللوم الى رئيس السلطة التنفيذية والبرلمان على مخالفتهما لنصوص الدستور. واستنادا الى هذا الحكم، فان كل حكومة او برلمان يؤلف بموجب الاعلان رقم ١٢١ البريطانى تكون غير دستورية ويكون من شأنها ان تؤدى إلى إثارة مشاكل ونزاعات غير مستحبه. وصدر الحكم تحت رقم ٢٢٥٨ المؤرخ فى ١٩٥٦/٦/٢٩ ولكن الحكومة الإثيوبية التى ليس من دأبها احترام القانون أجرت الانتخابات تحت اشراف عميلها اسفها فى سبتمبر ١٩٥٦، فى جو غير قانونى وخلقت برلمانا اكثر صورية وعمالة من البرلمان السابق.

قبل إن تكتمل الدورة البرلمانية الأولى فى سبتمبر ١٩٥٦ تقدمت الحكومة الإثيوبية بمشروع قرار إلى البرلمان الإريترى لتعديل الدستور بالغاء اللغتين الرسميتين - العربية والتجرينيه وإلغاء العلم الإريترى. كذلك طلبت تعيين رئيس الوزراء الإريترى من قبل الامبراطور مباشرة. غير أن رئيس البرلمان الوطنى الحر، السيد ادريس محمد آدم، كشف هذه المؤامرة الإثيوبية للشعب قبل أن تطرح أمام البرلمان الصورى، مما أثار ضجة شعبية كبيرة. فالشعب الإريترى لن يرضي بغير

لغتيه الوطنيتين، العربية والتجرينية بديلا، كما انه لن يرضى بتنكيس علمه الوطنى، رمز وجوده واستقلاله. وعلى اثر تلك الضجة الشعبية سحبت الحكومة الإثيوبية مطالبها، ولكن نقمتها على السيد إدريس محمد آدم قد تضاعفت، فتآمرت عليه عن طريق عملائها فى البرلمان حتى أبعدته عن الرئاسه، وأفسحت المجال لمؤامراتها بعد أن نصبت الموالى لها حامد فرج كرئيس للبرلمان.

وجاء برلمان الدورة الثانية على الشكل الذى يخدم أطماع إثيوبيا، عملاء من الطراز الأول. وأفلت عن دائرة العمالة ممثل مدينة مصوع التى جرت فيها انتخابات مباشرة أدت إلى فوز السيد عثمان أحمد هندى الذى ظل لمدة ثمانية أعوام الصوت الوحيد المدافع عن حقوق إريتريا المسلوبة فى قاعة البرلمان المظلم بين تلك الاصوات الكثيرة التى أخرستها الرشاوى وتفضيل المصلحة الذاتية على المصلحة العامة أما الصوت الثانى وهو صوت نائب عصب السيد محمد عمر آكيتو، فقد حكم عليه بالسكوت، اذ اخرج السيد آكيتو من قاعة البرلمان الإريترى بواسطة البوليس فى سبتمبر ١٩٥٦، ثم منع من دخول قاعة البرلمان على الرغم من شرعية انتخابه. وبعث ناخبوه الذى لم تفلح فيهم رشاوى إثيوبيا، برقيات احتجاج إلى ممثل الامبراطور الإثيوبى ورئيس البرلمان الإريترى الصورى ضد إجراء منع دخول ممثلهم فى البرلمان. ورفعوا قضية إلى المحكمة الإريترية العليا التى كان يترأسها رجل قانون نزيه، وحكمت المحكمة بخطأ اجراءات السلطة التنفيذية وبشرعية عضوية السيد محمد عمر فى البرلمان. ولكن الحكومة الإثيوبية كعادتها تجاهلت حكم

المحكمة العليا وهددت السيد آكيتو بالسجن إذا حاول دخول البرلمان مرة اخرى. ورضخ العضو المحترم لحكم الغاب بعد أن فشل حكم القانون، وظل مقعده شاغرا حتى انتهت الدورة البرلمانية الثانية التى مدتها أربع أعوام. والجدير بالذكر ان السيد محمد عمر آكيتو كان من الأعضاء الأحرار البارزين في الدورة البرلمانية الأولى.

وهكذا فإن البرلمان الإريترى الجديد الذى تم تأليفه من زعماء القبائل فى سبتمبر ١٩٥٦، لم يكن إلا دمية إثيوبية تحركه متى شاءت وكيف شاءت. ويئس الشعب الإريترى من تلك الدمى البشرية وأصبح البرلمان نسيا منسيا، لا يجتمع إلا لماماً وفى مناسبات معينه وبدعوة من ممثل الامبراطور الإثيوبى.

وكان رئيس البرلمان الإريترى، حامد فرج، لا يهتم بشىء سوى مرتبه الكبير، كما كان يهتم بالالقاب والنياشين والهدايا التى كان يوزعها الامبراطور هيلى سلاسى بالجملة على جميع عملائه فى إريتريا كل عام. واتخذ أعضاء ذلك البرلمان الصورى التباهى بالألقاب الرخيصة والخرق البالية (الكابا) شغلهم الشاغل وتكونت حول حامد فرج مجموعه من الانتهازيين يدفعهم إلى تملقه التطلع الى الاثراء السريع عن طريق العمالة الرخيصة لإثيوبيا، تكونت طبقة جديدة من الرأسماليين.

ومر عام ١٩٥٧ متباطئا ثقيلا وكأنه دهر لا ينتهى. فالبرلمان حولته إثيوبيا إلى « ندوة اجتماعية » وجردته من كل سلطاته التشريعية بعد أن ملأته بعملائها، وأصوات الشعب اخرستها كمامات البوليس الخانقة فلا تسمع إلا الهمسات

الخافته، والصحف كلها معطلة، وجريدة الزمان الإثيوبية الوحيدة لا تذكر حرفا واحدا عن إريتريا، سوى خطاب العرش السنوى التقليدى الذى يلقيه ممثل الامبراطور فى البرلمان الصورى، ويذكر فيه التبرع الامبراطورى الذى يبلغ تقليديا مليون دولار إثيوبى لتكملة العجز فى الميزانية الإريترية حسب التقليد ايضا، وتنتهى الجلسة بالتصفيق الحاد من الدمى البرلمانية وبالشكر من نائب رئيس البرلمان القس ديمطروس جبر مسقل الذى كان يدير البرلمان رغم وجود رئيسه الصورى.

انقضى عام ١٩٥٧ بصمته الرهيب وأطل العام الجديد ببراكينه المتفجرة. فقد عاد وفد الشعب الإريترى من هيئة الأمم المتحدة برئاسة السيد محمد عمر قاضى بعد ان قدم مذكرة حوت شكوى الشعب الإريترى، وبعد أن اتضح له أن هيئة الأمم المتحدة لا تريد أن تتدخل فى المشكلة الإريترية التى كان القرار الفيدرالى السبب المباشر فى قيامها، إلا إذا عرضتها على المنظمة الدولية دول أعضاء فى الامم المتحدة.

وفى تلك الأثناء كانت الحكومة الإثيوبية قد تقدمت الى البرلمان الإريترى بقانون العمل الجديد الذى جعل العمال تحت رحمة الشركات والمستخدمين المستغلين الجشعين وجردهم من أقل الحقوق والضمانات والتعويضات. ونتيجة لذلك كله أعلن العمال إضطرابا عاما فى أسمرا ومصوع وبعض المناطق العمالية الأخرى. وبينما الوضع متأزم والمظاهرات العمالية والسياسية تملأ شوارع المدن الإريترية زار الامبراطور هيلى سلاسى إريتريا فاستقبله الشعب بالمظاهرات المعادية وأمطروه

بوابل من البرقيات التى طلبوا فيها سحب الجيش الإثيوبى من إريتريا وإيقاف العدوان الإثيوبى السافر على استقلال إريتريا الذاتى وعلى الحريات العامة. وكانت صيحات العمال ترتفع عالية مدوية ضد الانظمة الاقطاعية الإثيوبية الرجعية.

وفى الوقت الذى بلغ فيه نضال الجماهير الإريترية وتكتلها ذروته، دعا رئيس الوزراء الإريترى أسفها ولد ميكائيل العمال إلى الاجتماع فى كنيسة بقصد زرع بذور التفرقة بين المسلمين والمسيحيين، وأبلغهم بكلمة واحدة أن ينهوا اضرابهم فورا استجابة للرغبة الامبراطورية السامية، وقابل العمال كلامه بالسخرية والاستهزاء وقاطعوه بالتصفيق والتصفير حتى هجر المنصة غاضبا ومهددا وخرج العمال فى مظاهرة كبيرة ملأت شوارع أسمرا، ولكن سرعان ما تدخل البوليس والجيش الإثيوبى وفرقوا المظاهرة بالرصاص. واستمر العمال ثلاثة أيام فى مظاهراتهم التى كانت تفرق بالنيران حتى بلغ عدد القتلى والجرحى اكثر من ثمانين عاملا.

وتم فى شهر فبراير ١٩٥٨ اعتقال مايزيد عن أربعمائه من العمال والسياسيين من بينهم السيد محمد عمر قاضى الذى حكم عليه بالسجن عشرة أعوام، والشيخان المسنان الحاج سليمان أحمد عمر والحاج إمام موسى اللذان حكم عليهما بالسجن أربعة أعوام. وعندما تقدم المحامى جبر لؤل للدفاع عن هؤلاء المناضلين اعتقله البوليس فى قاعة المحكمة وزجوا به فى السجن لمدة ستة أشهر وسحبت منه رخصة عمله عقابا له على دفاعه عن معارضى الإرادة الملكية السامية. وساد حكم الغاب وانتهكت إثيوبيا حرمة القانون وقدسية القضاء.

بعد الاعتقالات الجماعية والسجون والتعذيب الوحشى الذى قامت به حكومة إثيوبيا فى إريتريا عام ١٩٥٨، وبعد ان سجنت وفد إريتريا إلى الأمم المتحدة ومحاميهم أيضا وتعذر على الشعب الإريترى ممارسة حق الدفاع الشرعى عن مطالبه المشروعه - ساد إريتريا جو من الصمت والرعب. فالطلائع النضالية الشعبية من سياسيين وعمال وطلبة قد أودعوا فى السجون، والمحامون الأجانب الذين ترافعوا فى القضايا ذات الطابع السياسى قد طردوا من البلد فى ظرف ٢٤ ساعة، أما المحامون الوطنيون فقد وضعوا فى السجون، كما أن ممثلى وكالات الأنباء الأجنبية الذين نقلوا أخبار الأحداث الجارية فى إريتريا قد أمروا بمغادرة البلاد.

وفى الوقت ذاته شنت إثيوبيا حربا شعواء على كافة معالم الكيان الإريترى، وركزت حربها على اللغتين الرسميتين لإريتريا العربية والتجرينيه. فمنعت طبع كتب جديدة بالتجرينيه التى هى لغة قومية قديمة، كما منعت استيراد الكتب العربية، واصبحت تصادر أى كتاب عربى يحمله أى مسافر قادم إلى إريتريا دون تمييز فى موضوعه، كما أبعدت عن وزارة المعارف الإريترية السيد سعيد سفاف (وزير الشئون الاجتماعية والمعارف السابق) بسبب استيراده كتبا مدرسية عربية من القاهرة، وأحرقت الكتب، فارتكبت جريمة بربرية ضد العلم لا تختلف فى معناها ومضمونها عن اعمال البرابرة المتوحشين أمثال هولاكو وجنكيز خان الذين أحرقو الكتب عندما اكتسحوا بغداد فى العصور الوسطى.

واستبدلت حكومة إثيوبيا كافة اللافتات المكتوبة بالتجرينية والعربية بلافتات مكتوبة بالامهرية والانجليزية. وأمرت أجهزة الدولة بإهمال الرسائل والفرائض التى تكتب بالعربية والتجرينيه، كما اضطهدت حاملى الثقافة العربية وخريجى الجامعات العربية، وخفضت درجة معاشهم إلى مستوى خريجى المدارس الامهرية الوسطى حتى تثبط مطامح الشعب الإريترى إلى دراسة ثقافته ولغته، وتفرض عليه «التمهير».

ومع ذلك فان حكومة إثيوبيا لم تعلن وقتئذ إلغاء العربية والتجرينيه رسميا حتى لا تثير مشاعر السخط الشعبى دفعة واحدة، ولكنها عمدت إلى سياسة التدرج فى محو الكيان الإريترى وتخريب البناء الوطنى.

وبجانب ذلك حذفت حكومة إثيوبيا شارات البوليس الإريترى وعلاماته الوطنية المميزه، واستبدلت الغزال وغصن الزيتون رمز المحبة والسلام، بأسد يهوذا حاملا الصليب ، وهو رمز البطش والعدوان والتعصب الدينى المقيت مما أثار غضب البوليس الأحرار الذين حاولوا مقاومة هذا العدوان فاستضافتهم السجون المظلمة. كل ذلك تم فى عام ١٩٥٨.

استمرت عملية تخريب الكيان الإريترى طوال عام ١٩٥٨ و ١٩٥٩، فشنت إثيوبيا حربا شعواء على لغتى إريتريا الرسميتين التجرينية والعربية.

وفى يوم من أيام ١٩٥٩ خرجت حكومة إثيوبيا فجأة بقرار تنكيس العلم الإريترى واستبداله بالعلم الإثيوبى. ونسجت خيوط هذه المهزلة فى جو من الكتمان، أدى أدواره الرئيسيه أسفها ولد ميكائيل رئيس الوزراء الإريترى، والقس ديمطروس

جبر مسقل، نائب رئيس البرلمان الإريترى. ففى أحد ايام ربيع عام ١٩٥٩ عقد البرلمان الذى كان قد دخل حينئذ فى دائرة النسيان والعدم، جلسة سرية حضرها ممثل الامبراطور الإثيوبى، بتودد اندلكاتشو ماساى رئيس الحكومة الإريترية ووزراؤه الصوريون، وكبار الموظفين والضباط الإثيوبيين. وتلا اسفها خطابا طويلا اعده وزير القصر الإثيوبى ووضع الامبراطور خطوطه الرئيسية بنفسه، ومؤداه أن إريتريا لم تكن ولن تكون كيانا مستقلا عن إثيوبيا، وبالتالى فإن وجود علم خاص بها لا ينسجم والمنطق التاريخى الإثيوبى وأن الأمم المتحدة عندما أقرت هذا العلم لإريتريا إنما حادت عن الصواب، ولهذا يجب إلغاء العلم الإريترى واستبداله بالعلم الإثيوبى!! هكذا كان تبرير إثيوبيا لعدوانها على العلم الإريترى الذى جاء نتيجة لارادة شعبية إريترية حرة اعترفت بها وأقرتها الأمم المتحدة بعد بحث طويل.

وبينما كان أسفها يلقى خطابه كان أعضاء البرلمان لا يفهمون معظم ما يقوله ولم يبلغوا أيضا هذا المشروع الجديد. ولكن نظرهم كان مركزا على القس ديمطروس وعلى حركات ايديه المألوفه التى تحدد عادة اتجاههم وأصواتهم.

وكانت إشارات القس تشير الى الموافقة على خطاب أسفها. ولما انتهى أسفها من إلقاء خطابه صفق له الموظفون والضباط الإثيوبيون، وتلاهم اعضاء البرلمان البلهاء الذين كانوا لا يستطيعون أن يدركوا أنهم إنما يصفقون فى مقبرة وأدت فيها رايتهم الوطنية رمز وجودهم القومى واستقلالهم الوطنى. ووسط الهتافات والتصفيق المفتعل انبرى صوت النائب الحر الوحيد السيد عثمان هندى

مطالبا بإجراء استفتاء شعبى حول هذا الموضوع الوطنى الكبير، لكن تلك الصيحة العادلة ضاعت في ضجيج الظلم ولم يلتفت الى كلامه أحد. وسجل كاتب البرلمان بلا مبالاة قرارا بانزال العلم الإريترى واستبداله بالعلم الإثيوبى، وانتهت الجلسة المفتعلة.

وضربت الحكومة الإثيوبية ستارا من السرية المطلقة حول أخبار مؤامرتها الكبيرة حتى صباح اليوم التالى عندما نشرت تفاصيلها صحيفة الزمان الحكومية الوحيدة. وقبل أن يطلع الشعب على الجريدة الحكومية شاهد فى الصباح الباكر الجنود الإثيوبيين يملئون شوارع العاصمة وكافة المدن الرئيسية فأدرك الشعب أن مؤامرة تحاك ضد وطنه. وبعد إعلان القرار منعت السلطات الإثيوبية التجمعات وبدأت باعتقال كافة العناصر القيادية الشعبية، فضمنت بذلك عن طريق العنف والإرهاب إسكات صوت الشعب الإريترى المقهور. وكذلك منعت تسرب أنباء هذه الفاجعة الوطنية خارج النطاق الحديدى الذى ضربته على إريتريا، فتمت الجريمة فى الظلام الحالك دون ان يدرك الرأى العام العالمى شيئا عنها.

وفي اليوم التالى أقام ممثل الامبراطور بتودد اندلكاتشو ماساى حفل عشاء لاذنابه البرلمانيين، وشكرهم على مساهمتهم فى تنفيذ المخططات الإثيوبية فى إريتريا، وقدم لكل منهم ألف دولار إثيوبى هدية من الامبراطور ثمنا لخيانتهم. وفرحوا بالدولارات التى طالما باعوا بها ضمائرهم الخربة، وانصرفوا شاكرين.

وفي احدى المناسبات سئل رئيس البرلمان حامد فرج عما إذا أجرى تعديل

دستورى بمناسبة إلغاء العلم الإريترى واستبداله بالعلم الإثيوبى، فرد ببلاهة أن البرلمان لم يلغ علم إريتريا وإنما غير الوانه بنفس ألوان علم إثيوبيا، واصبح بذلك علم إريتريا وأثيوبيا متشابهين فى الشكل واللون. ولما ضحك سائلوه من منطقه الصبيانى، استدرك مرتبكا (هكذا فسر لنا ممثل جلالة الامبراطور الامر، والله أعلم بالصواب)!!؟

وإزاء هذه الاعتداءات الإثيوبية المتكررة على الكيان الإريترى لم يجد الشعب الإريترى بدأ من إرسال وفد آخر الى الخارج ليبلغ الدول العربية الشقيقة والجامعة العربية وهيئة الامم المتحدة وكافة الشعوب المسانده لحقوق الإنسان، بمأساة الشعب الإريترى، وترأس هذا الوفد السيد إدريس محمد آدم، رئيس البرلمان الإريترى الذى تآمرت عليه السلطات الإثيوبية بسبب مواقفة الوطنية المشرفة وأبعدته عن الرئاسة، ووصل الوفد إلى القاهرة بعد أن تسلل عبر السودان خفية، وقدم العديد من المذكرات والبرقيات إلى الجامعة العربية وإلى هيئة الامم المتحدة والمؤتمرات الآسيوية الافريقية. كما قابل الوفد السكرتير العام الراحل للأمم المتحدة السيد همر شولد وأبلغه شكوى الشعب الاريترى، وكان الوفد يتكون من السيد/ المرحوم الشهيد إبراهيم سلطان على والسيد/ آدم ادريس نور.

الدمار الذى خلفه التدخل الإثيوبى فى إريتريا

١- أول نتائج التدخل الإثيوبى بإريتريا كانت الحرب الأهلية التى أشعلوها بين المسلمين والمسيحيين مستغلين النعرات الدينية.

٢- عندما كان شعبنا ينادى بالاستقلال تآمرت الدوائر الإثيوبية مع الدول الاستعمارية وزيفوا إرادته وفرضوا علينا النظام الفيدرالى والذى كان بمثابة استعمار ولكن فى ثوب جديد.

٣- عندما فرض علينا النظام الفيدرالى بواسطة الامم المتحدة لم تحترم الحكومة الإثيوبية هذا القرار الدولى ولكنها منذ اليوم الاول لتطبيقه بدأت تتدخل شيئا فشيئا وتنتقض من الفيدرالية وتمهد لاحتلال إريتريا

٤- لم تكتف إثيوبيا بخرق النظام الفيدرالى ولكنها أخيرا الغته نهائيا وضمت إريتريا بالقوة كما أوضحنا ذلك فى حديثنا الماضى.

٥- لم تقف المطامع الإثيوبية عند هذا الحد ولكنها وبعد أن احتلت إريتريا بقواتها وخلقت مستعمرة تابعة لها رسمت سياسة جديدة بعيدة المدى، الهدف منها القضاء على الشعب الإريترى نهائيا. ونتائج هذه السياسة الجديدة نلاحظها في مئات الآلاف من الإريتريين المشردين واللاجئين فى الخارج فى جمهورية السودان والصومال- جيبوتى- الجمهورية العربية اليمنيه- المملكة العربية السعودية. وكذلك فى الأعداد الكبيرة من الطلاب الإريتريين المنتشرين فى جمهورية مصر العربية- السودان- ليبيا- الكويت- العراق- سوريا- الجزائر وأوربا وأمريكا واستراليا. وهذه الآلاف من الإريتريين هربت من وطنها تحت ظروف رهيبة منها البحث عن العمل حيث ضاقت سبل العيش، ومنها البحث عن العلم حيث قفلت أبواب

التعليم أمام الإريتريين، ومنها بحثا عن النجاة من جحافل إثيوبيا التى بدأت تمارس في بلادنا ماكانت تمارسه جيوش التتار بالنسبة للشعوب الآمنه. فالقوات الإثيوبية تباشر عملية انتقام مستمر ضد شعبنا. فهى تقتل الابرياء من المواطنين وتحرق المحاصيل الزراعية وتنهب ما تشاء من المواشى والممتلكات. أيضا تنتزع إثيوبيا الأراضى الزراعية من أصحابها الذين عاشوا عليها طوال السنين هذا بالإضافة الى الالاف من المسجونين السياسيين الذين يتعرضوا لعمليات تعذيب وحشية وكثير منهم فقد حياتهم اثناء عمليات الاستجواب هذه هى الصورة الناطقة والتى كانت متكررة يومياً فى بلادنا ولم تحظ هذه الإجراءات التعسفيه بشىء من التأييد من الشعب الأريترى الذى نزح عدد كبير من عماله وطلابه إلى الخارج ليشكلوا فيما بعد نواة الحركة الثورية المسلحة ضد الاحتلال الإثيوبى وبداية جبهة التحرير الإريترية وقبل الجبهة ظهور حركة تحرير إريتريا.

حركـــة تحريــر اريتريــا

فى نوفمبر ١٩٥٨ تأسست حركة تحرير إريتريا أو جمعية السباعية ؛ لأنها كانت منتظمه على أساس خلايا سرية وكل خلية تتكون من سبعة أشخاص، واستطاعت حركة تحرير إريتريا تنظيم جماهير واسعة من الشعب الإريترى كما خرجت لأول مرة على الجماهير الإريترية بشعار جديد وهو : أن العنف الثورى هو الطريق الوحيد الذى يؤدى إلى الاستقلال وتحقيق الأمان القومى للشعب الإريترى - باعتباره الأسلوب الذى يتفق مع بطش وغطرسة كل مستعمر غاصب - وان الوحدة الوطنية هى الضمان الأكيد لنجاح الثورة الإريترية وهزيمة الاستعمار الإثيوبى. فكان تنظيم الحركة أول تنظيم سياسى إريترى يهدف إلى تحرير إريتريا وتحقيق الاستقلال الوطنى .

كما أشرنا أن الحركة بدأت بتنظيم العمال والطلاب فى السودان والقاهرة والسعودية ثم انتقلت إلى داخل إريتريا ، وتم تكوين خلايا سرية من سبعة أشخاص ضمت كل قطاعات الشعب وطوائفه بما فى ذلك رجال الشرطة الإريتريين الخاضعين للسلطات الإثيوبية وكان من أهم إيجابياتها تعبئة الجماهير الإريترية وعمقت فكرة الاستقلال الوطنى وتجاوز التقسيم الطائفى فى عملية التجنيد وتجميع طاقات الشعب .

وهكذا أصبحت حركة تحرير إريتريا، التراث الأول الذى استوعب كل الطاقات الإريترية لمواجهة الاحتلال الإثيوبى منذ بداياته ، على أن يكون التوجه نحو هدف واحد وهو محاربة الاستعمار الإثيوبى وتحقيق الاستقلال الوطنى.

وحددت حركة تحرير إريتريا الأهداف التى يجب أن تحشد لها كل الطاقات وهى :-

١- توحيد الشعب الإريترى.

٢- العمل من أجل استقلال إريتريا.

٣- تشكيل حكومة ديمقراطية بعد الاستقلال.

ولقد توجهت الحركة فى تلك الفترة بهذا البرنامج والأهداف إلى كافة الجماهير الإريترية منذ تأسيسها ، حيث بلغ الظلم الاجتماعى والاستبداد الإثيوبى مداه ، فكانت تنادى بالاستمرار بالنضال بشتى الوسائل حتى يتحقق الاستقلال التام لإريتريا ، وكان هدفها الأول الوحدة الوطنية الشاملة لانجاز مرحلة التحرر الوطنى بنجاح والتنظيمات وكل النشاطات الثورية والسياسية يجب أن تكون علي أساس قومى.

وكانت حركة تحرير إريتريا تؤمن بأن العلاقات بين الشعب الإريترى والإثيوبى يجب أن تكون علاقات وطيدة مع الاعتراف هناك مصالح مشتركة بين الشعبين، وأن الشعب الإريترى يكن كل تقدير ، ويؤيد تطلعات الشعب الاثيوبى الرامية للخلاص من النظام الذى يعانى فى ظله صنوفاً من الاضطهاد مؤمنا بأن إريتريا المستقله الكامله السياده تعتبر سنداً ودرعاً للشعب الاثيوبى المتحرر من القيود والاغلال.

إن منطلقات مفهومها الثورى يتلخص كالآتى:-

١- إن الثورة الإريترية ليست صنع أفراد أو جماعات تدعى بطولاتها ، ولكنها انعكاس طبيعى للواقع المؤلم الذى يعيشه الشعب والرامى لاذلاله وطمس كينونتـه.

٢- إن هدفهم هو تحقيق الاستقلال ووحدة الأمة الإريترية والأرض.

٣- ان مفهوم الاستقلال هو تغيير من حياة البؤس بالنسبة لطبقات الشعب المختلفة الى حياة أفضل.

٤– ان الثورة الإريترية ليست محدودة الإفق ، ولا محلية التأثير ولكنها جزء من الثورة العالمية من أجل التقدم ورخاء الانسان .

ومن اهم الأهداف التى ناضلت من اجلها الحركة:–

١– الاعتماد على الشعب باعتباره المعين الذى لا ينضب .

٢– توعية وتعبئة وتنظيم الجماهير حتى تصبح قوى حاسمه للوجود الاستعمارى.

٣– ربط الجماهير بمطالبها الحيوية التى تناضل من اجل تحقيقها بعد مرحلة التحرر الوطنى.

٤– الوصول بالنضال الإريترى إلى مرحلة حرب التحرير الشعبية والتى تعتبر قمة الرفض الأبدى للوجود الاستعمارى ..

٥– سير العمل العسكرى والسياسى جنباً الى جنب لمواجهة الاحتلال الإثيوبى.

هذه هى المنطلقات والاهداف التى تأسست حركة تحرير إريتريا من أجلها وناضلت نضالاً طويلاً ضد الاستعمار الإثيوبى حتى بروز جبهة تحرير إريتريا، ولقد لعبت دوراً ايجابياً كبيراً فى تعبئة الجماهير الإريترية سياسياً وتنظيمياً وخاصةً فى داخل إريتريا، فقد أقلق نشاطها الحكومة الاثيوبية فاعتقل عدد كبير من أفرادها، وعذب المئات منهم حتى الموت، والبعض الاخر لجأ الى خارج أرض الوطن لمواصلة نضالهم لفضح التآمر الإثيوبى ، وواصلت الحركة نضالها فى الخارج حتى بروز جبهة تحرير إريتريا وكان من أبرز قياداتها السيد المناضل محمد سعيد إدريس ناود مؤسس الحركة وزعيمها، والسيد ولد آب ولد ماريام وطاهر

إبراهيم فداب ومحمد صالح محمود، وياسين محمد صالح عقده. وقد اتحدت مؤخراً فى إطار وحدة اندماجية مع جبهة التحرير الإريترية قوات التحرير الشعبية في عام ١٩٧٠ بعد خلافات دامت طويلاً، واصبح السيد ناود من الزعماء البارزين لقيادة قوات التحرير الشعبية، بجانب رئيسها الزعيم الشهيد عثمان صالح سبى.



المناضل محمد سعيد ناود يلقى كلمة فى إحدى الندوات عن إريتريا

الفصل الرابع والأربعون
بداية تأسيس جبهة التحرير الإريترية

فى مستهل عام ١٩٦٠ بلغ التسلط الإثيوبى ذورة العنف والاستبداد. فالحريات العامة قد حرمت تحريما كاملا، والعمل السياسى المعلن قد منع منعا قاطعا، والعناصر القيادية من ساسة وشباب قد وضعت فى غياهب السجون. وعم التوتر كافة أبناء إريتريا، ولم يجدوا مندوحة من اللجوء الى النشاطات السرية، فبذلت طلائع الشعب من ساسة وطلبة وعمال مجهودات صادقة لاقامة منظمة ثورية سرية تعمل بوعى وادراك من أجل استقلال إريتريا، ومن خلال تلك المجهودات انبثق تنظيم (جبهة التحرير الإريترية) الذى جاء فى ديباجة دستوره ما يلى : بعد ان فشلت كل المحاولات التى بذلها شعبنا من أجل الوصول إلى حل سلمى، تحتم عليه اعتناق منطق الثورة للخلاص من براثن هذا الاستعمار الجديد. فتأسست جبهة التحرير الإريترية ، استجابة للأحاسيس العميقة عند جماهير شعبنا التى آمنت بالنضال المسلح طريقا للاستقلال. وتعلن الجبهه فى هذا الدستور الثورى أن الهدف المتوخى هو الاستقلال الوطنى، وأما الوسيلة فهى الثورة المسلحة).

واخذت الجبهة فى سنتها الأولى تتحرك على جبهة عريضة من الاتصالات بكل القوى الوطنية مجندة العناصر الثورية فى تشكيلات سباعية سرية فى داخل إريتريا وبين صفوف العمال المشردين في البلدان المجاورة. ووجدت جماهير الشعب الإريترى فى قيام الجبهة املا يضىء لها طريق النضال بعد أن كادت السلطات الاستعمارية الإثيوبية أن تقتل كل أمل فى النضال والتحرر.

وبذلت الجبهة فى عامها الأول مجهودات عظيمة من أجل توفير الحد الادنى

من السلاح ، ثم الشروع فى المعركة الحقيقية ضد الوجود الاستعمارى الإثيوبى. وبينما كانت الجبهة تمارس نشاطاتها السرية فى عام ١٩٦٠ كانت إثيوبيا تنسج مع عملائها آخر خيوط مؤامراتها ضد الكيان الإريترى. فألغت الأختام والشارات الإريترية، كما استبدلت لقب رئيس الوزراء الإريترى بحاكم الإدارة المحلية، وإعادت تعيين البرلمانيين العملاء لدورة ثالثة شكليا، ولكن السلطة التشريعية الإريترية كانت قد تجاوزت حيز الوجود وامست فى حكم العدم. وفى تلك الاثناء قام طلبة إريتريا بمظاهرة ضخمة فى أسمرا هتفوا فيها باستقلال إريتريا وبالافراج عن المسجونين السياسيين. وقام بعض الشباب بدافع الغيرة الوطنية بمحاولة عفوية لاغتيال القس ديمطروس ادت الى استشهاد اثنين منهم ومقتل بعض مرافقى القيس. وفى أول سبتمبر ١٩٦١ اعلنت جبهة التحرير الإريترية الثورة المسلحة بقيادة البطل حامد إدريس عواتى.

وقبل أن نخوض فى شرح الانجازات العسكرية والسياسية التى حققتها الجبهه خلال السنوات الأولى ، يجدر بنا أن نقدم فكرة عامة عن الهيكل التنظيمى والدليل النظرى للجبهة.

ان جبهة التحرير الإريترية هى اطارا وطنيا يضم كل عنصر مناضل وكل تيار ثورى وكل قوة وطنية إريترية ارتضت شرط الالتزام بالاستقلال التام هدفا للنضال الثورة وبالقتال المسلح طريقا له. فالجبهه إذن ليست حزبا سياسيا ولا هى تجمع لاحزاب سياسية سابقة ولكنها تجمع ثورى وطنى. وقد امتصت كل ايجابيات التنظيمات السياسية السابقة واستفادت من محاسنها واخطائها، ثم تخطتها حجما وفعلا وانفتاحا على كل جماهير الشعب الإريترى بغض النظر عن معتقداتها الدينية او تقسيماتها القبلية أو الإقليمية .

وقام تنظيم الجبهه على أساس تنظيم هرمى قاعدته الخلايا السرية المنتشرة فى إريتريا وقمته المجلس الأعلى، وبينهما الأجهزة المتدرجة المسئولية من لجان فرعية تدير الخلايا السرية وتنظمها، ثم قيادة ثورية تتحمل مسئولية إدارة العمل المسلح وتستوفى حاجاته العسكرية والدعائية وفقا للسياسة العامة التي يرسمها المجلس الأعلى. ويمارس جيش التحرير الإريترى مهامه الثورية وفق المخططات والتعليمات الصادرة من جهاز الجبهة المسئول. وترتبط اجهزة الجبهة المختلفة بأنظمة دقيقة تحدد مسئولياتها ومهامها وتؤدى واجباتها في تناسق وانسجام ويدير هذه الاجهزة كادر من الشباب الثائر المثقف الذى يحركه صدق ثورى لأحد له وإحساس بالمسئولية فيه كل العمق والوضوح ، شباب جعلوا قضيتهم الوطنية قدرهم ومصيرهم فهانت عليهم أرواحهم وضحوا بكل ما يملكون فى سبيل انتصار قضية الشعب.

وأقرت الجبهة عبر مؤتمراتها العديدة دليلا نظريا للثورة يرسم المقاييس الفكرية الموضوعية لسلامة اتجاهاتها، وحددت الاهداف التالية المتكاملة للثورة الوطنية فى إريتريا.

١- الاستقلال الكامل عن إثيوبيا بكل جوانب وجودها السياسى والعسكرى.

٢- تقويض كل النظم الاقتصادية والسياسية والثقافية التى خلقها الاستعمار المتعاقب فى إريتريا، وبناء نظم جديدة تستهدف تحقيق العدالة الاجتماعية وتوجيه الاقتصاد توجيها منهجيا يمنع الاستغلال وسيطرة رأس المال، وانتهاج سياسة تحررية وتقدمية فى الداخل والخارج، ووضع برامج تعليمية جديدة تنبثق من حاجة الامة فى تعميم التعليم ومجانيته ومحو الامية والعناية بالثقافة الوطنية وتأكيد العربية والتجرينية لغتين رسميتين لإريتريا.

٣- التوجه فى طريق الديمقراطية الوطينة كمدخل لربط العمل الوطنى في إريتريا بالمجهودات الوحدوية والتضامنية الكبرى على المستوى الافريقى العام وعلى المستوى العربى بما يحقق المصالح المشتركة.

فى هذه الحلقة نواصل عرضنا للاسس التنظيمية التى قام عليها جهاز جبهة التحرير الإريترية. فحين تكونت الجبهة كان تنظيمها الشعبى أقرب إلى النواة ذات الحجم المحدود ، إلا أن صورة الجبهة بعد عامين من الكفاح المسلح، فقد جندت الجبهة فى صفوفها آلافا من المناضلين الإريتريين وامتد تنظيمها واتسع من أم حجر غربا إلى عصب شرقا، وتدفقت على الجبهة جموع الفلاحين والعمال والمثقفين والمهاجرين المتشردين في البلاد المجاورة، ذلك انها وضعت السلاح فى يد الشعب ليقاتل بدمه وليس بالكلام من أجل هدف واضح لا تخدشه التحفظات ولا تمتص مضامينه الحقيقية انصاف الحلول والمساومات، كما أدارت الجبهة ظهرها لكل أوهام العمل السلمى نهائياً.

وفى عام ١٩٦٣ اقتضت قفزات الثورة المتلاحقة الى تطوير انظمة الجبهة بشكل دائب، وتقرر ان يتفرغ قطاع كبير من العناصر القيادية من طلبة جامعيين وزعماء سياسيين وعمال واعين وضباط مدربين لتلبية مهام الثورة والاضطلاع بمسئولية تعبئة الجماهير.

أما على الصعيد العسكرى فقد قفز القتال المسلح من مستوى المناوشات التى بدأت بها قوات جبهة التحرير الإريترية بقيادة البطل حامد ادريس عواتى بامكانيات عسكرية وبشرية ضئيلة إلى مستوى الحرب التحريرية التى تغطى معظم مساحات إريتريا ومسالكها. ولم يكن هذا الاتساع الجغرافى فى مناطق القتال هو التطور الوحيد الذى أنجزته المعركة المسلحة، بل إن تطورات أخرى أساسية قد

دخلت المعركة المسلحة لتنقلها نهائيا من الصعيد المحدود الذى انطلقت منه، حيث بدأت الثورة فى المنطقة الغربية، الى صعيد حرب قومية تشترك فيها كافة الاقاليم والطوائف الإريترية ، ويحارب فيها المسيحى بجانب اخيه المسلم الذى تجمعه به رابطة الوطن والمصير، كما يحارب فيها السهاوى والدنكلى والسمهرى فى الشرق بجانب أخيه البنى عامراوى والمارياوى في الغرب دون أى تمييز.

ونتيجة لهذا التطور الثورى الذى أحرزته الجبهة فرضت الحقائق الموضوعية على كافة أبناء إريتريا أن الجبهة هى التنظيم الوحيد الذى يمثل العمل الوطنى. وهكذا استطاعت الجبهة عبر النضال اليومى المسلح والغزو السياسى المنظم لجماهير الشعب فى استقطاب كل القوى المناضلة حولها، وصدق تخطيطها العام الذى استلهمته من الأحداث التى سبقت فى ثورة كوبا والجزائر وفيتنام بأن القوة حتى ولو مارسها مئات من محاربى الجبال تؤدى بالضرورة الى نتائج عظيمة وتحقيق تحرر الشعوب واستقلالها.

ومع ذلك فإن هذا التقدم المستمر لم يتم احرازه إلا وسط ظروف شائكة ودروب مزروعة شوكا وصعابا. وسوف نشرح قصة الثورة الإريترية وما حققته من مكاسب فى الميادين العسكرية والسياسية والعقبات التى صادفتها والمجهودات التى كانت تبذلها من اجل تحقيق مطامح الشعب الإريترى وامانيه المشروعه فى الاستقلال.

بدأت الثورة المسلحة التى أعلنتها جبهة التحرير الإريترية فى أول سبتمبر ١٩٦١ بامكانيات عسكرية ضئيلة وحاصرتها المشاكل العسكرية والسياسية بشكل لامثيل له فى تاريخ الثورات. فالعدو الإثيوبى الذى شعر بدنو الخطر على وجوده جند قوات ضخمه لقتال الثورة فى المهد، ولم تكن الجبهة قد امنت وسائل التموين

والإمداد، كما كانت الامكانيات المادية ضئيلة، ومع ذلك فان الثورة استطاعت أن تمضى قدما إلى الإمام بخطا ثابته.

لم يهتم أولئك المناضلون الصابرون بتحقيق مكاسب عسكرية قدر ما اهتموا بتوعية الخزان الكبير من أبناء الريف وتربيتهم السياسية حتى تمكنت الثورة فى مدى عدة أشهر من الاعتماد على الشعب فى الارياف كمادة بشرية تغرف منها وقوة تنهض بأعبائها التموينية والاستخبارية والدفاعية.

وكان رد الفعل الاستعمارى عنيفا للغاية، فالثورة المسلحة المنظمة مهما صغر حجمها وامكانياتها تشكل بالضرورة خطرا حقيقيا على الوجود الاستعمارى أكثر من أى مقاومة سياسية سلمية مهما كبر حجمها واتسع مداها. لذلك جندت السلطات الاستعمارية الإثيوبية قوات خاصة أطلقت عليها اسم قوات (الميدان لتصفية الخارجين عن القانون) كلفت تلك القوات التى جعلت (هيكوتة) مركزاً لها بتصفية الثورة قبل أن يمتد لهيبها إلى كافة انحاء إريتريا، فحاولت تلك القوات أن تقوم بعمليات تطويق على شكل حلقة واسعة تحيط بمنطقة الثورة من كافة الاتجاهات وتضيق تدريجيا حتى تحصر الثوار فى مساحة ضيقة من الأرض وتجهز عليهم من كل جانب. وكلف الكولونيل محمد ناصر الذى عرف برصيده الضخم فى خدمة الاستعمار أن يضع خطة التطويق. وفى مستهل عام ١٩٦٢ دخل المخطط الاستعمارى لتطويق الثورة حيز التنفيذ وبدأت قوة إثيوبية لا تقل عن ١٥٠٠ جندى ومجهزة بأحدث الأسلحة بمحاصرة قوة من المناضلين الأحرار لا يزيد تعدادهم العشرات وعدتهم البنادق الايطالية القديمة التى عفى عليها الدهر وأبلتها الأيام، ولكنهم مسلحون بسلاح الايمان الذى لا يقهر والذى يتحدى أضخم الأسلحة والقوات. والتحم الجانبان في معارك متوالية فاتضح لقوى الاستعمار والظلم خطأ تقديراتها وخاب أملها فى تصفية الثورة بمناوشة أو مناوشتين، وأسفرت المعارك

الاولى عن مقتل العشرات من جنود الأعداء المستعمرين مقابل استشهاد خمسة من الثوار الأبطال. وفشلت خطة التطويق الاستعمارية وخرج البطل المغوار حامد إدريس عواتى برجاله من الحصار ليفاجئ العدو بكمائنه وهجماته المحكمة الموفقة التى أقضت مضاجع المستعمرين وأقلقت بالهم وحطمت أعصابهم، فقاموا يستأسدون على الشعب الأعزل من الرعاة والفلاحين ويشبعونهم ضربا ولكما وتعذيبا، فزادوا بذلك نقمة الشعب عليهم الذى ازداد التصاقا بثورته وتعاونا مع أخوته المناضلين. وكسبت الثورة الجولة الاولى فى بدايتها الرائعة.

يعود فشل خطة الاستعمار الإثيوبى فى حصر الثورة وتصفيتها عسكريا بالدرجة الاولى إلى طبيعة الثورة، فهى أولا إنما انبثقت عن إرادة شعبية عريضة تعمل للتخلص من السيطرة الإثيوبية البغيضة، وهى لذلك تمتعت منذ البداية بالتأييد الشعبى المطلق، ووجدت فى أبناء الريف الحماية والمؤن والدعم المادى والمعنوى الصادق. وبالمقابل وجدت القوات الاستعمارية الإثيوبية الاعراض والتصدى من كافة قوى الشعب وتعذر عليها الحصول على المعلومات والمؤن عن طريق الارهاب والعنف، فأصبحت تحارب فى أرض معادية وتعيش بين شعب يكن لها العداء ويختلف عنها لغة وثقافة وأسلوبا فى الحياة. علاوة على ذلك فان تضاريس إريتريا تقدم لحرب العصابات أرضاً مناسبة وظروفا ملائمة. فطبيعتها المتنوعة من غابات كثيفة ومرتفعات جبلية وعرة ومناطق صحراوية صعبة المسالك تمنح حرب الكر والفر قدرة هائلة فعالة، بينما تعيق تقدم الجيوش الإثيوبية النظامية بمعداتها الثقيلة وتجعلها هدفا سهل المنال للثوار. وفوق ذلك فإن الجندى الإثيوبى المدفوع الى هذه المعركة بواسطة رؤسائه الاستعماريين لا يؤمن بضرورة القتال ضد شعب مسالم يتطلع إلى حقوقه العادلة فى الحياة وتنخفض روحه المعنوية نتيجة لذلك.

وفى أبريل من عام ١٩٦٢ انضم الى صفوف الثورة مجموعة كبيرة من الضباط وصف الضباط والجنود الإريتريين المناضلين الذين سبقت لهم الخدمة فى جيوش نظامية، ودعم أولئك المناضلون الثورة بخبرتهم العسكرية وبايمانهم القوى بحق وطنهم فى الحرية والاستقلال، وكانوا من قبل يخدمون الثورة بأموالهم وآرائهم فصاروا يخدمونها بأرواحهم وأجسادهم. واستطاعت الثورة أن تحقق مكاسبا عسكرية ، انعكس صداها فى البلدان المجاورة. وبخاصة بعد أن تمكنت جبهة التحرير الإريترية من إصدار جريدة (الثورة) التى كانت تنقل اخبار الحوادث الجارية فى إريتريا إلى الرأى العام فى الخارج.

وقلق الامبراطور الإثيوبى من هذا المد الثورى فى إريتريا والذى اصبح يتزايد بشكل مستمر. فقام بعدة زيارات للبلدان المجاورة، ودعا بعض ملوك ورؤساء الدول العربية لزيارة أديس أبابا في محاولة يائسة لتطويق الثورة فى الخارج وللحيلولة دون تقديم العون المادى والأدبى لها. ولكن وفد جبهة التحرير الإريترية الذى زار فى عام ١٩٦٢ كافة البلدان العربية الشقيقة وأسس مكتب جمعية الصداقة الإريترية الصومالية بمقديشو استطاع أن يفضح مؤامرات الامبراطور الإثيوبى للرأى العام العالمى والعربى بصفة خاصة وأن يوضح الأهداف والمبادئ السليمة التى من أجلها حمل الشعب الإريترى السلاح. وأصيبت مناورات الامبراطور السياسية بالفشل الذريع، واستمرت الجبهة فى إحراز المزيد من الانتصارات فى المجالين العسكرى والسياسى على السواء.

وقد وضع الامبراطور الإثيوبى مخطط جديد للتمهيد لضم إريتريا إلى امبراطوريته المهترئة. وبدأ الجنرال ابى اببى بتنفيذ هذا المخطط بزيارة مدينة أغردات حاملا معه أكياس من النقود. وأقام عملاؤه حفلا كبيرا فى ساحة محافظة

اغردات، وبينما كان يلقى خطابه اقتحم فدائيو جبهة التحرير الإريترية الأبطال الحفل وامطروه بالقنابل اليدوية التى أبادت نحو ٢٢ شخصا من كبار الموظفين والضباط وفى مقدمتهم وزير العدل فى حكومة إريتريا الصورية. وأصيب ستون اخرون بجراح من بينهم الجنرال ابى اببى ورئيس الحكومة الإريترية ورئيس البرلمان ونائبه. وكان هذا الرد الثورى العنيف بمثابة درس عملى للمستعمرين الإثيوبيين ، أوضح لهم عزم الشعب الإريترى وتصميمه على طردهم من ترابه واخراجهم من وطنه مهما بلغ الثمن. وقد تمت حادثة اغردات التاريخيه فى ١٢ يوليو ١٩٦٢ اى بعد نحو أسبوعين من اليوم الذى ألقى فيه هيلى سلاسى خطابه فى أسمرا .

إثر حادثة أغردات الشهيرة، قامت السلطات الإثيوبية باعتقالات جماعية دون تمييز حتى بلغ عدد المعتقلين فى اسبوع واحد فى منتصف شهر يوليو ١٩٦٢ نحو ١٢٠٠ مواطن إريترى. وكانت اجهزة المخابرات الإثيوبية تحس بانتماء الكثيرين من أبناء إريتريا الى تنظيم جبهة التحرير الإريترية، ولذا وضعت يدها على كل من اتهمته بمزاولة نشاط وطنى.

ومارس جستابو إثيوبيا صنوفاً عديدة من التعذيب على المعتقلين ابتداء من الضرب بالهراوات والجلد بالسياط والاغراق فى المغطس وانتهاء بالكمامات الخانقة وتسليط التيار الكهربائى على الاماكن الرقيقة من الجسد كالإبطين والأذنين وأعضاء التناسل حتى أصيب الكثيرون من المعذبين بعاهات الصمم او تشنج الأعصاب أو السل.

وفى الوقت ذاته أنشأت السلطات الاستعمارية الإثيوبية بمساعدة الخبراء الإسرائيليين جهازا ضخما للمخابرات نشرته فى الشوارع والأزقة والمقاهى وفى كل مكان

ليتابع بالتعاون مع عملائها من أبناء البلاد نشاط الوطنيين ويرصد حركاتهم إلا أنه من فوق هذه الظروف الشائكة كلها استطاعت الجبهة بفضل التضامن الشعبى الصادق أن تزرع شوارع أغردات وكرن وأسمرا بالقنابل اليدوية وتفرض على الاستعمار الإثيوبى أعنف الهزائم، فبعد أسبوع من حادثة أغردات هاجم الثوار مركز حلحل العسكرى الذى استسلم جنوده بعد مقاومة جرح اثنائها جندى إثيوبى واحد واستولى الثوار على أسلحة المركز. كما واصل الفدائيون عملياتهم الجريئة فأعدموا فى نفس الوقت مدير المخابرات الإثيوبية فى أغردات الميجر كحساى الذى كان يقوم بعمليات تعذيب المعتقلين بوحشية ، كما أعدموا عميلا آخر اسمه عثمان حجاج كان يتجسس للاستعمار الإثيوبى فى الأرياف. واشتبكت فصائل الثوار فى أربع معارك متتالية مع قوات العدو خرجت منها بالظفر التام وبخسارة واحد فقط بينما خسرت إثيوبيا العشرات من جنودها وضباطها.

واسترعت أحداث إريتريا الدامية اهتمام الصحف العالمية فكتبت مجلة (واشنطن بوست) مقالا طويلا شرحت فيه الوضع المتأزم فى إريتريا ووصفت خطاب الامبراطور الإثيوبى فى أسمرا بأنه قمع صريح للمعارضة فى إريتريا . كذلك كتبت جريدة (اوبزرفر) البريطانية الصادرة فى ٩ سبتمبر ١٩٦٢ مقالا تحت عنوان (إريتريا تواجه عيدا غير سعيد) كشفت فيه نوايا إثيوبيا الرامية إلى ابتلاع إريتريا والمقاومة الشعبية التى تواجهها، كما كتبت الصحف العربية فى كافة أنحاء العالم العربى عن التطورات الثورية والسياسية فى إريتريا مؤيدة كفاح الشعب الإريترى من اجل الاستقلال.

ردود صاحبت ضم إريتريا الى إثيوبيا

على الرغم من المدرعات والدبابات الإثيوبية التى انتشرت فى شوارع المدن الإريترية، عند إعلان الانضمام البغيض فى ١٤ نوفمبر سنة ١٩٦٢ لمنع التجمعات، فان الشعب الاريترى قد تظاهر في أسمرا ضد هذا العدوان السافر. ورفع المتظاهرون العلم الإريترى وهتفوا بحياة إريتريا وبسقوط الاستعمار الإثيوبى، وقمعت القوات الإثيوبية المظاهرات بالعنف ، وامتلأت السجون بالأحرار الإريتريين، كما تظاهر الطلبة الإريتريون فى القاهرة أمام السفارة الإثيوبية، فما كان من مسئول فى السفارة الإثيوبية إلا أن أطلق على جموع الطلبة الرصاص، وأصاب اثنين منهم بجراح، على الرغم من وجود شرطة الأمن المصريين الذين كانوا يحمون السفارة وقد اصابت رصاص المسئول الإثيوبى واحدا منهم بجراح !!. وارتكبت السفارة الإثيوبية التى قدمت مثلا حيا عن وحشية حكومتها عملا منافيا للسلوك الدبلوماسى وللقوانين الدولية المتبعة فى الأمم المتحضرة .

وبعث العمال والطلبة الإريتريون المنتشرون في أنحاء الشرق الاوسط وأوربا باحتجاجاتهم الشديدة إلى هيئة الامم المتحدة وإلى كافة المنظمات الدولية ضد اجراء الدمج البغيض الذى هو عدوان إثيوبى سافر على الشعب الإريترى المسالم، وطالبوا كذلك بإرسال لجنة استقصاء الحقائق للاطلاع على رغبات الشعب الإريترى ولمعرفة السخط الشعبى العام على الاجراء العدوانى الإثيوبى. وأذاع ممثلو جبهة التحرير الإريترية عدة أحاديث من راديو جدة أوضحوا فيها الاعتداء الإثيوبى الآثم.



مظاهرات طلابية فى إحدى الدول الأوروبية

وفى الوقت ذاته ضاعف فدائيو جبهة التحريرية الإريترية نشاطاتهم الثورية، فقاموا بهجمات ناجحة فى مراكز الجيش الإثيوبى فى (ام حجر) و (غلوج) و (بارنتو) وغيرها. كما اعدموا فى تلك الفترة العديد من الخونة والجواسيس.

وتعبيرا عن النقمة الشعبية خرجت حامية البوليس بمصوع بكامل أسلحتها وانضمت إلى الثوار تحت قيادة صف الضباط المناضلين الثلاثة : محمد سعيد إبراهيم شمسى ، وقمحط إدريس ، وعمر ناصر شوم. وكان خروج البوليس

الإريترى ضربة عنيفة أصابت الوجود الاستعماري الإثيوبي في الصميم، إذ شجع هذا العمل البطولي العظيم كافة جنود البوليس الإريترى على اللحاق برفاقهم الأمجاد، فأصبحو ينضمون إلى الثورة التي هي ثورتهم وبانية مصيرهم ومجدهم أفرادا وجماعات وقد استشهد الأبطال الثلاثة في ميدان الشرف بعد أن أدوا واجبهم الوطني بفدائية وتضحية تخلدان بحق ذكراهم في سجل التاريخ بين العظماء.

ما أن أطل عام ١٩٦٣ حتى كانت السلطات الاستعمارية الإثيوبية قد بدأت بالفعل في تفتيت أنظمة الجهاز الادارى الحديث لحكومة إريتريا السابقة، وإحلال الأنظمة البدائية الإثيوبية محلها، وذلك تطبيقا لسياستها التوسعية الرامية إلى تمهير إريتريا وتذويب كيانها ، وصوغه في القالب الاقطاعي الأمهرى. وتدفق الموظفون الإثيوبيون ليحتلوا المراكز الإدارية الهامة التي كان يشغلها الموظفون الإريتريون الأكفاء، وتحول الإداريون الإريتريون إلى تبع وإدارة خاضعة لسيطرة الإثيوبيين واستبدادهم كما هو الحال في أى قطر مستعمر.

ولم تسلم أجهزة الأمن الإريترية من تدخل الايدى الإثيوبية فنقلت ضباط البوليس الإريتريين إلى أماكن نائية في إثيوبيا وأبعد البعض الآخر الى اسرائيل تحت ستار دورات تدريبية. وتذمر ضباط وجنود البوليس من هذه الإجراءات الاستعمارية التي تستهدف نفيهم من بلادهم وصاروا يلتحقون بالثورة في الجبال الشماء أفراداً وجماعات. وبلغ هذا التذمر أوجه عندما طلبت السلطات الإثيوبية من مدير البوليس الإريترى، الجنرال تدلا عقبيت بالتنحى عن منصبه وشغل منصب ثانوى في أديس أبابا . وكان الجنرال المذكور على الرغم من موالته المعروفة لإثيوبيا وحفاظه على منصبه فقد رفض الأوامر الإثيوبية وحاول القيام بانقلاب مسلح بعد

أن تفاهم مع قادة رجال الامن. غير أن محاولته لم تكلل بالنجاح إذ اكتشفتها السلطات الاستعمارية قبل موعد التنفيذ بقليل، واغتالت الجنرال تدلا عقبيت فى مكتبه فى ١٩٦٣/٦/١٢، ولم تخجل أن تدعى فى اليوم التالى فى صحفها انتحاره مبررة ذلك بأنانيته وتطلعه للسلطة مما فضح خطتها، وسلم جثمانه لأهله وطلب منهم دفنه دون إجراء أى مراسم. ثم أجرت اعتقالات واسعة لضباط البوليس وأحالت البعض الآخر منهم إلى المعاش، غير أن اغتيال مدير الامن واتخاذ الاجراءات القسرية المختلفة ضد رجال الأمن فى إريتريا لم يزد قوات الأمن إلا التصاقا بالثورة وتطلعا إلى المشاركة الفعلية. وتجلت هذه المشاعر الوطنية فى المحاولة التى قام بها ميجر بلاى فى (نقفه) عندما دبر خطة الالتحاق بالثورة الوطنية التى تقودها جبهة التحرير الإريترية بكافة القوات التى تحت إمرته في مديرية الساحل. واكتشفت الخطة فى اللحظة الأخيرة وقبض على ميجر بلاى وحكم عليه بالسجن ١٨ عاما ، كما حكم على ٦٧ من رفاقه بالسجن مددا تتراوح بين ثلاث وعشر سنوات. وعلى الرغم من هذا الإخفاق فإن ضباط البوليس الأحرار استمروا فى الالتحاق بالثورة بكامل أسلحتهم وجنودهم ليؤدوا دورهم الطليعى فى النضال التحررى ضد البغىوالعدوان.

كانت السلطات الاستعمارية الإثيوبية تأمل أن يخفض قرار الدمج البغيض روح الثورة والشعب المعنوية ويجعلهم يرضخون للأمر الواقع، ولكنها نسيت أن جذوة النضال الوطنى نار أبدية لن تخمد أنفاسها لا بطائرات المستعمر ولا بدسائسه السياسيه. وبعكس ما توقع المستعمرون الإثيوبيون فان الثورة الإريترية ازدادت لهيبا واشتعالا واستطاعت فصائل الثوار أن تحرز الانتصارات المتوالية فى (زرا) و (شولعت) وَ (جبال سالا) ، كما استطاع الفدائيون الابطال أن يتسللوا إلى مطارأسمرا الحربى وأن يحرقوا طائرتين من سلاح الطيران الإثيوبى وأن ينسحبوا

بسلام.

ولجأت السلطات الاستعمارية الى إصدار الأحكام القاسية ضد بعض المواطنين الأبرياء الذين لفقت عليهم تهمة المشاركة فى أعمال مضادة لسياستها، ومن تلك الأحكام عقوبة الإعدام التى أصدرتها على كل من محمد ابرا وعمر محمد كراى وبيرق نوراى وعبدالرحيم محمد موسى، كما أصدرت أحكاما بالسجن على شباب ابرياء مدداً تتراوح بين خمس سنوات وعشرين سنة من بينهم محمد حسن حسنو وسعيد حسين ومحمود هارون والمناضل أحمد شيخ ابراهيم فرس وصالح عبد القادر بشير ومحمود صالح سبى وعبدالله محمد صائغ وصالح جابر وراك وكثيرون آخرون. ولم تكن هناك أى أدلة مادية تدين هؤلاء المواطنين، ولكن الحكومة الاستعمارية الإثيوبية أصدرت هذه الاحكام القاسية وفقا لسياستها الرامية إلى إرهاب الشعب الإريترى.

ولما لم تفلح كل هذه الاساليب الاستعمارية لجأت إثيوبيا الى المناورات الدبلوماسية على الصعيد الإفريقى والعالمى. وبرز هيلى سلاسى، صاحب العظمة الكهنوتية الرجعية والذى كان يتعاون مع الانجليز ضد أحرار الماوماو فى كينيا ويرسل جنوده إلى كوريا تحت لواء الامبرياليه الدولية لمقاتلة شعب كوريا المناضل، برز هذا العميل الاستعمارى بطلا مزيفا للوحدة والتضامن الافريقى مستهدفا اخفاء معالم جريمته فى إريتريا تحت ستار رداء الوحدة والمقررات الافريقية التى تحرم التدخل فى الشئون الداخلية للغير.

وعلى الرغم من مناورات إثيوبيا الدبلوماسية على الصعيد الافريقى، فإن الثورة الإريترية سارت بخطى ثابتة وحققت الانتصارات المتوالية حتى استطاعت فصيلة واحدة من الثوار الأبطال أن تدخل مدينة هيكوته فى وضح النهار وأن تغنم

أكثر من سبعين قطعة من البنادق والرشاشات بخسارة ثائر واحد مقابل ثلاثة قتلى من جنود الأعداء. وكان الفضل فى ذلك يعود إلى التخطيط المحكم والتكتيك البارع الذى يتبعه الثوار. وما انقضت سنة ١٩٦٣ حتى كانت الثورة الإريترية قد وقفت على قدميها وسلحت نفسها من عدوها قبل أن تمتد إليها يد العون من العاطفين والحادبين على حركات التحرر.

وهكذا نمت الثورة واتسعت وأصبحت فى وجدان كل اريترى مخلص لأرضه ووطنه وهى مرحلة كان لابد منها، وأما المرحلة الثانية وهى المرحلة التي شهدت انتقال الثورة من حرب عصابات إلى ثورة شعبية مع تعبئة الجماهير الإريترية فى كل مكان. وقد تميزت هذه المرحلة من عام ١٩٦٠ - ١٩٦٥ استقطاب كبير لجماهير الشعب الاريترى من العمال والفلاحين والرعاة والطلبه بتأييدهم المطلق لجبهة التحرير الاريترية، وقد تضاعف عدد جيش التحرير الإريترى وخاض معارك بطولية كان لها الدور الحاسم في دحر الهجمات الشرسة التى استهدفت بها إثيوبيا تصفية الثورة الاريترية وهى فى مراحلها الأولى، واستطاعت قيادة جبهة التحرير الاريترية بالرغم من العزلة الخارجية وقلة الموارد وضآلتها، أن تمد جيش التحرير الاريترى بالدعم والتسهيلات التى قدمها بعض الأشقاء والأصدقاء وبفضل العون الذاتى للشعب الاريترى ودعم وتأييد اشقائه تمكنت جبهة التحرير الاريترية وجيشها الباسل. من المحافظة على شرعية الثورة المسلحة فى ربوع اريتريا. وفى عام ١٩٦٥ بدأت المرحلة الثانية من انطلاقة الثورة وتوسعها نحو الداخل لتشمل كل مناطق اريتريا عسكرياً بعد أن كانت متمركزة فى المدرية الغربية من اريتريا، فقرر المجلس الأعلى لجبهة التحرير الاريترية والذى كان يتكون من -إدريس محمد آدم وإدريس عثمان قلايدوس وعثمان صالح سبى وطه محمد نور ومحمد صالح حمد وتدلا بايرو وعثمان إدريس خيار والسيد أحمد محمد هاشم تقسيم إريتريا من

الناحية العسكرية إلى أربعة مناطق ثم خمسه ، وبمقتضى ذلك اصبحت لكل منطقة قياداتها وأجهزتها الخاصة بها مالياً وادارياً وصحياً، وألحق بها مجموعات من الفدائيين. وكان لكل منطقة أيضاً استخباراتها وروعى فى قادة المناطق أن يكونوا من أبناء المناطق ذاتها.

١- المنطقـــة الأولـــى :

وكانت تشمل محافظة المديريه الغربية وقائدها المناضل محمود ديناى.

٢- المنطقـــة الثانيـــة :

وكانت تشمل محافظة كرن والساحل، وكان قائدها المناضل عمر ازاز. استشهد فى عام ١٩٦٨.

٣- المنطقة الثالثة :

وكانت تشمل محافظة أكلى غوزاى وسراى وكان قائدها المناضل عبد الكريم أحمد.

٤- المنطقة الرابعة :

وكانت تشمل محافظة البحر الاحمر ودنكاليا وكان قائدها المناضل محمد على عمرو.

٥- المنطقة الخامســـة :

وكانت تشمل محافظة حماسين والعاصمة أسمرا وكان قائدها في البداية ولداى كحساى وبعد استسلامه للعدو تم تعيين المناضل ابرهام تولدى كقائد جديد للمنطقة، وقد استشهد في وقت لاحق.

ونظام المناطق الذى اقتبس من التجربة الجزائرية كان الهدف منه سهولة

تنفيذ العمليات العسكرية، وتخفيف الأعباء عن كاهل جبهة تحرير إريتريا، كما قصد منه التغلب على صعوبة الاتصالات بين أقاليم إريتريا ولتسهيل مهمة التعبئة السياسيه والتنظيميه بين المواطنين ولغرض الاشراف المباشر على المناطق العسكرية وكافة شئون الثورة فى عمق اريتريا، وقد انشأ المجلس الاعلى جهاز (القيادة الثورية) ومقرها كسلا لتكون همزة الوصل بين قادة المناطق الخمس والمجلس الأعلى ، ومنذ عام ١٩٦٥ وسع من عضويته للقيام بهذه المهمة ، وبرغم من اخفاق هذه التجربة من نظام المناطق أو ما تركته من سلبيات فى الساحة الإريترية منذ البداية، وقد استمرت حتى عام ١٩٦٨ حين فقدت تماماً كافة المبررات العملية والنظرية. وتحت ضغط عدم تلبية احتياجات الثورة المتزايدة وانعدام الهيئة التنظيمية المرنة والبرامج المرحلية لمواكبة تطور الثورة وبروز المشاكل والتناقضات الثانوية فى الساحة الإريترية من كافة أعضائها ، ولضمان استمراريتها فى جملة هذه العوامل. بدأت تطفح المشكلات الداخلية لجبهة التحرير الاريترية دون أن تتصدر لحلها قيادة مركزية مقتدره تعايش متطلبات الواقع اليومية للكفاح المسلح المتنامى. وبوجه عام شهدت الساحة الاريترية ابتداء من ١٩٦٥-١٩٦٨ عدة تطورات واحداث في جبهة التحرير الإريترية 'وتضخم في جسم الجبهه كانت مؤشراتها تزداد تعقيداً يوماً بعد يوم مع نمو الثورة المسلحة، وهذا التضخم الذى حدث فى تنظيم جبهة التحرير الاريترية خاصة بعد أن أصبحت الجبهة التنظيم المهيمن على كافة الساحة الإريترية فى ذالك الوقت ، ولم تواكبه إجراءات سريعة وجادة لاستيعاب كافة الإريتريين الملتزمين بالثورة الاريترية ضمن صيغة تنظيمية شاملة ومرنة بحيث تستجيب للنمو المستمر فى عضوية الجبهة وتحافظ على ضمان استمرارية الثورة، وإزاء هذا الموقف المضطرب جاءت معالجات وممارسات أعضاء المجلس الأعلى متباينه واحياناً متضاده، وللبحث عن مخرج لأزمة الثورة التنظيمية

عقد اجتماع موسع فى النصف الثانى من عام ١٩٦٧، لاعضاء المجلس الأعلى ومساعدوهم وكانت آرائهم متباينه ولم يخرجوا بحل جذرى يعالج المشكله.

فبعض الأعضاء كانوا يروا أن المجلس الأعلى كقيادة مرحلية وضمن إمكانياته وعطائه أصبح عاجزاً عن قيادة الثورة المسلحه وتلبية متطلباتها المتزايدة لذلك لابد من الشرعية القيادية المنبثقة من قواعد المقاتلة والشعبية للجبهه، وضمن مؤتمر عام واعتبار المجلس الأعلى ومساعدوهم لجنة تمهيدية وتحضيريه تسعى لعقد المؤتمر الشعبى فى أقرب وقت ممكن لأنتخاب من يتحمل مسئولية الثورة فى تلك المرحلة.

وأما وجهة النظر الأخرى من أعضاء المجلس، فكانوا يرون ضرورة توسيع عضوية المجلس الأعلى واعتباره قائماً فى قيادة الثورة مع وجوب توزيع مسئولياته وتحديد اختصاص كل عضو فيه بموجب لائحه ثم يبدأ التحضير للمؤتمر العام للثورة.

وهكذا تم توسيع المجلس الأعلى فى وسط جو من البلبلة والغموض وجو مشحون من عدم الثقة وكان لانعدام الثقة بين أعضاء المجلس الأعلى ومنافساتهم فى تزعم الجبهه وبروز صراعاتهم ومحاولات جر قواعد الجبهة إليها إلى جانب تخلف الصيغة التنظيمية خاصة فى نظام المناطق، كان لجميع هذه العوامل كما أوضحنا الأثر المباشر فى بروز التمزقات الداخلية التى أدت إلى ظهور عدة مبادرات وأهمها فسوف ألخصها باختصار شديد فيما يلى :-

١- حركة الإصلاح فى داخل جيش التحرير الإريترى.

٢- نشاطات اللجنة المركزية للمنظمات الجماهيرية والشعبية الإريترية بالسودان فى

عام ١٩٦٨.

٣- مؤتمر عراديب العسكرى والتمهيد لوحدة المقاتلين.

٤- مؤتمر عنسبه العسكرى والوحده الثلاثيه.

٥- مؤتمر ادوبجا العسكرى والقيادة العامة الثورية.

وهكذا اتسعت دائرة الانشقاق في الجبهة بالتدرج وبروز جبهة التحرير الإريترية قوات التحرير الشعبية فى عام ١٩٧٠ كرد فعل لممارسات القيادة العامة واتسعت دائرة الانشقاقات والخلافات بنفس الأسلوب مؤدية إلى بروز عدد من التنظيمات فى الساحة الإريتريه، وانفراد كل تنظيم بتجربته النضالية الخاصة به، يستمد منها الأضواء وتحدد له معالم الطريق، وأهم هذه الفصائل الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا وهى كانت من أكبر الفصائل الإريترية عسكرياً وجماهيرياً وكانت مهيئة تنظيميا لقيادة المرحلة فى مواجهة العدو الإثيوبى مما مكنها من تحقيق النصر النهائى للشعب الإريترى بعد سلسلة من نضالات ومقاومة عنيفة صامده حققها الجيش الشعبى لتحرير إريتريا ضد احتلال القوات الإثيوبية، وتبنت الجبهه الشعبية لتحرير إريتريا الحرب الشعبية طويلة المدى المعتمدة على الذات أمام شحة المساعدات الخارجية كاسلوب وحيد لتحقيق هدفها النهائى هو الاستقلال التام لإريتريا، والذى تحقق على يدها هذا النصر العظيم بعد كفاح مسلح دام أكثر من ثلاثين عاماً هكذا نال الشعب الاريترى استقلاله الوطنى وهو الاستقلال الذى توجه الشعب الإريترى بالاستفتاء العام لكسب الرأى العام العالمى والدولى. وكانت نتيجة الاستفتاء ٩٩٪ صوت لصالح الاستقلال، فى ٢٥ أبريل ١٩٩٣ وتم إعلان دولة إريتريا المستقلة فى يوم ٢٤ مايو سنة ١٩٩٣، وانضمت اريتريا للامم المتحدة لتصبح العضو رقم ١٨٣، وذلك فى يوم ٢٨ مايو ١٩٩٣.

استدراك وتنوية :

ارى لزاماً على هنا أن أذكر فضل الرجال ومواقفهم الوطنية الجسورة وصحيح أن هذا الكتاب ليس كتاباً بيلوجرافياً عن الشخصيات الوطنية ، الا ان هذا لا يحول دون ذكرنا بعض الواجهات الوطنية التى ناضلت منذ الاربعيينات .

ونأمل ان تتاح لنا الفرصة لنكتب بشىء من التفصيل عن تاريخنا الوطنى وعن قدر الرجال الذين ناضلوا من اجل شعبنا وحقه فى الحرية والاستقلال وسيكون لنا مؤلف خاص عن كفاح شعبنا المسلح منذ إنطلاقة ثورته المسلحة فى ١٩٦١م والى أن تحقق الانتصار التاريخى ، ستؤرخ بصورة شاملة ودقيقة لمسار النضال الإرترى ولأدوار العديد من الأفراد الذين ناضلوا بجسارة وبطولة وضربوا أروع الأمثلة فى البذل والفداء إلا أننا فى هذا الكتاب التاريخى سنورد بعض المواقف الوطنية لبعض الشخصيات الوطنية من الأباء الذين ناضلوا ومنهم من قدم روحه فداء لإريتريا من امثال الزعيم كبيرى فى هذه العجالة سنورد أسماء بعض رموز تأريخنا الوطنى . مع اقرارنا واعترافنا بأن الكتابة عن كل رموزنا الوطنية تحتاج الى مؤلف خاص ،حتى نعطى القضية البحث الذى تستحقه ولنسجل لإريتريا وأجيالها القادمة تاريخ الآباء المشرف الذين وحدوا صفوفهم وناضلوا فى سبيل الحرية والكرامة بمختلف قبائلهم ومعتقداتهم ولاشك ان اهمية هذا التوثيق ضرورية جداً خاصة وأن معظم ابطالنا الوطنين القدامى قد انتقلوا الى الدار الاخرة مصداقا لقول الحق من المؤمنين رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً .. صدق الله العظيم .

فمن هؤلاء الزعماء العظام نذكر ..



القائد الشهيد حامد إدريس عواتى .

حامد عواتى

* البطل الشهيد حامد إدريس عواتى قصة بذل وتضحية وإقدام وشجاعة تدور على ألسنة أبناء شعبنا. وهذا البعد الاجتماعى والإنسانى لقائد ثورتنا المظفرة واهتمام الشعب به منذ ميلاده وإبان حياته وشبابه ومن ثم قيادته لكفاح شعبنا المسلح أدى كل ذلك الاهتمام الجماهيرى إلى تسليط الضوء على فقيدنا الكبير.. ومزاياه الثورية والإنسانية وخطه الوطنى ونهجه البطولى. وجعل الجميع يرون شفافية ما كان يتحلى به هذا البطل وما كان يمثله من قوة .

ولا شك أن دراسة تاريخ بطلنا «عواتى» هو في الوقت ذاته دراسة عن روح شعبنا الوطنية ونضالات أبنائه البطولية.

وإذا كانت البطولات لدى بعض الشعوب تدون فى الكتب التاريخيه والملاحم الشعرية وغيرها من وسائل التوثيق فإن البطولة فى اريتريا ظلت مجسدة فى العديد من الرجال الأفذاذ يأتى فى مقدمتهم فقيدنا الكبير البطل الشهيد «حامد ادريس عواتى» وقد ولد البطل الفقيد ابو كرار حامد إدريس عواتى فى الجزء الغربى من اريتريا وتحديداً فى قرية «قرست» جنوب مدينة «تسنى» وشمالى قريــة « قلوج » على ضفاف نهر القاش. وكان ذلك فى عام ١٩١٠م. ووالده لم يكن إلا فلاحاً بسيطاً من عامة الناس إلا أنه كان أحد الابطال المعروفين بالرجولة والإقدام، ومن الذين تصدوا للإستعمار الايطالى. كما كان إحدى الصخور المنيعة التى تحطمت فيها حملات

عصابات «الشفتا» الذين كانوا ينشرون الارهاب في العديد من مناطق اريتريا. وكانوا يأتون من إثيوبيا بغرض السلب والنهب ولترويع المواطنين ونهب ثرواتهم وإذلالهم وكسر أنوفهم الشماء. وكان البطل عواتى الاب احد الابطال الذين تصدوا لعصابات «الشفتا » تعينه فى ذلك بندقيته الإيطالية.

* في هذه البيئة البطولية ولد القائد البطل « حامد إدريس عواتى» ونشأ وفيها أيضاً تعلم لغة الفروسية وتآلف مع السلاح واشتهر فيه بدقة التصويب وبالبراعة فى القنص. وتلقى دورة عسكرية فى روما بإيطاليا صقلت موهبته الفطرية فى القتال والتكتيكات العسكرية.

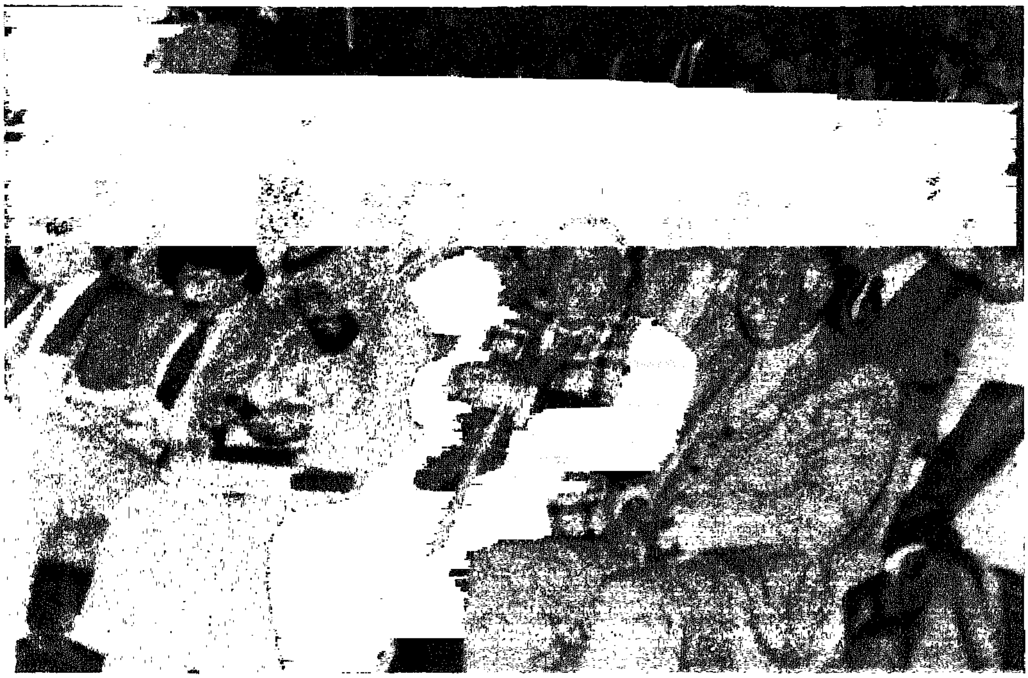
وقد كان محبوبا في أوساط أبناء منطقته ساعده في ذلك إجادته للغات العربية والإيطالية وغيرهما من اللهجات المحلية كالتغرى « والحضارب » والكونامة والنارا والتجرينية. وهذا مكنه من التأثير على قطاعات كبيرة من الشعب.

* بعد هزيمة ايطاليا وتغول القوى الاستعمارية على حق شعبنا بدأ العمل من أجل خلاص شعبنا ووطد علاقاته بالعناصر الوطنية وفى مقدمتهم الزعيم الكبيرإبراهيم سلطان الأمين العام للرابطة الإسلامية والتقى به فى أسمرا فى عام ١٩٥٨م وحصل منه على بعض الأسلحة تمثلت فى عدد من المسدسات. وبعد ان التقى في أغردات بالزعيم ادريس محمد آدم. اختمرت فى ذهنه مسألة الكفاح المسلح. وكان ينتظر اليوم المناسب لإعلان بداية هذا الكفاح وكان ذلك فأعلن فى الفاتح من سبتمبر ١٩٦١م. بداية الكفاح المسلح فى جبال « كتاى أدال » وكنتيجة حتمية للقبول الذى كان يتمتع به البطل

«عواتى» سرعان ما انعطف الاريتريون إزاء ثورتهم والتفوا حول قائد مسيرتهم البطل عواتى «وانتشرت الثورة الاريترية وأصبح عواتى وبحق اهزوجة يرددها الاريتريون .

وظل القائد «عواتى» مؤمناً بقدرة الانسان الاريترى على انجاز اهدافه الوطنية المشروعة واقامة كيانه الوطنى على تراب أرضه إسوة بشعوب الأرض. وسقط شهيداً بعد أن تمددت الثورة الاريترية وانتشر إوارها وكان استشهاده إثر علة لم تمهله طويلاً وذلك فى ٢٧ من يونيو ١٩٦٢م.

ولا شك أن حياة قائد مسيرتنا الكفء حيه وتاريخه يحتاج الى مؤلف خاص . ونأمل أن نجد الوقت لذلك لنعّرف الأجيال الجديدة بقائد نهضتها وثورتها المسلحة .. القائد الذى وضع اول لبنة فى صرح النضال الاريترى واول مسمار فى نعش الوجود الاستعمارى الاثيوبى.



صورة تجمع الزعيمين الكبيرين ادريس محمد آدم وابراهيم سلطان

ادريــس محمــد آدم

ولد المناضل الكبير الزعيم إدريس محمد آدم فى أغوردات ، وتلقى تعليمه الأولى بها . وسافر الى السودان وتلقى قسطاً من تعليمه هناك. الشىء الذى أتاح له فرصة الاحتكاك بالحركة الوطنية فى السودان ابان الاستعمار البريطانى.

* عاد بعدها الى مسقط رأسه أغردات وشكل حلقة حزب وطنية لأبناء المديريه الغربية عامة وحاضرة إقليم «بركه» خاصة. وفور تأسيس حزب الرابطة الاسلامية«بكرن» عام ١٩٤٦م كان الزعيم إدريس من أوائل المنعطفين إزاءها وناضل فى صفوف الرابطة

الإسلامية وكان رئيسا لفرعها فى أغردات ..

* اختير وبالاجماع من كل العناصر الوطنية رئيساً للبرلمان الإريترى وظل مدافعاً عن حرية إريتريا وحقوق الزعماء الوطنين وعن حقوق الإنسان الإريترى من حيث هى.

* صارع كل القوى العميلة وبخاصة أعضاء حزب « الاندنت » رغم وسائل الإرهاب التى كانت تنشرها عصابات « الشفتا » برعاية ممثل الامبراطور الاثيوبى فى اريتريا.

* عارض وبشدة تدخلات إثيوبيا في الشئون الداخلية لاريتريا وخرقها لمواثيق القرار الفيدرالى. ولما اشتدت الهجمة الاستعمارية قدم استقالته ضارباً عرض الحائط بكل وعود الإغراء ووسائل الترغيب والترهيب. وغادر أسمرا عائداً الى أغردات ، حيث استقبل استقبالاً جماهيرياً يليق بمواقفه الوطنية المشرفة وكان من بين من اتوه الزعيم البطل «حامد إدريس عواتى».

* غادر بعدها إريتريا متوجهاً الى مصر .

* أختير رئيسا للمجلس الاعلى بجبهة تحرير اريتريا ورئيساً للمجلس الثورى بجبهة التحرير الإريترية فى نوفمبر ١٩٧١م .

* تبوأ مناصب عدة عليا فى الثورة الاريترية وظل مدافعاً عن القضية الاريترية. ويمثل وبحق احدى قممنا الوطنية الشماء.



الزعيم القائد الشهيد عثمان صالح سبى

الزعيم الوطنى الشهيد عثمـــان صـالح سبى

قبيل إنطلاق الثورة الإريترية واندلاع الكفاح المسلح لشعبنا كان الفقيد عثمان صالح سبى يدرك ويعيش ويعايش واقع الاحتلال الإثيوبى الذى بدأ يتغول على الفيدرالية الشوهاء.

وبدأ شعبنا رفضه للاحتلال الإثيوبى من خلال الاضرابات والمسيرات الجماهيرية وفى حدود امكاناته الشخصيه أسهم الفقيد فى العديد من المظاهر والواجبات الوطنية وهو لا يزال مدرساً ثم مديراً لمدرسة حرقيقو مسقط رأسه. فأنشأ على سبيل المثال جمعية العروة الوثقى لمحاربة العادات الضاره وساهم فى إرسال العديد من الطلاب الى خارج إريتريا ليتلقوا العلم فى السودان وجمهورية مصر العربية. وكان باعتباره معلماً يقوم بالتعبئة الوطنية فى صفوف طلابـــــه .

* ان الوعى المبكر الذى امتلكه الفقيد هو تحصيل حاصل وهو ناتج طبيعى لظروف موضوعية ولوعى حضارى يدركه من أراد أن يقر بهذه الخاصية لتلك المنطقة من البلاد. وعظمة الزعيم «سبى » تثمن فى أنه استطاع أن يستخدم ذلك الوعى الفطرى والموضوعى ويوظف تلك الخاصية الحضارية لصالح الشعب وقضيته الوطنية وتطلعاته العادلة. وهو ما قام به .

* ولد الزعيم عثمان صالح سبى فى حرقيقو عام ١٩٣١م وتلقى تعليمه الأولى والمتوسط بها .

تخرج من كلية المعلمين بإثيوبيا. وعاد الى مسقط رأسه لينشر النور والأمل والمعرفة.

وعين فور عودته أستاذا بمدرسة حرقيقو ثم مديراً لها في مطلع

الخمسينيات.

* وضع العديد من المناهج لطلاب المدرسة كمناهج التاريخ والجغرافيا. ولعب دوراً كبيراً في خلق جيل متعلم فى المنطقة الشرقية فى مصوع وضواحيها .

* غادر إريتريا فى٧/٢/١٩٦٠ بعد أن تعرض للملاحقة والتعذيب من قبل السلطات الإثيوبيه الاستعماريه ليواصل نضاله فى نطاق اوسع.

* من الذين لعبوا دوراً كبيراً فى انطلاقة الثورة الإريترية وميلاد جبهة تحرير إريتريا فى عام ١٩٦١م بالتعاون مع أولئك النفر من أبناء اريتريا الذين وضعوا أرواحهم على أكفهم من أجل عزة الشعب وحرية الوطن.

* عرف باهتمامه بالعلم والتعليم وطبق لأول مرة شعار الثورة " يد على الزناد ويد أخرى على الكتاب ". وطور منشورات الثورة الإريترية. وانكب على التأليف والترجمه والطبع وتشجيع مختلف البحوث عن اريتريا. وطبع العديد من المؤلفات القيمة عن اريتريا وتاريخها وجغرافيتها وأبان شرعية نضال شعبنا وفند حجج الاستعمار الباطلة وشرح القضية الإريترية من جوانبها التاريخيه والقانونية والجغرافية وله خمس مؤلفات قيمة هى :-

أ- تاريخ إريتريا.

ب- جغرافية إريتريا.

ج- علاقة السودان بإثيوبيا عبر التاريخ.

د- الصراع فى حوض البحر الأحمر عبر التاريخ.

هـ- جذور الخلافات الإريترية وطرق معالجتها.

* وتعد المكتبة التى خلفها الفقيد الكبير وبحق تراثا زاخرا لا يقدر بثمن وكل يوم يمر يزداد احساسنا بفداحة الخسارة .

* لعب دوراً اساسياً فى خلق الرأى العام العربى والعالمى مؤيد للقضية الاريترية، وكان ذلك نتاجاً لنشاط مخلص وعمل دءوب عرف به الفقيد. وساهم وتبنى اقـامة مكاتب

للثورة الإريترية فى مختلف دول العالم الشىء الذى أسهم فى إيجاد أرضية قوية للقضية الإريترية مما استدعى العديد من المنظمات الاقليمية والدولية للاعتراف بحق شعبنا ، بل ومناصرته كمنظمة المؤتمر الاسلامى ١٩٨١ وجامعة الدول العربية - ١٩٨١م.

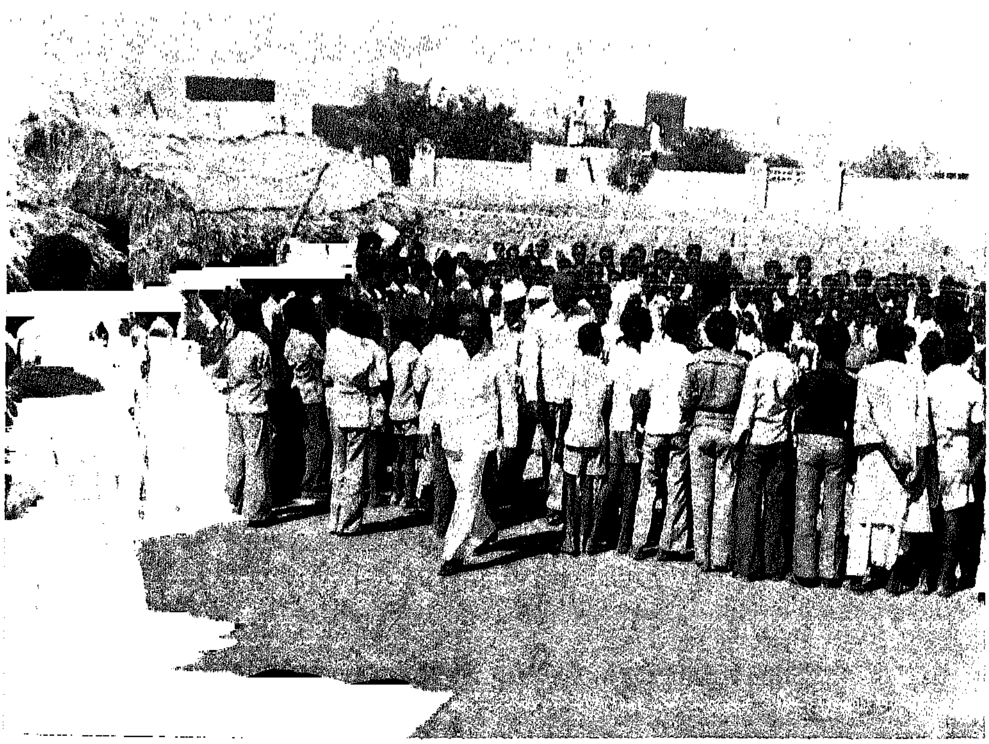
* أسس جهاز التعليم الإريترى فى معسكرات اللاجئين فى عام ١٩٧٦م وهو منارة علمية خرجت العديد من الطلاب الاريتريين فضلاً عن دوره فى ارسال المئات من الطلاب إلى مختلف الأقطار لتلقى العلم وبخاصة فى «المنطقة العربية».

* ظل يناضل بلا هوادة منذ انطلاقة الثورة الإريترية فى الفاتح من سبتمبر ١٩٦١م. التى كان له الدور المعلى فيها وتبوأ المناصب العليا حيث انتخب سكرتيرا للعلاقات الخارجية فى المجلس الأعلى ثم أمينا عاما فى عام ١٩٧٠م وسكرتير عام البعثة الخارجية عام ١٩٧٢م ورئيس اللجنة التنفيذية والمجلس المركزى لقوات التحرير الشعبية عام ١٩٧٧م ورئيسا للجنة التنفيذية للتنظيم الموحد حتى سقط شهيدا عقب اجراءه عملية جراحية فى القاهرة يوم ٤ ابريل ٨٧ وتم دفنه فى مسيرة جماهيرية هادرة أكدت أصالة شعبنا في مقابر السيد المحجوب بالخرطوم مع كبار رجالات السودان وأفذاذه كوديعة إلى أن تتحرر إريتريا. وبعد تحرر الوطن نرى لزاما علينا أن نكرمه التكريم الذى يليق به. فالزعيم عثمان صالح سبى ليس مجرد اسم ارتبط بالثورة بل نحن هنا إزاء شخصية ساهمت فى القرار التاريخى بتفجير الثورة الاريترية ذاتها.



الزعيــم الإريتــرى الراحل عثمان صالح سبــى مع السيد الشاذلى القليبى
الأمين العام السابق لجامعة الدول العربية فى آخر صورة له فى فبراير ١٩٨٧

وإذا كانت ثورات الشعوب تقدر برجالها وأنها لكذلك فقد خسر شعبنا باستشهاده إحدى كنوزه التاريخية النادرة. خسر مناضلاً وطنيا فذا وأباً حانياً ومثقفاً ثورياً وسياسياً مخضرماً افسح الطريق لأكثر من ربع قرن للنور والأمل والمعرفة. رحم الله الفقيد الكبير الشهيد عثمان صالح سبى والمجد والخلود لروحه.



القائد الشهيد عثمان صالح سبى فى زيارة تفقدية
لمدرسة أبناء اللاجئين الإريتريين بشرق السودان

الشيـــخ ابراهـــيم سلطـــــان

===

الزعيم الوطنى الكبير المناضل إبراهيم سلطان غنى عن التعريف وهو بحق جزء أصيل من التاريخ الحديث لإريتريا وساهم ولا شك بقسط كبير من بلورة الشعور القومى الوطنى الاريترى، وواجه بقوة وصلابة المؤامرات الاستعمارية وتصدى بوطنيه شجاعه لمحاولات تزييف الارادة الوطنية، وتزعم بجساره وبطوله حزب الرابطة الذى كان العمود الفقرى للحركة الوطنية الاريترية، وقد ولد الفقيد الكبير الزعيم إبراهيم سلطان على حوالي عام ١٩٠٧م بمدينة كرن وتربى على الفضيلة والعزة ٠ وقد كان بحق قوياً فى مواقفه الوطنيه شديد الاعتزاز بإريتريته ومتيقن الإيمان بانتصار الشعب الإريترى وبزوغ فجر حريته رغم المؤامرات والصعاب التى واجهت الشعب الإريترى من جراء تدخلات قوى الاستعمار العالمى ممثلة فى دول الحلفاء المنتصره فى الحرب العالمية الثانية والأطماع الإثيوبية.

* من المؤسسين الأوائل لجمعية حب الوطن، أو« محبر فقر هقر ». كما عرفت .

* بعد ذلك تشاور الفقيد مع القيادات الوطنية وتم تأسيس حزب الرابطة الاسلاميه واختيار السيد أبو بكر الميرغنى رئيساً لها والزعيم ابراهيم سلطان سكرتيرا للحزب وقد اتخذ الحزب من كرن مقراً دائما له.إلا أن أنصاره كانوا ينتشرون على طول المدن الإريتريـه ، وقد كان الزعيم الكبيـر إبراهيم سلطان على ذو بعد اجتماعى بجانب دوره السياسى وقد لعب دورا كبيرا فى الثوره الاجتماعية التى حدثت لتغيير العلاقات الاجتماعية التى كانت تسود بين قبائل التجرى «العوام» وطبقة النبلاء أو «الشماقلى» كما عرفوا .



الزعيم الراحل الشيخ ابراهيم سلطان على

* تزعم الكتلة الاستقلاليه فى عام ١٩٥٠م بهدف توحيد الصف الاريترى وبوتقة المطالب الإريترية للوقوف ضد المخططات الخبيثة لتفتيت وحده الشعب على أسس طائفية وقبائليه وحزبيه أيضاً.

* تصدى ببطوله وإقدام لمشروع «بيڤن» التقسيمى وتمسك بوحدة اريتريا وكيانها الجغرافى والبشرى المحدد.

* عرض القضية الاريتريه امام الامم المتحدة فى عامى ١٩٤٩ و ١٩٥٠م وألقى فى المرتين خطبة قوية لفتت اليه الأنظار وفند الادعاءات الإثيوبية حجة إثر حجه.

* قاد المعارضة الوطنية ضد التدخلات الإثيوبية فى الشئون الإريترية إبان الفترة الفدراليه، وناضل من داخل البرلمان

الإريترى بجساره ووطنيه ضد المحاولات الاثيوبيه لضم إريتريا إليها. رغم وسائل الإرهاب والقتل والتنكيل التى نشرتها إثيوبيا فى إريتريا. في تلك الفتره لاسكات كل من يعارضونها.

* شارك فى العديد من اللقاءات من أجل اريتريا وقام بالعديد من الجولات لمختلف البلدان، من اجل نصرة القضيه الاريتريه.

* عاش وطنياً غيوراً ومدافعاً جسوراً عن القضيه الإريتريه وعن حق شعبنا فى الحريه والاستقلال ، إلى أن توفى بعد صراع مع المرض فى القاهرة يوم الفاتح من سبتمبر ١٩٨٧م، عن عمر يناهز الثمانين عاماً. وتم تشييع جثمانه فى مسيرات جماهيريه هادره فى القاهرة ومروراً بالخرطوم ليخلد فى مدينة كسلا السودانية.

أما وقد تحررت إريتريا فنرى لزاما علينا أن نكرمه التكريم الذى يليق بالزعيم سلطان بنقل رفاته إلى مسقط رأسه .

الزعيم الوطنى " الرأس تسما اسبروم "

سليل اسرة عريقة عرفت بالوطنية والعزة والكرامة ، وعرف بوطنية واعتزازه بإريتريته وبعده عن النعرات الطائفية وغيرها من مثالب المجتمعات المتخلفه ٠

أحد زعماء إريتريا الكبار وواجهة اجتماعية إريترية لا يستهان بها فى منطقة اكلى غوزاى خاصة وإرتيريا على وجه العموم وارتبط بعلاقات وطيدة مع مختلف الشخصيات الوطنية فى إريتريا ، وعرف بها برجاحة العقل وقوة العزيمة ٠

كان عفيف النفس معتداً بكرامته إذ رفض لطلب " هيلى سلاسى " لمقابلته فــى وقـت كان فيه غيره يهدر كرامته من أجل أن يلتقى بممثل الامبراطور فى أسمرا ٠

وأنشأ أبناءه على حب الوطن والاعتزاز بإريتريتهم ، وقد مثل نجله دجزماتش ابرها امتدادا لوالده من حيث القوة والإيمان بحق شعبنا فى الحرية ٠

مؤسس الحزب التقدمى الحر فى فبراير ١٩٤٧م وجعل من مدينة عدى فيح مقرا لحزبه وكان يدعو إلى وحدة واستقلال إريتريا بعد فترة وصاية من الأمم المتحدة ، وكان برنامج حزبه متطابق مع برنامج الرابطة الإسلامية وكان يرأس الحزب ابنه دجزماتش ابرها تسما ٠

حضر المؤتمر التأسيسى للرابطة الإسلامية فى عام ١٩٤٦ ٠

كان حزبه أحد روافد الكتلة الإستقلالية التى تكونت بهدف بوتقة الصف الإريترى وتوحيد الأحزاب الوطنية للوقوف ضد مخططات الاستعمار الإثيوبى وأعوانه ٠

توفى فى مسقط رأسه بمدينة معربا موفور الكرامة شامخ الرأس بعد ان أدى دوره الوطنى كاملا ٠ ويمثل الرأس تسما جزأ اصيلاً فى تاريخ المقاومة الإرترية ٠



الزعيم الوطنى الإريترى الشهيد عبدالقادر صالح كبيرى

الزعيم الوطنى الكبير الشهيد عبدالقادر محمد صالح كبيرى

وقد عرف منذ نعومة أظافره بالوطنيه والإقدام والفهم الدقيق لأبجديات السياسة وألاعيب الاستعمار فنشأ حاداً كالسيف لا يخاف فى سبيل الحق لومة لائم.

* من الاعضاء البارزين فى « جمعية حب الوطن » .

* حضر المؤتمر التأسيسى للرابطة الإسلامية بكرن وكان مسئولا عن فرعها فى أسمرا ، يعينه فى ذلك ويعاونه رهط عظيم من الوطنيين امثال المرحوم إمام موسى والمرحوم حقوص إبراه والمرحوم سليمان احمد عمر وغيرهم من رجالات إريتريا الوطنية وأفذاذها.

* واختير للذهاب للأمم المتحدة وعرض مطالب شعبنا ورغبته فى الحرية والاستقلال ضمن وفد وطنى كبير من بينهم الزعيم محمد عثمان حيوتى إلا أن يد الاستعمار الإثيوبى وبتواطؤ مع العصابات الإثيوبية اغتيل فى أسمرا قبيل سفره بأيام قليلة وتحول تشييعه الى مظاهرة وطنية ضد فلول الارهاب وعصاباتهم الارهابية ومؤشراً قوياً على تمسك أبناء شعبنا بحقهم المشروع فى وطنهم الحر المستقل بعيداً عن الإلحاق او الظلم أو السيطرة الاجنبية وسقط الزعيم الكبير شهيداً من اجل القضية الاريترية ومن أجل حق شعبنا فى الحرية والاستقلال والعزة. وكان ذلك فى عام ١٩٤٩.



الزعيم الوطنى المناضل ولد آب ولد ماريام

السيد ولدآب ولدماريام :

وهو من أبرز الزعامات الإريترية التى وقفت بصلابة فى وجه المخططات الاثيوبية . وكان من مؤسسى جمعية حب الوطن التى كانت تضم فى عضويتها النخبة الإريترية المستنيره من المسحيين والمسلمين وكانت تتجسد فيها الوحدة

الوطنية الإريترية فى أروع صورها كما كان رئيسا لحزب إريتريا المستقلة ، ثم اصبح من أبرز قيادات الكتلة الاستقلالية التى كانت تضم الأحزاب الوطنية الإريترية المطالبه بأستقلال إريتريا وكان عضواً فى الوفد الإريترى إلى الامم المتحدة . وكان يشغل فى نفس الوقت منصب رئيس اتحاد نقابات العمال فى إريتريا ٠

وقد تعرض السيد ولدآب لسبعة محاولات لاغتياله من قبل عملاء إثيوبيا حيث نجا منها بأعجوبة . وبعد المحاولة السابعة لأغتياله أصر عليه زملاؤه من القيادات الوطنية بضرورة مغادرته إلى الخارج لمواصلة نضالاته الوطنية وتعرية الاستعمار الإثيوبى أمام الرأى العام الخارجى حيث لجأ الى مصر ووجد فى أرض الكنانه كل ترحيب وقبل كلاجئ سياسى على ضيافة الدولة وعمل فى ركن شرق افريقيا بالاذاعة المصرية حيث كان يوجه من خلالها نداء إلى الشعب الإريترى باللغة التجرينية ٠

وعندما تأسست حركة تحرير إريتريا فى عام ١٩٥٨م أصبح من أبرز قياداتها الخارجية إلى أن اندمجت الحركة فى قوات التحرير الشعبية لجبهة التحرير الإيرترية عام ١٩٧٠م ٠

وفى عام ١٩٧٢ م تم اختياره رئيساً للبعثة الخارجية التابعة لقوات التحرير الشعبية . وظل يواصل نضالاته دون انقطاع إلى أن عاد إلى أرض الوطن بعد التحرير منهياً بذلك حوالى اربعيين عاماً من الاغتراب القسرى ٠٠

فضيلة الشيخ إبراهيم عمر أحمد " المختار " مفتى الديار الإريترية

فضيلة الشيخ إبراهيم عمر أحمد المختار من الشخصيات الوطنية الكبرى التى تركت آثارها العظيمة فى تاريخ الشعب الإريترى .

وقد نشأ فى بيت من بيوت التقى والدين والوطنية وعرف بحبه للعلم وجاء إلى مصر وتلقى تعليمه المتوسط والثانوى والجامعى بها وتخرج من الأزهر الشريف .

عرف بالنخوة والكرامة والاعتزاز بالنفس ولم ينحنى لأحد كبر ذلك الأحد أم صغر. من طليعة الكتاب الإريتريين ومن المصلحين الكبار . وقد كانت له دراية بالتاريخ الإريترى والقبائل والأعراف فضلاً عن اطلاعه الواسع على اللغة العربية ومعرفته بتاريخها وآدابها . وقد وثق كتابياً لهجرة الصحابة الأولى والثانيه إلى أرض الحبشة . كما تناول بالدراسة والتمحيص للعديد من الظواهر التاريخية لعموم المنطقة . ولإريتريا على وجه الخصوص .

من القادة الكبار للرابطة الإسلامية ووقف بشدة ضد التدخلات الاثيوبية فى الشئون الإريترية . وظل طوال حياته الحافله رمزاً وطنياً مخلصاً لشعبه وقضيته وآماله .

شغل منصب مفتى الديار الإريترية منذ ايام الاستعمار الايطالى حتى العهد الاستعمارى الإثيوبى . إلا أنه لم يكن مجرد رجل دين فقط فقد كان عالماً دينياً وسياسياً ومؤرخاً وكاتباً ومصلحاً اجتماعياً . وحاولت إثيوبيا إستمالته الى جانبها إلا أن الزعيم كان قوياً . فحاولوا إقصاؤه من منصبه ولكن أيضاً باءت كل محاولاتهم بالفشل . وكان يمثل رمز العزة الإريترية وكرامة الشعب . وهو أحد القلائل الذين لم ينحنوا عند مقابلة امبراطور اثيوبيا " هيلى سلاسى " .

السيد / تسدلا بايسرو

وكان من اوائل الإريتريين القلائل الذين نالوا تعليماً عالياً وشغل منصباً إداريا فى الادارة البريطانية وتنقل بين عدة اقاليم إريترية بحكم عمله وفى بدايات تأسيس الاحزاب فى منتصف الأربعيينات انخرط كغيره من الشباب فى العمل السياسى وكان من مؤسسى الحزب الاتحادى (إندنت) الذى كان ينادى بالإنضمام إلى اثيوبيا وانتخب سكرتيراً عاماً للحزب .

وعندما تشكلت الجمعية التشريعية الإريترية بعد صدور القرار الفيدارالى من الامم المتحدة انتخب رئيساً لها وبعدإقرار مسودة الدستور الإريترى وتشكيل السلطة التنفيذية أصبح أول رئيس للحكومة الإريترية .

وفى منتصف عام ١٩٥٥م تعرض لضغوطات من قبل الحكومة الاثيوبية التى اتهمته بعدم الحماس للوحدة مع اثيوبيا والتباطؤ فى إذابة الكيان الإريترى فى الامبراطورية الإثيوبية فأجبرته على الإستقاله ثم عينته عضواً فى مجلس الشيوخ الإثيوبى وعين فيما بعد سفيراً لإثيوبيا فى السويد .

وفى عام ١٩٦٦ م هرب من إثيوبيا والتحق بالثورة الإريترية حيث أصبح عضواً بالمجلس الأعلى لجبهة التحرير الإريترية ونائبا للرئيس . وظل يناضل ضد الاستعمار الإثيوبى فى الدول الاسكندنافية والأوساط الأوربية من خلال المؤتمرات الصحفية وأجهزة الأعلام المرئية والمسموعة وفى أوساط الاحزاب السياسية والمنظمات الإنسانية مما كان له أثره الفعال فى تعرية المزاعم الإثيوبية . الى ان وافته المنية فى المهجر بالسويد .

محمد عثمان حيوتى

ولد الزعيم الوطنى الكبير الأستاذ الشيخ سيد محمد عثمان حسن حيوتى فى حطملو . ونشأ فى بيت من بيوت الدين والتقى، وعرف منذ نعومة أظافره معانى الكرم والشجاعة والعفة وغيرها من الأخلاق الحميدة، وهى بديهيات طبعت مواقفه إبان مسيرته الوطنية الكبرى .

* وقف بصلابة وقوة ضد إختراق الحقوق الوطنية من قبل اثيوبيا وبخاصة فى اجتماع «بيت قرقيس» المشهور ١٩٤٦م .

* عرف باطلاعه الواسع وثقافته العميقة وإجادته اللغتين العربية والانكليزيه.

* هو أحد الكتاب الوطنيين المتميزين وقد كان صوتا جهورا للنضال الاريترى وكتب العديد من المقالات التى توضح تاريخ اريتريا وجغرافيتها منذ اقدم العصور.

* اختيـر ضمن الوفد الاريترى للذهاب للأمم المتحدة برفقة الشهيد «كبيرى» وبعد اغتيال

« كبيرى» ذهب مع آخرين بينهم الزعيم سلطان إلى الأمم المتحدة وعرض شكوى شعبنا للأمم المتحدة التى ربطته بقرار فيدرالى جائر مع إثيوبيا .

* أحد زعمائنا القلائل الذين أمد الله فى عمرهم وشهد تحقق حلمه الوطنى وحلم كل الوطنيين الإريتريين، واعتقد أن الزعيم الوطنى الكبير السيد محمد عثمان حيوتى لديه الكثير من الحقائق عن التاريخ، نأمل أن يسارع بطبعها حتى نعرف نحن والاجيال الصاعدة حقيقة أولئك الرجال الأفذاذ الذين صنعوا تاريخنا الوطنى فى تلك الفترة .

الحـــاج امـــام موسى :

لا يمكن الحديث عن اسمرا ودورها الوطنى دون تناول الحاج إمام موسى ودوره البطولى . بل لا نستطيع الحديث عن التاريخ الوطنى لشعبنا عامة دون أن نتوقف كثيراً إزاء شخصية هذا الشيخ الذى يمثل ويحق صورة صادقة عن قوة الانسان الإريترى وعزيمته الفولاذية ٠

وقد عرف الشيخ إمام موسى كرائد من رواد الوطنية وعلم من أعلام النضال والثورية ورمزاً متوهجاً من الرموز الإريترية ٠

من كبار قادة الرابطة الإسلامية وعرف بالشجاعة والقوة وصدق العزيمة ولعب دوراً كبيراً فى مختلف المراحل الوطنية إبان الاستعمار الإيطالى والإنكليزى ٠

ومع تنامى الشعور الوطنى وميلاد الرابطة الإسلامية كان للشيخ إمام موسى وقفة وطنية عظيمة ٠

قاوم وبشدة محاولات إثيوبيا بضم إريتريا . وقاد المواجهات ضد عصابات اثيوبيا وعملائها وكثيراً ما أشهر سيفه أمام العملاء ٠

بعد أن تكررت التدخلات الإثيوبية فى الشئون الإريترية بعث مع آخرين برقية للأمم المتحدة يندد فيها بالاستعمار الإثيوبى واعتقل وقد بلغ السبعين من عمره ورفض أن يتقدم بطلب استرحام لاسقاط العقوبة عنه وفضل السجن عن استجداء العفو وهو الشيخ الطاعن فى السن ٠

بعد الإفراج عنه طلب منه حاكم إريتريا اسرات كاسا ان يشكر الامبراطور الاثيوبى " هيلى سلاسى " الا ان الزعيم الوطنى هاجم الامبراطور وقال له اننى لا اشكر إلا الذى خلقنى وإنا فى ارضى ولا استجدى احداً ولا أذهب لبلاد الآخرين ويغادر الآخرين أرضى ٠

ظل مدافعاً وطنياً غيوراً وكان مسجده الشهير فى قزابرهانو باسمرا قرب

منزله قلعة من قلاع الوطنية ٠

المرحوم سليمان أحمد عمـــــر :

قام بأدوار وطنية لا يستهان بها وكان مقداماً جسوراً دافع عن حق شعبنا بقوة وصلابة وهو أيضاً من المؤسسين للرابطة الإسلامية ومن زعماء الكتلة الاستقلالية وأحد الرموز الوطنية الشجاعة التى تصدت وواجهت عصابات الشفتا الإثيوبية ، وكان يمثل وبحق الصوت الوطنى الصادق ضد كل العملاء والخونة ٠

الباب التاسع

إريتريا والرؤية المستقبلية

الفصل الخامس والأربعون

إريتريا •• رؤية مستقبلية لما بعد الفترة الانتقالية

==

لقد تحدثت فى الفصول السابقة من هذا الكتاب عن إريتريا وتاريخها منذ أقدم العصور ، وحتى الآن كما كان لابد لنا من استعراض ملحمة نضال شعبنا منذ الأربعينات وإبان المؤامرة الدولية لابتلاع إريتريا ، ومرورا بتجربة حركة تحرير إريتريا وميلاد الثورة الإريترية بقيادة جهة تحرير إريتريا فى الفاتح من سبتمبر ١٩٦١ م . وقد تعمدت الحديث عن الفترة من ١٩٦١ م الى ١٩٦٨ م ، دون الخوض فى مسار الخلافات الإريترية والأزمة التنظيمية التى أدت الى تلك الخلافات أولا ، ومن ثم تمدد الخلاف الإريترى وانتشاره بصورة مأساوية فى السبعينات وهو خلاف – ولا شك – ساهم فى توسيع رقعة المواجهة، وصرف جانب من طاقة الثورة الإريترية فى معارك إنصرافية قتل فيها الإريترى أخيه فى الوطن والنضال ، وبالرغم من أن تلك الخلافات هى من صميم التاريخ الإريترى إلا أننى تعمدت ألا أتطرق إليها فى هذا الكتاب والسبب أن مثل هذه القضية الحساسة تحتاج إلى مرونة وتعقل ووقت كافى لتناولها وتسجيل تجربة الثورة الإريترية كما هى دون إفراط أو تفريط ، وأعتقد أن الوقت لم يحن بعد لسبر أغوار هذه القضية وسوف نأتى لها فى حينها ونفرد لها مؤلفا خاصا . مع إقرارنا بأهمية الوقوف على تجربة الثورة الإريترية ، بإيجابياتها وسلبياتها إلا أننا نرجئ كل ذلك الى مناسبة أخرى مع تعهدنا بانتهاك عزرية هذا الجانب من تاريخنا . ولكن أريد أن أضع تصورات أراها صائبة لانتقال شعبنا بصورة طبيعية من مرحلته الانتقالية التى ولجها عبر جسور من تضحيات أبنائه الذين قدموا أرواحهم رخيصة من أجل عزة الشعب

وكرامة الوطن وحريته . تلك التضحيات الجبارة التى ظل شعبنا يقدمها منذ انطلاق ثورته المسلحة فى الفاتح فى سبتمبر . ولما كانت الثورة الحقيقية هى فعل متواصل فان الانتصار الذى تحقق لم يكن إلا باسهام كل الإريتريين وبمختلف مشاربهم وتوجهاتهم . وجاء الجيش الشعبى المغوار ليكمل مسار الثورة الإريترية ويصل بنضـــال شعبـــنا الى خاتمتــه الطبيعيــة فــى الرابــع والعشريـن فى مايو فى عام ١٩٩١م.



المؤلف فى لقاءه مع السيد اسياس افورقى رئيس دولة إريتريا

إن الانتصار الذى تحقق وضعنا جميعا أمام تحديات جبارة ولا تقبل التريث والتثريب ٠ وأولى تلك التحديات هى معركة البناء التى تنتظم عموم البلاد ، لاكساب الاستقلال السياسى معناه ومغزاه من خلال بناء الوطن والإنسان بصورة تتقاطع ونضال شعبنا وآماله وطموحاته . وتأتى المرحلة الانتقالية التى حددت بأربع سنوات توطئة لابد منها قبل الدخول فى المرحلة القادمة وهى تلك التى ستكون الديمقراطية التعددية اطارا لتناغم الحياة فيها . ان الديمقراطية هى مطلب من مطالب الشعب الإريترى وشرائحه الواعيه وهى الضمانة الوحيدة لصون الوطن وللحفاظ على مكتسبات شعبنا واستقلاله بعيدا عن الفردية والاستبداد التى دمرت معظم دول القارة الإفريقية ودول العالم الثالث عموما . ذلك أن الاستقلال السياسى ان لم يتبعه استقلال اقتصادى وديمقراطية كاملة غير منقوصة لا يعنى شيئا ، فكثير من دول العالم سبقتنا إلى الحرية سنوات طويلة إلا أنها لا تزال أسيرة للانقلابات حتى غدت الانقلابات والانقلابات المضادة جدلية افريقية وهى جدلية خطيرة لكونها راوحت مكانها . وعلينا جميعا حكومة وشعبا وبخاصة شرائح الشعب الواعية أن نعمل فى اتجاه اقامة كافة الآليات اللازمة لانجاز الأطر الديمقراطية التى تمكننا من الحفاظ على مكتسباتنا والانطلاق بوطننا إلى رحاب القرن القادم حيث تتبارى شعوب العالم فى تمسكها باهداف الديمقراطية وتتداعى يوما اثر الآخر الانظمة الأحادية الاستبدادية وما يحدث فى الصومال الشقيق وأنجولا وغيرها من بلدان القارة خير دليل على أهمية الديمقراطية كمخرج وحيد للاصلاح الاقتصادى ولحفظ الوطن ولتحقيق كل هذا لابد من أن نعمل ليل نهار من اجل الحفاظ على وحدة شعبنا بعيدا عن القبلية أو الطائفية أو الإقليمية ، وأن تكون الروابط والمقاييس وطنية خالصة تبدأ بمصلحة الشعب وتنتهى عنده ٠ وعلينا جميعا فى هذه المرحلة الإلتفاف حول الحكومة الإريترية وتقديم الدعم لها والوقوف خلفها إلى أن تنتهى

المرحلة الانتقالية ، ويمارس شعبنا حقه الديمقراطى ويمارس التعددية السياسية بعد أن يتم التمهيد اللازم لممارسة هذا المطلب الشعبى . واذا كانت إريتريا إبان مرحلة الثورة قد استطاعت أن تحتفظ بالمؤسسات الاجتماعية والاقتصادية الا ان هذا لا يتناسب أو يتماشى مع متطلبات مرحلة الدولة . ولذلك ينبغى من الإريتريين جميعا تقديم الدعم والتفانى فى حب وطنهم وسد كل الثغرات التى يحاول البعض الدخول من خلالها بدعوات انصرافية باهتة تحت ذرائع واهية بحجة المشاركة فى السلطة من الآن . واعتقد أن من لديه الاستعداد للبذل فان الباب لا يزال مفتوحا على مصراعيه يسهم فى مرحلة البناء التى تنتظر عموم الوطن . أما من يريدون القدوم من الخارج لقيادة البلد فاعتقد أنهم واهمون ولا يعتد بآرائهم ويدل مثل هذا التصور على عدم الإدراك بالتحديات الجبارة التى تواجه الوطن بعد ان تعمد المستعمر الى تدمير كل مظاهر الحياة فيه . وتظل المسألة الاقتصادية من أصعب التحديات التى تواجه شعبنا وشرائحه المختلفة ومن الأهمية بمكان ان يلعب الإريتريون دورا كبيرا فى إخراج البلاد من هذه الوهدة . وهو مطلب يعنى المقتدريين من الإريتريين بصورة خاصة والمغتربين منهم على وجه التخصيص . وذلك من خلال تحويلاتهم النقدية الأجنبية ومن خلال إقامتهم لمشاريع اقتصادية تعود على البلاد وشعبها بالخير الوفير من خلال توفيرهم لفرص عمل لقطاع كبير من الشباب الإريترى . وينبغى أن تقام مشاريع ذات عائد وطنى كالزراعة والصناعة وقطاع التعليم وغيره من المرافق والخدمات ذات الصلة بالحركة العمرانية وبالتالى باقتصاد البلد . ومع أهمية المساعدات الأجنبية اللامشروطة ينبغى التأكيد هنا على أن الإريتريين هم من بيدهم دون سواهم الحفاظ على مكتسبهم الوطنى ، وعلى اكساب هذا المكتسب معناه ومغزاه بإقامة مختلف البنى الاقتصادية ..

التعدديــة السياسيــة والديمقراطيــة :

لا شك أن الديمقراطية تعتبر هى المخرج الحقيقى والوحيد للنأى بإريتريا من مثالب الحروب الأهلية والانقسامات . وقد أدرك الشعب الإريترى هذه الحقيقة أبان مسيرته الكفاحية فى السنوات الطويلة وتقاطعا مع هذا الإدراك أعلنت الحكومة الإريترية المؤقتة – وعقب اعلان الاستقلال – ان التعددية السياسية هى الاطار السياسى الذى تتناغم في إطاره العملية السياسية فى إريتريا . ووضع الضوابط اللازمة حتى لا تتحول الديمقراطية التعددية إلى انفلات فوضوى لا يعبر عن الذات الإريترية ، ولا يصون وحدة الشعب الإريترى وتطوره الاجتماعى وبعد انقضاء الفترة المؤقتة وممارسة شعبنا لحقة فى التعبير عن رغبته المشروعه عبراستفتاء حر ونزيه . أقرت الحكومة الانتقالية ممثلة فى المجلس الوطنى " البرلمان " على أن تكون التعددية السياسية إطارا لتناغم الحياة السياسية فى إريتريا . ولا شك أن هذا الإقرار سينقل الشعب الإريترى إلى مصاف الشعوب الديمقراطية ويجعل من شعبنا نموذجا لدول وشعوب المنطقة ولا شك أن إقرار المجلس الوطنى سيكون نقطة تحول كبرى لعموم منطقة القرن الإفريقى بل والعالم الثالث على طريق المشاركة الافقية فى صنع القرار والحفاظ على مصالح الشعب وكرامة الأمة . ونأمل أن تتولى الحكومة الانتقالية خلال السنوات المتبقية فى الفترة الانتقالية استكمال جميع مؤسساتها الشرعية " الدستورية " قبيل الدخول فى الفترة التعددية التى يرنو اليها شعبنا ، ولا شك أن هذا المسلك سيفتح دون ريب أفاق المستقبل الزاهر لشعبنا كما، أكد ويؤكد فى عين الوقت صدق ووطنية القيادة الإريترية لتأخذ بيد الشعب الإريترى ليحقق انتصاره السياسى بإقامة مؤساساته الديمقراطية بعد أن استطاع شعبنا من أن يطرد الوجود الاستعمارى الإثيوبى من على أرض إريتريا . وهنا ينبغى التأكيد على أهمية وضع الضوابط اللازمة حتى لا

تكون الديمقراطية بابا لنشر سموم المتربصين بإريتريا وشعبها كما أن الايمان بالديمقراطية يفرض علينا أن نؤمن بحق الجميع فى التعبير عن أرائهم السياسية بغض النظر عن انتماءاتهم القبلية أو الطائفية أو الإقليمية وبعيدا – وبنفس القدر – عن الراديكالية التنظيمية وأن بعض الاصوات التى تنطلق بدعوات مغلقة تجر الى الانظمة الأحادية بدعوى أن إريتريا لا تحتمل اكثر من حزب ومع احترامى لمثل هذه الأراء ، ولمثل هذه المثالب التى صاحبت التجربة الديمقراطية الكلاسكية فى بعض البلدان الشبيهة وبخاصة الإفريقية . أرى لابد من أن تكون الديمقراطية إطارا أساسيا ووحيدا للخروج بإريتريا من مثالب الدكتاتورية . كما أن نظام الحزب الواحد أثبت فشله فى العديد من بلدان العالم ولذلك فلابد من وجود أكثر من حزب يخوض العملية الديمقراطية اضافة إلى النقابات المهنية والاتحادات والروابط الفئوية . ومن المهم أن تكون الأحزاب قد أسست داخل الوطن وألا تكون على صلة بأى جهة أجنبية وأن تكون بعيدة عن الاطر الضيقة كالإقليمية والطائفية والقبلية . والشعب الإريترى من أوائل شعوب المنطقة سعيا للاستقلالية ، ولكن عوامل كثيرة أدت إلى هذا التأخير ، تأخير استقلال إريتريا وأدت الى وأد الحركات الإريترية التى ظهرت مبكرا تلك العوامل جميعها لسنا بصددها فى هذه العجالة ، ولكنى أردت من هذه الإيماءة التأكيد والتذكير على أن شعبنا عرف العمل السياسى ومارس الديمقراطية الوطنية من خلال أحزابه ونقابته الوطنية فى الأربعينيات والخمسينات من هذا القرن . وأبان الكفاح المسلح أطر الشعب الإريترى نفسه فى تنظيمات جماهيرية واتحادات فئوية كالطلاب والمرأة والفلاحيين والعمال والشباب وهذه الاطر ساهمت ولا شك فى بلورة المفاهيم السياسية من خلال وقوف الشعب وشرائحه على تجارب معظم الدول وكل الشعوب . وبعد أن تحقق الحلم واكتمل الشروق، لابد من أن نحافظ على هذا المكتسب ولا تكون المحافظة إلا من خلال

الديمقراطية الأفقية ومن خلال ممارسة المواطن لحقه والمشاركة فى صنع القرارات وقيادة البلد والرقى بالشعب ووضعه على أعتاب الاستقرار والازدهار وكل هذا لا يتأتى إلا من خلال ديمقراطية أفقية تكفل للمواطنين حرية التعبير وابداء الرأى وتنظيم النقابات المهنية والروابط والاتحادات وحقوق الإنسان وحرية الملكية . وأن تسود الديمقراطية الأفقية وبخاصة العدالة الاجتماعية . والقضاء على التفاوت التنموى فى الأقاليم وتشجيع كل ما من شأنه أن يحقق التجاذب الاجتماعى بين فئات الشعب المختلفة . على ألا يؤدى ذلك إلى الاضرار بمصالح الشعب ووحدة البلاد ومستقبل أجياله . وأن يكون القضاء نزيها ليمارس دورا رقابيا على مجمل الحياة السياسية وعلى حقوق المواطنين من حيث هى . كما أن هنالك عوامل كثيرة تضمن لشعبنا أن يمارس ديمقراطية صحيحة يأتى فى مقدمتها الوعى الإريترى بطبيعة وحقيقة التركيب الاجتماعى والثقافى لشعبنا . كما ان النضال الذى خاضه شعبنا وبمختلف قبائلة وطوائفة حقق حراكا اجتماعيا وثقافيا بين فئات الشعب . والغى المسافات بينهما وقضى على حساسيات الماضى ليحل محل ذلك كله احساس دفاق بالوطن وسعى جاد من أجل صون وحدة الشعب ومصالح البلد . وإذا كانت الديمقراطية والعدالة الاجتماعية تؤمنان بالمساواة والتباين الثقافى والعقائدى والحضارى والاثنى فينبغى علينا احترام خصوصية الإنسان الإريترى فى إطار مشروع حضارى يعترف بحقوق الجميع فى تطوير ثقافتهم والدفاع عن مرتكزاتهم الثقافية وتفاعلاتهم الحضارية . والديمقراطية التى نريدها هى تلك التى يجد فيها كل إريترى نفسه ولا يحس بالتجاهل أو بالدونية من خلال حق المواطن الحر النزيه فى الاقتراع والتصويت والقيادة وابداء الرأى والعدالة الاجتماعية وحرية الصحافة والمساواة أمام القانون .

اللغـــــــة :

اللغة كما هو معروف هى إحدى مرتكزات الأمة وذاكرتها وشىء فظيع وغير محتمل أن يفقد المرء ذاكرته أما إن تفقد أمة لغتها وذاكرتها فشىء وراء حدود التصور . وعوامل التاريخ قبل الجغرافيا هى التى صنعت إريتريا واعطتها خصوصيتها الثقافية والحضارية . واللغة عامل هام وأساسى من عوامل وحدة الشعب وتقدم الأمة ثقافيا وتعليميا وحضاريا . وقد أدرك شعبنا هذه الحقيقة وأقرها فى أول حياة سياسية مارسها فى الأربعينات . وقد كانت اللغة من أصعب القضايا التى واجهت الإريتريين ونوقشت لمدة ٣٨ يوما فى البرلمان ألى أن تم إقرار اللغة العربية لغة رسمية فى إريتريا إلى جانب التجرينيه وذلك لم يكن إلا من قبيل إقرار الواقع الثقافى والتاريخى لشعبنا ليس فقط بسبب الدماء العربية الجارية فى عروق الإريتريين ، فذلك تراث تاريخى وحضارى مشترك لكل شعوب شمال شرقى إفريقيا التى تكونت عبر التزاوج التاريخى بين العناصر الحامية والسامية . والإقرار بأهمية هذا البعد الثقافى والحضارى لشعبنا شىء لابد منه كبديل للقفز فوق حقائق التاريخ والجغرافيا وما افرزته القرون . كما أن اللغة العربية تمثل قاسما ثقافيا مشتركا بين مختلف فئات الشعب الإريترى ومن خلالها يستطيع شعبنا ان يحقق العديد من المكاسب باعتبارها ثالث لغة فى العالم وأول لغة فى المنطقة العربية التى لا يفصل بينها وبين إريتريا إلا شاطئ البحر الأحمر . فضلا عن أن العالم برمته لا البلدان العربية القريبة فقط أضحى عبارة عن قرية صغيرة فى هذا العصر . والانفتاح نحو الآخرين والارتباط الثقافى بهم غدا من الآليات الرئيسة والحاسمة لاقامة علاقات سياسية واقتصادية فضلا عن العلاقات الثقافية التى لا تتم إلا من خلال وحدة الثقافة والأهداف والمشاعر ، وكل هذه تحققها اللغة المشتركة واللغة العربية بصورة خاصة تحتل مكانتها العميقة فى

وجدان الإنسان الإريترى وهى إحدى ركائزه الثقافية وديمومة تواجده الحضارى ، وبها ومن خلالها تتشكل شخصيته ثقافيا ونفسيا ، ومن خلالها يحدد علاقاته بمحيطة الاجتماعى فى إطار الوطن الواحد وتحت شعار الوحدة مع التباين اللغوى والثقافى ، ولما لشعبنا من مصلحة ثقافية واستراتيجية من خلال تعاطيه مع اللغة العربية خاصة وأية لغة أخرى تدعو اليها الحاجة ، ولابد من إعطاء اللغة العربية هامشا أكبر فى عموم الوطن وأن تتم بها المعاملات فى مختلف مرافق الدولة بجانب التجرينية . ولذلك ولحساسية شعبنا المفرطة تجاه هذه المسألة تحديدا ينبغى الاعتراف عمليا باللغتين الرسميتين لإريتريا العربية والتجرينية والعمل على تواجدها بصورة متكافئة فى كل مرافق الدولة وفى الحياة اليومية للبلاد لكون اللغتين العربية والتجرينية تشكلان أداة التعبير والمخاطبة بين أفراد الشعب الإريترى الواحد . وفى الوقت ذاته أداة للتواصل الثقافى على مستوى الوطن مع الاحتفاظ باللهجات المحلية بل والعمل على تطويرها ، ولإثراء التجربة الإريترية من التراث والموروث الإريترى لمختلف القبائل الإريترية .

اللاجئوون الإريتريـــون وعودتهـــم

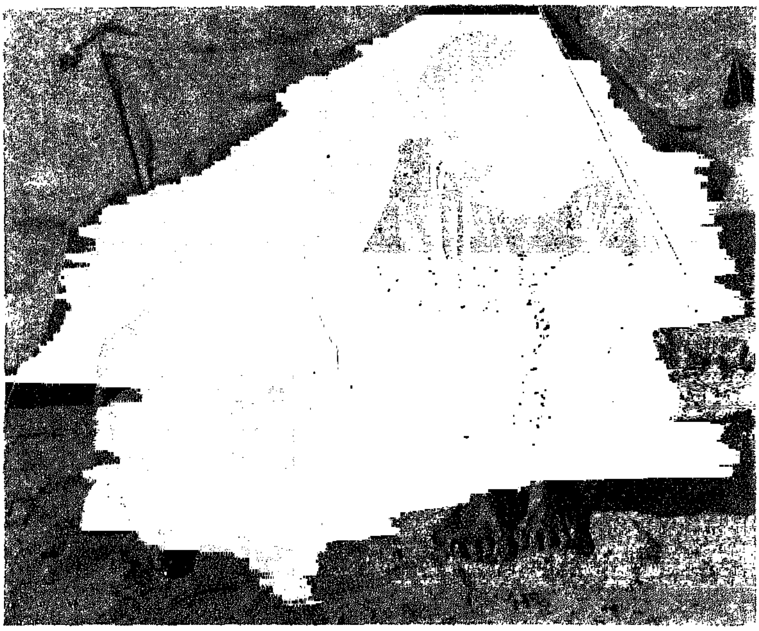
لقد واجه شعبنا مآسئ كثيرة واصطدم بعقبات كبيرة ونزفت جراحه بغزاره وحورب فى أخص خصائصه وبديهات حقوقه وهما حقه فى أن يعيش فى أرضه بحرية وكرامة ٠ وقد بدأت معاناة شعبنا منذ أن وطأت قدم أول جندى إثيوبى أرض إريتريا فى مستهل الخمسينات ، فصادرت الحريات وألغت الثقافة الوطنية ومنعت تدريس اللغتين الرسميتين لإريتريا – وهما العربية والتجرينية – وقضت على مظاهر الحياة الثقافية والديمقراطية التى عرفتها إريتريا فى الأربعينات والخمسينات من هذا القرن . وفتحت أبواب السجون على مصراعيها لتتسع لطوابير الأبرياء من أبناء شعبنا وجعلت الإرهاب والقتل والتنكيل مصيرا حتميا لكل من يحتج أو يرفع رأسه منددا باجراءاتها التعسفيه . وفتحت مخزونها البشرى تجاه شعبنا واصبحت إريتريا جحيما لا يطاق . وبعد انطلاق الثورة الإريترية بقيادة جبهة تحرير إريتريا فى الفاتح فى سبتمبر ١٩٦١ م تضاعفت مأساة العزل من أبناء شعبنا فبعد كل عملية عسكرية للثورة كانت القوات الإثيوبية تصب جام غضبها على أبناء الشعب فأبادت آلاف المواطنين وآلاف المواشى ومارست سياسة الأرض المحروقة بخسة ووحشية تتناءى عن أى منطق إنسانى . إلا أن كل هذه الممارسات لم تثنى شعبنا من الوقوف خلف ثورته ودعمها ماديا وأدبيا بل أكدت له ضرورة مخاطبة العدو بلغة العنف التى يعرفها فكانت الحرب وكان العنف الثورى واستطاعت الثورة الإريترية أن تحقق الانتصار تلو الانتصار حتى عمت الثورة كل أنحاء إريتريا واستلمت زمام المبادأة العسكرية وبخاصة فى الفترة من ١٩٦١ الى ١٩٦٦م ٠

وفى عام ١٩٦٧ شنت القوات الاثيوبية حملات شعواء ضد المواطنين الإريتريين الأبرياء فأبادت الآلاف ومحت العديد من المدن والقرى الإريترية من على

الخارطة . ولم يكن أمام شعبنا إلا اللجؤ خارج أرضه فكانت الهجرة الأولى إلى السودان فى عام ١٩٦٧ بعد أن ارتكبت القوات الإثيوبية المدعومة بترسانة أمريكية إسرائيلية فى الفترة من فبراير ويونيو فى ١٩٦٧م العديد من الجرائم فأحرقت العديد من القرى الإريترية فى إقليم سمهر وسنحيت وبركة وحولتها القوات البربرية الإثيوبية الى مقابر وأطلال لسكانها الابرياء الذين اغتالتهم يد الجندى الإثيوبى الآثمة دون ذنب اقترفوه إلا كونهم إريتريين . كما قامت القوات الإثيوبية بتوسيع نطاق عملياتها البربرية لتشمل مختلف مناطق الوطن كل هذه الوحشية اضطرت شعبنا إلى اللجؤ ومع توالى همجية الأنظمة الإثيوبية التى ظلت ترفع شعارها الشوفينى " اذا ، أردت أن تقضى على السمك فعليك بتجفيف البحر " لجأ الإريتريون خارج وطنهم فى السودان الشقيق ليعيشوا لاجئين فى العراء كإنسان العصر الحجرى وظلوا هناك فريسة للأمراض والأوبئة وسوء التغذية وفقدان التوازن النفسى وبعد سقوط نظام الامبراطور هيلى سلاسى ، استبشر الإريتريون خيرا فى النظام الجديد خاصة وأن سياسة سلفه لم تحقق شيئا بل فشلت وقضت على نظامه . إلا أن النظام العسكرى الإثيوبى لم يُضيع أى وقت للتعرف على القضية ناهيك عن محاولة الوصول مع أصحاب هذه القضية إلى حل يرضى طرفا النزاع بل مارس سياسة سلفه وبصورة أكثر دموية الشىء الذى فتح ومن جديد باب اللجؤ لأبناء شعبنا ومما تقدم يتضح لنا أن قضية اللاجئين الإريتريين هى قضية سياسية ومرتبطة بالقضية الإريترية وبعد أن استطاع شعبنا أن يحصل على حريته ويغدو سيدا لمصيره وأرضه وبحره ومستقبله ينبغى على المنظمات الإنسانية وبخاصة الأمم المتحدة أن يسهموا بصورة فعالة وسريعة لإعادة هؤلاء اللاجئين إلى أرضهم التى غادروها على أسنة الدبابات وأزيز الطائرات . وقد بذلت ولا تزال الحكومة الإريترية جهودا جبارة لاعادتهم ، الا أن مسألة إعادتهم

تتطلب إمكانيات مادية كبيرة لا تستطيع الحكومة الإريترية الوفاء بها . بل نرى لزاما على الأمم المتحدة قبل الحكومة الإريترية أن تؤدى دورها الذى أنشئت من أجله وتعيد هؤلاء اللاجئين معززين مكرمين إلى وطنهم أسوة بما فعلته إزاء اللاجئين من مختلف دول العالم وينبغى أن تساهم الاسرة الدولية وعلى رأسها الولايات المتحدة الامريكية والدول الأوربية والأمم المتحدة وبلدان العالم العربى لتمكين الحكومة الإريترية فى توفير المناخ الملائم لإعادة هؤلاء اللاجئين إلى بلدهم ليسهموا فى بنائها بعد أن أسهموا فى معركتها النضالة الأسطورية التى تواصلت لثلاثين عاما .

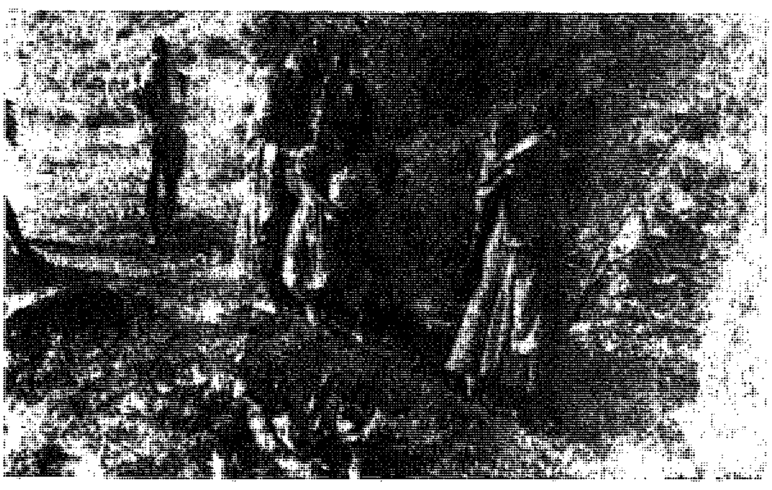
ومع عودة اللاجئين الإريترين لابد من أن نصرخ قليلا ونوجه نداء للمهاجرين الإريتريين المبعثرين فى معظم دول العالم ونقول لهم عودوا إلى بلادكم للاسهام فى البناء باموالكم وخبراتكم التى اكتسبتموها فى الغربة والاغتراب وكفى بعدا واغترابا فالبلاد فى أمس الحاجة إلى جهود ووجود كل أبنائها إلا أن هذه العودة ينبغى أن توجد لها الحكومة الإريترية الظروف المناسبة وتهيئ لهم الحياة المناسبة من حيث الحقوق السياسية والخدمات الاجتماعية والامنية وغيرها من مستلزمات الحياة وحقوق الإنسان .





صور مختلفة تعبر عن مأساة اللاجئين الإريتريين فى إنتظار العودة





صور مختلفة تعبر عن مأساة اللاجئين الإريتريين فى إنتظار العودة

الفصل السادس والأربعون

" العلاقات العربية الإريترية "

لا شك أن إريتريا المستقلة تشكل عمقا استراتيجيا وجغرافيا وثقافيا واقتصاديا للبلدان العربية عامة والمطلة منها على البحر الأحمر على وجه الخصوص. كما أن الروابط التاريخيه بين إريتريا والبلدان والشعوب العربية العريقة تحتم بدورها أن يقوم هذا التعاون بين البلدان العربية وإريتريا لما فى ذلك من تلاقى لخصائص المجموعتين وهو من المتطلبات الهامة فى هذا العصر ويعبر عنه بصورة كبيرة ما نراه من تجمعات إقليمية كالسوق الأروبية وغيرها من الروابط والأحلاف. وإريتريا بحكم واقعها كدولة وليدة تحتاج الى عون الأشقاء والأصدقاء حتى تستكمل بنيانها التحتية ومختلف مرافق الدولة وتنطلق إلى رحاب القرن الحادى والعشرين. وتأتى البلدان العربية فى مقدمة من ينبغى أن ينعطفوا إزاء متطلبات إريتريا ويعملوا على تقديم كافة الإمكانيات المادية التى تحتاجها بدلا من التحفظ والتريث الذى تعاملت به ولا تزال البلدان العربية مع إريتريا بعد ان استطاعت إريتريا ان تحلق فى سماوات الحرية وتحقق الأمن والسلام لعموم المنطقة وهو من المحامد التى انعكست على البلدان العربية وامنها الاستراتيجي ولذلك فان التحفظ وعدم المبالاة من البلدان العربية بإريتريا لا يتماشى والروابط التاريخيه بين إريتريا والبلدان العربية كما لا تتناسب أبداً مع التضحيات الجبارة التى قدمها الشعب الإريترى ، وقبل هذا وذاك مع ما تمثله إريتريا من اهمية استراتيجية ، وأهمية الدعم العربى فى هذه المرحلة أساسيه لأن إريتريا خرجت من حرب ضروس واستلمت بلادا مدمرة اقتصاديا وتحتاج إلى إنشاء كافة بنيانها الفوقية والتحتية ، بعد أن تعمد المستعمر الإثيوبى إلى تدمير كل مظاهر الحياة فيها بنقله المصانع إلى داخل إثيوبيا وتدمير

ما تبقى منها بصورة تجعل من ترميمه تفوق عملية انشائه مرة أخرى . وبعد تحقيق الاستقلال رفعت الحكومة الإريترية شعار البناء ومواصلة النضال لاكساب الاستقلال السياسى والسيادى معناه ومغزاه من خلال الحياة المستقرة لابناء الشعب الإريترى الذين عانوا لسنوات طوال من الحرب الاستعمارية الغاشمة التى قضت على مظاهر الحياة فى بلدهم. وتبذل الحكومة الإريترية جهودا مقدره للخروج بإريتريا وشعبها من نفق الوهن الاقتصادى من خلال وضعها خطة سريعة ومستقبلية لانتشال البلاد من الخراب الاقتصادى والدمار الزراعى وإعادة بناء ما دمرته حرب السنوات الثلاثين. وتتمحور خطة الحكومة الاقتصادية فى إنعاش الاقتصاد من خلال توسيع الرقعة الزراعية وتقديم مستلزمات الزراعة للمواطنين ليحققوا الاكتفاء الذاتى أولا. وكذا الاهتمام بالصناعات وبخاصة تلك التى تعتمد علي ما تجود به الأرض كصناعة تعليب الأسماك والنسيج والاسمنت والمياه المعدنية وغيرها من الصناعات التى من الممكن نشوئها فى إريتريا. وتضع المناخ الملائم لاستقدام رءوس الأموال الأجنبية من الخارج بعد أن تضع سياسة اقتصادية انفتاحية حرة.

ونحن عندما نطالب العرب بدعمنا وننحى باللائمة عليهم لتباطؤهم فى مد يد العون لنا ، ننطلق فى كل ذلك من اعتبار أن إريتريا وشعبها يمران بأدق وأخطر مرحلة بعد استكمال تحررهم الوطنى ، وفى الوقت ذاته نحن أول من يعتبر ويقر للعرب أياديهم البيضاء فى مساندة الشعب الإريترى وثورته أبان الكفاح المسلح لشعبنا المظفر، وهى أياد ظلت ممدودة لشعبنا وثورته ولا ينكرها الا مكابر، فالعرب دون الآخرين أفارقة أو سواهم ظلوا لحمة للنضال الإريترى طوال الثلاثين عاما الماضية . ولكن أيضا وبنفس الصدق نقول إن الدعم العربى لم يكن كافيا لحسم صراع بمستوى الصراع الإريترى الإثيوبى ، فقد ظلت البلدان العربية تقرأ الواقع

الإريترى ومتطلبات ثورته بصورة بعيدة عن الواقع وهو الشيىء الذى اختزل الدعم العربى فى إطار محدود لم يتماشى أبدا مع نمو الثورة الإريترية وتكالب قوى البغى من سوفيت وغيرهم عليها . ومهما يكن من أمر فان المنطق والتاريخ الجغرافى يفرضان علينا جميعا فى إريتريا والبلدان العربية أن نقيم علاقات وطيدة، ويفرضان بصورة خاصة على البلدان العربية أن يسارعوا لتقديم الدعم الذى تحتاجه إريتريا فى مختلف المجالات الاقتصادية والاستثمارية والتعليمية والثقافية. وتبدو أهمية المساعدة العربية إذا ما علمنا أن مرحلة الكفاح المسلح التى خاضها الشعب الإريترى منذ الفاتح من سبتمبر ١٩٦١م وحتى تحقيق الاستقلال الكامل فى الرابع والعشرين من مايو ١٩٩١م عانى الإريتريون خلالها من وطأة الاستعمار كثيرا وواجهوا صعوبات كبيرة ، ومروا بمنعطفات خطيرة من جراء تشابك مصالح القوى الكبرى التى فتحت مخزون أسلحتها للنظام الاستعمارى فى إثيوبيا ، وبالمقابل فتحت إثيوبيا مخزونها البشرى ضد الشعب الإريترى وتعاملت مع إريتريا وفق سياسة الأرض المحروقة وهى السياسة الشوفينية التى أوصلت إريتريا إلى هذه الحالة المتردية من الدمار الشامل . ولذلك ينبغى على البلدان العربية أن تسارع وتلبى نداء التاريخ والجغرافيا والمصير المشترك وتنجد إريتريا دون ابطاء ودون خلق مبررات واهية لا تصمد كثيرا أمام حقائق العالم وتداعيات نظامه الدولى الذى لا يؤمن بالانفراد ، وحيث تتبارى الشعوب في اقامة أطرها التوحيدية وبالأخص فى الجوانب الاقتصادية، وإريتريا رغم كل شيء وقبل كل شيء وبعد أى شيء تحتل رقعة هامة بالنسبة للبلدان العربية والعلاقة بها أو معها هى من تلك العلاقات التى يحلو لعلماء الاجتماع وصفها بالعلاقات الاجبارية ... كما أن إريتريا لها وضعها الآنى والمستقبلى فى منطقة القرن الإفريقى وحوض البحر الأحمر ، لكونها كما اثبتت الأيام رقم استراتيجى ورصيد نضالى لا يمكن تجاوزه لكونها تقع في

منطقة استراتيجية وهامة وحيوية من العالم. وهذه الرقعة هى السبب الرئيسى لمعاناة إريتريا من خلال أطماع القوى التى ظلت ترنو إلى شواطئ إريتريا الاستراتيجية الهامة علي مداخل البحر الأحمر الغربية والجنوبية والعمق التاريخى والترابط الثقافى والتلاحم الجغرافى ، كل هذه الروابط تفرض على العرب أن يتعاملوا مع إريتريا بانفتاح وبعيدا عن حساسيات الماضى أو الحاضر والإسراع في تقديم ما تحتاجه إريتريا وهو كثير وفى المجالات كافة.

" جمهورية مصر العربية "

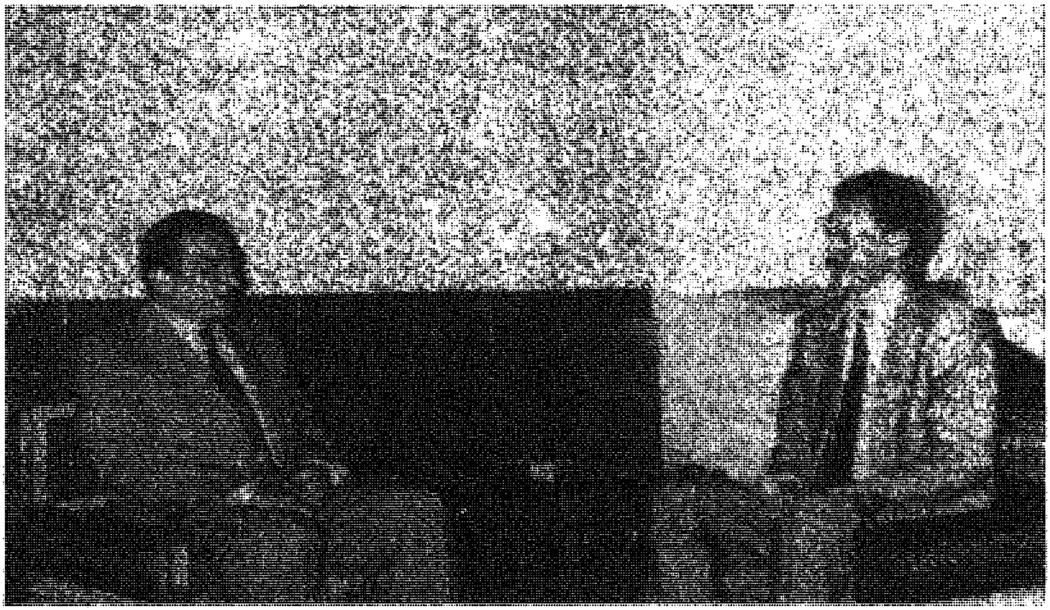
===

ظلت جمهورية مصر العربية قبلة للمناضلين وملاذا أمنا للمضطهدين وداعمة لحركات التحرر الوطنى فى القارة الإفريقية خاصة والعالم العربى والعالم الثالث عامة من حيث هو . وعطفا على هذه السجية النبيلة انعطفت مصر الشقيقة قيادة وشعبا إزاء معاناة الشعب الإريترى وساعدت ثورته وتبنت قضيته وأوت قادة نضاله ودافعت عن حق شعبنا فى أن ينعم بالحرية والاستقلال وان يقيم كيانه الوطنى على تراب ارضه اسوة بشعوب الأرض.

وقد شهدت مصر باعتبارها قبلة المناضلين ولادة جبهة تحرير إريتريا فى يوليو ١٩٦٠، ولا غرو فقد كانت أرض مصر الطيبة الآمنة وطنا وملاذا لزعماء إريتريا الأفذاذ الذين اضطرتهم ظروف الاستعمار الإثيوبى الى مغادرة إريتريا ، وقلبهم حائم فى ربوعها دوار، فاستقبلت واستضافت وأوت وناصرت ونصرت الزعيم الوطنى الكبير الشيخ إبراهيم سلطان على سكرتير حزب الرابطة الإسلامية وكذا المناضل الكبيرادريس محمد آدم والمناضل الكبير ولد آب ولد ماريام ، والسادة محمد صالح محمود ، والشيخ آدم إدريس نور وخيار حسن بيان ، وافتتحت إذاعة لهؤلاء القادة في عام ١٩٥٤م فى القاهرة وقد أدت الاذاعة دورا لا يستهان به فى تنوير الإريتريين وتجييشهم وإثارة الروح الوطنية فيهم . وبعد انطلاق الثورة الإريتريه كانت مصر من أوائل البلدان التى ساندتها وقدمت لها مختلف أنواع الدعم من سياسية ومادية والخدمات التعليمية حيث ضمت مدارسها ومعاهدها العليا وجامعاتها العديد من الإريتريين. وكانت مصر بحق تدرك مسئولياتها التاريخيه ازاء

شعبنا باعتبارها من دول المنطقتين العربية والافريقية الكبرى، ولا تزال مصر تشكل احدى المحطات الكبرى فى مسيرة شعبنا حيث يتلقى مئات الإريتريين تعليمهم في أراضيها فى أخوة لم يحدث التاريخ عن اقوى منها.

وبعد انتصار ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢م اهتمت الثورة باتحاد الطلاب الإريتريين اسوة بالاتحادات الطلابية والسياسية الأخرى لأبناء مختلف الدول الإفريقية وفى عام ١٩٦٤م تم فتح مكتب رسمى للثورة الإريترية ، إيمانا من مصر بعدالة القضية الإريترية ، وحق شعبنا في الحرية والاستقلال والحياة الكريمة. وكانت بذلك اول عاصمة عربية تتبنى وتساند نضال شعبنا. وظلت القضية الإريترية تمثل هما مصريا يوميا وتحظى باهتمام كل القادة بدءا بالرئيس الزعيم جمال عبد الناصر والزعيم الراحل محمد أنور السادات وانتهاء بالرئيس محمد حسنى مبارك ، حيث شهدت وتشهد العلاقات الإريترية المصرية نموا مضطردا. وكما كانت مصر العربية اول عاصمة عربية تؤيد نضال شعبنا كانت القاهرة أيضا وبنفس الأسبقية أول عاصمة عربية وإفريقية يرفع فيها العلم الإريترى – علم العزة والكرامة لشعبنا – العلم الذى تأتى عبر جسور من التضحيات الجسام وببطولات أسطورية ملحمية ظل شعبنا يسطرها منذ الفاتح من سبتمبر ١٩٦١م وإلى الرابع والعشرين من مايو ١٩٩١م.



صورة للزعيم مبارك مع الرئيس أسياسي أفورقى

وأتت زيارة الزعيم الإفريقى العربى الكبير محمد حسنى مبارك لإريتريا للتهنئة بالاستقلال تتويجا لمواقف مصر التاريخية ، وكانت لزيارة السيد محمد حسنى مبارك لإريتريا أثرها البالغ فى نفوس أبناء الشعب الإريترى وقادته ، وانطلاقا من كل ذلك وتأسيسا عليه وعلى الروابط التاريخية والجغرافية والاستراتيجية التى تربط الشعبين والبلدين . ينظر الإريتريون إلى مصر وينتظرون

منها المساهمة فى إنجاز مرحلة بناء البلد بعد أن تحقق الاستقلال وغدا شعبنا سيد مصيره وأرضه وبحره ومستقبله. ومصر باعتبارها من أكبر البلدان العربية الافريقية وعطفا على مخزونها العلمى تستطيع أن تقدم الكثير لإريتريا لإقامة بنيتها الفوقية والتحتية . ومصر والمملكة العربية السعودية يستطيعان أن يلعبا دورا ايجابيا وهاما لتحريك الرأى العام العربى والإفريقى والعالمى ليلتفت إلى إريتريا واهميتها ودورها الإقليمى المرتجى. وان تقدما عونا ماديا وعلميا ليجتاز شعبنا معركة بناء وطنه بنفس الزخم الثورى الذى انجز به شعبنا مستلزمات معركته النضاليه.

" المملكة العربية السعودية "

للمملكة العربية السعودية التى ارسى دعائمها جلالة المغفور له الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود إسهاماتها فى دعم الشعب الإريترى ، ومن ثم القضية الإريترية والعلاقة السعودية الإريترية علاقة قيمة وعريقة وتضرب بجذورها فى أعماق التاريخ. وقد كانت إريتريا دائرة للحراك الاجتماعى للجزيرة العربية ومقصدا للعديد من القبائل والأسر السعودية الذين تصاهروا مع الإريتريين الشىء الذى أعطى لعلاقة الشعبين بعداً آخر أكبر وأهم من الأبعاد والجوانب الاخرى الهامة. ولا يزال شعبنا يذكر للمملكة دورها فى نصرة حق شعبنا فى الحرية والاستقلال أبان مناقشة المسألة الإريترية فى أروقة الأمم المتحدة فى نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات من قرننا هذا. وبعد أن تم التغول على حق شعبنا بربطه باتحاد فيدرالى مع إثيوبيا ، وهو اتحاد كان يفتقر الى الضمانات لحمايته ، ارتاد شعبنا طريق الكفاح المسلح فى الفاتح من سبتمبر ١٩٦١م بعد أن فشلت نضالاته السلمية الاخرى . ومنذ انطلاق الثورة الإريترية كانت المملكة العربية السعودية بقيادة الملك المغفور له فيصل بن عبد العزيز من أوائل الدول التى أيدت نضال شعبنا. كما أن معظم قادة النضال الإريترى كانوا فى السعودية وقد أسهموا أولا فى التحضير للثورة ذاتها. كما ظلوا رقما اقتصاديا هاما فى دعم ثورتهم ماديا وأدبيا وتلقت الثورة الإريترية ممثلة فى جبهة تحرير إريتريا أول دعم عربى مادى فعال من المملكة العربية السعودية بعد أن زارها وفد من قادة الثورة الإريترية وهما المناضلان الشهيد عثمان صالح سبى وادريس محمد آدم . وقد كانت الزيارة بدعوة من جلالة الملك فيصل ، وقد كان لذلك الدعم السعودى المبكر

دوره فى تقوية الثورة الإريترية وبالتالى إسهامه فى معركة التحرير ، تلك المعركة الباسلة التى بدأت برجـــال يعــدون على أصابع اليد الواحدة وانتهــت فــى ٢٤/٥/١٩٩١م بتحرير كامل تراب الوطن الإريترى. ولا شك أن السعودية من الدول التى آزرت حق شعبنا فى سنوات نضالــه تلك كما أن المملكة ظلـت أيضا ملاذا للإريتريـــين ولا تزال أراضيها تضم الآلاف من الإريتريين حيث يعملون فى بلدهم الثانى دون من أو أذى فى أخوة لا يعرف تاريخ شعبنا مثيلا لها ، كل ذلك ليس فقط مرده إلى العلاقات التاريخية والثقافية والدينية التى تربط شعبنا بل يمثل ايضا وبنفس الدرجة إحدى ركائز السياسة السعودية التي ما فتئت تساعد البعيد قبل القريب وتقدم الدعم أثر الدعم والمساعدة تلو المساعدة من منطلق إنسانى يتقاطع مع رسالة المملكة العربية الخالدة، باعتبارها من أكبر البلدان الإسلامية والعربية ذات الشأن والمكانة الدولية المرموقة. ولأهمية العلاقة السعودية الإريترية لابد من أن تكون العلاقة الإريترية السعودية نموذجا فى علاقات البلدان والشعوب المتجاورة وذات الإرث والتاريخ والمصير المشترك . وشعبنا الإريترى الذى خرج من حرب ضروس دمرت بلاده وأحرقت مزارعه ونهبت ثرواته وقضت على كافة بنياته ومرافقه الخدماتيه. والمملكة العربية السعودية تستطيع أن تلعب دورا هاما وأساسيا فى دعم الاقتصاد الإريترى ، وإقامة مختلف المشاريع الحيوية التى تعود على الشعبين والبلدين بالخير الوفير : أولا للخروج بإريتريا وشعبها من الأزمة الاقتصادية والواقع التنموى المتردى من جراء سياسة الأرض المحروقة التى تم التعامل وفقها مع إريتريا بصورة جعلت من إريتريا تعانى من الشلل شبه التام فى كافة المجالات الزراعية ، والصناعية ، والتعليمية ، والخدماتية وغيرها من مفاصل الحياة التى لابد منها لنهضة البلاد ورفاهية العباد. وجاءت زيارة الأخ اسياسى افورقى رئيس الحكومة الانتقالية إلى المملكة العربية السعودية ولقائه بأخيه خادم

الحرمين الشريفين جلالة الملك فهد بن عبد العزيز تجسيدا لهذا الاهتمام وانطلاقا من أهمية المملكة ودورها المرتجى باعتبارها من الدول الهامة فى عالم اليوم ولما تربطها من علاقات خاصة بإريتريا . وتستطيع المملكة العربية السعودية أن تلعب دورا حيويا وهاما فى تحريك الرأى العام الخليجى والعربى والاسلامى بل والعالمي للالتفات نحو إريتريا والإسهام في إخراجها من وهدة مرحلة البناء بتعاون وتضافر المجتمع الدولى وفى مقدمتهم البلدان العربية ذات الأهمية الاستراتيجية والاقتصادية لإريتريا.

" دول الخليج العربى "

دولة قطر - الامارات العربية المتحدة - الكويت - البحرين - وسلطنة عمان

هذه الدول العربية الخليجية ساهمت وأسهمت فى نصرة شعبنا وتأييد ثورتنا أبان كفاح شعبنا المسلح. وكان لدورهم فى نصرة نضال شعبنا الدور المعلى فى تقوية الثورة الإريترية ونمائها واستمرارها. وقد أسهمت كل دولة على حدا فى دعم ثورة شعبنا حسب ظروفها وامكانياتها ، ونظرتها الآنية والمستقبلية كما ظلت دول الخليج العربى وبخاصة قطر والامارات والكويت منبرا اعلاميا مساندا للقضية ، وظلت مدارس هذه الدول ومعاهدها مشرعة أمام أبناء شعبنا ليتلقوا التعليم فى مدارسها. وبعد أن حقق شعبنا استقلاله وحريته كانت هذه الدول من أوائل الدول فرحا باستقلال إريتريا وسعت إلى إقامة علاقات مع إريتريا. وهو شيء قابله اهتمام أكبر من إريتريا حكومة وشعبا. وجاءت زيارة الرئيس الإريترى اسياسى افورقى لبعض دول مجلس التعاون الخليجى تأييدا لهذا الاهتمام الإريترى وتجسيدا لأهمية وماهية العلاقة بين هذه الدول. وإريتريا إنطلاقا من التاريخ المشترك والعوامل الحضارية والثقافية والهموم الاستراتيجية والمصير المشترك فى ظل عالم تسوده رياح البوتقة والتوحد بديلا عن التقوقع والتشرذم والانكماش. وتستطيع دول مجلس التعاون الخليجى أن تلعب دورا لا يستهان به في دعم الاقتصاد الإريترى ، من خلال إقامتها للعديد من المنشآت الاقتصادية وبخاصة فى المجالات الزراعية والصناعية والسياحية . كما أن مواطنو هذه الدول وقطاعاتهم المقتدرة يجدون في إريتريا أرضا خصبة لإقامة المشاريع المختلفة والتى تعود على البلدين بالخير والنماء والازدهار. وإذا كانت إريتريا تحتاج إلى العون والمؤازرة بعد خروجها من الاستعمار فإن هذه الدول مارة الذكر تأتى فى أوائل الدول عطفا على علاقات التاريخ والثقافة والمصير المشترك.

" سوريـــــا "

تظل الجمهورية العربية السورية تحتل مكانتها الخاصة جدا فى قلوب ووجدان كل إريترى وبخاصة العارفين منهم بابجديات التاريخ الثورى لإريتريا وثورتها المنتصرة التى انطلقت في الفاتح من سبتمبر ١٩٦١ بقيادة المناضل والبطل الشهيد حامد ادرس عواتي، وهذه المكانة الخاصة لسوريا لم تأت من فراغ أو من قبيل الحب التقليدى وإنما لها اسبابها والتى يمكن تحديدها فى الآتى :

أولا : ان سوريا هى أول قطر قدم دعما عسكريا يعتد به للثورة الإريترية فى وقت كانت فيه البندقية الواحدة تعنى الكثير بالنسبة للثوار الإريتريين الذين انطلقت ثورتهم بامكانيات شبه مفقـــودة .

ثانيا : سوريا من الدول التى لم يتغير موقفها المبدئى على الإطلاق من الثورة الإريترية فى كل المنعطفات ومختلف المراحل.

فمنذ عام ١٩٦٣ وسوريا تعترف بشرعية النضال الإريترى وتقدم دعما له فى كل المستويات ، وتبدو أهمية هذه النقطة إذا ما علمنا أن علاقات جميع البلدان مع الثورة الإريترية مرت بمراحل مد وجذر إلا أن سوريا ظلت على الدوام الاستثناء الوحيد. وهذا يؤكد ايمان الشعب السورى وقياداته بالقضية الإريترية إذ قامت بتدريب المئات من الشباب الإريترى فى معاهدها العسكرية . كما ظلت مدارس وجامعات سوريا ومختلف مرافقها التعليمية مفتوحة أمام أبناء إريتريا ليتلقوا العلم مع أخوتهم السوريين فى أخوة ثورية لم يحدث التاريخ الإريترى الحديث عن اقوى منها.

كل هذا يفرض علينا فى إريتريا إقامة أوثق الصلات مع الجمهورية العربية السورية عطفا على مواقفها المبدئية وانسجاما مع الروابط التاريخية والثقافية التى تربط إريتريا وسوريا. ونرجو أن تشهد العلاقات الثنائية بين البلدين مزيدا من التطور.

" لبنـــــان ، الاردن "

==

لعبت لبنان دورا هاما لا يستهان به فى دعم نضال شعبنا ، وقد كانت بيروت قلعة من قلاع الفكر والأدب والصحافة وقد ساهمت بصورة كبيرة فى التعريف بالقضية الإريترية من خلال المؤسسات الصحفية الكبيرة... كما أن المثقفين اللبنانيين انعطفوا ازاء نضال الشعب الإريترى ولعبوا دورا كبيراً فى نصرة القضية الإريترية. وقد ساهم السياسيون اللبنانيون فى إيجاد أرضية للثورة الإريترية فى لبنان، لتؤدي رسالتها الاعلامية ، وكان فى مقدمة أولئك السياسيين المرحوم الزعيم كمال جنلاط ، وقد ساهمت بيروت فى التعريف بالقضية الإريترية من خلال وسائل الاعلام التي كانت تتخذ منها مقرا لها .

وهو دور لا ينسى للبنان نأمل أن يعود هذا البلد الجميل الى سابق عصره ويسهم فى الركب الإنسانى والحضارى للبشرية بعد أن حل الوفاق بين فئات الشعب اللبنانى.

والمملكة الأردنية الهاشمية أيضا ظلت على صلة بالثورة الإريترية وبالتالى بنضال شعبنا. وقد أسهمت فى مؤازرة شعبنا ودعمته وافتتحت مكتب للثورة الإريترية، وهى من الدول الهامة فى المنطقة العربية وينبغى تحريك العلاقات معها للوصول بها إلى صورة مثلى لصالح البلدين والشعبين.

فلسطيــــن

===

إن الثورة الإريترية اعتبرت الثورة الفلسطينية الثورة التوأم بالنسبة لها منذ انطلاقها فى مطلع يناير ١٩٦٥م . وذلك للقواسم المشتركة بين الثورتين إذ كان هناك تحالفا بين نظام هيلى سلاسى والكيان الصهيونى الذى ساعد الاستعمار الإثيوبى بالخبرة العسكرية لمحاربة الثورة الإريترية .

كما أن الثورة الفلسطينية رغم ظروفها قدمت دعما مقدرا للثورة الإريترية عسكريا وماديا فى بداية السبعينات . وإن بعض التباين فى المواقف الذى حدث فى عهد منغستو وكنتيجة للاستقطاب الدولى لم يقلل من علاقة الشعب الفلسطينى ومثقفيه تجاه نضال الشعب الإريترى . فتظل العلاقة بين الشعبين قائمة . ويؤكد الشعب الإريترى الذى توجت نضالاته بالاستقلال على حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره . كما أيدت الحكومة الإريترية الإنتقالية المبادرة السلمية الحالية لتحقيق السلم والاستقرار فى المنطقة .

وهنا لا يمكن أن ننسى دور المنظمات الجماهيرية الفلسطينية بفئاتها المختلفة تجاه الثورة الإريترية وفى مقدمتهم الاتحادات الشبابية والطلابية والأدباء والمثقفين الذين لعبوا دورا كبيرا فى تعميق النضال الإريترى فى وجدان الشعب الفلسطينى والشعوب العربية قاطبة ويأتى فى مقدمة هؤلاء الشاعر سميح القاسم الذى لم تنسه أغلاله فى الأراضى المحتلة ثورة شعبنا حيث بعث للثوار الإريتريين تحية نضالية نذكرها فيما يلى :

سميح القاســم يغنــى إريتريــا :

إريتيــريا

سمعت عن صبية ،

تغوص فى دمائها

لتمسح الغبار والدموع عن أبوابها ،

وتطرد الأشباح عن سمائها

وقيل أن وجهها

ينضح بالخصوبة

والشمس ٠٠ والعروبة

فمن هى ؟

- إريتريــا

* *

سمعت عن جراحها

تسطع فى الكمائن

بالحب والضغائن

وقيل : مرت ، تحمل الشمس على رماحها

فمن هى ؟

- إريتريا

* *

يا غابة مشتعلة

وقمة تكسر عنق عاصفة

ونصبة تموت وهى واقفة

يا صرخة غاضبة وقنبلة

يا ساعدا وسنبلة

حبيبتى أنت إذن

وفيك مثل ما بيا من العذاب فى الهوى وفى الوطن

إريتريا ..

إريتريا ..

إلى اللقاء .. إننا نحفر مجرى للزمن

وندفع الثمن .

" الجمهورية العراقية "

==

كان العراق ومنذ فترة تقرير المصير يؤيد استقلال إريتريا. وهذا ثابت بالوثائق وتواتر الحقائق ولكن وبعد استلام حزب البعث العربى الاشتراكى للسلطة فى العراق عام ١٩٦٨م شهدت العلاقة الإريترية العراقية تطورا كبيرا تمثل في الاعتراف الرسمى العراقى بالثورة الإريترية وبحق شعبنا المشروع فى إقامة كيانه الوطنى على تراب أرضه أسوة بشعوب الارض. وأصبح العراق ركيزة أساسية وثابته لدعم الثورة الإريترية وقدم العراق الدعم العسكرى والمادى للثورة الإريترية أكثر مما قدمته الدول الأخرى المماثلة له اقتصاديا.

كما للعراق مواقف محمودة من تعلم أبناء إريتريا ، حيث فتحت المدارس والجامعات أبوابها لتعليم أبناء إريتريا فى كافة مراحل التعليم ، وما زال حتى الآن ، يتلقى الإريتريون التعليم هناك ، وهذا موقف لن ينساه شعبنا للعراق الشقيق .

وبالرغم من الخلافات السورية العراقية إلا أن البلدان ظلا يقفان موقفا مبدئيا من الثورة الإريترية بل ربما ظلت الثورة الإريترية القاسم المشترك الوحيد بينهما. والمنطق وواقع البلدين يحتمان اقامة علاقات متطورة مع العراق لمصلحة الشعبينوالبلدين.

" الجمهورية اليمنية "

إن الذى يربط بين الشعب اليمنى والشعب الإريترى يتجاوز اعتبارات الجوار والحدود المشتركة والمصالح الحيوية إلى ما هو أبعد من ذلك بكثير. فللبلدين – وإلى حدود بعيدة – امتدادات تاريخية وحضارية وثقافية لبعضها البعض . وقد ظلت إريتريا طوال تاريخها القديم متفاعلة مع خلفيتها الحضارية والثقافية عموما وباليمن على وجه الخصوص ، وقد شهدت العلاقات الإريترية اليمنية نموا مضطردا وكبيرا فى السنوات الماضية ومنذ اقدم العصور وهو نمو افقى حيث تصاهر الإريتريون واليمنيون وامتزج دم بعضهما البعض وهو شىء اعطى ويعطى العلاقات اليمنية الإريترية بعدها الهام والفعال . كما أن المواقع الاستراتيجية لكلا البلدين والروابط الجغرافية يفرضان على الشعبين والبلدين إقامة اوثق الصلات. وقد لعبت اليمن دورا كبيرا فى نصرة شعبنا ومساعدة نضاله منذ انطلاق الثورة حيث كانت اليمن معبرا أساسيا للثوار يمررون من خلالها أسلحتهم وجيوشهم الشيىء الذى ساهم بصورة أساسية وحاسمة فى توسيع رقعة الثورة الإريترية وتمددها لتعم كل أنحاء إريتريا وتمتلك زمام المبادأة العسكرية والسياسية وتحقق الانتصار تلو الانتصار ، حتى استطاعت الثورة الإريترية من أن تطرد الوجود الاستعمارى الإثيوبى من على أرض إريتريا وتقيم دولتها المستقلة ذات السيادة على أرض الأجداد. وكانت اليمن حكومة وشعبا في مقدمة الدول التى ابتهجت للنصر الإريترى ولميلاد دولة إريتريا .

وشهدت العلاقات الإريترية اليمنية نموا متواصلا . وقد خصها الرئيس الإريترى «أسياسى افورقى » بزيارة على رأس وفد إريترى التقى خلالها بالمسئولين فى اليمن وعلى رأسهم أخيه الرئيس اليمنى على عبد الله صالح. ونأمل ونرجو للعلاقة اليمنية الإريترية مزيدا من التطوير والمتانه لخير الشعبين والبلدين أولا ولمصلحة المنطقتين العربية والافريقية.

" دول المغرب العربي "

ليبيا . المغرب . تونس . الجزائر . وموريتانيا

هذه الدول العربية المغاربية لعبت دورا كلا على حدا فى نصرة القضية الإريترية وتأييد حق شعبنا فى استقلاله وحريته. وقد سمحت هذه الدول للثورة الإريترية بالتواجد السياسى فوق أراضيها وطرح قضيتها من خلال منابر هذه الدول الاعلامية والسياسية. إلا أن مساهمات هذه الدول لم تكن بقدر واحد فقد ظلت علاقاتها مع الثورة الإريترية متباينة وتبعا لذلك التباين تباينت مساهمات هذه الدول ومواقفها من القضية الإريترية ، وبالتالى من نضال الشعب الإريترى ضد الاستعمار الإثيوبى. وتأتى ليبيا فى مقدمة الدول التى انعطفت مع مأساة شعبنا أبان العهد السنوسى . وبعد انتصار ثورة الفاتح من سبتمبر ١٩٦٩م فى ليبيا بقيادة القائد معمر القذافى قدمت دعما كبيرا للثورة الإريترية مادى وعسكرى وسياسى وتعليمى ، واستقبلت ليبيا الآلاف من الطلاب الإريتريين ليتلقوا العلم فى مدارسها ومعاهدها العليا وجامعاتها. كما أننا لانزال نذكر لليبيا موقفها السياسى الواضح إزاء القضية الإريترية ومطالبتها منظمة الوحدة الإفريقية بإدراج وتبنى القضية الإريترية باعتبارها قضية تحرر وطنى. وكان ذلك بحضور الامبراطور الإثيوبى "هيلى سيلاسى".

ورغم أن العلاقة الإريترية الليبية اعتراها بعض الفتور من جراء تشابك مصالح القوى الكبرى فى المنطقة وتداخل مصالحها الاستراتيجية. إلا أننا لا نتعامل مع التاريخ بقدر تعاملنا مع الثوابت والهموم المشتركة. وهذا الفهم والمنطلق يفرضان علينا تنمية العلاقات مع ليبيا والدول الأخري وتطويرها لنصل لمستواها الطبيعي المنشود. انطلاقا من مصلحة شعوب هذه الدول والشعب الإريترى. خاصة وأن إريتريا فى أمس الحاجة لمن يمد لها يد العون والمؤازرة من أجل بناء ما دمرته حرب العقود الثلاث.

" دول القـــرن الإفريقـــى "

جمهورية السودان

===

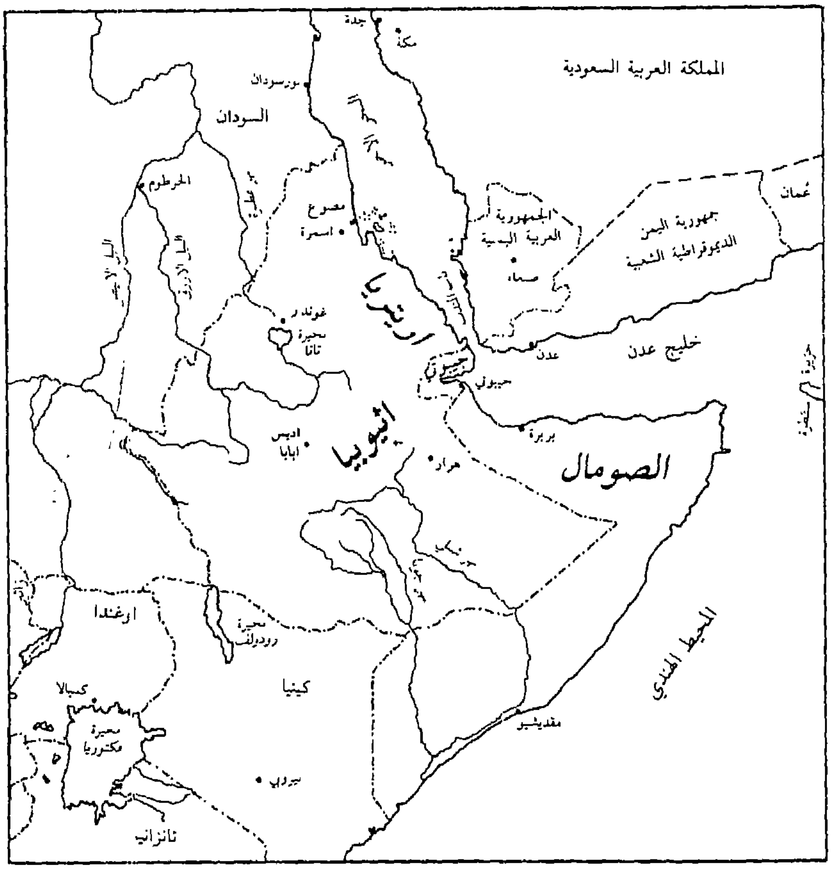
السودان بحكم موقعه الجغرافى وتداخل القبائل الإريترية السودانية فإنه ولا شك يشكل عمقا استراتيجيا وحضاريا وثقافيا لإريتريا وهذه الخاصية أعطت السودان موقعا بالغ الأهمية فى تطور الثورة الإريترية سلبيا كان أم إيجابيا. والعلاقات بين الشعبين متميزة وقديمة قدم وعراقة إنسان السودان وإريتريا فى هذه المنطقة . كما أن عوامل التاريخ والجغرافيا والحراك الاجتماعى بين الشعبين جعل منهما كلا واحدا وجعل من همومهما مشتركه إن لم تكن متطابقة كما وحد إلى حدود بعيدة تطلعاتهما الى غايات واحدة. كل هذا جعل العامل التاريخى والجغرافى يعطى العلاقات السودانية الإريترية خصوصية تتجاوز الجانب الرسمى الحكومى فى السودان ، لتصبح الثورة الإريترية وبحق هما من هموم الإنسان السودانى اليوميه وقضية يعيشها بشكل يومى وذلك أبان الفترة الفيدرالية وتغول القوى الكبرى على مصالح شعبنا وحرمانه من حقه الوطنى المشروع في خضم مؤامرات كبرى لدول الحلفاء المنتصرة فى الحرب العالمية الثانية.

وبعد انطلاق الثورة الإريترية فى الفاتح من سبتمبر ١٩٦١م بقيادة البطل "حامد عواتى" كان الشعب السودانى من أوائل الشعوب انعطافاً إزاء الثورة الإريترية بالرغم من الموقف السلبى للحكومة العسكرية بقيادة الفريق إبراهيم عبود من نضال شعبنا ، بسبب الورقة الجنوبية. تلك الورقة التى كانت إثيوبيا تلوح بها دوما باعتبارها عامل ضغط ضد السودان ولذلك فإن علاقة السودان الرسمى

بالثورة الإريترية ظلت تحكمها العوامل مارة الذكر ، ولكن هذا لم يحول دون التعامل مع الثورة ومحاولة عدم إثارة القلاقل والحروب مع إثيوبيا من جهة . والحق ان السودان استطاع أن يدير هذه المسألة بجدارة واقتدار.

وبعد انتصار ثورة الانقاذ الوطنى بقيادة الفريق البشير تبنت الحكومة السودانية القضية الإريترية بصورة واضحة ، ودعمت الثورة الإريترية دعما كبيرا أسهم ولا شك فى الانتصار التاريخى الكبير الذى حققه شعبنا فى الرابع والعشرين من مايو ١٩٩١م ، وقد عمت السودان كرنفالات الفرح والابتهاج باستقلال إريتريا. وكان السودان أول دولة يزور رئيسها الفريق البشير إريتريا ويفتح سفارة رسمية فيها.

كما أن العلاقة السودانية الإريترية تعتبر نموذجا للعلاقات الرسمية والشعبية الرأسية والأفقية. فضلا عن أن السودان ظل ملاذا للإريتريين ، حيث لا تزال أراضيه تستضيف عشرات الآلاف من اللاجئين يقاسمون الشعب السودانى المأكل والمشرب فى أخوة صادقة وحميمة مُثلى. ونرى لابد من تمتين العلاقات أكثر فأكثر بين السودان وإريتريا وكذا دول المنطقة الأخرى كإثيوبيا وجيبوتى والصومال ، لإيصال العلاقات إلى مستوى من الاتحاد ليس مثل تلك الاتحادات أو الوحدات الرأسية القاصرة ، بل اتحاد يأتي كنتيجة للحوار الطويل المشترك ويهدف إلى جمع خصائص ومميزات هذه الشعوب لتنطلق معا الى رحاب القرن الحادى والعشرين حيث تتبارى دول وشعوب العالم فى التوحد والتبوتق والاتحاد .



القــرن الإفريقى

كما أننا لا ننسى أبدا الصومال الشقيق لما قدمه من دعم يظل تاجا لهذا الشعب يكلل رءوس كل الإريتريين . فقد كانت الصومال أول دولة تعاملت مع الثورة الإريترية بانفتاح وصدق ودون أية حسابات سياسية أو مصلحية. وافتتحت أول مكتب للثورة الإريترية فى مقديشو وشهدت الصومال أيضا ميلاد رابطة للأخوة الصومالية الإريترية لعبت دورا كبيرا فى ربط الصوماليين بالقضية الإريترية ووقوفهم خلف الشعب الإريترى وثورته ، وإننا لا ننسى سماحها لنا بالجنسية

الصومالية والجواز وقد كان لهذا دورا كبيرا خاصة وان قادة النضال الإريترى ظلوا يعتمدون على جوازات السفرالصومالية في تنقلاتهم منذ مطلع الستينات وإلى أن تم تحرير التراب الإريترى.



الرئيس الإريترى يسلم للرئيس الإثيوبى مليس زيناوى شعار دولة إريتريا

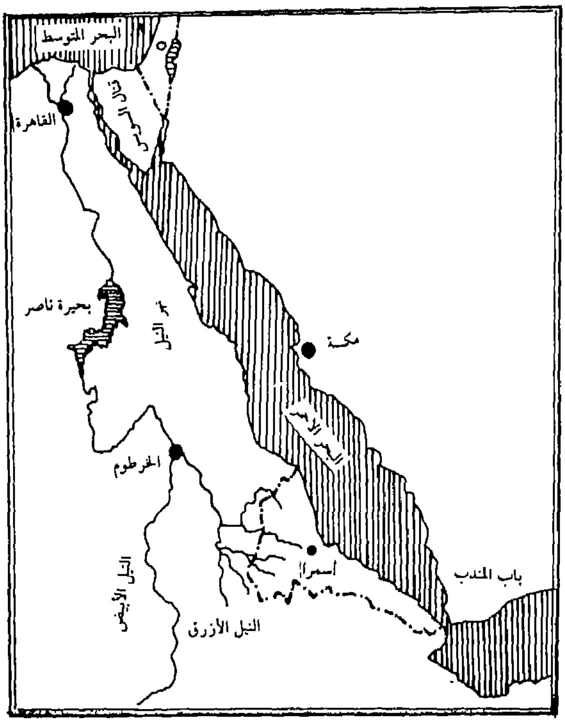
كما أن علاقة إثيوبيا وإريتريا شهدت بدورها نموا مضطردا وبخاصة بعد ادراك الفصائل الإثيوبية بقيادة الجبهة الديمقراطية الثورية لشعوب إثيوبيا "اهودق" إن التعامل مع رغبة الشعب الإريترى وحقوقه الوطنية هما المخرج لاستقرار المنطقة وفى مقدمتها إثيوبيا وبعد زوال نظام الدكتاتور "منقستو" وتولى الرئيس ملس زينارى زمام الأمر فى إثيوبيا فإن العلاقات الإريترية الإثيوبية وصلت الى مستوى من القوة والمتانة نأمل ان يكون نموذجا لكل الدول المتجاورة.

وفى چيبوتى أيضا سعت الحكومة الإريترية إلى اقامة علاقات وطيدة مع هذه الدولة الجاره. وقد خصها الرئيس الإريترى بزيارة رسمية والتقى رئيسها حسن غوليد. وتم افتتاح سفارة لإريتريا فى چيبوتى ويتبقى تطوير علاقات الشعبين لما فيه خير البلدين والشعبين.

الفصل السابع والأربعون

أمن البحر الأحمر والدول التى تقع فى إطاره

كان البحر الأحمر كطريق مائى عامل جذب للتنافس والتناحر والتدخل الخارجى ، على مر العصور ، وذلك للأهمية الاستراتيجية التى يشكلها هذا الممر المائى، فهو يعد من أهم الممرات الدولية التى تربط تجارة الشرق بالغرب عبر قناة السويس ، وجعلت منه موقعا للصراعات الإقليمية والدولية ، وبحكم كون البحر الأحمر طريقا بحريا استراتيجيا يهم العالم كله ، فقد اجتذب القوى الخارجية فى المنطقة عبر قرون قديمة وحديثة نتيجة لموقعه ؛ ولذلك وجد أبناء المنطقة المطلة على هذا الشاطىء صنوفا من الاحتلال والسيطرة على مدى التاريخ .



مداخل البحر الأحمر

وفى القرن التاسع عشر دأبت الدول الكبرى على إذكاء نار الصراعات فى البحر الأحمر وخاصة منذ إفتتاح قناة السويس عام ١٨٦٩ ، فاكتسبت قضية البحر الأحمر أهمية عالمية دفعت الدول الاستعمارية بريطانيا وفرنسا وإيطاليا إلى احتلال المنطقة، والتأثير على مصائرها • هكذا ساعدت هذه الدول على خلق صراعات جديدة فى المنطقة، عندما وسعت إطار النزاعات القائمة ، بل أضافت إليها عناصر عرقية وإقليمية أيضا • وهكذا فالوجود الأجنبى والتدخل الخارجى كان لهما عظيم الأثر فى منطقة البحر الأحمر ، فإن تفاعل الصراع بين المصالح الإقليمية لم يتوقف على ذلك ، بل شمل أيضا أطرافا دولية خارجية ، الأمر الذى يضيف على صرعات البحر الأحمر طابعا داخليا وخارجيا على حد سواء عبر العصور القديمة والحديثة •

ومن هنا جاء اهتمامنا به وأفردنا فصلا خاصا به ، وقد استمر صراع الأقوياء للسيطرة على البحر الأحمر فى العصور الوسطى ، والأزمنة الحديثة ، بصورة مختلفة، وخاصة عندما أصبحت كلا من البرتغال وتركيا وجها لوجه فى المنطقة باعتبارهما أقطاب الصراع الرئيسى فى حوض البحر الأحمر وبواباته على المحيط الهندى والبحر الأبيض •

وفى القرن التاسع عشر ومع ظهور حركة الاستعمار العالمى الواسعة سعيا وراء استغلال الخامات الأولية ، ونهبا لخيرات الشعوب ، والسيطرة على أسواقها المحلية، وتصريف السلع المصنعة فيها • فكانت إيطاليا التى استعمرت إريتريا ترى أن مفتاح البحر الأبيض المتوسط يوجد فى البحر الأحمر • وهذا الصراع الطويل الذى شهده حوض البحر الأحمر على امتداد العصور القديمة والحديثة لم يكن دور الشعب الإريترى غائبا عنه – كما سنبين فى هذا الفصل – فالشعب

الإريترى عاش فى هذا الجزء من المنطقة منذ القدم ، محتفظـا بشخصيتـه المستقـلة رافضا كافة أصناف السيطرة الأجنبية .

وهنا سنعرض أهم الأحداث ، والتطورات السياسية والاستعمارية التى شهدها حوض البحر الأحمر فى الشاطئ الإريترى فى مختلف العصور .

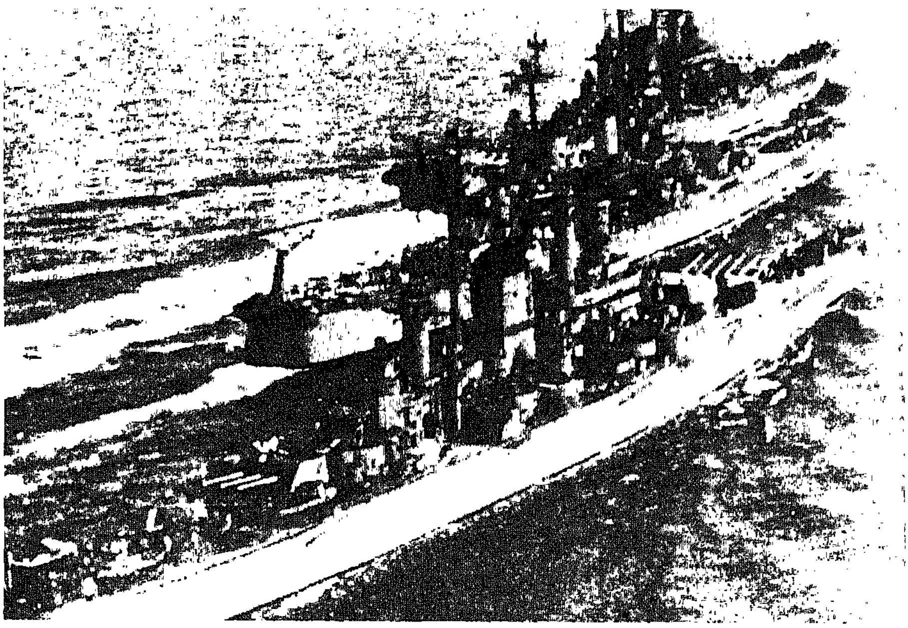
القسم الأول :

البحر الأحمر ومخاطر الصراع الدولى

لقد أفرز الواقع فى منطقة البحر الأحمر ، مثل الثروة البترولية الصراعات المسلحة الإقليمية التي كانت تعانى منها المنطقة ، مع تباينات النظم السياسية التى أخذت تشجع القوى الخارجية والدول الكبرى للاستفادة منها فى تحقيق مزايا استراتيجية فى صراعها بعضها ببعض ، ومن الصحيح أن الطرف الدولى جاء المنطقة إما للسيطرة على البترول ومنافذه ، وإما لمؤازرة نظم محلية صديقة فى تلك الفترة . إلا أن ذلك لا ينفى أطماع هذه الدول عبر عصور مختلفة وفى مختلف الأزمنة التنافس على المحيط الهندى بينهما فى إطار صراعهما العالمى وبين الأمن والاستقرار فى البحر الأحمر التى لا تنقطع بل تزداد تأكيدا فكلاهما يرى أن استمرار وجوده بهذا الشكل المتكاثف إنما يشكل فى حد ذاته عنصر ضغط على الأطراف المحلية المناوئة وعنصر دعم للعناصر الصديقة على أن يؤخذ هذا الاعتبار وبشىء من الحذر لأنه يعنى فى جوهره صور جديدة للاستعمار والتبعية . فالدول التى تقبل حماية أجنبية ستدفع ثمن تقبلها لهذه الحماية ، والذى لـن يخـرج عـن مـزيـد مـن التبعية وتهديد الاستقلال الوطنى كما حدث فعلا فى السابق .

إن البحر الأحمر يعد طريقا رئيسيا، فكما نعلم أن البحر الأحمر يعد الطريق

الرئيسية للغواصات ، والقطع البحرية للدول الكبرى التى تأتى من البحر المتوسط إلى المحيط الهندى ، فضلا عن المزايا التى تتبعها مناطق معينة يتجه إليها التنافس الدولى ، وتقع ضمن منطقة البحر الأحمر مثل قناة السويس وباب المندب أو على الساحل الشرقى الإفريقى أو على سواحل الجزيرة العربية (بحر العرب) والخليج العربى ، استنادا إلى أن المناطق المذكورة تشكل جميعها حزمة أرضية استراتيجية ٠



قطع الأسطول الأمريكى فى البحر الأحمر

ومن الواضح إذن أن استمرار الصراعات المحلية التى تتعدد وتتنوع أسبابها مع تصاعد حجم ودرجة التنافس الدولى على مياه البحر الأحمر والمحيط الهندى ، سيؤديان إلى تكثيف حدة الصراع فى المنطقة ، وتعدد السبل التى تؤدى إلى حله. وتتحمل الدول الإقليمية الجانب الأكبر من الآثار السلبية لهذا الصراع خاصة وأن قدرتها العسكرية البحرية لا ترقى إلى حد التصدى لغواصات وأساطيل الدول الكبرى ، وبرغم ما تبذله دول المنطقة من جهد ، واستنادا إلى القانون الدولى بخصوص تحديد المياه الإقليمية ، والجرف القارّى ، وحقوق استخدام أعالى البحار، وذلك بهدف الاستفادة من الثروة البترولية ، أو السمكية ، والمعدنية فى المستقبل . فإنه فى ضوء استمرار الصراع الدولى، فتهديد الدول الكبرى ومحاولاتها المستمرة للسيطرة على المياه الدولية لن يكن فى مقدورها تحقيق طموحاتها فى تحقيق الرخاء والسلام التى تنشده شعوبها .

القســم الثانــى :

البحـر الأحمـر والعـرب:

إن تسمية البحـر الأحمر كما ذكرنا سابقا أخذت أشكالا وأطوارا منذ القدم ، لقد كان يسمى فى العصور القديمة ببحر العرب ، وبحر القلزم ، وأخيرا بالبحر الأحمر .

لقد مر البحر الأحمر بفترات متلاحقة فى أزمنة مبكرة وحديثة ، نتيجة للصراع الذى كان يدور بين القوى الأجنبية للسيطرة على هذه المنطقة فى غياب المصالح العربية المشتركة وخاصة الدول المطلة عليه وغالبيتهم عرب .

وفى أثناء احتلال العثمانيين للدول العربية ، أعلنوا حرمان شواطئ البحر

الأحمر على السفن البرتغالية ، بحجة أن شواطئه تمر عبر الأماكن المقدسة وهى القريبة من مكة، ولأن البرتغال فى ذلك الوقت كانت من ألد أعداء شعوب تلك المنطقة · كما حدث ذلك فى أزمنة مختلفة ، حيث إن مصر فى الأسابيع القليلة من حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ حينما أعلنت (كل البحر الأحمر من باب المندب إلى قناة السويس شمالا منطقة عسكرية ، وأن مصر تُحذّر من دخول أى سفن إلى البحر الأحمر أثناء المعارك – وحتى إشعار آخر –حتى لا تتعرض للقذائف المصرية من السفن الحربية أو طائرات القتال) · وحقيقة هذا الإعلان هو منع السفن الاسرائيلية من المرور فى البحر الأحمر، أو دخول أى سفن أجنبية لمساعدة إسرائيل ·

وكما أوضحنا فى تعريفنا للبحر الأحمر، فباب المندب يعد إحدى المضايق الهامة للتقدم والتجارة والاستقرار ، فهو المدخل الجنوبى للبحر الأحمر الذى يربط بين المحيطات المفتوحة ؛ الأطلنطى ، والهندى عن طريق البحر الأبيض المتوسط وقناة السويس · ومن خلال باب المندب ، وبالمشاركة مع مضيق هرمز يمر نحو ٤٠ ٪ من إجمالى حركة النفط العالمية ، ومن ثَمّ فإن مضيق باب المندب – من الناحية الاستراتيجية – يعد ضمن إحدى أعناق الزجاجة ذو الأهمية البالغة · وكثر أيضا حوله المتربصون ، على الرغم من أن باب المندب يقوم بدور أساسى ورئيسى من أجل الحضارة والتقدم ، باعتبار أن المجتمع الدولى تربطه منافع ومصالح متبادلة ولكنه فى نفس الوقت لا ينبغى أن يكون لصالح قوى أجنبية من الصراع الدولى على حساب المصلحة العربية والأمن العربى الشامل ، وهناك جملة من العوامل التى لها تأثيرها ، وتسعى إلى التأثير فى الأحداث ، هذا الجانب الحيوى للممر المائى ، ومن ضمن هذه العوامل القوى الأجنبية التى لها دورها ونصيبها من التأثير ،وهى تسعى لتأمين استراتيجيتها المبنية على الخوف من تكتل هذه الدول المطلة على هذا

البحر عربية كانت أو إفريقية . وما شاهدناه فى الآونة الأخيرة من التفجيرات فى البحر الأحمر من القوى، التى كان يهمها تأجيج الصراع فى المنطقة خلق توترات تؤدى إلى عدم الأمن والاستقرار فى هذا الممر المائى الحيوى والشريان الرئيسى لكثير من دول المنطقة المحيطة بهذا الموقع .

فجاءت عملية تلغيم البحر الأحمر ، وما رافقه من انفجار الألغام بثمانية عشر سفينة بضجيج إقليمى وعالمى مثيرا ليكشف عن الأهمية البالغة لهذا البحر ، الذى كان وما يزال حلبة من حلبات التنافس الإقليمى والدولى على مر العصور . ومن خلال هذا الحديث البسيط الذى أشرت إليه ، بدأ الاهتمام من الجانبين العربى والدولى . فكر الغرب فى التدويل ، والعرب فى الإتصال والتعاون مع الدول المطلة الغير عربية على هذا الموقـــع .

وقد أشرت فى دراستنا إلى الأهمية الاستراتيجية لهذا البحر ، وهنا لا أريد أن أتعمق فى البحث عن الأمن العربى فى هذه المنطقة ، وخاصة بعد المتغيرات الدولية إلى تهدئة الصراع والتنافس الذى كان من قبل ، وصاحبه الهدوء حيث يشير الإتجاه الدولى العام إلى أخذ منحنى آخر يسود فيه إخماد بؤر التوتر فى العالم عموما ، والقرن الإفريقى والبحر الأحمر بصفة خاصة والسلام والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط حيث يبذل الآن جهدا مضنيا من جميع الأطراف الاقليمية والدولية للوصول إلى سلام حقيقى وعادل فى المنطقة . ولذلك لا داعى للخوض فى هذا الموضوع أكثر مما أشرت إليه وهذا لا يمنعنى بأن أشير إلى اهتمام الدول العربية بالتنسيق والتعاون مع الدول الأخرى ، التى لها علاقة مباشرة فى حوض البحر الأحمر . وفى عقب الانفجارات التى شهدتها المنطقة فى تلك الفترة ، تلت اجتماعات من الدول العربية فى الخرطوم ؛ لبحث أمن البحر الأحمر ، والذى دعت

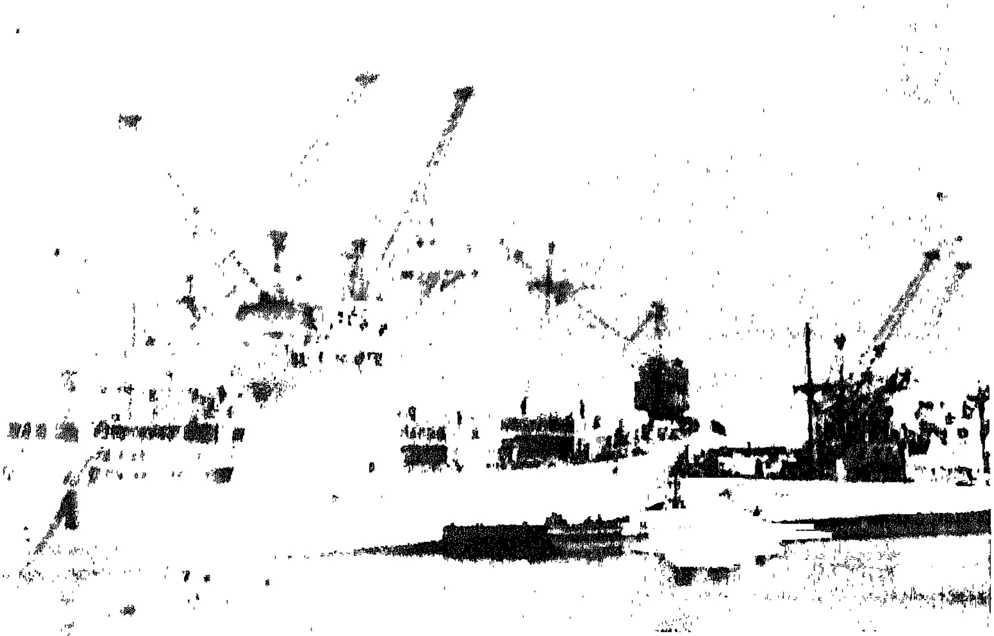
إليه السودان بعد أن تجددت الحاجة إلى بحث هذا الموضوع الهام كما أسلفت فى الذكر ، والتى حدثت فى هذا الممر البحرى، وعرضت الملاحة الدولية فيها للخطر، بل هددت أمن وسلامة الدول المطلة عليه بالخطر . وليس هذا الاجتماع هو الأول من نوعه الذى شهدته المنطقة التى تصارعت الدول العربية المطلة على البحر الأحمر، بل لقد سبقه العديد من الاجتماعات العربية على مستوى جامعة الدول العربية المطلة على البحر الأحمر ، وكذلك على مستوي اجتماعات المجموعة العربية فى دورات مؤتمر الأمم المتحدة الثالث لقانون البحار. وكل هذه الاجتماعات أكدت حقيقة واحدة ، هو أن أمن العرب فى البحر الأحمر، لا ينفصل عن الأمن فى منطقة القرن الأفريقى ، وهو مكمل للبعض والكل. يؤكد إلى هذه الحقيقة الثابتة وهى :

١ - ضرورة أن يظل حوض البحر الأحمر منطقة سلام وأمن واستقرار .

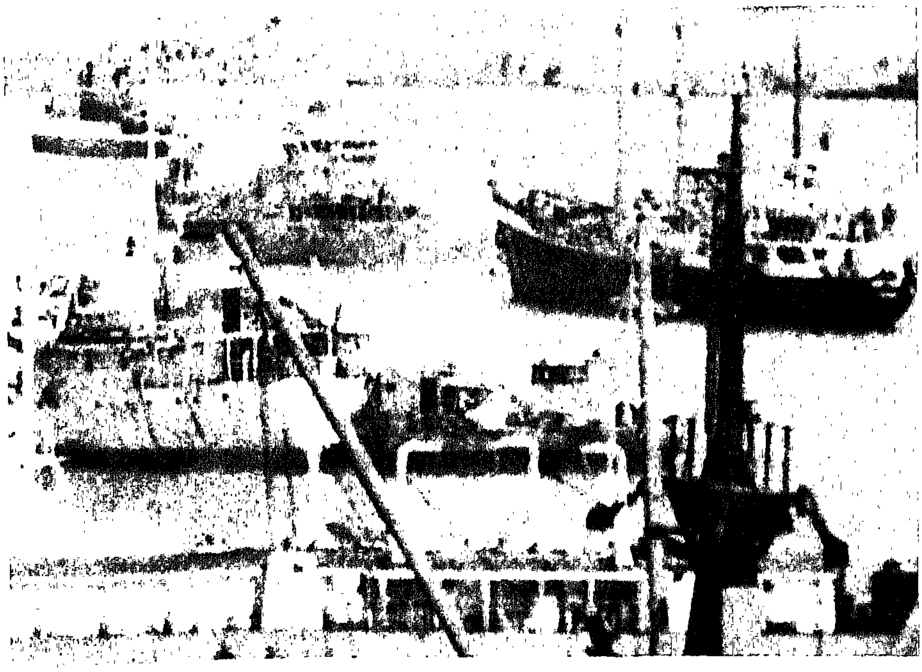
٢ - أهمية استغلال ثروات البحر الأحمر، لما فيه خير شعوب الدول المطلة عليه جميعا .

٣ - أهمية التضامن من الجميع ، لمواجهة الخطر الخارجى فى البحر الأحمر .

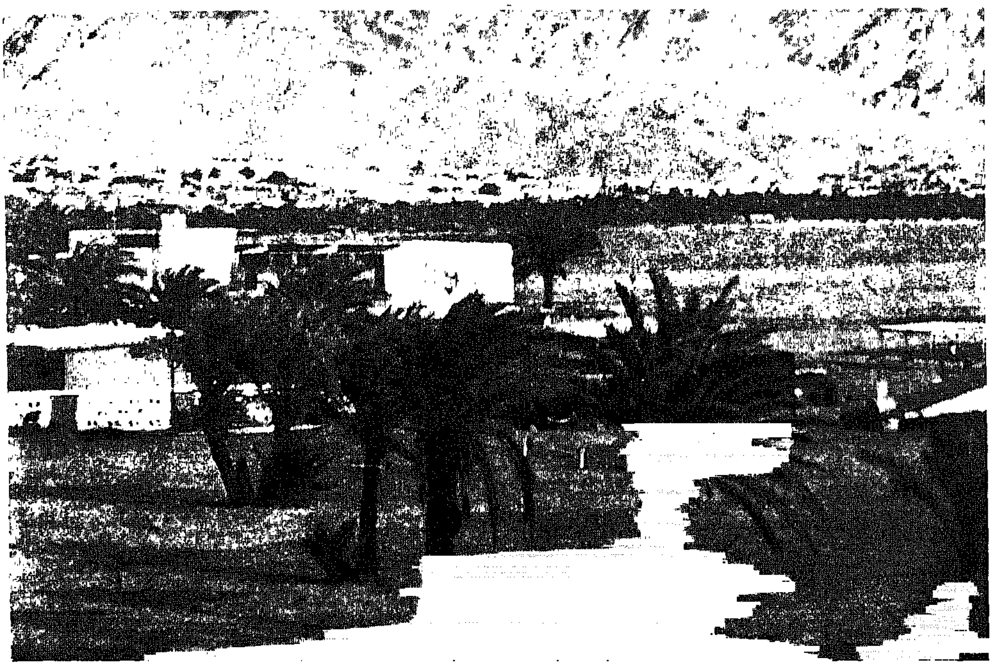
٤ - المزيد من الاتصالات لتوطيد العلاقة بين الدول المطلة على البحر الأحمر من الدول العربية ودول منطقة القرن الإفريقى .



منظر عام لميناء بورتسودان السودانى



ميناء جدة بالمملكة العربية السعودية



مرفأ خليج العقبة

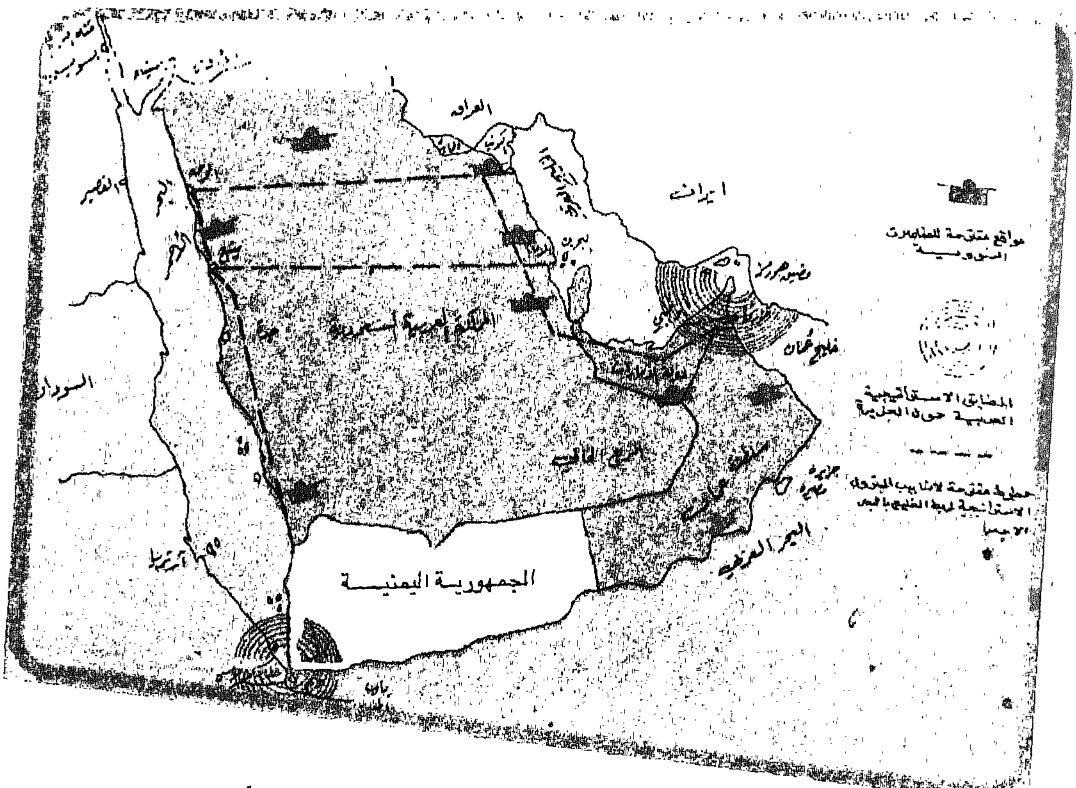
أهمية البحر الأحمر والخليج العربى :

أنتج البترول فى الخليج العربى منذ الثلاثينات . وفى القرن الحالى حدث تطور هام فى الوضع الاستراتيجى للبحر الأحمر ، حيث أصبحت منافذه تتحكم فى طريق البترول القادم من الخليج العربى إلى أوروبا والعالم الصناعى الغربى عموما ، وأصبح البترول يمر بطريقين ؛ إحداهما ، يتجه شمالا إلى قناة السويس ، ومنها إلى أوربا . والثانى ، يتجه جنوبا عبر مضيق موزمبيق الفاصل بين جزيرة

مدغشقر ودولة موزمبيق ، ويمر بجوار جزر الكومور " جزر القمر " ، ثيم إلى رأس الرجاء الصالح فى جنوب إفريقيا ، وبعد هذا يتجه شمالا على طول سواحل أنجولا وغرب إفريقيا وفى كلا الطريقين يكون البحر الأحمر – سواء بحكم وقوع قناة السويس فى شماله ، أو بحكم قربه عبر باب المندب من القرن الإفريقى – مسرحا لناقلات البترول الضخمة التى تحمل بداخلها شريان الحياة للعالم الصناعى ، ومصدر الثروة الهائلة الرئيسى لدول الخليج ٠ وليس البحر الأحمر ممرا لنقل البترول من مصادره فى الخليج إلى مركز تصنيعه فى العالم خارج المنطقة بصفة أساسية ، وإنما هو بذاته سيكون – عبر أماكن أساسية – فيه مراكز لتجميع البترول ، ثم نقله منها إلى الخارج ، حيث هناك جهود جارية لإقامة ميناء لتصدير البترول فى ينبع بالملكة العربية السعودية ، وبالنظر إلى هذه الأهمية البالغة لكل من قناة السويس وباب المندب ، فإن تحقيق الإستقرار فى المناطق المحيطة بهما يعد أمرا جوهريا وحيويا للدول الواقعة على البحر الأحمر ، وبالنسبة للقوى الدولية الأخرى ، وإنهاء النزاع والصراع فى منطقة البحر الأحمر ،الذى شهدته المنطقة بعد سقوط منجستو من خلال النضال الطويل التى خاضته شعوب المنطقة وفى مقدمتها الشعب الإريترى ٠

فاستتباب الأمن فى إثيوبيا فى عهدها الجديد ، وإعلان دولة إريتريا المستقلة فى هذه المنطقة من دول القرن الإفريقى ، لاشك أن هذا الموقف الجديد سيسهم بدوره بالاستقرار والأمن ، التى تسعى إليه الدول المطلة التى تقطن فى هذه المنطقة ، وسينعكس آثاره بالخير والمنفعة فى الوقت القريب لحيويته ، وأهميته، وتقع إريتريا فى هذا المر المائى المهم ، والتى تمتد أراضيها من حدود الصومال إلى جيبوتى ، وإطلالها مباشرة على البحر الأحمر يجعلها تنفرد بميزة السيطرة والتحكم فى الجزر المتناثرة . مجموعة جزر " دهلك " فى باب المندب ، وأهم

موانيها مينائى عصب ومصوع . من هنا تعتبر إريتريا من الدول المهمة التى تؤثر وتتأثر باستراتيجية البحر الأحمر .



خريطة منطقتى الخليج العربى والبحر الأحمر

القسم الثالث :

أمن البحر الأحمر والقرن الإفريقي

كما أوضحنا فى هذا الصدد ، أن الأمن العربى فى مجمله لا يختلف عن الأمن فى دول شرق إفريقيا والقرن الإفريقى بحكم العلاقات والصلات المتواصلة التى تربط هذه المنطقة بالعرب تاريخيا منذ القدم - كما هو واضح من دراستنا للخلفية التاريخية للشعب الإريترى ، والذى تعتبر إريتريا إحدى الدول الأساسية والمهمة التى تطل شواطئها على البحر الأحمر .

فتعاون الدول العربية المطلة على هذا البحر بالتعاون والتنسيق مع دول القرن الإفريقى ، هو الضمان الوحيد لتحقيق الأمن والاستقرار فى البحر الأحمر من الناحية الأمنية ، وخاصة بعد أن ظهرت أهميته منذ العصور القديمة ٢٠٠٠ سنة ق . م . وكان تأثيره واضحا من خلال السرد التاريخى للبحر الأحمر الذى تناولته سابقا بالإيجاز . فنتيجة لأهميته كانت الدول الواقعة عليه ، وخاصة على مداخله ومخارجه ، محلا للتطلعات الاستعمارية . فقد قامت الدول الاستعمارية بتقسيمها فيما بينها لتكون لها يد على جزء من هذا البحر، ولذلك نجد الاستعمار فى البلاد المطلة على البحر الأحمر فبريطانيا قد فرضت حمايتها على عدن ، ثم حولتها إلى مستعمرة فيما بعد ، لكى تتحكم فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر. وكذلك احتلالها لمصر وبذلك تكون قد تحكمت فى المدخلين الجنوبى والشمالى .

وفى نفس الوقت نجد أن فرنسا قامت بتشغيل إدارة قناة السويس علاوة على احتلالها وبسط نفوذها وسيطرتها على منطقة جيبوتى ، وتحويلها إلى

الصومال الفرنسى. وبهذا تشارك بريطانيا فى سيطرتها على المدخل الشمالى والجنوبى للبحر الأحمر ، ومع هذا لم تكن هاتان الدولتان هما أطراف الصراع فقط ، بل نجد إيطاليا أيضا قد شعرت بأهمية هذه المنطقة ، وقامت باحتلال إريتريا والصومال ، ليكون لها نفوذ فى هذه المنطقة الحيوية . وقد تطور الوضع فى منطقة البحر الأحمر ، والقرن الإفريقى فى الفترة الأخيرة من القرن العشرين حيث شهد صراعات إقليمية حادة ، أدت إلى حروب بين إثيوبيا والصومال بدعم - بشكل أو بآخر - من الدول الكبرى السوفييت وأمريكا .

وبالنسبة لإريتريا فإننا نجد أنه بعد الحرب العالمية الثانية ، والتى انتهت بهزيمة إيطاليا ، فقد طالبت إثيوبيا بإريتريا لضمها إلى امبراطوريتها التوسعية ، بتأييد ومباركة من القوى الخارجية حيث تقدمت أمريكا بمشروع قرار للأمم المتحدة فى فترة تقرير المصير للشعب الإريترى ، وقد صدر بالفعل هذا القرار فى ٢ ديسمبر سنة ١٩٥٠ ، باقامة اتحاد فيدرالى بين إريتريا وإثيوبيا . وبموجب هذا القرار تحقق حلم إثيوبيا فى العثور على منفذ إلى البحر الأحمر . وبعد فترة وجيزة ضم الامبراطور إريتريا إلى إثيوبيا ، ولكن حلم حكام إثيوبيا ، أبطلته المقاومة العنيدة التى قام بها الشعب الإريترى، بعد اعلان ثورته المسلحة فى الفاتح من سبتمبر سنة ١٩٦١ وناضل حتى نال استقلاله نضالا طويلا اتسم بالتضحية والفداء طوال ثلاثين عاما .

وكانت الحرب بين إريتريا وإثيوبيا أطول حرب فى افريقيا عموما ، والقرن الإفريقى خصوصا . فأصبحت إريتريا الآن دولة مستقلة ذات سيادة ، تحكم بأبنائها لأول مرة منذ فجر التاريخ واستعادت حقوقها وكرامتها فى البحر الأحمر .

ومع هذا فإننا يجب ألا نغفل عن الأهمية الاقتصادية للقرن الإفريقى ، وثرواته التى لم تكتشف حتى الآن ، ولذلك لا يمكن أن نقلل من علاقة هذه المنطقة

بالعرب اقتصاديا وتجاريا ، والواجب الوطنى والقومى يحتم على العرب احترام علاقة الجوار ، والروابط التاريخية والمصالح المشتركة التى تربط الدول العربية بدول شرق افريقيا والقرن الإفريقى، التى تجاورها جغرافيا ، والتى نشأت معها منذ القدم علاقات سياسية واجتماعية وثقافية ، وحضارية ، وتبادلت مع بعضها الهجرات المختلفة على مر العصور، ولذلك واجب على الدول العربية المطلة على البحر الأحمر وغيرها على تقوية علاقاتها ، وتطويرها مع دول القرن الإفريقى بصفة عامة ، ودولة إريتريا الحديثة بصفة خاصة ، لضمان تحقيق مصالح مشتركة فى هذه المنطقة .

ومن خلال طرحنا لهذه الحقائق ، فإن أمن البحر الأحمر عموما وقناة السويس يمكن أن يتحقق من خلال ثلاثة دوائر أمنية :

الدائرة الأولى : دائرة الجهود الذاتية التى تبذلها كل دولة من الدول ، وتوفير الوسائل والأدوات الكافية ، لتأمين مهامها الإقليمية ، وتأكيد سيادتها البحرية فى نطاق مصالحها البحرية .

الدائرة الثانية : فتفرضها حقيقة التكامل ، والتداخل ، والتأثير المتبادل بين الدوائر العربية ، التى تحتم وجود نظام من التحالف الإقليمى بين الدول ذات المصلحة الحقيقية فى فرض الأمن والاستقرار بحيث يتأكد من خلاله إمكانية دعم كل دولة للأخرى بشكل سريع ومأمون وفعال .

الدائرة الثالثة والأخيرة : فيفرضه البعد الدولى للبحر الأحمر ، بانعكاساته المختلفة على حركة التجارة الدولية ، والرفاهية العالمية ، وذلك يتطلب وجود نظام أمن جماعى ، تشترك فيه ، وتؤمن بأهميته كافة دول العالم، وفى حدود هذا النظام، يمكن فرض الالتزامات القانونية ، والأدبية وفقا لأحكام القانون الدولى العام، واتفاقية القسطنطينية الخاصة بقناة السويس ، على أن تتوفر الأداة والوسائل القادرة على فرض هذه الالتزامات ، عن طريق القوة والإجبار لو تطلب الأمر ذلك أو دعت الضرورة إليه .

البحر الأحمر

تعريف المدن وأهم الجزر المطلة عليه

=====

علـى شواطـىء البحر الأحمر مجموعة من المدن والرءوس والخلجان والجزر والمضايق ، تتوزع بين مختلف البلدان المشرفة على البحر الأحمر.

المضايق وهى :

مضيق باب المندب وتيران .

والخلجان هى :

خليج السويس – خليج العقبة – خليج زولا وأرافلى .

وأهم موانيه :

السويس – جدة – الحديدة – ايلات – العقبة – عصب – مصوع – بورت سودان

سبعة رءوس هامة :

رأس بريدى – رأس فاطمه – رأس أبو شقره – رأس غارب – رأس كتيب – رأس مجاومله – رأس محمد .

مجموعة الجزر الهامة أبرزها :

جزر دهلك – ذو قار – كمران – فرسان – بريم – فاطمه – الحنيش الصغرى – الحنيش الكبرى .

أهم مدنـه :

الحديدة – المخا – جدة – ينبع – الطفير – القنفذة – جيزان – منتوره – الوجه – بالمملكة العربية السعودية .

كلمة لابد منها فى الختام

لقد وفقنى الله واخرجت هذا الكتاب ليكون صورة صادقة عن واقع إريتريا وتطورها التاريخى . وقدمت دراستى هذه على ضوء قواعد التاريخ والجغرافيا وربما علم الاجتماع فى بعض جوانبه وبخاصة تلك المعنية بالثقافة واللغة وغيرها من أليات المجتمع ذات الصلة بالكتاب ، وبالتالى بعلم الاجتماع . وفى ختام هذا الكتاب أرى لزاما على أن أضع هذه الخاتمة وهى تذكير لكل الإريتريين وهمسة مخلصة فى أذن الجميع أرجو أن تتحول إلى دوى فى أذن أبناء شعبنا المرهفة .

ولا شك أن انطلاقه الثورة الإريترية فى الفاتح من سبتمبر ١٩٦١م واستمرار البطولة الإريترية طوال الثلاثين عاما يشكلان علامة فارقة ومميزة لشعبنا الذى سطر ملاحم بطولية فى سيرته الثورية المظفرة . وقد وقفت بالقارئ فى مراحل النضال الإريترى منذ نمو الوعى الوطنى فى الأربعينات وتبوتق الإريتريين خلف قياداتهم الوطنية من أجل الحصول على حقوقهم الوطنية المشروعة ، بعد أن اغتصبت منهم تلك الحقوق فى خضم المؤامرات العالمية التى تبنتها قوى الاستعمار العالمى . ولا شك أن شعبنا وثورته عانيا من ممارسات الأنظمة الإثيوبية ونزعاتها الإلحاقية الفارغة ، وتبعا لهذا التوجه الاستعمارى الإثيوبى التوسعى عانى من تدخلات مختلف القوى الأجنبية كالولايات المتحدة الأمريكية أبان العهد الامبراطورى ، ومن ثم فى عهد " منجستوهيلى ماريام " الذى استعان بالمعسكر الشيوعى للقضاء على الثورة الإريترية إلا أن الترسانة السوفيتية لم تستطيع أن تقضى على إرادة الإنسان الإريترى . بل استطاعت الثورة الإريترية أن تحقق الإنجاز تلو الإنجاز والانتصار تلو الانتصار حتى تمكنت من أن تستلم زمام المبادأة العسكرية والسياسية . واستطاعت الثورة الإريترية أن تختزل الانظمة

الإثيوبية فى ظل أوضاع اقتصادية وسياسية وعسكرية متدنية . وهى أوضاع جعلت الأنظمة الإثيوبية أسيرة للأزمات التى لم تطرح إلا مزيدا من الخسائر فى النطاق الداخلى ، الإثيوبى فضلا عن النطاق الإريترى .

وكما رأينا فى فصول هذا الكتاب ، ومن خلال قراءتنا لمسار الثورة الإريترية، ومعايشتنا للتجربة الإريترية فإن الإرادة هى المقياس وتأسيسا على هذا الفهم وهذه الخاصية لشعبنا نستطيع أن نقول بل ونؤكد أن الأيام القادمة تبشر شعبنا بمستقبل زاهر خاصة وأن السياسة من أولى خصائصها عدم الجمود أو الثبات وهى ايضا لا تعرف الجمود بقدر ما تتفاعل مع الحقائق اليومية والواقع . ونحن فى إريتريا أكثر الشعوب إيمانا بهذه الجدلية وقد أعلنها الأخ " اسياس افورقى " أكثر من مرة وعبر عنها بقوله : " إننا لا نتعامل مع التاريخ بقدر تعاملنا مع السياسة " . هذا الفهم الدقيق لمتطلبات المرحلة القادمة ، وتلك الخاصية يضمنان لإريتريا وشعبها الأمن والامان والاستقرار والازدهار .

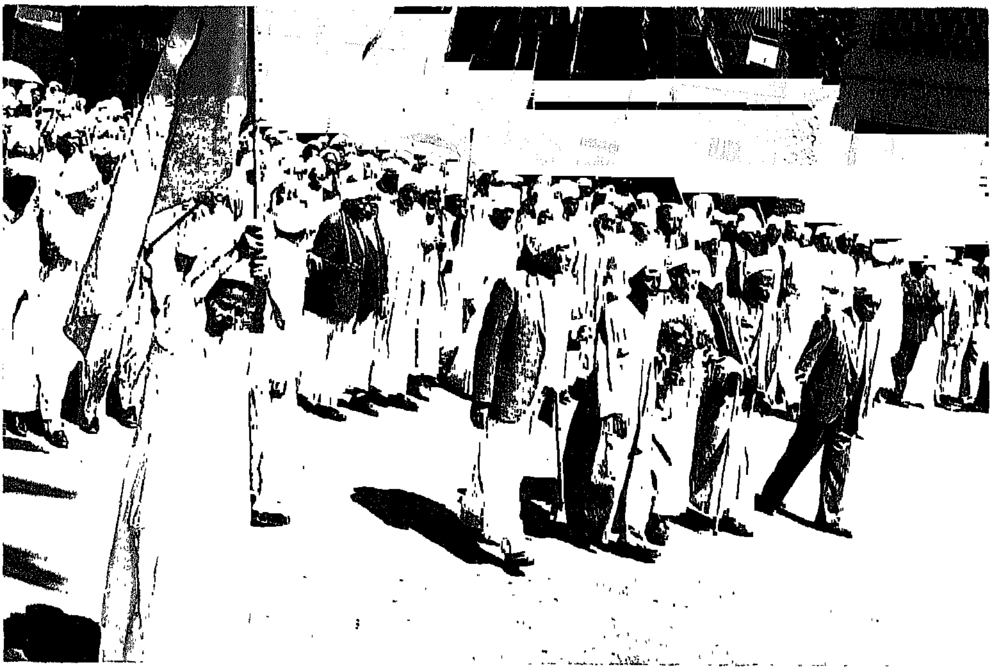
وبعد أن استطاع شعبنا من تسجيل بطولات اسطورية تحتاج الى مؤلفات كثيرة إذا ما أردنا تتبعها وتدوينها بدقة . وهى مرحلة طويلة مليئة بالإنجازات والتضحية والفداء والعرق والدم واللجوء والتشرد . وبعد أن تمكن شعبنا من أن يتوج نضاله المتواصل بانتصاره التاريخى الكبير ، وضعنا جميعا أمام مرحلة جديدة هى مرحلة بناء الوطن وصيانة الإنسان الإريترى وتوفير المناخ الملائم لتقدم هذا الإنسان وارتقائه ونموه . وعطفا على تجربتنا وتجربة الشعوب الأخرى فى عالمنا الثالث وبخاصة فى إفريقيا نقولها هنا بملئ الفم لابد من نسيان الماضى بكل مراراته وسلبياته وأحقاده وصراعاته الانصرافية التى نعتبرها نوعا من الاجتهاد والتجربة الإريترية عانت من هذه السلبية وغاب العقل أحيانا كثيرة ،

وشهدت ساحتنا اقتتالا إريتريا داخليا ساهم فى مد فترة النضال وضاعف معاناة الشعب بكل فئاته . وليكن الله معنا فى هذه المرحلة ولتكن انتصاراتنا هذه نقطة ضوء ننطلق منها لبناء وطننا ، ووضعه فى مصاف الدول المتقدمة من خلال تمتين وحدتنا الداخلية للوقوف وبقوة فى وجه كل من يحاول التغول على مكتسباتنا التى حققناها عبر جسور من التضحيات . ولتكن هديتنا لشهدائنا اللذين سقطوا من أجل عزة الوطن وكرامة المواطنين ، مزيدا من الوحدة وممارسة أكثر وعيا للعملية الديمقراطية التى تقف وبقوة على اعتابها ، وألا نكرر التجارب المرة للبلدان التى سبقتنا فى الحرية والتى ظلت تراوح مكانها بعيدا عن الديمقراطية والسيادة بصورة جعلت العديد من مواطنيها يصابون بالاحباط . فالاستقلال فى حد ذاته قد لا يعنى شيئا إن لم نتناسى خلافاتنا ونتعاون من أجل مصلحة الوطن . والشعب الذى واجه صعوبات كبيرة ، واصطدم بعقبات كثيرة ، وعانى من أجل بلوغ أهدافه كثيرا . حتى استطاع أن يصل بنضاله الى خاتميته الطبيعية فى الرابع والعشرين من مايو ١٩٩١ م ، قادر على حماية وطنه ومكتسباته .

ولتكن نظرتنا إلى المستقبل أكثر من الماضى بل وحتى الحاضر ولنفتح جميعا الباب أمام النور والأمل والمعرفة وأن ننشر العدل والمساواة بين فئات شعبنا المنطلقة إلى غد مشرق .

وعاشت إريتريا حرة مستقلة وعاش شعبنا قويا متحدا . والمجد والخلود لشهدائنا الابرار .

صور تعبر عن فرحة الشعب الإريترى فى يوم النصر





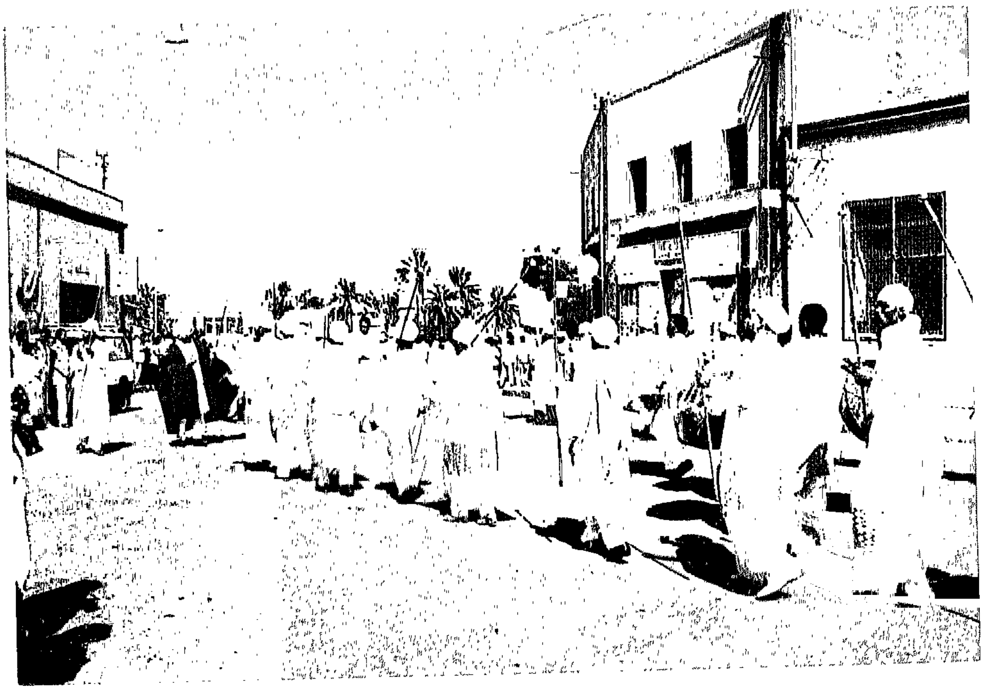






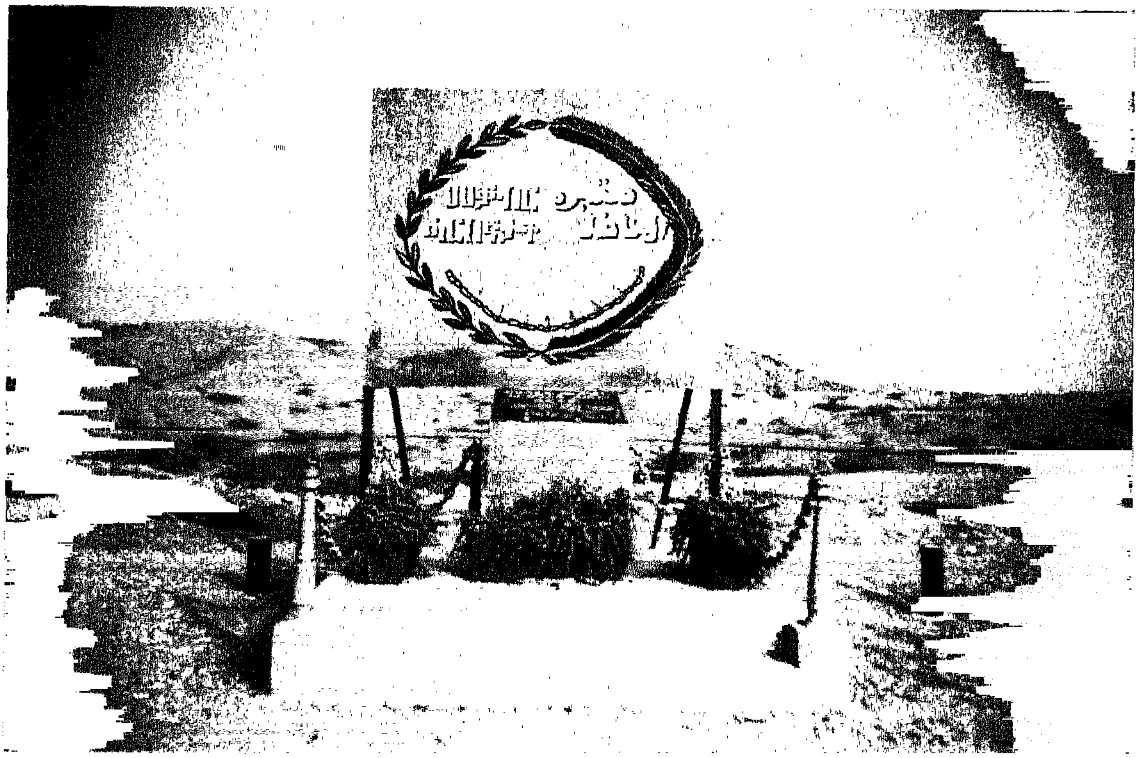






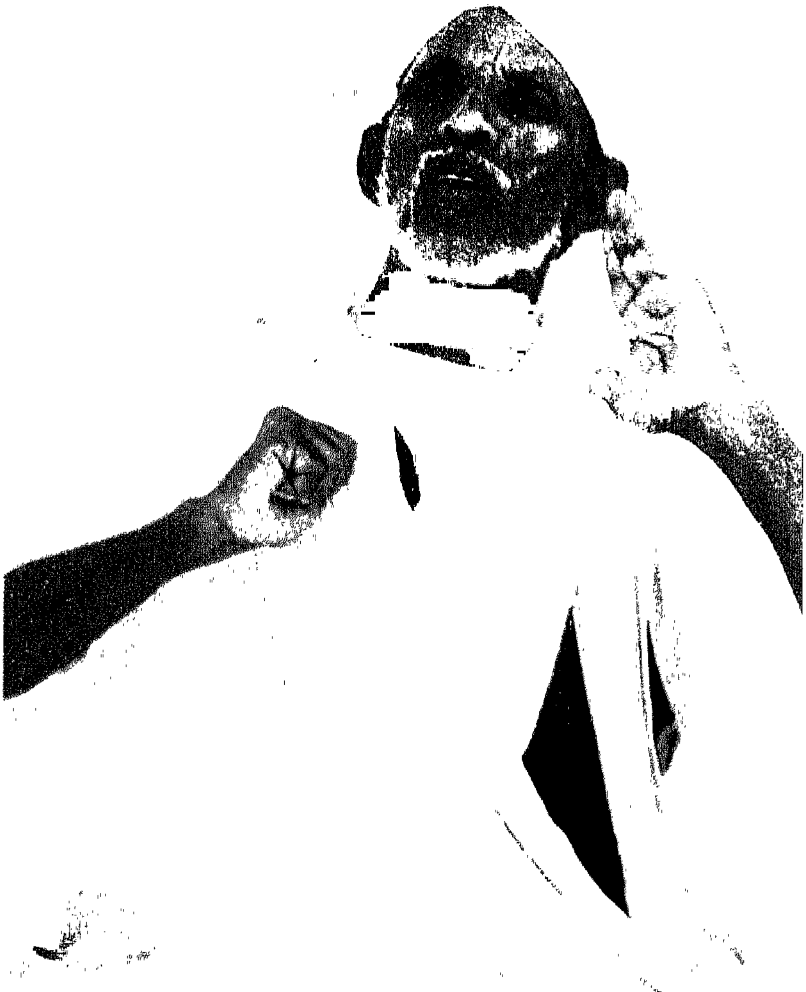


أحد المقاتلين يرفع العلم الإريترى الجديد



مقبرة الشهداء فى أم كلو بمصوع

وجوه من إريتريا









المراجع العربية والأجنبية

١ – تاريخ إريتريا — المؤلف عثمان صالح سبى

٢ – جغرافية إريتريا — عثمان صالح سبى

٣ – إريتريا والتحديات المصيرية — المؤلف حامد صالح تركى

٤ – الثورة الآريترية : الدفع والتحدى — المؤلف الأمين محمد سعيد

٥ – الوثائق الخارجية الإيطالية حول إريتريا — (ترجمة قوات التحرير الشعبية)

٦ – النقوش الكتابية فى جزيرة دهلك — بقلم دينيه باسيه

٧ – التركيبة السكانية فى إرتيريا — المؤلف س . ف . ناديدل

٨ – المستعمرة الإرتيرية (مفوضية مصوع) — ١٩١٠ م المؤلف دانتى اودريتى

٩ – انطباعات وذكريات فى إفريقية الشرقية — بقلم فرديناندو مارتينى

١٠ – إريتريا اليوم (١٨٩٤) — بقلم ادور الفوروسى

١١ – إريتريا مستعمرة فى مرحلة الأنتقال (٤٠-١٩٥٢م) — بقلم سير كنيدى ترفاسكيس

١٢ – إريتريا تاريخها ، جغرافيتها ، اقتصادها . — من مطبوعات جبهة تحرير إريتريا

١٣ – تقرير اللجنة الرباعية من ٤٧ – ١٩٤٨ م

١٤ – تقرير بعثة الأمم المتحدة لتقصى الحقائق إلى إريتريا عام ١٩٥٠ م

١٥ – التوسع الإيطالى فى شرق إفريقيا — تأليف الدكتور رجب حراز

١٦ – الأصول التاريخية للمشكلة الإريترية — تأليف الدكتور رجب حراز

١٧ – الأمم المتحدة قضية إريتريا — تأليف الدكتور رجب حراز

١٨ – اريتريا الحديثة — تأليف الدكتور رجب حراز

١٩ – قضية إريتريا والأمم المتحدة — من مطبوعات الإدارة العامه للأمم المتحدة بنيويورك

٢٠ – إريتريا تاريخ وثورة — المؤلف أسعد الغواثانى

٢١ - وراء الحرب فى اريتريا - إعداد - بازيل ديفرسون - لبونيل كليف - برخيت هبتى سلاسى

٢٢ - إريتريا حقائق أساسية بقلم محمد حرفوش

٢٣ - قبائل الحماسين والحباب فى إريتريا والسودان تأليف محمد صالح ضرار

٢٤ - حقائق عن حرب الإبادة فى اريتريا - تقديم جبهة تحرير الاريتريه - قوات التحرير الشعبية

٢٥ - إريتريا على أبواب النصر بقلم سعيد أحمد الجناحى

٢٦ - عارنا فى إريتريا تأليف سيد أحمد خليفة

٢٧ - الدناكل تاريخيا وبشريا تأليف على أحمد عدم

٢٨ - الأبعاد الدولية لمعركة إريتريا تأليف محمد أبو القاسم حاج حمد

٢٩ - الاتحاد الفيدرالى مع إثيوبيا وكيفية إخراجه تأليف دونكا لمنيع إعداد وتقديم : على محمد سعيد برحتو

٣٠ - قصة الاستعمار الإيطالى لإريتريا بقلم محمد سعيد ناود

٣١ - إريتريا بركان القرن الافريقى تأليف جهة التحرير الإريترية

٣٢ - نضالى مع الثورة الاريترية تأليف أحمد شيخ إبراهيم فرس

٣٣ - إريتريا ومسئوليات ما بعد الاستقلال رؤية مستقبلية - تأليف عبد الله إدريس محمد

٣٤ - الإسلام والحبشة عبر التاريخ تأليف فتحى غيث

٣٥ - الأحباش بين مأرب وأكسوم تأليف ممتاز العارف

٣٦ - صبحى الأعشى تأليف القشقشندى

٣٧ - الاسلام فى إثيوبيا المؤلف سبنسر ترنجهمام

٣٨ - غرائب إثيوبيا جسمان جلبسو

٣٩ - تاريخ الجبرتا تأليف الشيخ عبد الرحمن الجبرتى

٤٠ - العلاقات السودانية بإثيوبيا عبر التاريخ — بقلم عثمان صالح سبى

٤١ - الإسلام فى إثيوبيا — تأليف الدكتور زاهر رياض

٤٢ - إريتريا والحبشة — تأليف محمود شاكر

٤٣ - الحبشة أو إثيوبيا فى منقلب من تاريخها — بقلم بولس مسعد

٤٤ - الحبشة بين الإقطاع والعصر الحديث — بقلم الدكتور راشد البراوى

٤٥ - الحبشة حان وقت التسويات — بقلم سيد أحمد خليفة

٤٦ - أضواء على الحبشة — سلسلة اخترنا لك

٤٧ - الحبشةوالعرب — تأليف الأستاذ عبد المجيد عابدين

٤٨ - إثيوبيا الثورة والعسكر — دار الكاتب قضايا الشعوب

٤٩ - الحرب الحبشية السودانية — تأليف إسماعيل عبد القادر كردفانى

٥٠ - الإسلام الجريح فى الحبشة — تأليف أبو أحمد الإثيوبى

٥١ - الصومال الجديد : فلسفة وأمل — تأليف الدكتور راشد البراوى

٥٢ - الصومال تاريخ وحضارة — جمع وإعداد سعاده السفير عبدالرحمن عثمان الطويل

٥٣ - وثائق عن الصومال - الحبشة - إريتريا — تأليف أحمد برخت ماح

٥٤ - العلاقات المصرية الصومالية — تأليف الدكتور جلال يحيى

٥٥ - الصومال — تأليف محمد عبد المنعم يونس

٥٦ - جيبوتى وما حولها — تأليف سيد أحمد خليفة

٥٧ - الهزيمة الثالثة لكفاح الصومال الغربى — تأليف إبراهيم عبد الله محمد ماح

٥٨ - النزاع الصومالى الإثيوبى الجذور التاريخية — بقلم الكاتب على محمد نور (طرابلسى)

٥٩ - بقية الأمل : تاريخ الصومال — تأليف الشريف عيد روس بن الشريف

٦٠ - الصراع فى القرن الإفريقى — تأليف الدكتور برخت هبتى سلاسى

٦١ - أحداث القرن الإفريقى وحقيقة الصراع الإريترى الإثيوبى تأليف أسعد الفوثانى

٦٢ - صراع القوى الدولية على منطقة البحر الأحمر بقلم عثمان صالح سبى

٦٣ - الوثائق التاريخية لسياسة مصر فى البحر الاحمر تأليف الدكتور شوقى عطا الله الجمل

٦٤ - سياسة مصر فى البحر الاحمر تأليف الدكتور شوقى عطا الله الجمل

٦٥ - مشكلة القرن الإفريقى وقضية شعب الصومال تأليف الدكتور جلال يحى والدكتور محمد نصر مهنا

٦٦ - عبد الناصر والثورة الإفريقية تأليف الأستاذ محمد فائق

٦٧ - البحر الأحمر والأمن العربى مجلة المستقبل مركز الدراسات الوحدة العربية

٦٨ - سواحل البحر الاحمر تأليف الدكتور جلال يحيى

٦٩ - مصر وإفريقيا تأليف ابن ديار

٧٠ - جهود مصر الكشفية فى إفريقيا فى القرن التاسع عشر - تأليف الدكتور يوسف نصر

٧١ - مصر وإفريقيا تأليف الدكتور زاهر رياض

٧٢ - العصر الإسرائيلى من قناة السويس إلى باب المندب تأليف نجيب صالح

٧٣ - مثلث الخطر : مضيق هرمز ، باب المندب ، جبل طارق تأليف مصطفى نبيل

٧٤ - تاريخ سواكن البحر الأحمر تأليف محمد صالح ضرار

٧٥ - السودان والبحر الأحمر - إقليم بيجة تأليف محمد صالح ضرار

٧٦ - المهدية والحبشة تأليف الدكتور محمد سعيد القدال

٧٧ - جنوب السودان تأليف محمد عمر بشير

٧٨ - العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الإفريقية تأليف المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم

٧٩ - السودان فى عهد الحكم الثنائى الأول تأليف الدكتور يونان لبيب رزق

٨٠ - الجغرافية السياسية الإفريقية — تأليف الدكتور فليب رفله

٨١ - إفريقيا تحت أضواء جديدة — تأليف بأول ديفيدست

٨٢ - حركات التحرر الإفريقية — تأليف الأستاذ محمد عبد المولى

٨٣ - إفريقيا : قضايا التحرر والتنمية — تأليف الأستاذ حلمى شعراوى

٨٤ - السلالات البشرية فى إفريقيا — تأليف س . ج سليجميان

٨٥ - الشعوب والسلالات الإفريقية — تأليف الدكتور محمد عوض محمد

٨٦ - الأمم المتحدة وقضايا إفريقيا — تأليف الدكتور عبد الملك عوده

٨٧ - إفريقيا الحرة : بلاد الأمل والرخاء — تأليف الدكتور إحسان حقى

٨٨ - البحر الأحمر والاستعمار — تأليف الدكتور جلال يحيى

٨٩ - داخل إفريقيا — تأليف جون جونتر

٩٠ - قضية القرن الإفريقى — تأليف الدكتور محمود توريارى

٩١ - النظم السياسية فى إفريقيا — تأليف نزيه ناصيف ميخائيل

٩٢ - انتشار الإسلام فى القارة الإفريقية — تأليف الدكتور حسن إبراهيم حسن

٩٣ - تاريخ الجاهلية — تأليف الدكتور عمر فروخ

٩٤ - المثقفون والديمقراطية — تأليف الدكتور خليل أحمد خليل

٩٥ - الحركة الصليبية — تأليف الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور

٩٦ - علاقات الدوله المملوكة بالدول الأفريقية — تأليف حامد عمار

٩٧ - انساب القرشيين — تأليف موفق الدين أبى محمد عبد الله

٩٨ - العروبة والاسلام فى القرن الإفريقى — تأليف محمد سعيد ناود

الفهـــرس

	رقم الصفحة
الإهداء	١
كلمةشكر	٢
تقديم	٣
المقدمـــة	٦
الباب الأول	١٢
الخلفيـــة التاريخية	
الفصل الأول :	
تأثير العنصر الحامى والسامى فى إريتريا .	١٣
الفصل الثانى :	
مملكة أكسوم وتأثيرها على إريتريا .	١٨
الفصل الثالث :	
تأثيرات الغزوات الحبشية على شبه الجزيرة العربية .	٢٩
الفصل الرابع :	
تسمية الحبشة .	٣٢
الفصل الخامس :	
العلاقات الإثيوبية الإريترية من قديم العصور	٣٥

الباب الثانى ٤٢

استقلال إريتريا خلال القرون القديمة والعصور الوسطى

الفصل السادس :

ممالك البيجة فى إريتريا فى العصور الوسطى . ٤٦

الفصل السابع :

إمارة بلـو . ٥٤

الفصل الثامن :

مملكة الدجـن ٦٠

الفصل التاسع :

مملكة الفونج . ٦٣

الفصل العاشر :

إمارات الهضبة الجنوبية فى إريتريا . ٦٦

الفصل الحادى عشر :

حكام النواب فى إقليم سمهر . ٦٩

الفصل الثانى عشر :

دور إمارات الساحل الجنوبى فى إريتريا . ٧١

الباب الثالث ٧٥

جزور الثقافة العربية فى إريتريا عموما والهضبة بصفة خاصة قبل وبعد دخول المسيحية والإسلام فى إريتريا عبر العصور المختلفة

الفصل الثالث عشر :

الجعزيات وجئـز . ٧٧

الفصل الرابع عشر :

المسيحية فى إريتريا واكسوم وتأثيرها فى المجتمع الإريترى . ٨٠

الفصل الخامس عشر :

الإسلام فى إريتريا . ٩٠

الباب الرابع ١٠٢

البحر الأحمر وأهميته الاستراتيجية وصراع الدول على مدى العصور القديمة والحديثة

الفصل السادس عشر :

الموقع الجغرافى . ١٠٣

الفصل السابع عشر :

البحر الأحمر فى العصور القديمة . ١٠٦

الفصل الثامن عشر :

البحر الأحمر فى العصور الإسلامية الأولى . ١١٤

الفصل التاسع عشر :

الصراع الاستعمارى فى حوض البحر الأحمر بعد فتح قناة السويس ١٢٠

الباب الخامس ١٣١

جغرافيـة إريتريـا

الفصل العشرون :

الموقع والمناخ . ١٣٢

الفصل الحادى والعشرون :

الشواطىء والخلجان والرؤوس والجزر ١٣٩

الفصل الثانى والعشرون :

الأنهار فى إريتريا . ١٤٣

الفصل الثالث والعشرون :

الموارد الاقتصادية . ١٥١

الفصل الرابع والعشرون :

إريتريا والثروة الوطنية القومية ١٧١

الباب السادس ١٧٤

العناصر البشرية والتكوين الاجتماعى للشعب الإريترى

الفصل الخامس والعشرون :

اللغات واللهجات . ١٧٥

الفصل السادس والعشرون :

العادات والتقاليد للشعب الإريترى ١٨٠

الفصل السابع والعشرون :

التكوين الاجتماعى والقبلى لشعب إريتريا . ١٨٣

الفصل الثامن والعشرون :

إقليم حماسين : الأرض والشعب . ١٩١

الفصل التاسع والعشرون :

إقليم سراى : الأرض والشعب . ١٩٧

الفصل الثلاثون :

قليم اكِلى غوزاى : الأرض والشعب . ٢٠٨

الفصل الحادى والثلاثون :

إقليم القاش : الأرض والشعب . ٢٣٢

الفصل الثانى والثلاثون :

إقليم بركه : الأرض والشعب . ٢٣٦

الفصل الثالث والثلاثون :

اقليم الساحل الشمالى : الأرض والشعب . ٢٤٥

الفصل الرابع والثلاثون :

إقليم سنحيت : الأرض والشعب . ٢٦٨

الفصل الخامس والثلاثون :

إقليم سمهر (البحر الأحمر) الأرض والشعب ٢٧٩

الفصل السادس والثلاثون :

إقليم دنكاليا : الأرض والشعب ٣٥٤

الباب السابع ٣٦٩

إريتريا من الحكم العثمان إلى الاحتلال الإيطالى

الفصل السابع والثلاثون :

إريتريا والحكم العثمانى ٣٧٠

الفصل الثامن والثلاثون :

إريتريا والحكم المصرى فى ظل السيادة العثمانية ٣٧٨

الفصل التاسع والثلاثون :

الاستعمار الإيطالى فى إريتريا ٣٩٦

الفصل الأربعون :

إريتريا تحت الانتداب البريطانى ٤٣٧

الباب الثامن ٤٥٩

إريتريا الحديثة

الفصل الحادى والأربعون :

قضية إريتريا والأمم المتحدة فى فترة حق تقرير المصير ٤٦٠

الفصل الثانى والأربعون :

مذكرة وفدى الباكستان وغواتيمالا إلى الأمم المتحدة ٤٩١

الفصل الثالث والأربعون :

بداية الاستعمار الاثيوبى وانتكاسة القرار الفيدرالى ٥١٦

الفصل الرابع والأربعون :

بداية تأسيس جبهة التحرير الإريترية ٥٤٨

البـاب التاسـع ٥٩٤

إريتريا والرؤية المستقبلية

الفصل الخامس والأربعون :

إريتريا رؤية مستقبلية لما بعد الفترة الإنتقالية ٥٩٥

الفصل السادس والأربعون :

العلاقات العربية الإريترية ٦٠٩

الفصل السابع والأربعون :

أمن البحر الأحمر والدول التى تقع فى إطاره ٦٣٤

المراجـع ٦٦٢